

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
(سكنه الله الفردوس)  
العجائب  
حياته ورجله

تأليف  
الدكتور عبد الحفيظ اسطلي  
مدرس الأدب الإسلامي وفقه اللغة  
خبير جامعة حلب

توزيع  
مكتبة اطلال  
دمشق

رَفَعُ  
عبد الرحيم النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
مقدمة

إن لرجز العجاج أهمية بالغة في دراسة الاتجاهات الأدبية خلال القرون  
المجري الأول ، ففي رجزه تتضح الخصائص البارزة لتلك المدرسة التي بدأها  
الأغلب واوجدها العجاج ، ومن خلال هذه الخصائص يمكن للباحث أن يجد  
سبيلاً إلى دراسة عدد من أوجه النشاط الأدبي واللغوي والاجتماعي لتلك  
الفترة من تاريخنا ، أخف إلى ذلك أن هذا الرجز أشبه بمعجم لغوي تطوي  
على كثير من مشكلات اللغة بنحوها وأبليتها ومعاني الفاظها .

ومع ذلك كله ليس من دراسة للعجاج باعتباره رأس مدرسة الرجز في  
العصر الإسلامي ، أو الرجز بوجه عام كشفاً عن اتجاهاته وما جد فيه من  
تيارات أدبية مختلفة بين عصر تطوره لعهد بني أمية ، والعصور الأدبية التالية ،  
بل إن ديوان العجاج لم يحظ بعناية علمية ، هو أهل لها ، وجدير بها ، ولما  
نشره المشرق الواردت ضمن مجموعة « أشعار العرب » ، ولا شك أننا  
نحمد لألواردت أنه اخرج ديوان العجاج في هذه المجموعة ، وعانى في سبيله  
حزونة الرجز ومسالكه الصعبة العسرة ، إلا أن عمله بوجه عام لا ينصف  
بالمهنية العلمية تماماً ، فالأراجيز ناقصة ، والشروح منعقدة ، والتفريع قاصر  
جداً ، والمصادر تعدّ على الأصابع ، ومثل هذه الأراجيز لا ينشر دون دأب  
طويل على تحقيقها وشرحها وتوجيهها وإعداد المصادر الكثيرة لمشكلاتها اللغوية  
والتحوية ، ولا سيما أن هذا الديوان لا يستغني عنه باحث في العربية ، لانه

هذه الدراسة جزء من رسالة للدكتوراه  
قدّمت إلى جامعة القاهرة ، ونوقشت بين يدي  
الجمهور في ١٩٦٩/٩/٢٧ ، ونال بها المؤلف لقب  
دكتور في الآداب .

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مصدر رئيسي لكثير من شواهد اللغويين والنحاة والمفسرين ومن إليهم ، ولم تكون خيبة الأمل مبررة لدى الباحث ، حين يعود بشاهد إلى ديوان العجاج ، فلا يجد ضبطاً دقيقاً ، أو شرحاً موثقاً ، أو تحريجاً كافياً ، أو مصادر تعين على تتبع ما في البيت من إشكال في النحو أو اللغة .

ولذلك كله اتخذت ديوان العجاج موضوعاً لرسالة الدكتوراه ، راجياً أن أوفق إلى دراسته دراسة علمية تكشف عما فيه من خصائص واتجاهات ، وتحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً يفي بما يحتاج الباحث حين العودة إليه ، أو التنبع لبعض مشكلاته . ومن ثمّ كان عملي ينقسم إلى مرحلتين : الأولى دراسة للعجاج وخصائص رجزه ، والثانية تحقيق لديوانه بشرح الأصمعي .

وهذا الكتاب يقدمُ القسم الخاص بدراسة العجاج : حياته ورجزه ، ويتألف من تمهيد وستة فصول ، إذ بدأت الحديث بتمهيد حول الإطار السياسي والاجتماعي والفكري لعصر العجاج ، وذلك تيسيراً لفهم بعض الاتجاهات التي أثرت في العجاج وفي أدبه معاً .

ثمّ كان الفصل الأول لتعرف حياة العجاج ، فتحدثت فيه عن نسبه وعشيرته ، ونشأته ورحلاته ، ثم عقيدته ، وما يتصل بذلك من جزئيات تكمل تلك الصورة لارجل بني سعد .

ولمّا انحلت معالم هذه الصورة إلى حدّ ما ، لم يكن من المنطق أن نتحدث عن خصائص رجزه ، قبل الوقوف على مصادر هذا الرجز أولاً ، ثم على توثيقه ثانياً ، ولهذا كانت الفصل الثاني يتحدث عن مصادر رجز العجاج ، فوفقت على ديوانه ، باحثاً عن الطرق التي وصل بها إلينا ، موثقاً رواية الأصمعي ، مؤكداً نسبة الشرح إليه ، بأساط خصائص هذا الشرح ، معترفاً بمصادر رجز العجاج في غير الديوان .

ثمّ كان الفصل الثالث خاصاً بتوثيق رجز العجاج ، وهنا جعلت التوثيق يذهب في اتجاهين اثنين : الأول دراسة ما داخل رجز العجاج من رجز منجول عليه ، والثاني ما اضطربت نسبه بين العجاج وغيره من الرجاز والشعراء ، ولئن كانت ظاهرة الانتحال لاكتداد تستبين في رجزه ، فظاهرة الاضطراب ذات سلطان روسعَ العديد من أراجيزه ، ومع هذا الانساع فقد وفقت منها جميعاً أنفُس من الأدلة ما يميل بكل أرجوزه أو مقطّعة إلى العجاج أو إلى غيره ، وبذلك أمكن تشذيب أراجيزه ، وأصبح من اليقن أن تُدرس موضوعاتها وخصائصها بعد أن زایلها كل دخيل أو غريب .

ومن ثمّ كان الفصل الرابع يتناول موضوعات رجز العجاج ، وقد بدأتها بإلقاء نظرة سريعة على موضوعات الرجز قبل العجاج ، لترى ما كانت للأغلب العجلي من دور في تطويعها ، وما كان للعجاج من دور واسع في هذا التطوير ، ومن ثمّ انتقلت إلى الموضوعات التي تناولها العجاج في رجزه ، من نسب ومديح ، وفخر وهجاء ، ووعظ وحكمة ، ووصف وتصوير ، فكنت أقف عند كل من هذه الموضوعات ، مبحثاً لخصائصه ، شارحاً لاتجاهاته ، راصداً لصلاته بالقديم أو بالجديد لعهد بني أمية .

ثمّ كان الفصل الخامس لدراسة الخصائص الفنية في رجزه ، وهنا تناولت الخصائص المعنوية أولاً ، ثم الخصائص اللفظية ، وأفردت للخصائص اللغوية والنحوية والصرفية الفصل السادس ، وبهذا تمّت لنا دراسة الخصائص التي أرادها العجاج لرجزه ، وبني عليها مدرسته التي امتدت إلى أواسط القرن الهجري الثاني .

وبعد أن تكاملت مراحل الدراسة ، كان لابد من خاتمة تلخص ماورد في تلك المراحل من آراء ، وتوجز ما تناثر فيها من اتجاهات ، فوضعت خاتمة

تلخص ذلك كله .

وبما أنني أقدم هذه الدراسة في كتاب مستقل ، فقد عرضت لي فكرة جعلت تعريبي بإخراج بعض الأبحاث من الدراسة إلى مقدمة الديوان لاتصالها الوثيق به ، ولكنني وقفت حائلاً دون ذلك ، لأن الفصل بين الدراسة والديوان لا يبعدو أن يكون شكلياً فحسب ، ولا بد من التكامل بينها باعتبار أنهما عمل واحد في الأصل ، وهذا ما حملني أيضاً على عدم إثبات المصادر والمراجع في نهاية هذا الكتاب ، لأن من الصعب أن يفصل بين مصادر الدراسة ومصادر التحقيق ، ولسوف نثبتها جميعاً في نهاية الديوان إن شاء الله .

وَأما أساتذتي الدكتور شوقي ضيف المشرف على هذا البحث ، والدكتور حسين نصار ، والدكتور كامل جمعة ، أعضاء لجنة المناقشة ، فلم خالص شكري لما بذلوه من جهد ووقت في قراءة هذا البحث ، وما أبدوه من ملاحظات قيمة ، وما أسبقوه عليه من ثناء وتقدير ، وما جوبوني به من رعاية وتشجيع .

وكل ما أرجوه أن أكون قد وفقت إلى ما أردته من دراسة للعجاج ورجزه ، وحسي أنني أخلصت النية ، وبذلك غابة ما أستطيع ، ومن الله العون ، وبه التوفيق مر

دمشق في ١٧ نيسان ١٩٧١

عبد الحفيظ السطلي

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

العجاج  
حياته ورجزه

رفع  
عبد الرحمن (الرحمى) القمري  
أسكنه الله الفردوس

## الطوار السياسي والاجتماعي والفكري

### لعصر العجاج

لا نجد سبيلا الى دراسة حياة العجاج وخصائص رجزه ، قبل أن نقف رويداً على أحوال عصره ، ذلك لأن الاتجاهات الأدبية المختلفة في هذا العصر ، كانت تتأثر باختلاف الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية . فالعجاج ولد في الجاهلية وقال فيها أياتاً وتوفي أيام الوليد بن عبد الملك <sup>(١)</sup> . ولذا فهو معاصر أحداث الجزيرة العربية منذ فجر الاسلام حتى أوج العصر الأموي ، وكان لهذه الأحداث أثر في اتجاهاته النفسية والشعرية معاً ، فكان يلتقي مع شعراء عصره في بعض الاتجاهات الجديدة في اللغة والمعاني والموضوعات ، وكان يختلف عن سائر الشعراء في بعض الاتجاهات التي رسمها لنفسه في لغة القصيدة وشكلها وبعض موضوعاتها ، وهذه الاتجاهات جميعها لا تفهم بدقة في رجزه الا من خلال ملاحظتها من أحداث سياسية واجتماعية وثقافية .

على أننا لن نطيل البحث في هذه الموضوعات ، وليس من شأننا أن نوسعها بحثاً أو تفصيلاً ، وليس لنا في هذا التمديد الا أن نبين أهم الأحداث السياسية ، والظواهر الاجتماعية والاتجاهات العقلية التي لها تأثير

(١) تاريخ ابن عساکر ٢٩٤/٧ ، وشرح شواهد المقتني ١٨ . وتوفي الوليد سنة (٩٦ هـ) .

في دراسة العجاج ، ولها أن تفسر أحياناً بعض ما نجد في رجزه من خصائص .

- ١ -

كان الاسلام أكبر ثورة سياسية واجتماعية في جزيرة العرب ، اذ وحّد القبائل ، وحاول القضاء على العصبية ، وبنى دولة الاسلام بناء اجتماعياً متيناً وسرع لهذه الدولة كل محتاج اليه من أسس وقوانين <sup>(١)</sup> ، ولكن هذا كله لم يأت الا بعد أحداث وحروب متتالية ، هزت قبائل الجزيرة هزاً ، ولا سيما بعد فتح مكة ( ٥٨ ) ، ولم تكن تلك الأحداث والحروب ميداناً للسيف وحده ، وانما كانت أيضاً ميداناً للشعر والشعراء ، اذ كان لكل فريق شعراؤه ، وكانت كل غزوة تدعو الى أشعار تقال فيها رثاء أو تهديداً أو افتخاراً <sup>(٢)</sup> ، حتى ظهرت في هذه الفترة نساء شاعرات ، كان معظم أشعارهن تحريضاً على القتال ، أو بكاء على القتلى <sup>(٣)</sup> ، وبعد عام الفتح كانت وفود القبائل تترى على النبي صلى الله عليه وسلم من كل صوب وحذب ، ورياء رافقاً بعض شعراء القبائل ، فكانوا ينشدون الرسول أشعاراً أو رجزاً ، فينهض شعراء المسلمين ليردوا عليهم بالشعر نفسه <sup>(٤)</sup> .

وبذلك كانت الأحداث الاسلامية الأولى تدعو الى الشعر ، وتستثيره في صدور أصحابه ، ولا يعقل أن يكون العجاج في غيب عن هذه الأحداث ، فقد

(١) انظر تاريخ الاسلام السياسي ٢١٧/١ - ٢٤٥ .

(٢) ارجع الى سيرة ابن هشام ، وانظر عقب كل غزوة من الغزوات لتري ما قيل فيها من اشعار .

(٣) تاريخ ابن الاثير ٢٥/٣ ، والبداءة والنهاية ٢٧/٤ و ٥٩ - ٦٠ ،

وعيون الاثر ٢٩١/١ و ١٨/٢ و ٣٥ .

(٤) تاريخ ابن الاثير ١٢٠/٢ . والبداءة والنهاية ٤٢/٥ و ٤٣ و ٧١

و ٧٢ و ٧٤ ، و عيون الاثر ٢٤٦/٢ .

استمع الى أخبارها وأشعارها وهو في باليمة ، ولا يبعد أن تكون بعض الآيات قد خرجت عن لسانه ، والا فلا مَرِيَّةَ أن هذه الأحداث قد أثرت في نفسه وفي شاعريته ، ولا سيما حين اقتربت من ديار قومه في حروب الردة وما تلاها من أحداث جسام .

فحين قضى النبي صلى الله عليه وسلم برزت مشكلتان ، الأولى مشكلة الخلافة من بعده ، والثانية اتساع أمر المرتدين ، أما الخلافة فلم تكن واضحة ولا محدّدة المعالم في الاسلام ، ومن ثم كان اجتماع الأنصار وبعض المهاجرين في سقيفة بني ساعدة <sup>(١)</sup> ، وظهرت ثلاثة آراء حول الخلافة ، ولكن أصحابها لم يؤلفوا أحزاباً واضحة ، وان كان بعضها بداية لأحزاب سياسية فيما بعد <sup>(٢)</sup> .

كان الأنصار يرون أن الخلافة فيهم ، لما كان لهم من سابقة في نصرة الرسول والمسلمين ، وهموا بعبادة سعد بن عباد ، وكان المهاجرون يرون أن الخلافة في قرش ، واحتجوا بعدد من الأحاديث التي تؤيد ذلك <sup>(٣)</sup> ، وكان الهاشميون يرون الخلافة فيهم لقربهم من الرسول ، ويمجدون في علي رضي الله عنه خير من يبيع للخلافة ، وأما الأمويون فما كانوا يجروئون على المطالبة بها يومئذ ، ولذلك حرضوا علياً على المطالبة بالخلافة ، وحضوا آل هاشم على منازعة أبى بكر ايأها <sup>(٤)</sup> .

(١) البداية والنهاية ٤٥/٥ ، وتاريخ البيهقي ١٠٢/٢ ، وتاريخ ابن خلدون ص ٦٤ من بقية الجزء الثاني .

(٢) قابل بما قاله بدوي عبد اللطيف في كتابه الاحزاب السياسية في فجر الاسلام ٥٥ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٥٢٣/٢ .

(٤) تاريخ الطبري ٤٤٩/٢ ، وتاريخ ابن الاثير ١٣٥/٢ .

وهذه الآراء كان يمكن أن تتحول الى أحزاب متصارعة في ذلك الحين ، ولكن حجة قریش علت على حجة الأنصار ، ثم قضي على الفتنة بمبايعة عمر لأبي بكر ، والناس يعلمون منزلة أبي بكر وصحبه للرسول في الاسلام وقبل الاسلام<sup>(١)</sup> ، فهو أول من أسلم من الرجال<sup>(٢)</sup> ، وقدمه النبي على الحج بالناس حين عاد من تبوك في السنة التاسعة<sup>(٣)</sup> .. ولكن هذا كله لم يمنع وجود معارضة لمبايعة أبي بكر ، فالأنصار أو بعض الأنصار ، قالت لعمر حين بايعه : « لا نبايع الا علياً<sup>(٤)</sup> » . وامتنع عن مبايعة أيضاً جماعة من بني هاشم ، وبني أمية ، بينهم الزبير بن العوام ، وأبو سفيان بن حرب ، وعمار بن ياسر ، وأبو ذر الغفاري ، ومالوا مع علي رضي الله عنهم<sup>(٥)</sup>.

وكان يمكن للفتنة أن تستمر لولا أن علياً رضي الله عنه نهر أباسفيان ورفض القيام في وجه أبي بكر<sup>(٦)</sup> ، والروايات متناقضة حول مبايعة علي له ، بعضها يقول انه تلتكأ عن مبايعته ، وبعضها يرى أنه سارع الى المبايعة دون تلكؤ<sup>(٧)</sup> ، وبعضها ينقل أن علياً غاب أبابكر يوم بايعه الناس فقال :

(١) تاريخ الخميس ٢٦٠/١ - ٢٦١ .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢٢/٢ ، وتاريخ الخميس ٢٨٦/١ ، وتاريخ أبي الفداء ١١٨/١ ، وتاريخ ابن الوردي ١٠٣/١ ، وجوامع السيرة لابن حزم ٤٥ ، أما علي فهو أول من أسلم من الصبيان ، وقيل إن إسلامه كان قبل اسلام أبي بكر .

(٣) البداية والنهاية ٣٦/٥ ، وتاريخ الخميس ١٤١/٢ ، وجوامع السيرة ٢٥٨ ، وتلقيح أهل الأثر لابن الجوزي ٣٦ .

(٤) تاريخ ابن الأثير ١٣٥/٢ .

(٥) تاريخ ابن الوردي ١٤١/١ .

(٦) تاريخ الطبري ٤٤٩/٢ ، وتاريخ ابن الأثير ١٣٥/٢ .

(٧) تاريخ الطبري ٤٤٦/٢ - ٤٤٨ ، وتاريخ ابن الأثير ١٣٥/٢ ، ومروج الذهب ٤١٥/١ .

« أقصدت علياً أمورنا ، ولم تستشر ولم ترع لنا حقاً ، فقال : بلى ، ولكن خشيت الفتنة<sup>(١)</sup> » . ودراسة هذه الروايات تحتاج الى حذر وأي حذر من المؤرخين أنفسهم ، اذ لا يبعد أن تكون الأهواء والنحل قد أثرت فيها نقله بعض المؤرخين ، ولكن مجموع ما بلغنا من أخبار يشير بوضوح الى وجود طائفة تتشيع خلق علي في الخلافة منذ يوم السقيفة ، وربما جاز لنا أن نستنتج من وجود هذه الطائفة ، وما بلغنا من روايات وأخبار أن علياً لم يبايع أبابكر وهو راض كل الرضى ، ولما كان يشعر بشيء من الضيق ، ولكنه أراد وحدة الأمة ، ولا سيما أن الردة كانت تهدد أركان الدولة الاسلامية من أساسها .

والردة كانت قد ظهرت في أواخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فظهر أمر الأسود العنسي باليمن في بني مذحج ، وكان مشعوذاً يُري الناس الأعاجيب<sup>(٢)</sup> . وظهر أمر مسيلة الكذاب بالجملة في بني حنيفة ، فادعى الشراكة في النبوة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم مالبت أن وضع الصلاة عن أتباعه وأهل لهم الحجر والزنا ونحو ذلك ، فتبعه معظم بني حنيفة<sup>(٣)</sup> . وظهر أمر سجاح في بني تميم ، فادعت الوحي واتخذت مؤذناً وحاجباً ومنبراً وجيشاً جيشاً تريد حرب مسيلة ، ثم انتهى الأمر بالزواج بينها ، فالتحدت جيوش بني حنيفة وبني تميم من المرتدين<sup>(٤)</sup> . وظهر أمر

(١) مروج الذهب ٤١٤/١ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٦٣/٢ ، وتاريخ ابن الأثير ١٣٩/٢ ، والبداية والنهاية ٣٠٥/٦ ، وتاريخ الخميس ١٥٥/٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٠٤/٢ ، وتاريخ ابن الأثير ١٥٠/٢ ، وتاريخ الخميس ١٥٧/٢ ، وفتوح البلدان ١١٩ .

(٤) تاريخ الطبري ٤٩٥/٢ ، وتاريخ ابن الأثير ١٤٧/٢ ، وتاريخ الخميس ١٥٩/٢ .

طلحة بن خويلد ، وكان رئيس بني أسد فدعى النبوة ، وكان آخر المرتدين في حياة الرسول (ص). ثم ارتد عتبة بن حصن الفزاري مع قومه فيما بعد ومنعوا الزكاة وتبعوا طلحة ولحقوا به (٣).

وإذا كان الأسود العنسي قد قتل قبل وفاة الرسول بيوم واحد ، فإن سائر المرتدين قد استقبل أمرهم بعد وفاته عليه السلام ، بل جعلوا من ذلك سبباً يؤديون به رتبتهم ، «فقال فرقة : لو كان نبياً ما مات ، وقال بعضهم : انتفض النبوة بمرتة فلا نطيع أحداً بعده ، وقال بعضهم : نؤمن بالله ونشهد أن محمداً رسول الله ونصلي ولكن لا نعطيكم أموالنا » (٤) . ومما تعددت هذه الأسباب أو الذرائع ، فهي تترد الى عودة العصبية بين القبائل ، وضعف الاسلام في نفوس أكثر الأعرب ، ومطامع فردية حملت أصحابها على ادعاء النبوة ، وصادفت هوى عند الأعرب لما في ذلك من عودة الى فوضى الجاهلية ومفاسدها مما حرمة الاسلام أشد تحريم .

ولهذا كان البلاد على المسلمين شديداً ، ولولا حزم أبي بكر (٥) ، وبلاد المسلمين في قتال الردة ، لثرفت كلمة العرب بعد أن وحدها الاسلام ، ولكن الله أراد لدينه أن يتصر ، وأراد لكلمة الحق أن تكون هي العليا .

(١) تاريخ الخميس ١٦١/٢ ،

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٣/٢ ، وتاريخ ابن الأثير ١٤٣/٢ .

(٣) تاريخ الخميس ٢٠١/٢ ، وانظر الفخري في الاداب السلطانية ٦٤ ، وتاريخ الطبري ٤٦٣/٢ - ٥٤١ ، وتاريخ ابن الأثير ١٤٢/٢ - ١٦٠ . وتاريخ ابن خلدون ص ٦١ و ٦٦ - ٦٨ من بقية الجزء الثاني ، والبداءة والنهاية ٣١١/٦ وما بعدها .

(٤) انظر جوامع السيرة ٣٣٩ ، وفتح البلدان ١٣١ ، وتاريخ الخميس ٢٠١/٢ .

والمهم في حروب الردة أن أشدها وأخطرها قد حدث حول البصرة ، وكان أهل البصرة والبحرين كلهم من المرتدين (١) ، وفيهم قبائل قيم قوم العجاج ، وكان العجاج في هذه الفترة قتي يافعاً ، يقم في حاضرة البصرة ، ويشهد هذه الأحداث الخطيرة ويعيش هذه الحروب الدموية الطاحنة ، وكذلك فالردة قد أشعلت من حولها حرباً بين الشعراء أيضاً (٢) ، وإذا كانت أراجيز العجاج خلوا من القول في أحداث الردة ، فهذا لا يمنع أن يكون الرجل قد تأثر بها ، بل الحق أن يقال ان حروب الردة قد خلقت فعلاً بعض الآثار في نفسه وفي أدبه معا ، وسوف تبرز هذه الآثار في دراسة حياته وخصائص رجزه ، وقد يكون له رجز في هذه الأحداث ، ولكنه فقد وصار الى مانع ولم يحفظ من أشعار العرب في تلك الأحداث المتلاحقة من الحروب الأهلية ، أو حروب الفتح خارج حدود الجزيرة .

والتي كانت الردة قد أنهى أمرها في حياة الصديق ، فإن مشكلة الخلافة لم تنته ، وإنما خبت نارها تحت الرماد ، فلما عهد أبو بكر بالخلافة الى عمر بن الخطاب ، لم تظهر هذه المشكلة وذلك لهية عمر ، وحزمه في القضاء على العصبية ، وانشغال الناس بالفتوح ، والذي يبدو أن علياً لم يمنع أبا بكر في تولية عمر حين استشارته في ذلك (٣) ، ولكن عمر حين عهد بأمر الخلافة من بعده الى ستة نفر (٤) ، وجعلها شوري بينهم ، كان

(١) تاريخ الخميس ٢٠٢/٢ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤٧٧/٢ - ٤٧٨ و ٤٩٣/٢ - ٤٩٧ و ٥٢١/٢ - ٥٢٧ .

(٣) انظر تاريخ ابن الأثير ١٧٩/٢ ، والبداءة والنهاية ١٨/٢ ، وتاريخ الخميس ٢٥٤/٢ .

(٤) وهم : عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص .



لا بد أن يستقطب هيب تلك النار التي خبت الى حين ، ذلك لأن أقوى أولئك النفور كان علياً وعثمان ، وكلاهما من كتاب الوحي<sup>(١)</sup> ، ولكل منهما سابقة في الاسلام ، الا ان قرابة علي من الرسول ، وما عرف من بلائه في الاسلام قبل الهجرة وبعدها ، كان يجعل جمهور الصحابة في صف علي ، ولا سيما أولئك الذين كانوا يحشون بني أمية ان فاز بها عثمان ، لما عُرف عنه من لين لا يقوى على دفع مطامع أسرته من الأمويين ، وحين عُهد بالأمر الى عبد الرحمن بن عوف كانت الأموية تدفع به الى مبايعة صهره عثمان ، وكانت الهاشمية والأنصار يطالبون بمبايعة علي<sup>(٢)</sup> ، والذي يبدو أن عبد الرحمن وهو أموي ، قد مال مع الأموية في مبايعة عثمان ، وكان هذا مانقعه علي رضي الله عنه في بعض الروايات<sup>(٣)</sup> .

ومبايعة عثمان على هذا النحو تعني أن الأموية والهاشمية ، قد بدأت كل منهما تشكل ما يشبه الحزب السياسي على الأقل ، ولا سيما أن أكثر الروايات تشير الى أن علياً قد بايع عثمان على كره منه ، وفيه روايات أخرى تنقل ما دار من ملاسنة حادة بين الأموية والهاشمية ، وتصور مدى تعلق كبار الصحابة بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> .

- (١) الكتاب والوزراء ١٢ ، والبداية والنهاية ٣٣٩/٥ ، وتلقيح أهل الأثر ٣٧ .  
(٢) تاريخ الطبري ٢٩٧/٣ ، وتاريخ ابن الأثير ٢٩/٣ ، وتاريخ ابن خلدون ص ١٢٦ من بقية الجزء الثاني .  
(٣) انظر تاريخ ابن الأثير ٢٨/٣ ، وتاريخ الطبري ٢٩٧/٣ ، وتاريخ اليعقوبي ١٣٩/٢ ، وقابل بالبداية والنهاية ١٤٧/٧ ، فإن كثير رد أن يكون علي قد تلتكأ في مبايعة عثمان أو شك في اختيار عبد الرحمن بن عوف لعثمان ، ولكن رد ابن كثير لا يعتمد على دليل بين .  
(٤) مروج الذهب ٤٤٠/١ ، وتاريخ الطبري ٢٩٦/٣ ، وتاريخ ابن الأثير ٢٨/٣ .

ويبدو أن خلافة عثمان قد حققت شيئاً من رغبة الأموية في السيادة والثراء ، لانه مالبث أن عزل عدداً من الصحابة عن أمصار الدولة ، وولى مكانهم عدداً من أقاربه<sup>(١)</sup> ، فآثر بذلك سحق المهاجرين والأنصار ، وكان الفارق واسعاً بين حاله من أصحاب الدنيا ، وعامل عمر بن الخطاب من أصحاب الزهد والقي<sup>(٢)</sup> ، بل ان من ولادة عثمان من اهتم بركة الدين وشرب الخمر كالوليد بن عتبة<sup>(٣)</sup> ، ومنهم من رمي بظلم الرعية وكانت له سابقة في الاسلام لائحمد كعبد الله بن أبي سرح<sup>(٤)</sup> ، أضف الى ذلك ما يجتمع لدى الأمويين من ثراء واسع كان دائماً يثير على عثمان نفقة الصحابة كآبي ذر رضي الله عنه<sup>(٥)</sup> ، وخاصة أن عثمان قد فرط في أموال المسلمين وتغاضى عن أموال ذهب الى بعض خاصته لا الى بيت المال<sup>(٦)</sup> . ولم يبق عثمان عند هذا الحد من تحقيق رغائب الأموية ، بل تجرأ على رد طريد رسول الله الى المدينة<sup>(٧)</sup> ، ونفى عنها أبا ذر بعد ان حبس عطاه

- (١) انظر تاريخ ابن الأثير ٣٦/٣ و ٤٠ ، وتاريخ الخميس ٢٥٥/٢ .  
(٢) انظر مروج الذهب ٤٣٥/١ و ٤١٧/١ .  
(٣) وهو أخو عثمان لأمه ، وقصد ولادته على العراق ، بعد ان عزل سعد بن أبي وقاص . انظر تاريخ الخميس ٢٥٥/٢ .  
(٤) وهو أخو عثمان من الرضاع ، وقصد ولادته على مصر ، وكسان عبد الله يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد ولحق بقرش فقال : ان محمداً ليكتب بما شئت .. ويوم الفتح جاء به عثمان الى الرسول مبايعاً ، فلم يبايعه عليه السلام الا بعد ساعة ، كان يود خلافاً ان يقتله بعض الصحابة بما أسلفه من أساءة الى النبي والمسلمين . انظر الكتاب والوزراء ١٣ - ١٤ ، وتاريخ اليعقوبي ٤٥/٢ ، وانشان العيون ٣٦٤/٣ ، وجوامع السيرة ٢٢٢ ، والروض الانف ٢٢٤/٢ .  
(٥) مروج الذهب ٤٣٨/١ ، وتاريخ الخميس ٢٥٨/٢ .  
(٦) تاريخ أبي الفداء ١٧٦/١ .  
(٧) وهو الحكم بن مروان ، والد مروان بن الحكم مؤسس الفرع الرواني في دولة بني أمية ، وكان الرسول قد لمنه وطرده من المدينة الى الطائف أو بطن وج ، انظر تاريخ الخميس ٣٠٦/٢ - ٣٠٧ .

وعطاء عبد الله بن مسعود ، وكلاهما من خاصة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> ، وكانت هذه الامور من الاسباب التي نعم الناس بها على عثمان ، وما زال الامر يتسع حتى كان حصاره ومقتله على ايدي الوفود من اهل مصر والكوفة والبصرة<sup>(٢)</sup> .

وكان مقتل عثمان نقطة تحول في التاريخ الاسلامي ، اذ بدأت الفتنة والحروب الاهلية ، وانتشت الامة فوقاً واحزاً ، وصار للسيف منذئذ القول الفصل في امر الخلافة<sup>(٣)</sup> ، اذ ان جهور اهل المدينة اتجه الى على بالمبايعة ، وكان اول من بايعه طلحة والزبير<sup>(٤)</sup> ، وامتنع عن مبايعة جماعة من الانصار ومن قريش وكانوا عثمانية<sup>(٥)</sup> ، وبامتناع هؤلاء كانت اوائل بنور الفتنة . وقبل مقتل عثمان كانت عائشة قد غادرت المدينة الى مكة ، وكانها رغبت في اعتزال ما يجذب من احداث ، وكانت تحرض الناس على عثمان ، فلما بلغها انه قتل وان الامر صار لعلي ، تحولت الى ندب عثمان والقول انه قتل مظلوماً ، وكانها كانت ترغب ان تكون الخلافة لواحد غير علي امثال طلحة او الزبير ، وذلك لعداء قديم كانت تكنه لعلي منذ

حادثة الافك<sup>(٦)</sup> . ولعل موقف عائشة ، كان حافزاً لطلحة والزبير حين انتفضا على علي وخرجا الى مكة ، ليجعلا من عائشة رضي الله عنها ستاراً لها في الثورة على خلافة علي ، ومن ثم ومجّدت بعض الروايات التي تنقل ان طلحة والزبير كانا قد بايعا علياً على كره منها<sup>(٧)</sup> . وبينما كان هؤلاء في مكة يعدون ثورة على خليفة المدينة ، كان قبض عثمان قد وصل الى منابر الشام ، واخذت الاموية تعد للثورة ايضاً ، او قل للحرب في سبيل سيادتها متذرة بدم عثمان<sup>(٨)</sup> .

ولمهم ان طلحة والزبير لم يجاربا علياً من مكة ، لان المدينة كانت اكثر عدداً ، بل توجهوا مع عائشة الى البصرة وكان لاهلها هوى في طلحة<sup>(٩)</sup> ، فسار اليهم علي ، واتخذ من الكوفة قاعدة له ، وكان النصر له في واقعة الجمل<sup>(١٠)</sup> ، فعادت عائشة الى المدينة ، وقتل طلحة والزبير ، وقيل ان طلحة قتله مروان بن الحكم اثناء القتال<sup>(١١)</sup> ، لان الاموية كانت تحشى نفوذه في مستقبل الاحداث .

وبعد واقعة الجمل سار علي في اهل العراق الى معاوية ، والتقى

- (١) تاريخ الطبري ٣/٣٣٥ و ٣٥٤ ، وتاريخ ابن الاثير ٤٦/٢ ، وتاريخ الخميس ٢٦٦/٢ .
- (٢) انظر اسباب النعمة عليه وخبر مقتله في تاريخ الطبري ٣٧٨/٣ .
- (٣) ٤٢٥ ، وتاريخ ابن الاثير ٦٢/٣ - ٧٥ ، وتاريخ الخميس ٢٦٦/٢ - ٢٧٤ ، وتاريخ ابن خلدون ص ١٣٩ - ١٤٣ من بقية الجزء الثاني ، واخبار الدول ٩٩ ، ومروج الذهب ٤٧٢/١ .
- (٤) انظر تاريخ الدولة العربية لولهون ٥٠ - ٥١ .
- (٥) تاريخ ابن الاثير ٨٠/٣ ، وتاريخ الطبري ٤٥٠/٣ .
- (٦) تاريخ ابن الاثير ٨١/٣ ، وتاريخ الطبري ٤٥١/٣ - ٤٥٣ ، ومقدمة ابن خلدون ٥٥٧/٢ - ٥٥٨ .

- (١) انظر تاريخ الطبري ٢٦٨/٢ ، وتاريخ ابن الاثير ٨١/٢ ، والبداية والنهاية ١٦٦/٤ ، وتاريخ الخميس ٤٧٦/١ ، وعيون الاثر ٩٨/٢ .
- (٢) تاريخ الطبري ٤٥٣/٣ ، وتاريخ ابن الاثير ٨١/٣ .
- (٣) وكانوا بين متهم لعلي بتأليب الناس على عثمان مما جراهم على قتله ، او متهم له بالسكوت عن نصرته عثمان لا بالمعالة عليه انظر مقدمة ابن خلدون ٥٥٧/٢ - ٥٦٠ ، والفخري في الاداب السلطانية ٧٤ .
- (٤) ولهون - تاريخ الدولة العربية ٥٢ .
- (٥) انظر تاريخ الطبري ٤٧٦/٣ ، وتاريخ ابن الاثير ٨٦/٣ - ١١٣ ، وتاريخ الخميس ٢٧٦/٢ - ٢٧٧ ، والبداية والنهاية ٢٢٩/٧ ، ومروج الذهب ٦/٢ .
- (٦) تاريخ الخميس ٢٧٩/٢ و ٣٠٧/٢ .

الجعمان في «صفين» على حدود الفرات . ومال النصر الى صف علي لولا خدعة معاوية وعمرو بن العاص برفع المصاحف والدعوة الى التحكيم ، وكان اصحاب التقي والورع في جيش علي اول من خُدع فألقى السلاح، ثم حملوا علياً على قبول ذلك حملاً ، فأقر بالتحكيم مكرها ، وعاهد معاوية على ذلك ، ثم عاد يجنده الى الكوفة ، واذا بأولئك الاتقياء انفسهم قد عادوا عن رأيهم وتنبهوا الى ما وقعوا فيه من شَرَك ، واعتبروا ذلك منهم كُفْراً واي كُفْر ، لانهم قبلوا بتحكيم الرجال في امر عدل كانوا يحاربون في سبيله ، وطلبوا اني علي ان يرضى التحكيم من جديد ، وان يقر بكفره كما افروا ، وان يتوب من كفره كما تابوا ، ولكنه ابى عليهم ذلك ، فخرجوا عنه ونزلوا قرية « حوراء » فحسبوا اليها ، واطلق عليهم اسم الخوارج<sup>(١)</sup> .

ونتيجة للتحكيم اصبح معاوية خليفة شرعياً في نظر اهل الشام ، وغدا في الدولة خليفتان كل منهما يرى ان الشرعية في جانبه ، وكان لابد من الحرب لتوحيد الدولة من جديد ، ولكن دهاء معاوية وسياسة القاعة على شراء الدين بالدنيا ، جعله اقوى في اهل الشام ، من علي في اهل العراق اذ كانت سياسة علي تقوم على الورع دون ان يخشى في الله لومة لائم<sup>(٢)</sup> ، وكان اصحاب معاوية اكثر طاعة ونظاماً من اصحاب علي<sup>(٣)</sup> ، فلما قتل علي رضي الله عنه ، بايع اهل العراق لابنه الحسن ، ولكن الحسن ما كاد يلتقي بجيش معاوية في مسكن بناحية الأنبار ، حتى عدل عن الحرب ، واسلم

- (١) انظر تاريخ ابن الاثير ١١٨/٣ - ١٤١ ، وتاريخ الخميس ٢٧٧/٢ ، والبيدانية والنهاية ٢٥٢/٢ ، ومروج الذهب ١٧/٢ ، والجزء الرابع من تاريخ الطبري .  
(٢) انظر الفخري في الاداب السلطانية ٧٣ - ٧٤ .  
(٣) انظر خطبه في نهج البلاغة ، وانظر الكامل للمبرد ١٥٢/٢ وقارن بالكامل ايضا ١٠٧/٢ .

الامر لمعاوية على ان يكون ولياً للعهد ، ولم يكن ذلك مجرد بيع لحقه في الخلافة<sup>(١)</sup> ، ولكنه ادرك ما في جيشه من فوضى ، وما يحيط به من اشياخ مردوا على عدم النظام او الطاعة<sup>(٢)</sup> ، وان كان بعضهم لا يتخلو من حماس وتحفز لقتال الامويين<sup>(٣)</sup> .

وبذلك تم الامر لمعاوية ، فدخل الكوفة وبايع له اهل العراق ، ولكن هذا الصلح لم يكن يرضي اشياخ علي ، ولا سبأ اولئك الذين كانوا يلتهمون حماساً لقتال معاوية ، بل كان ذلك الصلح خيبة امل مريرة لهم ، حتى كانوا يسمون الحسن بمنزل المؤمنين بعد ان كان امير المؤمنين ، ولما نزل بأعلاه الى المدينة واقام بها ، كانوا يقولون له : « يا عار المؤمنين سودت وجوه المؤمنين » ، فيقول : « العار ولا النار »<sup>(٤)</sup> . ولهذا لم يكن تفرد معاوية بالخلافة نهاية طبيعية للحرب الاهلية او تسوية مقبعة لمشكلة الخلافة ، وانما نتج عنه زيادة في تلاحم اشياخ كل حزب من الاحزاب الثلاثة التي نهضت بعد صفين ، حزب الشيعة ، وحزب الخوارج ، وحزب الامويين .

ثم توالى الاحداث بعد ذلك فزادت كلا من هذه الاحزاب قوة وتلاحماً ، وخرجت مجزأ رابع هو حزب الزبيريين ، واهم هذه الاحداث مقتل الحسين بن علي مسموماً<sup>(٥)</sup> ، ثم مبايعة معاوية لابنه يزيد بولاية

- (١) كما يرى ولهوزن في تاريخ الدولة العربية ٥٧ .  
(٢) تاريخ الطبري ١٢٢/٤ ، وتاريخ ابن الاثير ١٧٥/٣ ، والبيدانية والنهاية ١٧/٨ .  
(٣) تاريخ الخميس ٢٩٠/٢ .  
(٤) تاريخ الخميس ٢٩٠/٢ .  
(٥) في بعض الروايات ان معاوية هو الذي دبر ذلك مع زوجة الحسن ، انظر مروج الذهب ٥٠/٢ .

العهد ، واخذ البيعة له في الحجاز بالغنف والمكر والكذب ، بعد ان وقف في وجه سادة الهاشمية والقرشية من غير الامويين<sup>(١)</sup> ، ثم ما تلى ذلك ايام يزيد من مقتل الحسين في كربلاء (٦١١ هـ) ، وخلع اهل المدينة ليُزيد ، وابلج مدبنتهم من قبل جيشه بعد وقعة الحرة (٦٣٣ هـ) ، ثم خروج عبد الله بن الزبير في مكة ، ومبايعه اهل الحجاز له بالخلافة ، بما جعل جيش يزيد بعد وقعة الحرة ، ينتقل الى محاربة ابن الزبير وحصاره وضرب الكعبة بالحجارة ، وكاد يجده لولا موت يزيد ، وعودة الجيش الى الشام .

ولما مات يزيد ، تفرد امر بني امية ، وبايعت امصار الدولة لابن الزبير ، وانقسم الشام على نفسه ، فمات القيسية بزعامة الضحاك بن قيس الفهري الى ابن الزبير ، ومالت الكلية الى الامويين ، ولم يكن للاموية زعامة اقوى من مروان بن الحكم ، وكاد مروان يتجه الى ابن الزبير ليبيعه بالخلافة ، لولا ان الاموية عقدت مؤتمراً بالجابة قرب دمشق ، وبايعت ابن الحكم بالخلافة (٦٤٤ هـ) ، فسار مروان بأنصاره من الكلية والجليلش القادم من حصار ابن الزبير ، ولقي الضحاك في وقعة مرج راهط ، فهُزمت القيسية ومُتل الضحاك ، وبذلك قام امر الاموية من جديد في الشام وفلسطين ، ثم لم تلب السياسة الاموية ان ضمت مصر الى خلافة مروان ، وعاد في الدولة الاسلامية خليفتان ، عبد الله بن الزبير في الحجاز والعراق ، ومروان بن الحكم في الشام ومصر ، وما زال الامر على هذا النحو حتى كانت خلافة عبد الملك بن مروان ، فسار بنفسه الى لقاء مصعب بن الزبير في العراق ، وظفر به وقتله سنة (٥٧١ هـ) ، ثم سار الحجاج بن يوسف الثقفي بجيش الى عبد الله بن الزبير بمكة فحاصره وقتله سنة (٥٧٣ هـ) ، وخلا الامر لعبد الملك وللأمويين من بعده .

(١) تاريخ ابن الاثير ٢١٧/٣ - ٢١٨ .

ولكن الأمر لم يتم لعبد الملك وخلفائه الا ظاهرياً ، ذلك لأن سلطة الخلافة بقيت تستند وجودها من البطش والقوة ، واستمرت تنقلب على ثورات ومعارك دامية مع المناوئين ، اذ أن الاحزاب المعارضة ماكان لها أن تتبدد أمام الاحداث ، الا ماكان من امر الزبيرين ، ولما كانت تلك الاحزاب تقوى وتشد ، ويتخذ كل منها مظهرأ خاصاً من مظاهر المقاومة ، وكان لكل منها عدد من الشعراء ، يناضلون عنها ، ويقارعون الحجة بالحنة والبرهان بالبرهان ، ومن هنا كان لهذه الاحزاب أثر بارز في اتجاه الشعراء ، وفي معاني الشعر لهذا العصر ، وهي على اختلافها قد تركت بعض الأثر في رجز العجاج ، ولذا لا بأس أن نطل عليها بسرعة لتكون خاتمه لهذا الاطار السياسي الموجز لعصر العجاج .

لقد رأينا أن معركة صفين قد أبرزت في الناس ثلاثة أحزاب متميزة ، هي حزب الشيعة ، وحزب الخوارج ، وحزب الأموية ، ثم أضافت الأحداث حزباً رابعاً هو حزب الزبيرية ، وهذا الحزب الاخير قام مع ابن الزبير وانتهى بقتله ، وبذلك لم يعش أكثر من تسع سنوات ، وكان ابن الزبير يرى أن تكون الخلافة في قرينش دون أن تحصر في الاموية او الهاشمية ، ولذلك كان يمتهم جميعاً لحرصهم أن تكون الخلافة فيهم ، وهو بالتالي راغب فيها خريص عليها ، وأغلب الظن أن الزبيرية لم تكن دعوة ذات نظرية خاصة في الحكم ، ولم تكن سوى طموح لزعامة ابن الزبير في وقت لم يكن في الحجاز شخصية أخرى لها من الصفات ماكان لابن الزبير بعد مقتل الحسين بن علي ، ولذلك امتنع الهاشميون عن مبايعته ورأوا فيه محباً للعالم والسلطان فحصب<sup>(١)</sup> ، وهذا مامله على سجن محمد بن الحنفية وغيره من

(١) انظر التطوير والتجديد للدكتور شوقي ضيف ٦٠ ، وتاريخ الشعر السياسي للشايب ١٧٤ .

وقام هذا الحزب على أساس الطموح الفردي ، دون الاعتماد على نظرية واضحة حول الخلافة ، جعل الشعر من حوله لا يختلف عن الشعر الاسلامي قبل ذلك ، ففي معانيه نجد الجدة في تناول المعاني والألفاظ الدينية ، ولكنه لا يبرز رأياً ولا يجادل عن دعوة ، ولا يحض على نظرية خاصة ، وهذا واضح في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، وهو أهم شاعر اتصل بحزب الزبيريين . ومثل ذلك نجد في ديوان العجاج ، فقد مدح مصعب بن الزبير بالأرجوزة (٧) ، فذكر إيقاعه بالختار بن أبي عبيد الثقفي ، ولم يشر الى رأي خاص كان يراه الزبيريون في أمر الحكم أو الخلافة . وهذه الأرجوزة تعني أن العجاج قد اتصل بهذا الحزب ، وهلك فيها لمصعب حين قضى على ثورة الخنثار الثقفي ومن معه من الغلاة ، ولكنه ما لبث أن انقلب على مصعب بعد مقتله ، فعرض بأل الزبير ومدح الأمويين بالأرجوزة (٩) .

ولئن كان حزب الزبيريين قد انتهى بسرعة ، ولم يؤلف دعوة الى نظرية خاصة ، فالأمر قد اختلف مع الأحزاب الأخرى ، إذ كان لكل منها نظريته الخاصة في أمر الخلافة ، وقد استمرت جميعاً تتعارض بعضها حرباً بالسيف وحرباً باللسان ، ولا سيما حزب الخوارج .

وجاعة الخوارج كان أول أمرهم حين خرجوا على علي<sup>(٢)</sup> بسبب التحكيم ، فقالوا : « لاحكم الاله<sup>(٣)</sup> » ، ثم نظروا الى التحكيم على أنه كفر ، فمن تاب منه فهو المسلم ، ومن لم يتب فهو الكافر الذي لا بد من حربه ، وكنوا يتولون أبا بكر وعمر ، ثم يتولون عثمان ست سنين من خلافته ثم

(١) الكامل للمبرد ١٦٥/٢ - ١٦٦ .  
(٢) قيل إن أول من قالها عروة بن أدية من بني ربيعة بن حنظلة .  
وقيل غير ذلك . انظر الكامل ١١٦/٢ و ١٢١/٢ .

يشهدون عليه بالكفر للأسباب التي أوردناها في موضع سابق ، ويتولون كذلك علي بن أبي طالب حتى قبيل التحكيم ، ثم يكفرونه ومن معه لأنه أقام عليه غير نائب ولا نادم ، ويكفرون كذلك طلحة والزبير لأنها بايعا علياً وهو امام عادل مرضي لم يظهر منه كفر ، ثم نكثنا بعرض من اعراض الدنيا ، وأخرجنا عائشة تقاتل وقد أمرها الله وصاحبها أن يقرن في بيوتين ، وأما معاوية فقد حارب الامام العادل علياً ، وحارب المسلمين ، وبذلك أصبح وجماعته كفاراً ايضاً<sup>(٤)</sup> ، وبهذه النظرة أصبحت جماعة المسلمين كفاراً جميعاً في رأي الخوارج .

وم لا يشترطون في الامام أن يكون من قريش كالزبيرية ، ولا من أحيائها ككلاشمية والأموية ، بل لا يشترطون أن يكون عربياً ، وإنما يرون أن يكون مسلماً عدلاً مرضياً ، دون نظر الى قبيلته او عائلته ، وبذلك فهم يمثلون ما يشبه الدعوة الجمهورية في الاسلام ، ولهذا انضم الى صفوفهم جماعات من الموالى ، أما عامة الخوارج فكانوا من الأزد البائية ، وتقيم المضربة ، ذلك لأن مبادئهم السياسي لا يمكن فيه للصعية القليلة .

وما زال الأمر بالخوارج على هذا النحو ، حتى كانت خلافة عبد الله بن الزبير ، فظفر أصحاب نافع بن الأزرق ، وغالى هؤلاء في عقائدهم ، فكان ذلك سبباً لتفرق الخوارج الى أربعة فرق متميزة<sup>(٥)</sup> ، هي الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق ، والنجدات أصحاب نجدة بن عامر ثم أبي مُدَيْكِلَ ، والصقرية أصحاب زياد بن الأصفر ، الأباضية أصحاب عبد الله بن اباض التيمي ، ولا سيما دراسة أمر هذه الفرق وما بينها من خلاف ، وحسبنا أن

(١) انظر الكامل ١١٦/٢ و ١١٧/٢ .  
(٢) الكامل ١٧٠/٢ .

نشير الى أن هذا الخلاف قد تركّز حول آراء الغلو التي آمن بها نافع بن الأزرق ، إذ رأى أن من خالف الخوارج من المسلمين مشرك لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ، ولا تحيل "أكل" ذبايحهم ولا تتكلمهم ولا توارثهم ، والتّعبّد بمنزلتهم ، والتّقيّة لآخلف<sup>(١)</sup> ، ومن ثمّ رأى أن أطفال المشركين في النار ودماء هؤلاء الأطفال حلال للخوارج ، ورأى الا "تؤدّي الأمانة الى من خالفهم ، لأن الله قد أحل أموالهم للخوارج كما أحل دماءهم"<sup>(٢)</sup> ، ومن هنا ندرك مدى البلاد العظيم الذي أصاب الناس من الخوارج ، ولا سيما فرقة الأزارقة منهم .

ومما ظهر من تأثري في دعوتهم الى المساواة ، فإن معتقداتهم الدينية وتكفيرهم كلّ المسلمين من غير الخوارج ، جعلهم يعيشون في الارض فساداً<sup>(٣)</sup> ، ويسعون الى أمر من العسير أن يتحقق لهم<sup>(٤)</sup> ، ولذلك وطّنوا أنفسهم على الموت ، وجعلوا غاية ما يرجون هو الشهادة والجنة<sup>(٥)</sup> ، ولذلك كانوا أصحاب جرأة وأقدام منذ أن حاوروا علياً قبيل التحكيم وبعده<sup>(٦)</sup> ، وكانوا أصحاب حجة وجدل<sup>(٧)</sup> ، ولكن هذا الجدل هو الذي فوّق أمرهم<sup>(٨)</sup> ، وعصف بهم في بعض الحروب<sup>(٩)</sup> .

وكان هذا كله يظهر جلياً في أشعارهم ، حتى كان شعر الخوارج أصدق شعر سياسي قيل في معركة الأحزاب لعصر بني أمية ، فهو يجمع بين الحجة والبرهان ، والجدّة في المعاني والموضوع ، والغاية والأسلوب ، والاعتدال على آيات القرآن الكريم ، وكان مصوراً حقيقياً لحياة أصحابه وتقانيهم في عقائدهم ، وجرأته على اعدائهم ، وحبهم للشهادة في سبيل الله<sup>(١٠)</sup> ، وهذا ما يظهر بوضوح في أشعار عمران بن حطان<sup>(١١)</sup> ، وقطري بن الفجاءة<sup>(١٢)</sup> ، والطرماح بن حكيم<sup>(١٣)</sup> ، وغيرهم من كبار شعراء الخوارج<sup>(١٤)</sup> .

وكان في الوجه المقابل شعراء الزبيريين والأمويين يردون على الخوارج مزاعمهم ، ويرونهم كفاراً مارقين<sup>(١٥)</sup> ، ويصورون ما يعيشون في الأرض من فساد ، وهذا الجانب يبرز في شعر العجاج وغيره من شعراء بني أمية ، فالعجاج في الارجوزة (١) يصف ماعلات الخوارج في اليلامة من فساد ، وما أصاب الناس بهم من بلاء ، ويصور جماعة الخوارج فيرام قد خالفوا الناس أجمع بما اتفخوه من ضلال ، وقد لفتوا أخلاقاً من العبيد وشحوم ، ثم يرى أن الايقاع بهم انما يجلو عن الدين قذراً قد لحق به . وبذلك كان العجاج لا يرى رأي الخوارج ، وانما أصلام بشعره ، وعرض بهم أشدّ تعريض .

ولئن كان الخوارج هم أصحاب الشوكة بين أحزاب المعارضة ، فقد كان حزب الشيعة أقل ضراوة ، ولكنه مازال بنابض الأمويين العداوة ،

(١) الكامل ١٧٦/٢ .

(٢) الكامل ١٧٨/٢ .

(٣) انظر الكامل ١١٩/٢ ، ١٥٤/٢ ، ١٧٥/٢ وما بعدها .

(٤) قابل بما قاله وهوزن في تاريخ الدولة العربية ص ٦١ - ٦٢ .

(٥) انظر الكامل ١٢٠/٢ ، ١٣٩ و ١٥٠ ، ٢٢٣ .

(٦) تاريخ الطبري ٥٣/٤ ، وتاريخ ابن الأثير ١٤٤/٣ ، والكامل

١٥٨/٢ .

(٧) تاريخ الطبري ٤٧/٤ ، وتاريخ ابن الأثير ١٤٣/٣ ، والكامل

١٣٤/٢ و ١٤٩ و ١٧٦ و ١٨٠ .

(٨) انظر الكامل ١٧٦/٢ - ١٧٨ .

(٩) الكامل ٢٢٧/٢ .

(١) انظر الكامل ١١١/٢ ، ١١٥ و ١٩٥ .

(٢) الكامل ٣٦٢/١ و ١٠٨/٢ - ١١١ ، والأغاني ٣/٣ و ١١٤/١٢

و ١٥٢/٦ - ١٥٧ .

(٣) انظر قصيدته يوم دلاب في الكامل ١٨٢/٢ .

(٤) الأغاني ١٠٦/١٠ - ١٦٠ .

(٥) أشعارهم وأخبارهم متفرقة في الجزء الثاني من الكامل ، وفي

الواضع التي أشرنا إليها من تاريخ الطبري وابن الأثير ، وفي كتاب الأغاني .

(٦) انظر آبياتا لعبد الله بن فيس الرقيات في الكامل ١٢٠/٢ .

حتى كانت له اليد الطولى في القضاء عليهم . وبطانة علي قد بدأت منذ حياة النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> ، ثم اتضحت أيلم خلافة عثمان ، وأصبحت جلية بعد مبايعة علي ، ثم غدت حزباً سياسياً بعد الجبل وصفين ، فلما قتل علي ، وخيب الحسن آمال أصحاب الحلاس من شيعة أبيه ، ثم آل الأمر الى ذبح الحسين وتمزيق آل البيت في كربلاء ، جعل هذا الحزب غايته اسقاط الأموية الغضبية ، واعادة الحق الشرعي الى أصحابه من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

كان أصحاب علي من أهل المدينة أنصاراً ومهاجرين ، ولكن انتقاله مجاذرة الخلافة الى الكوفة ، جعل عامة أهل العراق من شيعته ، مقابل أهل الشام شيعة معاوية ، وذلك للتنافس القديم الذي كان بين العراق والشام منذ أيام الفرس والروم ، وبسبب الصراع القبلي بين العدنانية والقططانية ؛ اذ كانت معظم قبائل العراق من العدنانية ، بينما كانت معظم قبائل الشام من القططانية<sup>(٢)</sup> ، وبما أن السياسة الأموية كانت ظروفها تدفع الى اتهاج السياسة العربية الخالصة ، فقد رأينا طائفة من الموالي في العراق تنضم الى الحوارج ، أمّا كثرتهم فالحازت الى صفوف الشيعة ، اما كرهها بالأمويين وسياستهم ، أو رغبة في عدالة علي وخلفائه ، أو ايماناً بما داخل التشيع من غاو قد يناسب تفكير بعض الموالي ولا سيما الفرس منهم ، ذلك لأن العراق بما فيه من تأثيرات فكرية وحضارية وفلسفية قديمة من فارسية وهندية ويونانية<sup>(٣)</sup> ،

قد أثر في التشيع ، فنهض لذلك بعض الفرق من الغلاة ، وأفسدوا حب آل البيت ، واتخذوه فناعاً فيما ذهبوا اليه من آراء<sup>(٤)</sup> .

والشيعة ترى أن الامامة ليست من المصالح العامة التي تقوض الى نظر الأمة ، وانما هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ، ولا يجوز لني أن يُغفل أمر تعيين الامام من بعده ، ومن ثم يرون أن النبي قد عين علياً بنصوص « ينقلونها ويؤولونها على مقتضى منعهبم ، لا يعرفها جابذة السنة ولا تَغْلَةُ » الشريعة<sup>(٥)</sup> ، والامام عندهم معصوم عن الكبائر والصغائر ، وغالوا في أمره حتى جعلوه علام الغيوب ، بل زعموا أن الأئمة فوق الأنبياء والملائكة<sup>(٦)</sup> .

وكما أن الحوارج كان ينهم لسيج وانقسام ، فكذلك الشيعة كان بينهم جدل ومحاوراة ، جعلت أمرهم يؤول الى فرق متعددة ، تنفق من حيث التشيع لآل البيت ، والقول بحق علي في الخلافة بالنص والوصية ، ثم تفرقت في تعيين الامام من أبناء علي ، أو في بعض الآراء الغالية التي تسربت الى معظم هذه الفرق . وليس من شأننا أن نتحدث بالتفصيل عن فرق الشيعة ، الا أن من الخير أن نسوق فكرة عامة عن أهم هذه الفرق ، وهي البشية والكيسانية والزيدية والامامية ، لنقف على بعض هذه الفرق التي وردت في رجز العجاج ، وعلى أبرز عقائد الغلاة ، التي عرّض بها العجاج في بعض أراجيزه ، وانصب عليها انصباباً بارداً والتفنيد .

أما البشية فهي تسب الى عبد الله بن سبأ ، وكان يهودياً من اليمن ، واستترك في الثورة على عثمان ، وكان يتنقل في الأمصار الاسلامية ويؤلب

(١) انظر النظم الاسلامية للدكتور صبيحي الصالح ٩٥ - ٩٦ .

(٢) انظر التطور والتجديد للدكتور شوقي صيف ٦٥ ، وتاريخ الدولة العربية لولهورن ٦٣ .

(٣) انظر التطور والتجديد ١٣ و ١٦ و ٦٧ ، والنظم الاسلامية ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١١٤ .

(١) ارجع الى النظم الاسلامية ١١٤ ما بعدها .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٥٢٧/٢ ، وانظر النظم الاسلامية ٩٨ - ٩٩ .

(٣) انظر آراء الغلاة في النظم الاسلامية ١٠٢ - ١١٤ .

الناس عليه<sup>(١)</sup> . والأئمة عند السبئية قد اتصفوا بصفات الألوهية ، أو أن الاله قد حل في ذاتهم البشرية ، وهو قول بالحلل يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه . وقد بنوا مذهبهم على ما يشبه القول بالتناسخ ، إذ قالوا ان كمال الامام لا يكون لغيره ، فإذا مات انتقلت روحه الى امام آخر ليكون فيه ذلك الكمال<sup>(٢)</sup> ، وبذلك فشخص النبي لم يمت بموت محمد عليه السلام ، وإنما انتقل الى سلالته واحداً بعد واحد بادئاً بعلي رضي الله عنه ، وبهذا لم يكن علي في نظرم مجرد الخليفة الشرعي للنبي ، وإنما هو الروح الالهي المتجسد ، ووارث النبوة غير منازع<sup>(٣)</sup> ، ومن هنا زعمت السبئية أن علياً لم يمت ، وإنما هو غائب عن أعين الناس ، ومثله عندهم في غيابه كمثل الخضر الذي ورد ذكره في القرآن<sup>(٤)</sup> ، ولذلك لابد أن يرجع الى الأرض لقامة العدل والحق ، أما الآن فهو في السحاب والرد صوته والبرق سوطه<sup>(٥)</sup> . وبعض هذه الآراء في تأليه علي ، أو القول بأنه مبعوث قبل القيامة ، قد ظهرت في حياة علي رضي الله عنه ، وقد أحرق بالنار من ذهب فيه الى التأليه<sup>(٦)</sup> .

وأكثر السبئية من الفرس الذين اعتنقوا الاسلام ، وبذلك كان أكثر انتشارها بين قوم من غير العرب<sup>(٧)</sup> ، ولكن هذه الفرقة مألوبة أن تحدث

بحركة أخرى عرفت بالكيسانية نسبة الى كيسان مولى علي ، ومن سبب قد أُلّف هذه الحركة بعد استشهاد الحسين رضي الله عنه ، فدعا أنصار آل البيت الى امامة محمد بن علي المعروف بابن الحنفية<sup>(١)</sup> ، وآمن بأراء عبد الله ابن سبأ ، حتى اخطأ الأمر على بعض الباحثين فإطلق اسم السبئية على الكيسانية نفسها<sup>(٢)</sup> ، وقد غالى كيسان في صفات ابن الحنفية ، فجعله محيطاً بالعلوم كلها ، ولديه الأسرار يحملها من علم التأويل والباطن ، وعلم الآفاق والأنفس ، وآمن برجعته الى الدنيا قبل يوم القيامة<sup>(٣)</sup> ، وزعم أنه حي لم يمت ، وأنه مقيم في جبل رخصي من أرض الحجاز<sup>(٤)</sup> ، وهذه الفكرة التي بدأت بها السبئية ، هي التي لعبت دورها في عقيدة المهدي المنتظر ، الذي سوف يظهر في زمن لا يعلمه الا الله ، ليملا الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً ، وهي من الأفكار الشيعة التي ما تزال لها بعض الأعداء لدى عامة المسلمين .

وربما كان اختار بن أبي عبيد التقفي أول من أطلق اسم « المهدي » على محمد بن الحنفية ، بعد أن أطلق اسم « الوصي » على علي في بعض خطبه<sup>(٥)</sup> ، وكان المختار على مذهب الخوارج ، ثم صار زبيرياً ، وتولى الكوفة لابن الزبير ، ثم آمن بأراء الكيسانية ، وغالى في ذلك حتى نسبت اليه<sup>(٦)</sup> ، الا أن محمد بن الحنفية لعنه ويرى منه حين بلغه أن المختار ينسب اليه صفات الألوهية والتقدس<sup>(٧)</sup> ، وكان المختار أكثر نشاطاً من كيسان حتى جعله بعض

- (١) نسبة الى زوجة علي الثانية خولة ، التي كانت من بني حنيفة .
- (٢) ولهونن تحدث عن السبئية وهو يريد الكيسانية ، لأن الكيسانية هي التي انصلت بين الأشعث ، انظر تاريخ الدولة العربية ٦٤ .
- (٣) الملل والنحل ٢٣٥/١ - ٢٣٦ ، والنظم الاسلامية ١١٦ - ١١٧ .
- (٤) مقدمة ابن خلدون ٥٢١/٢ .
- (٥) النظم الاسلامية ١١٧ ، والكمال للمبرد ١٦٥/٢ .
- (٦) التكمال ١٦٤/٢ - ١٦٥ .
- (٧) مقدمة ابن خلدون ٥٣٠/٢ .

- (١) التطور والتجديد ٦٧ .
- (٢) مقدمة ابن خلدون ٥٣٠/٢ .
- (٣) تاريخ الدولة العربية ولهونن ٦٤ ، والتطور والتجديد ٦٧ .
- (٤) سورة الكهف ٦٦/١٨ ، وأرجع الى البداية والنهاية ٢٩٥/١ ، واخبار الدول القرمانية ٤٤ .
- (٥) مقدمة ابن خلدون ٥٣٠/٢ - ٥٣١ ، والنظم الاسلامية ٩٣ - ٩٤ .
- (٦) مقدمة ابن خلدون ٥٣٠/٢ ، وتاريخ ابن الأثير ١٧٠/٣ .
- (٧) ولهونن ، تاريخ الدولة العربية ٦٤ .



الباحثين زعم الكيسانية ، وأطلق عليها اسم « المختارية »<sup>(١)</sup> ، وكاد يؤسس دولة لهذه الفرقة ، بعد أن جمع من حوله الموالي والعبيد ، وهم غالبية من آمن بالبشيّة والكيسانية ، ولكنه هُزم ومُقتل على يد مصعب بن الزبير . ولعل الكيسانية لم تتخذ طابع الاستمرار بعد المختار الثقفي ، وإنما تلاشى أصحابها بين الفرقتين اللتين استقطبتا أنصار آل البيت ، وهما الزيدية والامامية . والزيدية تنسب الى زيد بن علي بن الحسين ، الذي خرج على هشام بن عبد الملك في الكوفة فقتل وصحب<sup>(٢)</sup> ، وهي أكثر الفرق اعتدالاً ، اذ كانت ترى أن وصية النبي لعلي بالامامة كانت بالوصف لا بالشخص ، والناس مقصرون اذ لم يضعوا الوصف موضع ، وبذلك لايتبرأ زيد بن علي من الشيعين أبي بكر وعمر ، بل يميز امامة المفضل مع وجود الأفضل<sup>(٣)</sup> . واصحاب هذه الفرقة ساقوا الامامة في ولد فاطمة ، ولكنها في منذهب لا تقوم على النص والتعيين ، وإنما على اختيار أهل الحل والعقد<sup>(٤)</sup> ، وهم لا يقدسون الامام ، ولا يذهبون الى شيء من التأليه فيه ، وإنما يرون فيه العدل والزهد والسخاء والشجاعة .

وأما الامامية فقد سميت بذلك نسبة الى مقاتلهم باشتراط معرفة الامام وتعيينه في الايمان ، وهي أصل عندهم ، وقد ساقوا الامامة بعد علي في ولد فاطمة ايضاً ، ولكن بالنص عليهم واحداً بعد واحد<sup>(٥)</sup> ، وهم يرون أن وصية النبي لعلي كانت بنصوص تدل على تعيين علي وتشيخه ، وكذلك تنقل منه

(١) النظم الاسلامية ١١٧ .

(٢) ولم يخرج دعوة لنفسه ، وإنما خرج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، انظر النظم الاسلامية ١٢١ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٥٢٩/٢ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ٥٢٤/٢ .

(٥) مقدمة ابن خلدون ٥٢٩/٢ .

الى من بعده ، وبذلك يتبرؤون من الشيعين أبي بكر وعمر ، لأنها لم يقدموا علماً بمقتضى هذه النصوص<sup>(١)</sup> ، ولما ناظرُوا زيد بن علي في امامة الشيعين وراؤهُ لايتبرأ منها رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة ، وبذلك سُمُّوا رافضة<sup>(٢)</sup> . ومن الامامية هذه تفرع فيما بعد الاسماعيلية والاثنا عشرية<sup>(٣)</sup> .

والشعر السياسي عند الشيعة يعتمد على عرض المبادئ والدعوة اليها ، والاعتماد على المعاني الدينية ، والاقباس من القرآن الكريم على نحو ما تراه فرق الشيعة من تأويل ، ولكنه أقل حيوية وحسماً من شعر الخوارج ، وشعراؤه لم يقتصروا بمنهزم اخصاص شعراء الخوارج ، ولم يخلصوا لمنهزمي اخلاص الخوارج له ، ذلك لايمان الشيعة بالثقة ، ولهذا وجدنا كثيراً والكميّ يمدحان الامويين مع أنهم من كبار شعراء الشيعة<sup>(٤)</sup> .

واذا ساءلنا العجاج رأيه في هذا الحزب ، وجدناه في الارجوزة ( ٧ ) يمدح مصعب بن الزبير حين أوقع المختار الثقفي ، وفيها ينص على أن جماعة المختار كانوا من الاعاجم والموالي ، ونبعت المختار بالكذب والرشوة والكهانة ، ويصفه بالبشي ، ثم يجعل قتله عقاباً من الرحمن له . وبذلك كان العجاج لا يري رأي الشيعة ، وإنما نال منهم ، وتهكم بهم ، ثم شامع الامويين في مدائحهم بعد القضاء على ابن الزبير .

والامويون كان لهم حزبهم السياسي ، تجاه تلك الاحزاب المعارضة ،

(١) مقدمة ابن خلدون ٥٢٨/٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٥٢٩/٢ ، والرافضة هذه فرقة من فرق الشيعة ، وقد اطلق اهل السنة والجماعة اسم « الرافضة » ايضاً عن كل من اعتزل طريقتهم رافضاً ان يكون الشيخان امامين شرعيين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظر النظم الاسلامية ١٢٢ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٥٣٥/٢ .

(٤) انظر التطور والتجديد ٦٨ - ٦٩ و ص ٢٣٢ - ٢٥٥ ، وتاريخ الشعر السياسي ١٦١ - ١٧٢ .

وكان هذا الحزب لابد أن يقارع الأحزاب الأخرى مجادلاً متحجاً لحقه في الخلافة ، فكان يثير وراثته خلافة عثمان ، ويجادل في حقه الشرعي بالخلافة بناء على « التحكيم » الذي وضع الخلافة في صف معاوية ، إلا أن هذه الذرائع ماكان لها أن تبلغ من المعارضة اقناعاً ، ولا أن ترد عن الأمويين انهماً ، إذ أن الخلافة لانورث وراثته ، وقُتِل عثمان كان في نظر الخوارج جزءاً وفقاً بكفره بعد أن كان عادلاً ، والتحكيم في نظر الشيعة كان مهزلة ، وفي نظر الخوارج كان كفراً ، ومن جرى اليه من صفوفهم أو صفوف علي وجبت عليه التوبة .

ثم ان المعارضة ماكانت لتنسئ للأمويين أنهم أصحاب سابقة في ايذاء الاسلام والمسلمين <sup>(١)</sup> ، وأنهم مادخلوا الاسلام الا شبه مكرهين بعد أن مُتحت عليهم أبواب مكة ، وأنهم وطأوا أنفسهم أيام خلافة عثمان ، ثم قاتلجروا بدمه ، واغتصبا حق الخلافة ، وجعلوا أمرها الى ملك يشبه ما عند القياصرة والأكاسرة ، بل ان الخليفة الأموي منذ معاوية لم يكن يتبع سياسة خلقية دينية ، وإنما يتجه الى سياسة دنيوية تسعى الى توطيد الحكم بأية وسيلة ، ولهذا عُرف الغدر عن خلفاء بني أمية منذ معاوية بن أبي سفيان <sup>(٢)</sup> ، وكان عاملهم يسبيرون بالرعية سيرة الظلم ولا سباً في العراق ، حتى بلغ الأمر

(١) فمعاوية بن ابي سفيان مؤسس الفرع السفياني اسمه هند ، وهي التي مثلت بحمزة عم النبي يوم أحد ، فاهدر النبي دمه يوم الفتح ، انظر البداية والنهاية ١١/٤ ، ١٦ ، ٣٧ ، وعيون الاثر ١٨/٢ ، وتاريخ الخميس ٩٤/٢ ، ومروان بن الحكم مؤسس الفرع المرواني هو ابن طريد رسول الله ، انظر تاريخ الخميس ٣٠٦/٢ وهو الذي زور كتاب عثمان الى اهل مصر وكانت الفتنة بسببه ، انظر تاريخ الخميس ٢٥٩/٣ والوزراء والكتاب ٢٢ ، ويقال ان مروان هو الذي قتل طلحة بن الزبير يوم الجمل ، انظر تاريخ الخميس ٢٧٩/٢ ، ٣٠٧ .  
(٢) انظر تاريخ ابن الاثير ١٩٥/٣ ، ومروج الذهب ٥٠/٢ .

غايته بولاية الحجاج الثقفي ، إذ عُدَّت ضحاياه بالآلاف <sup>(١)</sup> ، ونُسِجت من حوله الأساطير <sup>(٢)</sup> ، وأفردت له أخبار طوال <sup>(٣)</sup> .

وهذا كان يجعل الأمويين في موقف الغتصب لحق الخلافة . ولم تكن القوة وحدها لتكفي في ترسيخ دعائم الحزب الأموي ، ولا سباً أن الاحزاب الأخرى كانت تعتمد على أسس دينية في بناء الاتجاه السياسي لكل منها ، قال الزبير كانت ثورتهم انتقاداً للدين والخلافة أن تُحوَّل الى نظام الاكاسرة أو القياصرة ، والخوارج كانت دعوتهم تتجه الى اقامة الدين الصحيح والمساواة بين الناس ، والشيعة كانت دعوتهم تعتمد على حق علي في الخلافة ، ثم وصاية النبي له فيما زعموا ، أما الأمويون فكانوا يفتقرون في واقع الأمر الى ترسيخ أقدامهم بثل هذه الدعوة الدينية ، ولذلك عادوا بالدعوة الى أنهم يحكمون الناس بقدر من الله تعالى <sup>(٤)</sup> ، وما دام حكمهم بقدر من الله تعالى واراادة منه ، فليس على الناس الا طاعة خليفته وأمرائه ، وبذلك جعل الأمويون أنفسهم خلفاء الله على الارض ، أو قل أصحاب الحق الالهي في الخلافة وحكم الناس ، ومن هذه الزاوية جعل الحزب الأموي يرفع من شأن خلفاء بني أمية ، ويعلي من أمر ولائهم وقادتهم ، ويعطي لهم من الأوصاف مايقارب التقديس على نحو ما كانت عليه دعوة الحزب الشيعي للأئمة من آل البيت . ولهذا كان الشعر الأموي يرفل بالمعاني الدينية على نحو ماكان عليه الشعر في الأحزاب الأخرى ، وتظهر فيه ذرائع الأموية في الدعوة الى حقها في الخلافة ،

(١) حياة الحيوان ١٤١/١ - ١٤٤ .  
(٢) انظر أخبار الدول ١٣٥ .  
(٣) انظر مروج الذهب ١٣١/٢ .  
(٤) التطور والتجديد ٥١ - ٥٢ .

وتبرز فيه اتجاهات الاموية النديية من الاقارار بالقضاء والقدر والإرجاء ونحو ذلك . وبما أن هذا الحزب يتك المالم والسلطة ، فذلك كان شعراؤه أكثر من أن يحاط بهم عدداً<sup>(١)</sup> . أما العجاج فقد شابع بني أمية ، فمدحهم قبل ابن الزبير وبعده ، واتصل بعدد من خلفائهم وأمرائهم وقادتهم وولائهم ، وكان في بعض منادجه ملتزماً بأراء الحزب الأموي ، منادياً بدعوتهم ، قائلاً برأيهم في الاقارار بالقضاء والقدر .

وبذلك لم يكن العجاج بمعزل عن الأحداث السياسية ، والصراع بين الأحزاب ، وإنما تأثر بما عاصره من أحداث ، واتصل ببعض الأحزاب ، ونال من الأحزاب الأخرى ، وبهذا لا نجد مسوغاً لقول الجاحظ عن العجاج : انه « أعرابي ليس بذئ نخلة أو خصومة »<sup>(٢)</sup> ، فالعجاج قد تأثر بالجانب السياسي في عصره ، وتأثر كذلك بالجانب الاجتماعي ، لأن الحياة الاجتماعية قد تأثرت بكل مظاهر لذلك العصر من مشكلات سياسية أو حزبية .

## - ٢ -

وكان المجتمع لعصر العجاج يتأثر بعدد من الظواهر الاجتماعية البارزة ، أولها ماكانت تخلفه الأحداث السياسية من فوضى في حياة الناس ، والثانية قيام المجتمع على أساس عصبي قبلي ، والثالثة وجود طبقات اجتماعية متميزة ، والرابعة اختلاف البيئات الاجتماعية باختلاف الأقاليم . وكان العجاج في رجزه يتأثر بهذه الظواهر الاجتماعية كلها ، شأن سائر المعاصرين له من شعراء ورجلّان .

فالأحداث السياسية كانت تخلف شيئاً من الفوضى في حياة الناس الاجتماعية ، وكان العراق أكثر الأقاليم تأثراً بتلك الأحداث ، لأنه كان موطناً لأشد أحزاب المعارضة ، وهم الخوارج والشيعية ، ومن ثم كان العراق وما جاوره من بلاد نجد مسرحاً هاماً للثورات المتعاقبة ، وما كان لهذه الثورات أن تنتهي الا بالفوضى واختلال أمر الناس ، ومن أمثلة ذلك أن الخوارج حين غلبوا على نجد والبحرين وعليهم أبو مَظْيَك الأندلسي<sup>(٣)</sup> ، كان الناس قد أصابهم من البلاء والفتنة ما يظفر بجلاء في أرجوزة العجاج (١) التي مدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر بعد تغلبه على الحواري وقته أباً فذُيَك بالبيعة . وحين مات يزيد بن معاوية كان ذلك سبباً لاختلال أمر البصرة حيث كان العجاج ، فدبت الفوضى وخلت المدينة من أمير شرعي ، وقام الأزد يؤمرون عليهم من أرادوا ، وقامت تميم يرفعون الى الامارة من شاموا ، وكان من ذلك حرب بين الفريقين آلت الى مقتل أمير الأزد مسعود بن عمرو العنسي<sup>(٤)</sup> ، وفي أرجوزة العجاج ( ٣٥ ) مابصو هذه الفوضى التي ابتليت بها البصرة في ذلك الحين ، اذ اصاب الناس من البلاء ما يشبه غمة قد أطبقت عليهم وكانها قدر من الله تعالى !

وتقلب الأحوال السياسية وعدم الاستقرار ، كان يدعو الى شيء من النفاق الاجتماعي ، ومن أمثلة ذلك ان كثيراً والكيمت ومها من كبار شعراء الشيعة ، قد مدحا خلفاء بني أمية ، وسماو ذلك تقية ، ونحن نسميه نفاقاً لم يكن يقتصر عليها ، وإنما كان ظاهرة واضحة المعالم في هذا العصر ،

(١) انظر تاريخ الطبري ٢٠/٥ وتاريخ ابن الأثير ٨٥/٤ .  
(٢) انظر تاريخ الطبري ٤٠٣/٤ - ٤٠٨ ، وتاريخ ابن الأثير ٥٧ - ٥٥/٤ .

(١) انظر التطور والتجديد ٧١ - ٧٤ .  
(٢) كتاب العثمانية للجاحظ ١٢٥ .  
- ٣٠ -

ويثملها مديح العجاج لكل الزبير ، فلما أفل نجمهم نال منهم ثم مدح الامويين ، وهذه الظاهرة كانت واضحة أيضاً في موقف الشعراء من الولاة ، فالفرزدق كان يسعى الى مداراة قبيلته تميم المضربة ، ولا يجد خيراً في التفاق السياسي ، فهو يمدح الوالي اليميني على العراق مادام والياً ، فنان عزل هجاء وعرض باليمن<sup>(١)</sup> ، وذلك لأن طبيعة العصر تختلف عن طبيعة الجاهلية ؛ في عصر ما قبل الاسلام كانت القبيلة تلجأ لتخضع الا لسيدها ، أما اليوم فالقبيلة تخضع لسلطان الوالي ، واذاً لابد من التقرب اليه ان كان من قبيلة لها عصية أخرى ، وهذا مايفسر موقف العجاج من والي اليمامة في الأرجوزة (١٧) ، فالوالي قد عزل ، ويبدو أن العجاج لم يكتثر للأمر ، فلما عاد الوالي من جديد ، كان لابد من الاعتذار اليه ، والتغاضي في مديحه ، مراعاة لمصالح العجاج في اليمامة ، أو مراعاة لمصالح قومه بني سعد .

وهذه الفوضى كان لها بعض الأصدقاء في أحوال الناس المعاشية ، اذ كان على الولاة أن يجبروا للخلفاء ليعمروا بيت المال ، والا فرضت عليهم المغارم ، وهذا ماحمل الولاة والعالم على العنت والظلم في جمع المال دون أن يراعوا فقراً أو خصاصة ، ولا سيما أن معظم الجباة كانوا لازمة ولا دين ، فهم يسرقون من حرمان الله ، ويفرضون على ضعيف الناس جعلاً ورشوة ، فان دفع والا ضربوه وضاعفوا عليه ما فرضوه ، حتى ولو كان القحط قد حل به ، وأصابته السنون بالفقر والبلاء ، وهذا كله قد تأثر به العجاج ، وصوره أدق تصوير في الأرجوزة (١٧) .

وظاهرة أخرى كانت تبرز في مجتمع العجاج ، هي العصية القبلية ،

(١) انظر التطور والتجديد ١١٦ وما بعدها .

فالاسلام قد حاول القضاء عليها ، ولكنها لم تلبث أن عادت سيرتها الأولى منذ اختلاف الأنصار والمهاجرين على الخلافة ، ثم تبدت في ردة الأعراب ، واستعرت بين اليمنية والقيسية بعد مرج راطح ، واطح أن العصية القبلية كانت تعيش في دماء القوم وأنفسهم ، ذلك لأن العصية كان ما يزال لها سلطان على نفوس القوم رغم دعوة الاسلام الى نبذها ، اذ أنها مجال قد أودعت فيه مفاخر القوم وأيامهم وأنسابهم وماضيهم منذ أجيال بعيدة .

والذي أسهم في استمرار هذه العصية بعد الفتوحات ، أن القبائل المهاجرة التي سارت في ركاب الفتح ، بقيت محافظة على كيائها القبلي داخل جيش المسلمين ، فكل قبيلة بقيت تؤلف وحدة حربية متميزة ، يرأسها ساداتها في الحرب ، ولكل منها لواؤها المعروف ، فاذا حطت رحالها في بعض المناطق نزلت كل قبيلة في موضع خاص بها ، ومثال ذلك أن اليمنية نزلت مدينة حمص في الشام دون القيسية<sup>(١)</sup> ، وكان أهلها يتعاطفون على هذا الأساس القبلي ، حتى انهم تبارعوا لأعشى همدان حين مر بهم لأنه ياني<sup>(٢)</sup> ، واذا أقامت مجموعة من القبائل المختلفة في حاضرة مثل الكوفة أو البصرة ، كان لكل منها خطتها أو موقعها الخاص بها ، « ففي البصرة مثلاً لكل من تميم والأزد وبكر وعبد القيس خططهم ، وكانت الكوفة مقسمة الى خطط مختلفة بين القحطانيين والعذنانين<sup>(٣)</sup> » .

وزاد من أمر العصية خطورة واستمراراً ، أن اليمنية والقيسية ، كانت تؤلف كل منها اطاراً قبلياً عاماً يضم القبائل المتفرقة عنها ، فكانت فروع

(١) انظر الاغاني ٤٩/٦ - ٥٠ ( دار الكتب ) ، وكانت حمص كلها لليمن حتى قيل : « أدل من قيسي بحمص » انظر مجمع الامثال ٢٨٣/١ .  
(٢) الاغاني ١١٧/١٤ و ٦٢/١٧ ( ساسي ) .  
(٣) التطور والتجديد ١٨ ، وانظر الكامل للمبرد ٢١٩/٢ .

اليمنية كلها ضمن اطار عصي واحد ، وكانت فروع القيسية كلها ضمن اطار عصي مقابل ، وكانت المنافسة على أشدها بين الفريقين ، وهي منافسة تعود في أصولها الى عصر ما قبل الاسلام ، وهذا التكتل العصي لعب أدواراً خطيرة في تاريخ الأحزاب السياسية ، لأن من الطبيعي أن تسعى كل عvisية الى السيادة والملك<sup>(١)</sup> ، ولهذا كانت القيسية ، وهي عدائية من مضر ، تندفع الى نصره حزب أو طائفة من هذا الحزب ، بينما تندفع اليمنية الى نصره حزب آخر أو طائفة أخرى ، ففي الشام كانت قيس في صف ابن الزبير بزعامة الضحاك ، وكانت كلب اليمنية في صف الأمويين ، ولم ينته الصراع بينهما في « مرج راهط » ، وإنما نقل الى العراق وخرسان ، فلعبت القيسية أدواراً سياسية خطيرة ولا سيما في خراسان ، فكانت من أهم الأسباب في القضاء على دولة بني أمية ، مع أنها شغلت مناصب كثيرة بفضل من ينتمي اليها من ثقيف ، وكانت تقيم كالفيسية تنتمي الى مضر ، ولكنها لم تكن على وثام مع القيسية بإدء الأمر ، إلا أن الرغبة في التكتل العصي جعلت تميل تنضم الى القيسية تحت لواء المضربة ، وكان يجاورها في البصرة وخراسان أزد عمان ، وهم من أشد أعداء قيس وتقيم على السواء<sup>(٢)</sup> .

وسياسة الأمويين كانت عاملاً هاماً في تنشيط الصراع بين العvisيات ، إذ كان هذا الحليفة يقرب القيسية فتتال مغائم الحكم والسطان ، ثم يأتي خلفه فيقرب اليمنية وتتل بذلك مزايا الجاه والسلطة ، بينما تتفعل القبيلة السابقة عما كان لها من جاه وسلطان ، وهكذا كان تغير الحليفة يعني تغيراً في الطبقة العvisية المتنفذة ، وبذلك كان يزداد اتساع الصراع بين العvisيات على المغائم

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ٤٣٩/٢ - ٤٤٠ - ٤٦١/٢ .  
(٢) تاريخ الدولة العربية ٦٥ - ٦٦ .

السياسية ، وهذه الظاهرة بدأت بتولي الفرع الموالي للخلافة ، وازداد خطورها بعد خلافة عمر بن عبد العزيز<sup>(١)</sup> ، وكان هذا الامر يتم نفسه في الأمصار ، إذ كان الوالي يضرب القبائل بعضها ببعض ليكون هو الأعلى ، وتبعاً لعvisيته كان يعتمد على القيسية مثلاً ، ثم يعتمد خلفه على أعدائها ، ومن ثم كانت الصراع العvisي لا تبدأ له نامة ولا سياً في العراق<sup>(٢)</sup> .

وهذه الظاهرة هي التي تقسر مانجده في رجز العجاج من صراع عصي واسع ، فقد خلّف فخرًا واسعاً بتميم ، وصوّ ذلك الصراع الدامي بين الأزد وقبيلته بتميم ، ولكنه لا يضيع القبيلتين وجهاً لوجه ، وإنما يجمع من حوله الحزب المضري كله ، فهو يعدد قبائل المضربة من بتميم وخندف وخزاعة وقيس عيلان ، وروى أنه بهذه القبائل ، أو قل بالحزب المضري كله ، يضرب جموع الأزد البائية .

وبما زاد هذا الصراع الاجتماعي خطورة دخول الموالي في ثنايا الأحزاب السياسية ، أو التجمعات القبلية ، وكان الموالي يؤلفون طبقة متميزة في المجتمع الاسلامي لعصر العجاج ، إذ أن تكون المجتمع في ذلك الحين كان يتألف من طبقتين الأولى طبقة العرب الفاتحين ، والثانية طبقة الموالي من الأمم المغلوبة وأبرزها موالي الفرس في العراق ، ومن الممكن للباحث أن يميز بين العرب طبقتين أيضاً ، الأولى طبقة الخاصة في الحجاز والشام ، وقد أثرت من الفتح ثراء عظيم ، وطبقة العامة الذين عاشوا في نجد والعراق والأمصار الأخرى<sup>(٣)</sup> ، ولكن العرب على اختلاف أحوالهم المعاشية كانوا يؤلفون طبقة اجتماعية متميزة تقابلها طبقة الموالي من غير العرب .

(١) انظر تاريخ الاسلام السياسي ٥٢٥/١ - ٥٣٣ .  
(٢) تاريخ الدولة العربية لولهوزن ٦٤ - ٦٥ .  
(٣) فاردن بالتطور والتجديد ٧٤ .

ومبادئ الدين الاسلامي كان يمكن أن تمنح هؤلاء الموالي كل ما للعرب من حقوق مدنية ، ولكن سياسة الأمويين كانت سياسة عربية خالصة ، وما كان واقع الدولة يسمح بسياسة أفضل ، إذ لا يمكن للدولة أن تستأمن على مناصبها الكبرى كالولاء والقادة والعمال ، أن تكون الا بأيدي العرب الذين كانوا هم المؤسسين لهذه الدولة ، كما أن البنية الاجتماعية كانت لاتسمح بالتساوي بين العرب والموالي ، ذلك لأن النظام القبلي كان هو السائد في المجتمع ، وكل فرد لابد أن يرتبط بطائر قبلي معين ، ولذا كان المسلمون من غير العرب لامكان لهم في البناء الاجتماعي الا اذا التحقوا بالولاء بهذه القبيلة أو بتلك ، وهذا يعني أنهم بطبيعة الحال في منزلة اجتماعية أقل من منزلة أفراد القبيلة من العرب ، ومما يكن لهم من شأن أو نسب قبل اسلامهم فان ذلك لا يخدم في المجتمع الجديد بأي شرف أو امتياز ، لأن شرف الموالي انما هو بمن دخلوا في ولائه لا بانسابهم الأساسية<sup>(١)</sup>.

وهذا مادفع تلقائياً الى نظرة لانتحلو من استخفاف ، كان ينظر العرب بها الى الموالي<sup>(٢)</sup> ، ولعل من دوافع ذلك أيضاً شعور العرب أنهم أصحاب الفتح والانتصار ، وربما كان لتوالي الأحداث السياسية وتدخل الموالي في تيارات الأحزاب السياسية ماحل على زيادة الاستخفاف بهم ، ومن ثم قرّ في أنفسهم شيء من الحقد والضغينة ، فحعلوا يفترون سبلا ، منهم من سار في ركاب الحوارج لا في مذهبهم من مساواة بين المسلمين ، ومنهم من أيدفوق الشيعة رغبة في دعوتها الغالية أو انتقاماً من الدولة الأموية ، وعلى العموم كان الموالي آذانا لكل غاغي بثورة ، وسيوفاً لكل من يخرج على السلطان .

(١) مقدمة ابن خلدون ٥٢٨/٢ .

(٢) انظر لمحة عن ذلك في التطور والتجديد ٨٥ - ٨٦ .

وقد تأثر رجز العجاج بهذا الجانب ، فلم يغفل دور الموالي في ثورات الحوارج والشيعة ، ففي الأبرجوزة (١) ذكر أن الحوارج قد لفقوا أخلاطاً من الناس ، فهم الموالي من سوقة وعبيد ، وفي الأبرجوزة (٧) نصّ على أن أصحاب المختار الثقفي كانوا من الأعاجم والموالي أيضاً .

وآخر مانلاحظه في مجتمع العجاج ، أن البيئة الاجتماعية كانت تختلف باختلاف الأقاليم ، وكل اقليم كان له طابع أدبي خاص تبعاً للبيئة الاجتماعية فيه ومدى ما تأثرت به من الأحداث السياسية ، وأهم هذه البيئات أربع هي الحجاز ونجد والعراق والشام .

أما الحجاز فالحياة الاجتماعية فيه تحولت عما كانت عليه في الجاهلية ، إذ أن الفتح قد أغدقت عليه ثراء واسعاً ، فاجتمع لخاصة الناس فيه من الثروة ما يقدر بأرقام ندو من الخيال أمثالاً<sup>(١)</sup> ، وابتقوا القصور في مكة والمدينة ، وافتتوا في بنائها بالجس والاجر والساج<sup>(٢)</sup> ، وملئوا جنباتها بالعبيد والاماء<sup>(٣)</sup> ، ثم أصبح الحجاز في عزلة سياسية تامة بعد أن وطّد المروانيون لأنفسهم في الشام ، ولا سباً أن سياسة الأمويين كانت تهدف الى عزلة الحجاز واغراقه بالأموال والأعطيات<sup>(٤)</sup> ، حتى ينصرف عن التفكير في أمر السياسة .

(١) انظر تاريخ الخميس ١٧٢/١ - ١٧٣ ، و ٢٥٧/٢ - ٢٥٩ ، وتاريخ أبي الفداء ١٧٦/١ ، ومقدمة ابن خلدون ٥٤٢/٢ ، ومروج الذهب ٤٣٣/١ - ٤٣٤ ، و ٤٣٨/١ ، و ٦٧/٢ .

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون ٥٤٣/٢ ، ومروج الذهب ٤٣٤/١ .  
(٣) وكانت أعداد العبيد كثيرة لأنه لم يكن آنذ ما يعرف بالفداء ، وكان أول من فكر فيه عمر بن عبد العزيز ( ١٠١ هـ ) ، ولكن الفداء لم يتم الا أيام الرشيد ( ١٨٩ هـ ) ، انظر فتوح البلدان للبلاذري ١٨١ ، والتنبيه والاشراف للمسمودي ١٨٩ .

(٤) انظر تاريخ الطبري ٣٦٦/٤ ، وتاريخ ابن الأثير ٤٥/٤ ، والمستجد من فعات الأجواد ٢٢٠ - ٢٢١ .

فلما جاء أبناء الرغيل الثاني وجدوا أنفسهم فيا يشبه الفراغ ، وبين أيديهم أموال كثيرة ، ومن حولهم ذلك الرقيق من عبيد واماء ، فاتجه بعضهم الى التفقه في الدين ، وبالمعظم الى حياة اللهو والمتعة<sup>(١)</sup> ، وكان دور العبد والامام هو الترفيه عن هذا الشباب بفن الغناء ، وهو فن كان في جاهلية الجاهل<sup>(٢)</sup> ، ولكنه كان محدوداً وساذجاً ، أما اليوم فقد اشتهر واتسع حتى فتحت له النوادي في مكة والمدينة واشتهر فيه اعلام من مشاهير المغنين والمغنيات<sup>(٣)</sup> .

وشعر هذه البيئة الجديدة كان لابد أن تظهر فيه سمات تميزه من شعر ما قبل الاسلام ، اذ ضم فيه موضوع المدح والهجاء ، واتجه بوجه خاص الى الغزل لما فيه من تلازم مع ترف هذه البيئة ورقة مشاعرها وما ظهر فيها من فن الغناء الجديد ، « ومن هنا كان أكثر الشعراء في الجاهل لهذا العصر شعراء حب وغزل على نحو ما نعرف عند عرب بني ربيعة والعرجي وابن قيس الرقيات في مكة ، والأحوص في المدينة ، فقد ذهب شعرهم جميعاً في التغني بقصة الحب وأحداثه ووقائعها ، وعبروا في ذلك عن رقة حس شديدة ، وكان شعرهم يتحول في كثير من جوانبه الى أنفاس خالصة »<sup>(٤)</sup> .

وكان هؤلاء الشعراء أساليبهم المعروفة في مدرسة الغزل الحسي المادي ، وكان لهم دورهم في تطوير شكل القصيدة ومضمونها . وما كان العجاج ليأثر

(١) ذكر أن الوليد بن عثمان بن عفان كان صاحب متعة وشرب ، وقتل أبوه وهو مختلق سكران ، مما يدل على أن اللهو بدأ منذ زمن مبكر ، انظر مروج الذهب ٤٣٣/١ .

(٢) انظر اخبار جاريثي ابن خنبل ، وقد اهدر النبي دمه يوم الفتح لأنها كانتا تغنيان في الجاهلية بهجاء المسلمين ، تاريخ الخميس ٦٤/٢ ، وجوامع السيرة ٢٢٣ .

(٣) انظر التطور والتجديد ٦ .

(٤) انظر التطور والتجديد ٧ .

بهذه النزعة الاجتماعية التي وجدت في بيئة الجاهل ، فهو أعراي من يتم عاش بين نجد والعراق ، وتأثر بما فيها من بيئات اجتماعية ، ثم تأثر بعض الشيء بما كان في الشام من حاضرة الخلافة .

أما نجد فهي صحراء واسعة بين الجاهل والعراق ، والحياة فيها تعتمد على المراعي ، ان جادت السه بالغيث والمطر ، والا كان لابد من تأمين الحياة بالغزو والاغارة ، وربما كانت مواقع الغيث سبباً للتنازع بين الأحياء والقبائل ، وهذا ماجعل بين قبائل نجد أليماً ووقائع كثيرة ، وخلت احنا وترات منذ الجاهلية ، ولا سيما أن هذه القبائل منها العدناني ومنها القططاني ، وهذا مساعد على ايقاظ روح العصبية بين القبائل المهاجرة الى العراق والشام وخواسبان . وقد لمسنا آثار هذه العصبية بجلاء في أراجيز العجاج .

ولم تظهر بلاد نجد بما ظفر به أهل الجاهل ، لأن سكان نجد لم يكونوا من السابقين الى الاسلام حتى يكون لهم نصيب من ذلك الثراء الواسع ، وانما كان نصيبهم تلك الحروب الأهلية الطاحنة التي بدأت بحروب الردة ، وانتهت الى تسلط الحروب وخاصة في البحرين والبلعة ، وبذلك تحولت بلاد نجد الى مسرح للصراع الدامي بين الحوارج وأصحاب السلطان في العراق . ولهذا لم تكن بيئة نجد قد ظفرت بغير الفقر الذي عرفته في جاهليتها ، ولذلك لم نجد أي تحول في أشعار هذه البيئة النجدية ، الا ما كان من بروز ظاهرة الغزل العذري على يد قيس بن ذريح وجمل بنية وغيرها<sup>(١)</sup> ، وهو غزل لم يكن مالوفاً على هذا النحو من التخصص في العصر الجاهلي ، واذا لم نجد هذا التخصص بشكل واسع في غزل العجاج فان آثار اللغة العذرية واضحة

(١) انظر التطور والتجديد ١٢ - ١٣ .

في غزله ، وفي نفسيته وأخلاقه ، كما أن البيئة النجدية قد أثرت تأثيراً واسعاً جداً في أوصافه وأحاديثه عن الصحراء بجوانبها ونباتها وأحوالها المختلفة ، بل أن نشأته في البصرة على شواطئ الخليج العربي ، قد خلقت صوراً عديدة للسيفنة وتشبيه الجمل أو الناقة بها ، ولعل بيئة نجد الطبيعية والاجتماعية كان لها أثر جوهري في طباع العجاج ، وفي بنية جزئه ، إذ أن هذه الصحراء كانت هي المصدر الأساسي لما أورده من غريب ، وربما كانت أحداثها السياسية ، وما نتج عنها من بؤس اجتماعي ، هي التي أثرت في نفسية العجاج ، فغدا زاهداً في الهجاء ، مضرباً عن ستم أعراض الناس .

فالعجاج قد تأثر بالبيئة الطبيعية والاجتماعية في نجد وأما العراق فقد رحل إليه وأقام في البصرة ، وكانت حياة الناس الاجتماعية في العراق تشبه من بعض الجوانب ما كان من بؤس نجد ، ولكنها تختلف عن ذلك في التكوين الاجتماعي والثقافي والحزبي ، فالعراق كانت تتضح فيه طبقات المجتمع أكثر من أي إقليم آخر لكثرة الموالى من الفرس ، وفي العراق حاضرة الحزب الشعبي ومنطلق حزب الخوارج ، وفيه بلغ صراع العصبية غايته ، وفي البصرة كان ثمة صراع عقلي واسع حول بعض الآراء الدينية من قدر أو جبر أو إرجاء ، وكانت الثورات والحروب لا تنقطع ، فإذا أراد الناس متعة أو ترفهاً ، وجدوا خالصتهم في المزبد أو الكناسة ، إذ كانت جوير والفرزدق وأصحابها قد هيؤوا فناً جديداً لامتاع الناس ، هو فن التفاض ، وصحيح أن التفاض قد عرفت لها بعض النماذج في الجاهلية وصدر الاسلام<sup>(١)</sup> ، إلا

(١) انظر أمثلة لذلك في تاريخ الطبري ١٧٦/٢ و ٢٠٣/٢ و ٢٠٤ ، وتاريخ الخميس ٢٧٩/١ و ٢٨٠ و ٢٨٧ و ٢٨٨ ، والبداية والنهاية ٢١/٤ و ٥٢ و ٥٦ و ١٢٢ و ١٢٣ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٤١/٥ و ٤٢ و ٢٢١ و المغازي ١٨٥ و ١٨٦ ، وعيون الاثر ٢٨٨/١ و ٢٩٠ و ٦٦/٢ و ٢٠٤ .

أنها تحولت في العراق الى فن دائم يلقي كل يوم ، ولا يبعث عليه الصراع العصبي فقط ، وإنما يدفع اليه أيضاً صراع أدبي وفي بين الشعراء ، يحاول كل منهم أن يكون أكثر إعجاباً لدى الناس المتفرجين في البصرة أو الكوفة<sup>(٢)</sup> .

وقد تأثر العجاج بهذه البيئة الاجتماعية في العراق ؛ وتأثر بالعصيات الثائرة ، واشترك من بعض الجوانب في الصراع بين الأحزاب ، والتزم ولاية العراق ، فمح صعب بن الزبير ، والعجاج بن يوسف الثقفي ، واتخذ لنفسه آراء الجلبة بما يتناسب مع مدحه لبني أمية ، ولكنه لم يسهم في الصراع الفني بين شعراء التفاض لأنه صدف عن الافاض في الهجاء ولم يكن كذلك من الشعراء الذين وقفوا في صف الموالى<sup>(٣)</sup> ، وإنما وجدناه يحيط من شأن الحروبوية لأنهم سوقة وعبيد ، ويعرض بأصحاب المختار الثقفي لأنهم من الأعاجم .

وكانت بيئة الشام تختلف كل الاختلاف عن بيئة العراق ، إذ أن وجود ذلك الصراع القوي بين العصبية القبلية والطبقات الاجتماعية والتيارات الحزبية في العراق ، جعل منه المركز الأول من حيث كثرة الشعر والشعراء ، أما الشام فكان خلافاً لذلك ، لأن الحزب الأموي هو الذي يؤلف السواد الأعظم من الناس ، ولولا الصراع بين القيسية واليمينية في مرج راطع لما عرف الشام خلافاً من هذا النوع ، ولذلك كانت البيئة الاجتماعية في الشام أقرب ما تكون الى التجانس والاستقرار أكثر من الأقاليم السابقة ، وهذا ما جعل نبوغ الشعراء في الشام قليلاً جداً حتى لم يبرز فيها غير عدي بن الرقاع العاملي . وقد لاحظ الدكتور شوقي ضيف أن مرد هذه الظاهرة يعود الى أن معظم قبائل الشام

(١) انظر التطور والتجديد ١٠٢ - ١٨٥ .

(٢) انظر قصيدة لجبرير يفخر على قحطان بالفرس والروم ، فني مروج الذهب ١٤٨/١ .



كان من اليمنية ، وهؤلاء اصطنعوا العربية الشَّهْلِيَّةَ اصطناعاً ، فلم تؤهلهم لقول الشعر ونظمه<sup>(١)</sup> ، وهذه الملاحظة يمكن أن تصدق الى حد ما ، ولكن رثابة البيئة الاجتماعية نسبياً كان له الأثر الهام في تخلف النبوغ الشعري ، وقد سبق ابن سلام الى القول بأن الشعر افا بكثير بالحروب التي تكون بين الأحياء ، وبهذا علل ابن سلام ، قلة شعر قریش في الجاهلية ، اذ لم يكن بينهم نازرة ولم يحاربوا<sup>(٢)</sup> ، وهذا نفسه يمكن أن نلاحظه في بَقَّة الشعر في الشام عقب الحرب بين اليمنية والقيسية في مرج راعط ، فقد استأثرت بعض الشعراء من الفريقيين ، الا أن انتصار أحدهما ونقل الأخرى نشاطها السياسي الى العراق وخراسان فترة من الزمن ، جعل النضال الشعري بينها يجبو من جديد في الشام . واذاً فالبيئة الاجتماعية المتجانسة نسبياً ، والمؤلفة من قبائل اليمنية غالباً ، قد حملت على الحد من النبوغ الشعري في بيئة الشام ، فكان الشعر لذلك يقد اليها من الأقاليم الأخرى ، باعتبارها قاعدة الخلافة والسلطة ، وكانت دمشق ملتقى الشعراء من العراق والحجاز ونجد ، ومن هؤلاء الشعراء طبقة الرجاز من أمثال العجاج ورؤبة وأبي النجم ، ومن هنا كان أثر الشام في العجاج أنها استأثرت همه اللديج ، ولونت معانيه بأراء الأمويين السياسية ، ودعته الى الرحلة بعد الرحلة الى خلفاء بني أمية .

### - ٣ -

وبرز لعصر العجاج عدد من الاتجاهات الفكرية والعقلية ، منها ما كان يهدف الى توضيح أمور الدين الاسلامي من تفسير لكتاب الله أو رواية حديث

(١) التطور والتجديد ٢٤ .

(٢) طبقات ابن سلام ٢١٧ .

رسول الله ، أو تبين لأركان الفقه الاسلامي ، ومنها ما كان صراعاً حول مسائل القدر والايمان وما تفرع عن ذلك من أمور .

فعلم التفسير قام على يد جماعة من الصحابة الذين تفقهوا في كتاب الله ، أمثال عبد الله بن عباس ، وأبي بن كعب ، وأبي موسى الأشعري ، وأنس ابن مالك ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، والسيدة عائشة أم المؤمنين ، ثم تلقى أقوال الصحابة نفر من كرام التابعين في الأمصار الاسلامية المختلفة ، فنشأت في مكة طبقة من المفسرين ، وفي المدينة طبقة ثانية ، وفي الكوفة طبقة ثالثة<sup>(١)</sup> . وبعد أن مر الحديث والفقه بطور التمهيد والتحضير ، اتسع البحث فيها وتوسع ، ودارت حولها المدارس الفكرية تنتصر للمأثور ثائرة ، وللرأي تارة أخرى<sup>(٢)</sup> ، وسبب ذلك أن أصول التشريع الاسلامي كانت تستمد من القرآن والحديث والاجماع والقياس<sup>(٣)</sup> ، ولهذا قامت في المدينة مدرسة فقهية تمتاز بالاعتقاد على الحديث ، لأنها مدينة الرسول ودار السنة وموطن الرعيل الأول من علماء الصحابة ، وقامت في الكوفة مدرسة تمتاز بالاعتقاد على الرأي والقياس ، لأنها كانت بعيدة عن موطن الحديث ، ولم يبلغ أهلها من سنن النبي وأقواله الا ما حمله اليهم أولئك الصحابة ، الذين ساكنوهم ونزلوا بين أظهرهم أمثال علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، وسعد بن أبي وقاص<sup>(٤)</sup> .

وكان التميز واضحاً بين مدرسة أهل الحجاز في المدينة ، ومدرسة أهل العراق في الكوفة ، الأولى معتنى بتحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء

(١) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٢) علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ٣١٦ .

(٣) النظم الاسلامية للدكتور صبحي الصالح ٢٢٧ .

(٤) النظم الاسلامية ٢٠٩ ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني

الأحكام على النصوص ، ولا يرجع أصحابها الى القياس الجلي أو الحفي ما وجدوا خبراً أو أثراً<sup>(١)</sup> ، وهذه المدرسة هي التي خرجت الامام الشافعي فيما بعد (٢٠٤ هـ) ، والثانية تَعَنَّى بتحصيل وجه القياس والمعنى المستنبط من الأحكام وبناء الحوادث عليها ، وربما قَدَّمَ أصحابها القياس الجلي على آحاد الأخبار<sup>(٢)</sup> ، وهذه المدرسة هي التي خرجت الامام أبا حنيفة فيما بعد (١٥٠ هـ) .

وكان بين المدرستين اختلافات كثيرة في الفروع ، ولهم فيها تصنيفات وعليها مناظرات ، ولذلك أصبحت مصادر الفقه الاسلامي ، وبصورة خاصة الرأي أو القياس نقطة الجدل والمناظرة بين الفقهاء ، فالشعبي كان أصحابه يناظرونه في الفقه<sup>(٣)</sup> ، والزهري وقائده يتناظران عند سليمان بن عبد الملك<sup>(٤)</sup> ، وكان لكل اقليم من الدولة فقهائه ومحدثوه<sup>(٥)</sup> ، وكل مجلس من مجالس هؤلاء الفقهاء ، لابد أن يثار فيه ذلك الجدل الفقهي ، لأن لكل رأيه في أسباب الخلاف والموازنة بين الآراء .

ولم يكن شعراء هذا العصر على بعد من هذا الجدل الذي يجري في حلقات الفقهاء ، فجزير كان يلتزم حلقة ابن سيرين ، والفردق كان يلتزم حلقة الحسن البصري<sup>(٦)</sup> ، وربما وجدنا في أشعارهم ما يشبه الفتاوى للناس<sup>(٧)</sup> ، وقد تأثرت أشعارهم بالمعاني الدينية ، حتى أصبحت معظم المروضات الشعرية لا تخاف من هذه المعاني ، وهي ظاهرة بدأت منذ صدر الاسلام ولكنها اتسعت

(١) الملل والنحل ٤٥/٢ ، وانظر فجر الاسلام ٢٧٦/١ .

(٢) الملل والنحل ٤٦/٢ .

(٣) البيان والتبيين ٣٢٢/٢ .

(٤) البيان والتبيين ٢٤٢/١ .

(٥) انظر التطور والتجديد ٤٦-٤٧ ، وفجر الاسلام ٢٠٩-٢٣٩ .

(٦) العقد ١٦٩/٣ طبعة القاهرة ١٣٠٠ .

(٧) الاغانى ١٤/١٩ .

في هذا العصر ، ولا سيما أن موجة من الزهد كانت تراقق حركة العلوم الاسلامية من تفسير أوقفه أو حديث ، لأن معظم هؤلاء العلماء من الصحابة أو التابعين كانوا من الزهاد أو المبالغين في الزهد<sup>(١)</sup> .

وقد تأثر العجاج بهذه الجوانب ، فظهرت جلية في ملامح رجزه بوجه عام ، وقد التقى بأبي هريرة ونقل عنه بعض الأحاديث<sup>(٢)</sup> ، وأنشده الأرجوزة (٢٢) وهي في الوعظ فقال أبو هريرة : « أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب »<sup>(٣)</sup> وأنشده شيئاً من غزله في الأرجوزة (٢١) يسأله هل يرى فيه حرجاً ، فقال : قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُشَدُّ مثل هذا فلا يرى بأساً<sup>(٤)</sup> . وبذلك كان للعجاج اتصال بالصحابة في الحجاز ، ولنا أن نتوقع منه الاتصال بزاهد البصرة وعالمها الحسن البصري ، ومن ثم كان لاتصاله بالصحابة والعلماء الزهاد ، أن ظهرت في أراجيزه بعض الاتجاهات الزهدية ، وأفرد لذلك بعض الأراجيز الخاصة .

وكان ثمة مناظرات حول أمور أخرى غير الفقه والتشريع ، كانت هنالك أسئلة تثار حول الايمان وهل العمل جزء منه ، فان زاد العمل زاد الايمان ، وارت نقص العمل نقص ذلك الايمان ، أم أن الايمان واحد لا يزيد ولا ينقص ؟ وأسئلة أخرى تثار حول القضاء والقدر ، وهل الانسان مختار في أعماله ، أم أنه مجبر عليها وإذا كان مجبراً فكيف يحاسب على أمر قد أجبر عليه اجباراً ، وهل في ذلك

(١) انظر التطور والتجديد ٣٢ - ٤٨ .

(٢) الشعر والشعراء ٥٧٢ ، والاغانى ٥٨/٢١ ، وتاريخ ابن

عساکر ١٩٤/٧ ، وسط الآتي ٥٦ ، وشرح شواهد الغني ١٨ ، والمقاصد

النحوية ٢٧/١ .

(٣) الاغانى ٥٨/٢١ ، وخزانة بولاق ٥٠٩/٣ .

(٤) شرح الأصمعي : الأرجوزة ١٥/٢١ - ١٦ وأشار الى ذلك

صاحب اللسان في مادة ( بخند ) و ( درم ) .

عدل من الله ؟ وهل كان الصواب في صف علي أم في صف معاوية ، وأي الفريقين كان على حق ، وأبن قتلى كل منها ، أفي الجنة أم في النار ؟ ومن هنا دخلت السياسة من طرف خفي الى التفكير العقلي ، وكان الثقافات الأجنبية ، والعناصر الأجنبية التي داخلت مجتمع المسلمين ، أن أثرت تأثيراً بالغاً في تسرب بعض الآراء المتكررة الى أذهان بعض الناس في ذلك الحين .

وفئة أخبار تشير الى تفكير بعض الأفراد في الجبر أو الاختيار منذ خلافة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب (١) ، ولكن الفرق الفاتحة بذلك ، لم تظهر الا أوائل عصر بني أمية ، فكانت طائفة ترى الانسان مجبراً في أعماله ، وهي الجبرية ، وأخرى تراه مختاراً في أعماله ، وهي الاختيارية أو القدرية ، وفاتلة كانت وسطاً بين الجبر والاختيار ، وهي المرجحة .

والجبرية كانت ترى أن الانسان أشبه بريشة في مهب الريح ، وليس له حرية أو اختيار فيما ينسب اليه من أفعال ، وقد لحص ابن حزم حجتهم فقال : « فاما من قال بالاختيار فأنهم احتجوا فقالوا : لما كان الله تعالى فعلاً ، وكان لا يشبه شيء من خلقه ، وجب أن لا يكون أحد فعلاً غيره ، وقالوا أيضاً : معنى إضافة العقل الى الانسان ، انما هو كما تقول : مات زيد ، وانما أماته الله ، وقام البناء ، وانما أقامه الله تعالى (٢) » .

فهم يرون أن الأفعال حين تنسب الى الانسان ، انما تنسب على سبيل المجاز لا الحقيقة (٣) ، وبما أن الأفعال لا اختيار فيه ، فلذلك رأوا أن الثواب والعقاب جبر أيضاً لانحكم للانسان في أمره (٤) . وكان أول القائلين

- (١) النظم الاسلامية ١٢٤ - ١٣٦ ، وانظر بعض الاحاديث النبوية حول ذلك في شفاء الليل لابن القيم ٢٧٢ و ٢٧٤ .
- (٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٢/٣ - ٢٣ .
- (٣) الملل والنحل للشهرستاني ١١٠/١ .
- (٤) الملل والنحل ١١١/١ .

بهذه البدعة هو الجعدي بن درهم وتلميذه الجهم بن صفوان ، وكلاهما من الموالي ، وبهذا تستدل على تأثير الاعلم في افساد عقائد المسلمين (١) ، وكان الجعد قد تعرض لأمر آخر لا يقل خطراً عن الجبر ، وهو قوله بتعطيل الله عن الانصاف بصفات غير ذاته ، اذ رأى أن ما ورد في القرآن مثل سميع وبصير ليس على ظاهره وانما هو مؤول ، لأن ظاهره يدل على التشبيه بالخلق وهو مستحيل على الله .

ونقل الجعد تعاليمه الى تلميذه الجهم بن صفوان ، وهو من أهل خراسان من الموالي ، وأقام بالكوفة خطيباً يدعو الناس فيجذبهم الى قوله ، حتى نسبت الى هذه الطائفة فسميت بالجهمية ، وظهر منهج في ترمذ ، وقيل بروج آخر أيام بني أمية (٢) ، ولم تبق الجبرية فرقة واحدة ، بل انقسمت الى فرق متعددة (٣) ، وقد نشط علماء المسلمين في الرد عليها لما خرجت به عن حدود الدين الحنيف (٤) .

وكان يقابل هذه الفرقة من قال بجمرة الارادة ، ونفى أن يكون الانسان مجبراً في أعماله ، أو أن يكون القدر هو المتحكم في أعمال الانسان من خير أو شر ، وهؤلاء هم « القدرية » ، وهم نفاة القدر لا المتيقنون له كما يمكن أن يتبادر الى الذهن من تسميتهم ، وكان أول الداعين الى ذلك هو معبد بن خالد الجهمي وتلميذه غيلان الدمعقي ، أما معبد فقيد قتله الحجاج لخروجه مع ابن الاشعث وقيل لزندقة ، وكان يجالس الحسن البصري

- (١) انظر النظم الاسلامية ١٣٨ . وكان الجعد في الشام وادب آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد .
- (٢) الملل والنحل ١٠٩/١ ، وفجر الاسلام ٣٥١/١ ، والنظم الاسلامية ١٢٧ - ١٣٩ .
- (٣) انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشرئين للإمام الرازي ٦٨ - ٦٩ .
- (٤) انظر رد ابن حزم في كتابه الفصل في الملل ٢٣/٣ - ٢٦ .

أولاً ، ثم استقل عنه في دعوته . وأما غيلان فكان يسكن دمشق ، وكان أبوه مولى لعثمان بن عفان ، وقد أوقع الناس بينه وبين هشام بن عبد الملك وما زالوا حتى أمر به فقتل<sup>(١)</sup> .

وبجمل آراء غيلان تبعاً لمعبد هي قوله بالاختيار ، وقوله بنفي الصفات الثبوتية ، وقوله بجلق القرآن ، وقوله ان الايمان قول ومعرفة ولكن العمل لا يعد شرطاً داخل فيه ، وقوله في الامامة بما قالت الحوارج : من أنها تصح لغير القرشي ولكل من آمن بالكتاب والسنة اذا أجمع المسلمون على امامته<sup>(٢)</sup> .

ويرى بعض الباحثين أن معبدًا شيخ غيلان لم يأت بهذه الآراء من نفسه ولم يستقها من آيات القرآن ولا بما عرف عند السلف جائزاً في حق الله أو غير جائز ، وإنما استقها من رجل نصراني من أهل العراق يدعى أبا يونس الأسواري ، ومن الباحثين من يظن أن معبدًا الجبني أخذ آراءه هذه عن أبان بن سميان اليهودي ، وأن أبان أخذ آراءه عن طالوت بن أعصم اليهودي أيضاً<sup>(٣)</sup> .

ثم وُجدت فرقة ثالثة كانت وسطاً بين الجبرية والقدرية ، وهي فرقة المرجئة ، وكان أساس مذهبهم الايمان والعمل<sup>(٤)</sup> ، وتكلموا في الايمان والكفر

(١) فجر الاسلام ١/٢٤٩ .

(٢) ومن القائلين بهذا الرأي في الامامة ابو بكر الباقلاني ، ومعظم العلماء على شرط القرشية ، انظر مقدمة ابن خلدون ٢/٥٢٤ ، وأورد السيوطي بعض الاحاديث التي تنص على شرط القرشية ، انظر كتابه تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ٤ .

(٣) النظم الإسلامية ١٤٢ ، وانظر فجر الاسلام ٣٤٨ و ٣٥٠ - ٣٥١ ، وتاريخ العرب السياسي ١/٥١٢ - ٥١٣ .

(٤) الملل والنحل ١/١١٢ .

ما هما ومتى يجوز التسمية بها<sup>(١)</sup> . ونشأة هذه الفرقة تعود الى الوسط السياسي الذي وجدت فيه ، فالحوارج يكفرون عامة المسلمين ، ومن الشيعة من يكفر أبا بكر وعمر وعثمان ، وأعداء الأوميين جميعاً يكفرون بني أمية ، وكل فرقة ترى أنها على الحق ، وأن "الفرقتين" الأخرى على كفر وضلالة ، ولهذا قامت جماعة المرجئة لتكون وسطاً بين هذه الأحزاب المتنازعة فنجبت الى أن أصحاب هذه الأحزاب جميعاً قد اعتنقوا الاسلام ، ونطقوا بالشهادتين ، ولا يُدعى ان كلوا قد كفروا حقاً أو أصابوا حقاً ، وإنما أمر ذلك الى الله تعالى ، فهو الذي يعلم الكافر من المؤمن ، وله وحده أن يعاقب ان شاء أو يعفو ان أراد ، ولهذا أُرِجأت أمر علي ومعاوية ومن سبق من الخلفاء الى الله تعالى دون أن تقطع برأي في ذلك<sup>(٢)</sup> .

ولكن الموقف السياسي الحاد ملهم على التفكير في شأن الايمان ، وبذلك ارتبطت عندهم الظواهر السياسية بأصول العقيدة في الاسلام ، فأروا أن الايمان هو التصديق بالقلب فقط ، أو قل هو معرفة الله بالقلب ولا عبرة بالمظهر ، فان آمن الانسان بقلبه كان مسلماً حقاً ، وان أظهر اليهودية أو النصرانية ، وان لم ينطق لسانه بالشهادتين ، اذ ليس من شرط الايمان أن يقر الانسان باللسان ، أو أن يقوم بالأعمال المفروضة على المؤمن من صلاة وزكاة وصوم وحج ، فبهذه الأعمال الواجبة في الاسلام ليست من شروط الايمان في نظرم ولا هي جزء منه . ولذلك امتنعوا عن الحكم على غير المسلمين ، لأن أمر الحكم عليهم هو لله تعالى في رأيهم ، وبذلك كاه خرجوا

(١) الفصل في الملل ٢/١١٢ .

(٢) انظر النظم الإسلامية ١٤٣ ، وفجر الاسلام ١/٣٤٣ ، وتاريخ الاسلام السياسي ١/٥٠٥ .

عن الاسلام خروجاً تماماً<sup>(١)</sup>.

وآراء المرجئة من الصعب أن يُحدّد لها مصدر معين ، إذ تشعبت فرقها ، واختلطت كثير من آرائها بآراء الحوارج<sup>(٢)</sup> وغيرهم من الفرق حتى قال الشهرستاني : « والمرجئة أصناف أربعة : مرجئة الحوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة »<sup>(٣)</sup> . ومن هنا نتبين السبب الذي أوقع في الشبهة بعض الباحثين في الخلط بين هذه الفرق ، أو باعتبار الجهم بن صفوان مثلاً أحد رؤوس المرجئة ، مع أنه صاحب الجهمية وهي أبرز فرقة من الفرق الجبرية . وكذلك يمكن أن نذكر من قول الشهرستاني ، لماذا اقتصر بعض المصنفين من القدماء على اعتبار فرق المسلمين أربع فرق هي : الشيعة والحوارج والمرجئة والمعتزلة<sup>(٤)</sup> ، أو خمس فرق بإضافة أهل السنة إليها<sup>(٥)</sup> ، ولا سيما أن القدرية كانت تمهد لظهور المعتزلة وتتفق معها في بعض الأصول ، حتى لقب أصحاب المعتزلة بالقدرية أيضاً<sup>(٦)</sup> ، ولهذا لم يميز بينها بعض الباحثين تمييزاً دقيقاً<sup>(٧)</sup> .

وأول ظهور المعتزلة كان قد بدأ باعتراف واصل بن عطاء حلقة أستاذه الحسن البصري بسبب مارأه واصل من أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا

مؤمن ، وإنما له منزلة بين المنزلتين<sup>(٨)</sup> ، والمشهور أن هذه الحادثة هي السبب في تسمية هذه الفرقة بالمعتزلة ، وإن قيل غير ذلك<sup>(٩)</sup> ، وقد مهد لظهورها مارأيناه من فرقة القدرية ، وما كان من آراء الحسن البصري امام أهل البصرة ، وهي تركز حول نظرتة الى الايمان ، والى مرتكب الكبيرة والى الجبر والاختيار .

فقد ربط الحسن البصري بين الايمان والعمل ، ورأى أن الايمان لا يكمل الا اذا عمل صاحبه بقتضاه ، فإن نقص من عمله شيئاً ، نقص من ايمانه قدر ذلك ، ومن هنا نظر الى مرتكب الكبيرة ، فرأى أنه لا يوصف بالمؤمن الكامل لأنه لم يعمل بقتضى الايمان ، وليس ما يثبت انه قد كفر ، ولذا كان منافقاً في رأي الحسن البصري ، في حين رآه واصل بن عطاء فاسقاً ، والفسق أشد من النفاق ، ونظرة الحسن الى مرتكب الكبيرة على هذا النحو جعلته يتساوى أيضاً عن الجبر والاختيار ، فمرتكب الكبيرة أيفعل ذلك باختياره وارادته أم أن ذلك مفروض ومقدر عليه ؟ وهنا يظهر الحسن البصري وسطاً بين القدرية والجبرية حين يرى أن الخير من الله والشر من العبد ، ويلتزم بقوله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »<sup>(١٠)</sup> .

وآراء الحسن البصري هذه قد أثرت في تلميذه واصل بن عطاء ، الذي أسس أول فرقة من فرق المعتزلة<sup>(١١)</sup> ، ولا يغنينا تفصيل أمر هذه الفرق ،

- (١) النظم الإسلامية ١٤٣ ، وضحي الإسلام ٢١٦/٣ ، وانظر مناقشة الدكتور صبحي الصالح لهذه البدع من آراء المرجئة في النظم الإسلامية ١٤٦ ، وانظر بسطاً لآراء المرجئة ورد ابن حزم عليها في كتابه الفصل في الملل ١٨٨/٣ - ٢١٢ .
- (٢) الملل والنحل ١٥٤/١ .
- (٣) الملل والنحل ١٨٦/١ .
- (٤) المقالات والفرق للأشعري ١٥ .
- (٥) الفصل في الملل ١١١/٢ .
- (٦) الملل والنحل ٥٤/١ و ٥٨ ، وانظر النظم الإسلامية ١٤٠ - ١٤١ .
- (٧) أمثال أحمد أمين في فجر الإسلام ٣٤٧/١ .

- (١) الملل والنحل ٦٠/١ .
- (٢) انظر فجر الإسلام ٢٥٣/١ ، والنظم الإسلامية ١٥٠ .
- (٣) سورة النساء ٧٨/٤ ، وانظر آراء الحسن البصري بالتفصيل في النظم الإسلامية ١٥٢ - ١٥٤ ، وانظر أيضاً التطور والتجديد ٥٢ وقابله بالملل والنحل ٥٩/١ .
- (٤) وأطلق عليها اسم الواسلية ، انظر الملل والنحل ٥٧/١ - ٦٢ .

وحسبنا أن نطل على آراء المعتزلة بوجه عام ، وهي ترتكز على خمسة أسس عرفت عندهم بالتوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمثالة بين المثلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالمعتزلة اتفقوا على نفي الصفات عن الله تعالى ، ونفي التشبيه عنه من كل وجه : جهة ومكانا وصورة وجسماً وتحيزاً وانتقالاً وزوالاً وتغيراً وتأثراً ، وأجوباً تأويل الآيات التي فيها شيء من التشبيه ، وسما هذا النمط توحيداً . واتفقوا على أن العبد خالق لأفعاله من خير وشر ، ومستحق على مايفعله ثواباً أو عقاباً في الدار الآخرة وإن الله منزّه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً كما لو خلق العدل كان عادلاً ، وسما هذا النمط عدلاً . واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق ماوعده الله به من ثواب ، وإن خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها ، استحق ما أوعده به الله من عقاب ، وأن الله صادق في وعده ووعيده ليس بمبدل لكلماته ، وسما هذا النمط وعداً ووعيداً . واتفقوا على أن مرتكب الكبيرة فاسق مثله بين المؤمن والكافر ، وهذا ما عرف عندهم بالمثالة بين المثلتين . واتفقوا على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا من أنفسهم دعاء لذلك تحقيقاً للآية الكريمة : « ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر »<sup>(١)</sup>.

والمعتزلة عامة كانت نشأتهم دينية خالصة ، ولكن طبيعة أبحاثهم جعلتهم ينظرون إلى الإمامة وشرط الإمام ، فرأوا بتفكيرهم العقلي أن الإمامة ينبغي أن تكون اختياراً من الأمة ، وذلك لأن الله عز وجل لم ينص على رجل

(١) سورة آل عمران ١٠٤/٣ ، وانظر آراء المعتزلة في الملل والنحل ٥٥/١ - ٥٦ ، والنظم الإسلامية ١٥٥ - ١٦٦ ، وتاريخ الإسلام السياسي ٥١٣/١ - ٥١٤ ، وفجر الإسلام ٣١٣ - ٣٥٩/١ ، وضحى الإسلام ٢١/٣ - ٦٧.

بعينه ، وأن اختيار ذلك مفوض إلى الأمة تختار منها من ينفذ أحكامه سواء كان قريشياً أو غيره من أهل ملة الإسلام وأهل العدالة والإيمان<sup>(٢)</sup> . وأبيهم هذا متفق مع الحوارج ، وقد يكون فيه شيء من الخطر على الأمويين ، ولكن قولهم بالعدل ، وفيه نفي القدر واعتبار الإنسان مسؤولاً عن أفعاله ، فيه تأكيد لحصوم الأمويين عامة ، لأنه يفند مزاعم الأموية في أنهم يحكمون الناس بقدر من الله تعالى ، ومع ذلك فالأمويون لم يتعرضوا للمعتزلة ، لأنها لم تنبض لأهداف سياسة الحوارج والشيعية ، وسياسة الأمويين كانت لاتعرض إلا للخصوم السياسيين ، ولا تتدخل في الأمور الدينية بين الفرق ، خلافاً لسياسة العباسيين فيها بعد .

وكانت المعتزلة تتأثر بآراء أجنبية<sup>(٣)</sup> ، جعلتها تخرج إلى ماسماه ابن حزم « شتّع المعتزلة »<sup>(٤)</sup> ، وهي في ذلك لاختلاف عن غيرها من فرق الغلاة عند الشيعة والحوارج والمرجئة<sup>(٥)</sup> .

وهذه الفرق على اختلافها من جبرية أو قدرية أو مرجئة أو معتزلة ، كان للجدل بينها ميدان واسع جداً ، وكان أهل السنة يناظرون أصحاب هذه الفرقة فارة ، وأصحاب تلك الفرقة فارة أخرى<sup>(٦)</sup> ، ويمكن القول ان الجدل كان لا يهدأ أيام الأمويين ، وقد اتسع وتشعب أيام العباسيين ، ولم يكن شعراء العصر الأموي يعزل عن تأثير هذه الحياة العقلية على ما فيها من صراع وجدل ، ولا سيما أن أكثر جوانب هذا الصراع الفكري كان ذا صلة وثيقة

(١) مروج الذهب ١٩١/٢ ، وانظر تاريخ الإسلام السياسي ٥١٥/١ .  
(٢) انظر في ذلك النظم الإسلامية ١٥٥ ، وتاريخ الإسلام السياسي ٥١١/١ - ٥١٢ .  
(٣) الفصل في الملل ١٩٣/٤ .  
(٤) الفصل في الملل ١٧٩/٤ ، ١٨٨ ، ٢٠٤ .  
(٥) انظر شفاء العليل لابن القيم ١٢٩ و ١٥٢ ، وفجر الإسلام ٣٧٠/١ .

بالصراع السياسي والاجتماعي في ذلك الحين ، فكان لكل فرقة شاعرها أو شعراؤها ، وكان لكل رأي من يؤيده من الشعراء أمّا عن مبدأ وعقيدة ، وأمّا عن تكسب وطلب للرزق .

فثبت قطنة كان من شعراء المرجئة ، وله قصيدة تعتبر وثيقة تاريخية لما أورد فيها من عقائد المرجئة وآرائهم<sup>(١)</sup> . وذو الرمة كان قديماً ، ورؤية بن العجاج كان جديراً ، وقد اختلف ذو الرمة مع رؤية في الجبر والاختيار واحتج كل منها لمنهجه<sup>(٢)</sup> ، وكان العجاج جديراً أيضاً ، وشعره سجل حافل بأراء الجبرية التي كان ينهب اليها بنو أمية في تأييد ملكهم ، وهو في ذلك لا يختلف عن غيره من شعراء الأموية أمثال الأخطل وجريز والفردق ومن الهم .

ومن هذا التمهيد تبين لنا أن رجز العجاج قد تأثر الى أبعد الحدود بالجوانب السياسية والاجتماعية والعقلية التي برزت في عصره وبيئته ، وقد أثرت هذه الجوانب أيضاً في طباعه وحياته بوجه عام .

## نق عبد الحميد بن العجاج أبو عبد الله (الزركلي) حياة العجاج

### ١ - نسبه وعشيرته

إن العجاج هو عبد الله بن رؤية بن سعد بن زيد مناة بن تميم<sup>(١)</sup> ، ولا خلاف في ذلك ، ولكن الخلاف تجده في نسب العجاج الذي يصل بينه وبين « سعد بن زيد مناة بن تميم » . فلا يصح أن أورد نسبه في بداية الديوان على هذا النحو : « عبد الله بن رؤية بن لبيد بن صخر بن كئيف بن عيميرة ابن مخشي » بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ومثل هذا أوردته ابن حزم في جملة أنساب العرب<sup>(٢)</sup> ، والعيني في المقاصد<sup>(٣)</sup> ، والسيوطي في شرح شواهد المغني<sup>(٤)</sup> ، مع اختلاف يسير ، إذ ورد عند ابن حزم : « صخر بن كئيف » بالنون ، وورد عند العيني « صخر بن كئيف ابن عيميرة بن حي » ، وعند السيوطي : « صخر بن كئيف بن عمرو بن

(١) سبط اللآلئ ٥٦ ، والاستبصار لابن دريد ٢٥٩ ، والصحاح ٣٢٧/١ ، والشعر والشعراء ٥٧٢ ، وطبقات ابن سلام ٥١٧ ، والمؤلف ١٢١ ، والخزانة ٩١/١ - ٩٢ ، ولم يذكر ابن عساکر من نسبه إلا قوله « عبد الله ابن رؤية بن لبيد بن صخر » ثم ذكر كنيته ولقبه فقط ، انظر تاريخه ٣٩٤/٧ .

(٢) جملة أنساب العرب ٢١٥ .

(٣) المقاصد النحوية ٢٦/١ .

(٤) شرح شواهد المغني ١٨ .

(١) القصيدة في الاغانى ٥٢/١٣ ، وانظر أبياتاً منها في التطور والتجديد ٥١ ، وفجر الاسلام ٢٤٥/١ ، وتاريخ الاسلام السياسي ٥٠٧/١ .

(٢) امالي المرتضى ١٥/١ .

حي ، وقبل عميرة بن حي » ، وهذه الاختلافات بسيرة ربما كانت بسبب التحريف أو التصنيف من قبل الرواة أو النسخ ، ولكن الخلاف الواسع لما يطالعنا فيما أورده صاحب الأغاني ، إذ قال : « واسم العجاج عبد الله بن روبة بن حنيفة وهو أبو جذيم بن مالك بن قدامة بن أسامة بن الحارث بن غوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم » (١) .

وهذا النسب غريب تفرد به الأصفهاني ، ولم نقف على أثر له في غير الأغاني . والمهم أن العجاج هو عبد الله بن روبة بن زيد من بني سعد بن تميم ، وأما لقبه « العجاج » فلا خلاف في أنه قد لُقّب به لبيت قاله من الشعر (٢) ، وهو :

حَتَّى يَبْعِجَ نَحْنًا مَنْ عَجَّجًا (٣)

وقد أورد السيوطي أسماء عدد من الشعراء الذين لُقّبوا بأبيات قالوها من الشعر (٤) ، ولاحظ الأوردت أن مثل هذه الألقاب لم يكن شيئاً غريباً ، وما كانت تسيء إلى الشرف أو السمعة (٥) ، وما يؤيد ذلك أن العجاج نفسه قد أورد هذا اللقب في قوله (٦) :

فَقَدْ أَكُونُ لِلْغَوَانِي مَصِيدًا مَلَاوَةً كَانَ قَوْفِي جَلْدًا  
فَقُلْنِ قَدْ أَقْصَرُ أَوْ قَدْ عَوَدًا عَنْ وَصَلِنَا الْعَجَّاجُ أَوْ تَجَلَّدًا

ويبدو أن العجاج كان طويل القامة ، ولذلك كان يُعرَف أيضاً بعبد الله الطويل ، يدل على ذلك خبر طريف أورده صاحب الأغاني ، وفيه يُعرَف العجاج نَحْنًا بقوله : « أنا عبد الله الطويل » ، قال الأصفهاني : « وكان يكنى بذلك » (١) ، وكانت للعجاج كنية أخرى ، إذ كان يعرف أيضاً « بأبي الشعثاء » والشعثاء ابنته (٢) ، وقد أورد العجاج هذه الكنية الأخيرة في قوله (٣) :

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ أَنْعَمَا عَلَى أَبِي الشَّعْثَاءِ نَعْمًا ثُمَّ مَا  
بَدَّلَهَا إِلَّا بِأَحْسَنِ كَمَا أَتَمَّ شُعْثَاءُ عَلَى مَنْ أَسْلَمَا

ولئن وجدنا من الأخبار ما يفيد شيئاً عن لقب العجاج أو كنيته ، فإن الأخبار عن أسرته جدّ نادرة في مصادرنا المختلفة ، وليس في رجزه إلا اشارات إلى بعض أولاده ، ومن العسير أن نجد صورة واضحة لأفراد أسرته ، فحين لا نعلم شيئاً عن والد العجاج وهل كان راجزاً أيضاً ؟ فلدننا من الأخبار ما يدل على أنه كان يحسن الرجز ، ولدننا من الأخبار أيضاً ما يدل على أنه لم يكن يحسن نظم الشعر ، فالسيرافي يقول : « حدثنا أبو بكر بن السراج قال حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد قال حدثنا الروائي أحسبه عن الأصمعي قال : قال روبة : خرجت مع أبي أريد سلاجان بن عبد الملك فلما صرنا ببعض الطريق قال لي أبي : أبوك راجز وجندك كان راجزاً وأنت

(١) الأغاني ٥٧/٢١ .

(٢) الشعر الشعراء ٥٧٣ ، والمزهر ٤٤١/٢ ، وجمهرة اللغة ٥٣/١ ، ١٣٤ ، وشرح شواهد المغني ١٨ ، والمقاصد ٢٦/١ ، واللسان (عجج) ، وتاريخ ابن عساکر ٣٩٤/٧ .

(٣) الأرجوزة ١٤٦/٣٣ .

(٤) المزهر ٣٤/٢ - ٤٤٤ .

(٥) مقدمة الأوردات ١٤ (بالأناية) .

(٦) الأرجوزة ٩/٢٧ - ١٢ .

(١) الأغاني ١٨/١٢٤ - ١٢٥ و ٢١/٦٠ ، وانظر الخزائن ١٦٠/١ ، وتاريخ ابن عساکر ٣٩٤/٧ .

(٢) الشعر والشعراء ٥٧٣ ، والبيان ٣٥٦/١ ، وشرح شواهد المغني ١٨ ، والمقاصد ٢٦/١ ، وكنى الشعراء لمحمد بن حبيب : نوادر المخطوطات المجموعة (٧) ص ٢٩١ .

(٣) الأرجوزة ١٧/٢١ - ٢٠ .



مفجع ..<sup>(١)</sup> ، وقال ابن رشيق في باب التجنيس : « ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب ، أعني التجنيس ، يدلك على ذلك ما حكى عن رؤبة بن العجاج وأبيه ، وذلك أنه قال له يوماً : أنا أشعر منك . قال : وكيف تكون أشعر مني وأنا علمتك عطفَ الرجز ؟ قال : وما عطف الرجز ؟ قال :

عاصمٌ باعاصمٍ لو اعْتَصَمَ<sup>(٢)</sup>

فقال : يا أبت أنا شاعر ابن شاعر ، وأنت شاعر ابن معجم فغلبه<sup>(٣)</sup> . وفي كلام السيرافي ما يشير إلى أن والد العجاج كان راجزاً ، وفي كلام ابن رشيق ما ينقض ذلك ، ولهذا لاندري أن كان والد العجاج شاعراً حقاً أم لا ، ولا نعلم علم اليقين إذا كان العجاج قد ورث نظم الرجز عن أبيه رؤبة ابن ليبد ، إلا أن هذا لا يمنع أن يكون العجاج قد تأثر بأحد من أسرته أو قبيلته بوجه عام ، ذلك لأن بني سعد عامة قد اشتهروا بالرجز ، وأورد الجاحظ بعض الأخبار التي تؤيد ذلك<sup>(٤)</sup> ، ونقل الجرجاني أن أبا نُحَيْلَةَ<sup>(٥)</sup> ، قال : « وفدت على مسلمة بن عبد الملك وقد مدحته فأكرمني وأزلي ثم قال

(١) أخبار التحوين البصريين للسيرافي ٩١ ، ومثله في شرح شواهد الغني ٣٢٣ .

(٢) الأرجوزة ٣٩/٢٣ ، ورواية الديوان : « وعاصم ما عاصم لو اعْتَصَم » .

(٣) المعصدة ٢٢٧/١ .

(٤) البيان والتبيين ٣٤/٤ - ٣٥ .

(٥) ورد في الوساطة « بجيلة » ، وكذلك في الإبانة عن سرقات المتنبي ٥٧ ، وأما هو أبو نُحَيْلَةَ من بني سعد ، وهو الذي مدح مسلمة بن عبد الملك ، انظر الشعر والشعراء ٥٨٣ ، والموازنة ٨٣ ، والبيان والتبيين ٢٢٥/٢ ، وتحرف اسمه في المعصدة ١٨٧/٢ فجاء « أبو جيلة » وهو تحريف قارنه بالعمد الفريد ٢٠٦/٦ .

لي : مالك والصيد وأنت من بني سعد ، عليك بالرجز ...<sup>(١)</sup> . ولعل هذه الشهرة بالرجز قد ثبتها رجز العجاج ورؤية فيما بعد .

فالعجاج من بني سعد ، وهذه القليلة قد اشتهرت بهذا اللون من الشعر ، ولا يبعد أن يكون في أسرة العجاج من كان يتخذ من الرجز وسيلة للتعبير الفني ، دون أن يكون في هذا الرجز من الاطالة والخصائص مانجدة في مدرسة العجاج نفسه .

ولئن كنا لا نعرف شيئاً عن والد العجاج ، فكذلك الامر عن والدته ، وقد علمنا أن جده من قبل أمه يدعى كُثَيْباً ، وذلك من رجز أشده جرير في هجاء العجاج ، فقال :<sup>(٢)</sup> .

بَابِن كُثَيْبٍ مَا عَلَيْنَا مَبْدَحُ قَدْ غَلَبَتْكَ كَاعِبُ تَضْمَحُ  
ثُمَّ أَتَتْ بَابَ الْأُمَيْرِ تَصْرُخُ<sup>(٣)</sup>

ولكننا لانعلم شيئاً عن كتيب هذا إلا ماورد من تسميته في رجز جرير . وإذا أردنا أن نعرف أخوة العجاج ، لم نظفر إلا بأخ له يدعى العباس ، قال الجاحظ : « ومن ولد مالك بن سعد : عبد الله والعباس ابنا رؤبة ، وكان العباس ، علامة غلاماً ، ناسباً راوية ، وكان عبد الله أرجز الناس وأفصحهم ، وكان يكنى أبا الشعثاء ، وهو العجاج »<sup>(٤)</sup> .

ولا ندري أن كان للعجاج أخوة آخرون غير العباس ، أما الأخوات فلا ندري عنهن شيئاً ، وليس في أيدينا من الدلائل ما يشير إلى وجود أخوات له أم لا .

(١) الوساطة ١٥٢ .

(٢) جمهرة اللغة ٢٨٧/١ - ٢٨٨ .

(٣) يشير جرير إلى خبر العجاج مع زوجته الدهناء .

(٤) البيان والتبيين ٣٥٦/١ .

في فترة متأخرة من حياة العجاج<sup>(١)</sup>.

ولم تكن صلة العجاج بابنته حزمة أفضل من ذلك ، بل كانت غير ودية أيضاً ، إذ أورد ابن منظور أن العجاج كان قد اقترض منها سبعين درهماً للمصداق ، ثم تقاضته ففضاها بكراً ، وقال في ذلك<sup>(٢)</sup> :

قَدْ أَقْرَضْتُ حَزْمَةَ قَرْنًا عَسَرًا      مَا أَتَانَا مَدًّا أَعَارَتْ سَهْرًا  
حَتَّى أَعْدْتُ بِإِذِلٍّ دِعْسًا      أَفْضَلَ مِنْ سَبْعِينَ كَلَّتْ خُسْرًا

ولهذا زجج أن تكون حزمة وأخوها روبة من زوجة للعجاج لانعرف عنها شيئاً ، ولما عرق فهي الزوجة الثانية على الأقل ، ولم تكن الدهناء إلا آخر زوجة له ، لأن المصادر العربية كلها تجمع على أن العجاج قد تزوجها وهو شيخ طاعن في السن<sup>(٣)</sup> ، ثم طلقها في خبر مشهور ، ولم تبق عنده طويلاً<sup>(٤)</sup>.

وفي مجالس تغلب إشارة الى « ابن خال روبة » تدل على أنه كانت شاعراً أيضاً ، فقد أشهد تغلب هذين البيتين :

إِذَا قُلْتُ لَمَنْ تَبْنِي التَّرَائِي وَحَشَرَجَتِ      وَخَاقَ بِهَا بَعْدَ الْمُكَابِدَةِ الصَّدْرُ  
وَقِيلَ اعْتَرَفَ مَا كُنْتُ قَدَّمْتُ آتِفًا      فَذَاكَ الْغَيْثُ عِنْدَ الْحِسَابِ أَوْ الْفَقْرِ

(١) انظر الأرجوزة (٨) من ديوان العجاج .

(٢) اللسان ، مادة (دعش) .

(٣) تفصيل خبرها مع العجاج في المحاسن والأضداد ٣٧٤ ، وكنز الحفاظ ٣٤٧ ، وشرح المقامات الحبرية ٢٩١/٢ ، ونسبة إشارة اليه في تهذيب اصطلاح النطق ٥٧/١ ، والفا ١٨٥/٢ ، وجمهرة اللغة ٤٧٩/١ ، والصحاح ٢١١٦/٥ ، وقد قالت الدهناء أبيتا رانية في ذلك ، أرجع اليها في الصحاح ٦٠١/٢ ، وجمهرة اللغة ٣٣٨/١ و ٣٣١/٢ ، وكنز الحفاظ ٣٤٨ ، وأبيتا ميمية ، أرجع اليها في محاضرات الأدباء ١١٩/٢ ، والبيان والتبيين ٢٠٧/٣ ، والحجوان ٥٠٢/٣ ، بالإضافة الى المصادر التي فصلت هذا الخبر .

فاذا دخلنا بيت العجاج نفسه لممكن لنا أن نتعرف اثنتين من أزواجه ، الأولى هي عرق ، والثانية هي الدهناء ، وقد خلط أواردت بينها ، وجاء بكلام مضطرب لا يستند على أدلة ، إذ جعل الدهناء زوجة العجاج الأولى وأم أولاده روبة وحزمنة ، ثم ذهب الى أن العجاج قد طلقها وتخلّى عن الزواج ، ثم أحب عرق فتزوجها فجاءته مع أطفالها الأربعة ، ومن ثم أورد أواردت الحيز المشهور عن طلاق الدهناء فجعله خاصاً بعرق ، وهذا يخالف لكل ماور في مصادرنا العربية على اختلافها<sup>(١)</sup>.

والذي نلاحظه أن الدهناء كانت آخر زوجة للعجاج ، وأن عرق أسبق منها ولكنها ليست أم ولديه روبة وحزمنة ، وإنما كان العجاج متزوجاً قبلها بامرأة أخرى هي أم أولاده ، يدل على ذلك ماكان من علاقة غير ودية بين العجاج وزوجه عرق من جانب وبين روبة وأخته حزمة من جانب آخر ، فقد نقل السيوطي شيئاً من هذا فقال : « وروى صاحب كتاب مناقب الشبان وتقديهم على ذوي الأنسان من طريق محمد بن سلام عن أبي يحيى الضبي قال : كان روبة يرعى ابل أبيه وهو لا يقرض الشعر فتزوج أبوه امرأة يقال لها عرق ، فعادت روبة ، وكانت تقسم ابله على أولادها الصغار ، فقال روبة : مام أحقّ مني ، اني لأقاتل عنها السنين وأتجمع الغيث ، فقالت عرق للعجاج : اسمع ، هذا وأنت حي ، فكيف بنا من بعدك ؟ ! فخرج فزهره وصاح به وقال اتبع ابلك ! »<sup>(٢)</sup>.

وهذه الحادثة كانت عند بعضهم هي السبب لما كان من عتاب ومراجرة بين العجاج وابنه روبة ، وهي تشير الى صلة غير ودية نضت بين الأب وابنه

(١) انظر تمهيد الواردات ١٧ - ١٩ (بالالمانية) .

(٢) شرح شواهد المتن ٣٢٣ - ٣٢٤ ، ونقله البغدادي في الخزائن ٤٠٢/٢ .

وذكر قبلها أنه يقال : « هي لابن خال ربيعة »<sup>(١)</sup> ، وكنا نودّ لو حدد لنا شيئاً عن اسمه أو نسبه ، لأن في ذلك عوناً لتعرف بعض ما نمض من أسرة العجاج ، ولو تحقق ذلك لكان من المسالك المؤدية بنا الى تجاوزه شيء من ذلك الغموض .

وأما أبناء العجاج وبناته فقد عرفنا منهم ربيعة وهو الذي حمل لواء أبيه في الرجز ، وعرفنا حزمة ، وليس من دليل يشير الى أنها هي التي لقيت بالشعراء ، أو أن الشعاء ابنة أخرى للعجاج كان قد كني بها ، وإذا لم يكن في أيدينا من الأخبار ما يشير الى وجود أبناء آخرين للعجاج ، فهو نفسه قد حدثنا عن وجود أبناء وأحفاد له في قوله<sup>(٢)</sup> :

أصبح قومي يحفرون حفرتي يدعون باسمي وتاسوا كيتي  
بنو تميم وبنات لابني

ولكننا لانعرف له من الأبناء غير ربيعة ، ولا نعرف من الأحفاد إلا ولدين لربيعة : الأول عبد الله بن ربيعة ، والثاني عقبة بن ربيعة ، وأما عبد الله فكان يروي بعض الأخبار والأشعار عن والده ربيعة وجده العجاج ، ومن ذلك ما نقله الجاحظ فقال : « وقال عبد الله بن ربيعة : سألت رجلاً ربيعة عن أخطب بني تميم ، فقال : خدش بن ليث بن ببة . يعني البيت<sup>(٣)</sup> » ، ومن ذلك أيضاً ما نقله البغدادي فقال : « قال أبو القاسم الزجاجي في أماليه الوسطى والصغرى أخبرنا أبو عبد الله محمد بن العباس الزبيدي قال أخبرنا أبو

(١) مجالس ثعلب ١٢٩ .

(٢) الأرجوزة ٤٦/٢٢ - ٤٨ .

(٣) البيان والتبيين ٣٧٢/١ - ٣٧٤ و ١٠/٣ - ١١ ، والبعيث هو البعث الجاحشي الذي كان يهاجي جريراً . ونسبه في المؤلف : خدش ابن بشر بن خالد بن ببة .

الفضل الرائي عن الأصمعي عن عبد الله بن ربيعة بن العجاج عن أبيه عن جده قال : أنشدت أبا هريرة...<sup>(١)</sup> .

وأما عقبة بن ربيعة فكان راجزاً إلا أن الرواة لم تحمل من رجزه شيئاً ، ولم يُذكر إلا في خبر واحد فقط هو التقاؤه مع بشار بن برد عند عقبة ابن سلم ، وهو خبر مشهور جداً في كتب اللغة والأدب<sup>(٢)</sup> ، ولم يُعرف لعقبة بن ربيعة غير هذا الخبر ، ولم ينقل له بيت واحد من الشعر ، وإنما ذهب شعره كله ، ففزع بذلك آخر ما يمكن أن نجده من خصائص في مدرسة العجاج .

وبهذا نجد في أسرة العجاج أكثر من راجز واحد ، وإذا كنا لا نعلم علم اليقين ان كان العجاج قد أخذ الشعر أو الرجز عن أبيه ، فإن هذا الرجز انتقل منه الى بعض أبنائه وأحفاده ، فكان لأسرته فضل واسع في بناء هذه المدرسة التي جاءت مع الأغلب العجلي ، وتركزت عند العجاج .

## ٢ - نشأته وعمره ورحلاته :

ليس من اليسير أن نقف على نشأة العجاج ومراحل حياته ، ذلك لأن ما بين أيدينا من أخباره جد قليل ، فكتب اللغة والأدب والتراجم وغيرها قد شغلت بأخباره المتصلة بالرجز والغريب واللغة ، وأغفلت ما يتصل منها بنشأته وأدوار حياته ، والذي يبدو أن أخبار العجاج كانت من الوفرة يمكن يدل على ذلك ما نقله ابن التميمي (٣٨٥ هـ) في الفهرست ، من وجود كتاب

(١) خزنة بولاق ٥٩٣/٣ ، وانظر مجالس ثعلب ٤٨١ إذ أورد له سنداً يتصل بشبيب بن شبيب .

(٢) انظر الأغاني ١٧٤/٣ ( دار الكتب ) ، والموشح ٣٦٦ ، والشعر والشعراء ٧٣٤ ، وزهر الآداب ١٢١/٢ وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز ٣ - ٤ ، والمختار من شعر بشار ٢٢١ ، والبيان والتبيين ٤٩/١ .

في « أخبار العجاج » ، صنفه أبو احمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي ، وهو من اهل البصرة أخباري صاحب سير وزادات وتوفي بعد الثلاثين والثلاثمائة<sup>(١)</sup> ، وقد أشار ابن النديم الى أن هذا الكتاب قد ضم أيضاً أخبار رؤبة ابن العجاج .

وكتاب الجلودي لم يشر اليه حاجي خليفة ( ١٠٦٧ هـ ) صاحب كشف الظنون ، ولا يبعد ان يكون قد فقد وضاع قبل القرن الحادي عشر الهجري ، وبضايعة مُفْتَد من أيدينا أهم وثيقة كان في وسعها أن تطلعنا على جوانب من حياة العجاج ، وليس في مصادرها المختلفة ما يعوض كلياً عن كتاب الجلودي ، ومع ذلك فلا بد لنا أن نلتمس شيئاً عن نشأة العجاج ، وعن عاش ، وأين أقام ، وكيف كانت حياته ، وذلك من خلال ما لدينا من أخبار يسيرة ، وما نجده في أراجيز العجاج نفسه .

ان ألواردت قد حاول أن يحدد الزمن الذي عاش فيه العجاج ، وخرج من مناقشة هذا الأمر الى أن حياة العجاج كانت في الفترة الواقعة بين ( ٦٤٦/٣٥ ) و ( ٧١٥/٩٧ ) وذلك لأن ألواردت قد زعم أنه ليس من مصدر يحدد بدقة الزمن الذي عاش فيه العجاج ، أو يحدد العمر الذي بلغه ، أو السنوات التي كانت فيها حياته<sup>(٢)</sup> .

الآ- أن رأى ألواردت ومناقشته حياة العجاج لالتتقم مع المصادر العربية ، فابن عساكر في تاريخه نقل عن المزياني قوله : ان العجاج « وُلِد في الجاهلية ، وقال فيها أبياتاً من رجزه ، ومات أيام الوليد بن عبد الملك بعد أن كبر وأقعد »<sup>(٣)</sup> ، وهذا القول أورده عن المزياني أيضاً السيوطي في

(١) الفهرست ١١٥ .

(٢) انظر تمهيد الواردات ١٤ - ١٦ ( بالامانية ) .

(٣) تاريخ ابن عساكر ٣٩٤/٧ .

شرح شواهد المغني<sup>(١)</sup> ، وإذا كنا لانجده في كتاب الموشح أو معجم الشعراء للمزياني ، فهذا لا يشكك في قول المزياني الذي أورده السيوطي وابن عساكر لأنه سقط من أصول أحد كتبه الموجودة حالياً ، أو أنه ورد في كتاب آخر للمزياني لم يحفظ لنا ، أو أنه جاء في رواية نُقلت مجرد نقل عن المزياني فحسب .

وقول المزياني هذا يجعل العجاج من المعمرين ، وإذا عدنا الى كتاب المعمرين من العرب لأبي حاتم السجستاني نسأله عن العجاج ، وجدناه لا يذكر عنه شيئاً ، مع أنه ذكر الأغلب العجلي وقال انه عاش عمرًا طويلاً<sup>(٢)</sup> ، والذي يبدو أن أبا حاتم السجستاني قد أغفل العجاج لأن من عادتهم ألا يسلكوا بين المعمرين إلا من بلغ العشرين بعد المائة أو جاوزها ، وبذلك فالعجاج لم يبلغ من العمر ما يسمح له أن يسلك في هذه الطبقة من المعمرين ، ولكنه ربما قارب المائة على كل حال ، فقد ولد في الجاهلية ، وقال أبياتاً فيها ، وقوله أبياتاً من الشعر يعني أنه ربما كان في حوالي العاشرة من عمره على الأقل . وإذا كان قد توفي أيام الوليد بن عبد الملك ، فالوليد كانت فترة خلافته بين ( ٨٦ - ٩٦ هـ ) ، وقد مدحه العجاج ورحل اليه ، ولنفرض أنه توفي في السنوات الأولى من خلافة الوليد ، فهذا يعني أنه توفي ما بين ( ٨٦ - ٩٠ هـ ) على الأقل ، وهذا يشير الى أنه عاش بين ( ٩٠ - ١٠٠ ) سنة ، وبذلك نجده قد عمّر طويلاً ، وهو ينظم أراجيزه المطولة .

وفي رجز العجاج دليل واضح على أنه كان من المعمرين ، ولم يكن في اطار السبعين أو الثمانين حين واقته النية ، ذلك لأننا لانكاد نجد له رجزاً

(١) شرح شواهد المغني ١٨ . وذكر الجاحظ ان العجاج ولد في الجاهلية ، انظر كتاب العثمانية ١٢٥ .  
(٢) كتاب المعمرين ٧٩ .

قاله أيام شبابه ، فديوانه فيه من الأراجيز ما يمكن أن يُحدّد له تاريخ لارتباطه بأحداث معينة ، وفيه من الأراجيز ما يختص بالحديث عن مفاهيم ، أو مفاهيم العجاج نفسه ، أو الحديث عن أوصاف الصحراء وما فيها من مشاهد وألوان ، وهذا الرجز لا نجد وسيلة الى تحديد زمنه ، ولكنه ان كانت من نظم الشباب ، كان لابد أن يظهر فيه بعض معالم الشباب نفسه ، في حين لا يبدو من خلاله إلا وجه العجاج المسن ، وهو يتجسّر على أيام شبابه ، ويندب ما يلاقيه من هرم وضعف وتقدم في السن مفرط ، وفي هذا ما يشير الى أن الأراجيز لم تنظم في مرحلة الشباب أو الكهولة ، وإنما نظمت في فترة متأخرة من حياته .

وأقدم ما نعيد له من شعر سياسي يرجع الى ولاية مروان بن الحكم على المدينة واليامة لمعاوية بن أبي سفيان ، وخلافة معاوية بدأت سنة (٤١هـ) وانتهت سنة (٥٦هـ) ، أي أن هذا الشعر الذي نظمته في هذه الفترة كان شعراً ناشئاً من حيث اللغة والأساليب ، وإذا كان العجاج في البداية قد تسمّى أسلوب الأغلب العجلي في تقصيد الرجز ، أو أنه طور هذا الفن تطوراً خاصاً به ، فإن ذلك على الوجهين لا يتم له إلا بعد فترة من النظم والتطوير ، إذ لا شك أنه قد أنفق زمناً قبل أن يبلغ بالأرجوزة هذا المستوى الفني الذي جعل منها صنواً لقصيدة الشعراء . وبذلك لا نجد حرجاً إذا ما قلنا ان رجز العجاج قد فُقدتْ منه طائفة مهمة كان نظمها أيام شبابه ، ومن ثم لا نجد بداً من القول ان العجاج كان من المعمرين ، وأنه ربما قارب المائة من السنين . وقد رأينا أن العجاج من قبائل تميم ، وكانت منازل تميم بأرض نجد امتدت الى اليامة والبصرة وجانب من أرض الكوفة (١) ، وأما موطن العجاج

(١) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ١٦١ .

بالذات ، فالذي يبدو أنه كان في حَجَر حاضرة اليامة ، إذ نجد الأصمهباني يقول : « أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن روبة قال : لا ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة ، بعث بي الحجاج مع أبي لثاعة ، فاستقبلنا الشال حتى صرنا بياب الفارديس ، قال : وكان يخرجونا في عام غضب ، وكنت أصلي الغداة وأجيتي من الكعماة ماشئت ، ثم لم لأجوز إلا قليلاً حتى أرى خيراً منها فارمياً وأخذ الآخر ، حتى نزلنا بعض المياه ، فأعدي لنا حِمْلٌ مَخْرُوجٌ (١) ووطب (٢) وَلَبَنٌ غَلِيظٌ وزبدة كانوا رأس نعجة حوشية ، فقطعنا الحِمْلَ آراباً وكدرنا (٣) عليه اللبن والزبدة حتى اذا بلغ اناء انتشلنا اللحم بغير خبز ، ثم شربنا من مرقه شربة لم نزل ذفر ياي ترشجان حتى رجعنا الى حجر .. » (٤) .

فالعجاج وروبة قد وفدا على الوليد بن عبد الملك حين ولي الخلافة سنة (٨٦هـ) ، ثم رجعا الى « حَجَر » ، فهي اذن المكان الذي كانا فيه يقيناً ، ومنه قدما واليه قد رجعا ، وحجر هي قاعدة اليامة وأم قراها ، وبها يتزل الوالي ، وهي بمنزلة البصرة والكوفة ، لكل قوم منها خطّة ، إلا أن العدد فيها لبني حنيفة (٥) .

وما يؤكد إقامة العجاج باليامة ما أورده التبريزي في اختصار العجاج مع زوجه الدهناء بنت مسجل ، إذ نقل عن أبي عبيدة أن الدهناء قد خاصته الى « والي اليامة ، فكان أبرها بعينها على ذلك ، فقال له أهل اليامة :

(١) الخرفج : السمين . والخرفجة : سعة العيش ، وحسن الغداء .

(٢) الوطب : سقاء اللبن .

(٣) كدر الماء : صَبَّه .

(٤) الأغاني ٥٩/٢١ ، وورد أيضاً في الاغانى ١٨/١٢٣ ، وتاريخ

ابن عساکر ٣٩٥/٧ .

(٥) معجم البلدان ٢/٢٢١ . (بيروت) ، وانظر ٤٤٢/٥ .

أما تستحي أن تطلب العيب لابنتك»<sup>(١)</sup>.

ولعل ما كان يوثق صلة العجاج باليامة أن عبد الملك بن مروان كلف قد أقطعه قرية القَصْبِيَّة ، قال ياقوت : « وقَصْبِيَّةُ العجاج أظنها من نواحي اليامة أقطعه إياها عبد الملك »<sup>(٢)</sup> ، وقال الكوري : « والقصبية قرية بها منازل بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم »<sup>(٣)</sup> ، وقال الحميداني في حديثه عن ديار بني تميم : « والقَصْبِيَّةُ ومَرَأَةُ قُرَيْتَانِ لبني امرئ القيس من تميم »<sup>(٤)</sup>.

الآن أن العجاج ربما أقام فترة من حياته في البصرة ، أو قتلُ ربما كان يتردد على البصرة فيقيم فيها فترة بعد أخرى ، ثم يعود إلى قريته القصيبة ، أو إلى حجر قاعدة اليامة ، ولذلك كان يوصف بأنه من أعراب البصرة<sup>(٥)</sup> ، ونقل الأصفهاني بسنده عن المدائني قال : « قدم البصرة راجعاً من أهل المدينة فجلس إلى حلقة فيها الشعراء فقال : أنا أرجز العرب ، وأنا الذي أقول :

مروان يعطي وسعيد ينسج مروان نَسَجٌ وسعيد خروَجٌ  
وددت أني راميت من أحب في الرجز يبدأ ، والله لأنا أرجز من العجاج ،  
فليت البصرة جمعت بيني وبينه ، قال : والعجاج وابنه رؤبة معه حاضراً .  
فأقبل رؤبة على أبيه فقال : قد أنشفتك الرجل . فأقبل عليه العجاج ، فقال :  
ها أنذا العجاج فلم ، وزحف إليه ، فقال : وأي العجاجين أنت ؟ قال :  
ما خلكت تعني غيري ، أنا عبد الله الطويل ، وكان يكنى بذلك ، فقال له

(١) كنز الحفاظ ٣٤٧ ، وهذا النص أورده الصريشي في شرح المقامات ٢٩١/٢ .

(٢) معجم البلدان ١٢٦/٤ .

(٣) معجم ما استمعج ١٠٧٨/٣ .

(٤) صفة جزيرة العرب ١٨١ .

(٥) المقاصد الحوية ٢٧/١ ، وقرائن القلائد ٥ .

المدني : ما عنيتك ولا أردتك إفعال : وكيف وقد هتفت بي؟ قال : أوّماً في الدنيا عجاج سواك . قال : ما علمت ! قال : أعلم وإياه عنيت . قال : فهذا ابني رؤبة ! فقال : اللهم غفر ما بيني وبينكم عمل ، وإنما مرادي غيرك . فضحك أهل الحلقة وكفا عنه »<sup>(١)</sup>.

فالعجاج إذن كان يقيم في البصرة بعض الأحيان ، حتى أن ابن قتيبة نقل عن العجاج أنه قال : « قال لي أبو هريرة : من أنت ؟ فقلت : من أهل العراق »<sup>(٢)</sup> . الآن أن العجاج ما كان ليقم بالبصرة أو باليامة دون رحلة أو أسفار ، إذ أن حب الأسفار قد تأصل في نفسه ، يدل على ذلك ما تجده في أرجزيه من حب للرجل وصباية تنعكس في أحاديثه عن جلده « مسحول » وما يلاقيه من حزن وألم في انتظاره للرجل والسفر<sup>(٣)</sup> :

أُنْدِجُ مَسْحُولٌ مَعَ الصَّبَارِ مَلَالَةَ الْمَأْسُورِ لِلْإِسَارِ  
يُغْنِيهِ جَمِيعَ اللَّيْلِ بِاتِّزْقَارِ وَعَبْرَاتِ الشَّوْقِ بِالْإِدْرَارِ  
نَظَارِ أَنْ أُرَكِّبَهُ نَظَارِ وَلَوْ يَقْرَهُ كَلْتَ ذَا قَرَارِ  
صَبَابَةٍ فِي أَثَرِ السَّفَارِ

فالعجاج قد تعاطف مع بعيده ، وجعل الشوق إلى الأسفار ، لا يهيج في قلبه وحده ، وإنما يهيج أيضاً في قلب بعيده ، حتى غدا يفتي ليله بالزفريات والعبرات . وفي أرجوزة أخرى يحدثنا عن بعيده بوضوح ، فزاده قد ملّ دمشق مع صاحبه ، وغدا يطالعه البشير حين تحول من عمق دمشق وما فيه من خمة وذباب ، إلى طريق نجد وما يلوح فيه من برق سهيل<sup>(٤)</sup> :

(١) الأغاني ٦٠/٢١ ، و ١٢٤/١٨ - ١٢٥ .

(٢) الشعر والشعراء ٥٧٢ .

(٣) الأرجوزة ١/٤ - ٧ .

(٤) الأرجوزة ١/٣ - ٩ .

أَصْبَحَ مَسْنُولٌ يُؤَاوِي شِقَا  
وَبَادِيَاتٍ مِنْ ذَابِ زُرْقَا  
يَتَنَبَّأُ رَحْلِي وَالشَّيْلَ نَتَقَا  
يَتَفَضُّ عَنْ عَنَتْرَا وَبَقَا  
أَقُولُ إِذْ أُنْجِدَ مِنْ دَمْعَا  
حِينَ رَمَى بِحَاجِيَتِهِ الشَّرْقَا  
وَأَشْتَفَ مِنْ غَوْسِ سَيْلٍ بَرَقَا  
بِأَيْشَرَتَا أَنْ كَانَ هَذَا حَقَا

واذن كان العجاج يرحل الى العراق والشام ، ولكننا لا نقوى على تحديد رحلاته بدقة ، اذ لا نجد من أخبار هذه الرحلات الا ذلك الخبر الذي أوردنا منه قسماً من قبل ، وهو يشير الى رحلة العجاج مع ولده رؤبة الى الوليد ابن عبد الملك حين ولي الخلافة ، وبعض المصادر تزعم أن هذه الرحلة كانت الى سليمان بن عبد الملك<sup>(١)</sup> ، وهذا باطل لأن العجاج لم يبق الى خلافة سليمان ( ٩٦ هـ ) ، وانما توفي أيام الوليد بن عبد الملك .

وقد خبر آخر يشير الى رحلة للعجاج ورؤبة الى سليمان بن عبد الملك أيضاً ورد في تاريخ ابن عساكر ، وفيه أن رؤبة قال : « خرجت مع أبي أريد سليمان بن عبد الملك ، فلما صرنا ببعض الطريق ، قال لي : أبوك راجز ، وجدك راجز ، وأنت مقعم . قلت : أأقول ؟ قال : نعم . قلت :

كَمْ قَدَّ حَسَرْنَا مِنْ عِلَاتِ عَنَّسٍ

ثم أنشدته إياها فقال : اسكت فض الله فاك . فلما انتهينا الى سليمان ، قال له : ما قلت ؟ فأنشده أرجوزتي<sup>(٢)</sup> .

ويمكن أن يصدق هذا الخبر ان كان رؤبة وأبوه قد قصدا سليمان قبل

خلافته ، الا أن آيات الأرجوزة تشير الى أن المدح هو الخليفة بالذات ، اذ يقول فيها<sup>(٣)</sup> :

حَتَّى احْتَضَرْنَا بَعْدَ سَيَرٍ حَدَسٍ      إِمَامَ رَغْسٍ فِي نَصَابٍ رَغْسٍ  
مَلِكُهُ اللَّهُ بِغَيْثٍ نَحْسٍ      خَلِيفَةُ سَاسٍ بِغَيْثٍ قَحْسٍ

فالأرجوزة قيلت في مدح الامام أو الخليفة ، وهذا الامام هو الوليد ابن عبد الملك خلافاً لما أوردته ابن عساكر والسيوطي ، يدل على ذلك ما نقله المزياني في ترجمة العجاج اذ قال : « حدثني علي بن يحيى قال حدثنا محمد ابن العباس عن التوزي عن أبي عبيدة عن الهقي ، وأخبرني عبد الله بن يحيى العسكري قال حدثني أحمد بن بشر المروني عن أبي سعيد النخوي عن التوزي عن الأصمعي أن العجاج دخل على الوليد بن عبد الملك فأنشد :

كَمْ قَدَّ حَسَرْنَا مِنْ عِلَاتِ عَنَّسٍ

فصار الى قوله :

يَنْ ابْنَ مِرْوَانَ قَرِيعَ الْإِنْسِ      وَابْنَةَ عَبَّاسٍ قَرِيعَ عَسِ  
فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، أَتَشَدِّي غَيْرَ هَذَا .. »<sup>(٤)</sup> .

وهذا يؤيد أن تكون الأرجوزة في مدح الوليد بن عبد الملك ، لا أخيه سليمان ، ولا سيما أن العجاج لم يبق الى خلافة سليمان وانما توفي أيام خلافة الوليد .

ومن هنا لا نجد من أخبار رحلات العجاج الا رحلة أو أكثر الى الوليد بن عبد الملك ، غير أن لنا أن نتوقع له رحلات أخرى لانعرف لها

(١) الأرجوزة ٤٣/٢٥ - ٢٨ .

(٢) اللوشع ٢١٥ . والوليد وسليمان ولدا عبد الملك بن مروان من زوجته ولادة العيسمية .

(١) صيون الاخبار لابن قتيبة ١١٦/٢ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٣٦٥/٧ . وشرح شواهد المغني ٣٢٣ .

أخباراً ، إذ لا يمكن للعجاج أن يرسل رجزه مكتوباً إلى المدح وهو الذي يقدمه الخلفاء على الشعراء ، ويأذنون له بالدخول عليهم قبل جرير ومن إليه <sup>(١)</sup> ، وقد رأيناه يمدح مروان بن الحكم أيام كان والياً لمعاوية على المدينة واليامة ، ثم يمدح مصعب بن الزبير أيام كان والياً على العراق لأخيه عبدالله ، ثم يمدح الحجاج بن يوسف الثقفي أيام كان والياً على العراق لعبد الملك بن مروان ، ثم يمدح عبد الملك ويثالث منه قرية القصية ، ثم يمدح عدداً آخر من أمراء الأمويين ، ولا نظن للعجاج قد وجه هذه المدائح كلها إلى مدحيه وهو مقیم باليامة أو بالبصرة ، وإنما لنا أن نتوقع أنه كان يرحل إلى مدحيه في البصرة وواسط ودمشق يمدحهم ويثالث عطاءهم ثم يعود إلى اليامة ، ولهذا نجد بعض الأخبار التي تشير إلى عودة العجاج إلى اليامة بعد أن كان في العراق أو في الشام ، ومن ذلك ما نقله ابن منظور فقال : « خرج العجاج يريد اليامة ، فاستقبله جرير بن الحطيف فقال : أين تريد ؟ قال : أريد اليامة . قال : نجد بها نبيذاً خضرياً . أي كثيرًا <sup>(٢)</sup> » .

ويبدو أن رحلات العجاج لم تقتصر على العراق والشام وإنما كانت تنجبه أحياناً إلى الحجاز ، ففي حديث العجاج ورويته أبا هريرة قوله : « وودت المدينة فأثبتت أبا هريرة <sup>(٣)</sup> » . وفي رجزه ما يفيد أنه كان في مكة حين جابه خيال ثكنتي وخيال ثكنتم <sup>(٤)</sup> :

طَافَ الْخِيَالَانِ فَجَاحًا سَقَمًا خَالَ ثُكْنَتِي وَخِيَالُ ثُكْنَتِمَا  
بَانَ يَجُوسَانِ وَقَدْ تَجَرَّمَا لَيْلُ التَّمَارِ غَيْرَ عِنَاكَ أَدْعَمَا

(١) انظر الاغانى ١٢٢/١٨ و ٥٩/٢١ ، وتاريخ ابن عسك ٣٩٥/٧ .

(٢) اللسان ، مادة (خضرم) .

(٣) انظر شرح الأرجوزة ١٦/٢١ ، والمعقد الفريد ١٣٩/٦ ، وسوف نعرض لهذا الحديث في بحثنا القادم من عقيدة العجاج .

(٤) الأرجوزة ١/٢١ - ٨ .

بِالْخَيْفِ مِنْ مَكَّةَ ثَالِثًا ثَوَمًا فَارْتَقَا عِيَا وَسَعْنَا سَهْمًا  
أَسْرَوْا وَأَسْرَيْنَ هَزِيْعًا ثُمَّ مَا عَرَسَنَ إِلَّا مَا يَحُلُّ الْقَسَمَا  
ولا ندرى إذا كانت رحلته إلى الحجاز طلباً لمديح بعض الأمراء هناك ، أم أنها كانت نسكاً وتعبداً ، ولكن راجح بني سعد لا يبعد أن يقصد الأمرين معاً ، ولعله في بعض رحلاته إلى الحجاز كان يمدح والي المدينة وذلك لامتداد سلطانه على ولاية اليامة أيضاً ، ولا يبعد أن يكون في هذه الرحلات قد انصل ببعض أمراء الأمويين ومحبهم .

فالعجاج قد رحل إلى العراق والشام والحجاز ، وليس في أيدينا أي دليل على رحلته إلى غير هذه الامصار ، إلا أننا لا نتوقع أن يرتحل إلى غيرها ، ذلك لأنها هي البيئات المناسبة للشعر في القرن الهجري الأول . وأما البيئات الأخرى فلم تكن قد أصبحت بعد من البيئات التي تجذب إليها الشعراء . وبهذا أمكن لنا أن نقف إلى حد ما على أمرين من نشأة العجاج ، الأول متى نشأ ، والثاني أين نشأ ، وفيه أمر ثالث لا يقل أهمية عما سبق ، وهو القول في نشأة العجاج كيف كانت ، وكيف تدرجت حتى استقام له الشباب ثم الرجولة ، ولكن هذا الجانب غامض كل الغموض في حياة العجاج شأن أكثر شعراء أدبنا القديم ، ذلك لأن الأخبار التي تنقل عن هؤلاء الشعراء ، غالباً ما تغفل هذا الجانب المهم من حياتهم ، وإذا أردنا معرفة شيء عن طفولة العجاج لم نجد وسيلة لذلك ، ولكننا يمكن أن نقدر أن هذا الطفل الأعراي قد نشأ في أحضان بادية نجد ، على مقربة من اليامة أو في اليامة نفسها ، وكانت نشأته في بيت رجا كان أهلًا للفصاحة ، حتى أمكن له أن يخرج عبد الله بن ربيعة العجاج أقصع أعراي في عصره ، والعباس بن ربيعة وهو علامة نسابة <sup>(١)</sup> ، ثم كان شبابه لا يختلف عن شباب غيره

(١) البيان والتبيين ٣٥٦/١ .



من اعراب نجد كما سرى في حديثنا عن اخلاقه وصفاته .

والذي يبدو أن العجاج كان على صلة بأكثر الأحداث في عصره ، وبأكثر الأمراء والحلفاء الذين عاصروهم بعد انتقال الحكم الى بني أمية ، وإذا كان قد وpled نفسه مدرسة في الرجز عرفت به وبابنه رؤبة ، فقد كان على صلة وثيقة بشعره عصره وخاصة طبقة الرجاز .

فإن قتيبة نقل خبراً طريفاً عن الأصمعي عن رؤبة بن العجاج ، فيه أن الكذاب الحرمازي الرابح<sup>(١)</sup> اتى العجاج يطلب حاجة فقص عليه طائفة من كذبه ، ثم قال له العجاج : ما حاجتك ؟ قال : كذا وكذا ، فقضاه له<sup>(٢)</sup> .

ونقل ابن قتيبة أيضاً في ترجمة أبي نخيلة الراجز الأسدي<sup>(٣)</sup> ، قوله : « وكان يهاجي العجاج ، فلما تنافرا في شعرهما حضرمها الصيان ، فذهب انسان يطردهم ، فقال العجاج : دعم فانه يغلبون ويبلغون »<sup>(٤)</sup> .

وكان للعجاج لقاء مع أبي النجم العجلي ، ومن أخبار هذا اللقاء ما نقله صاحب الاغانى فقال : « خرج العجاج مُتَحَفِّلاً<sup>(٥)</sup> عليه مِجْبَةٌ خَزْ وعامة خَزْ على ناقه له قد اجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون فانشدهم قوله :

قَدْ جَبَّرَ الدِّينَ الْإِلَاحُ جَبَّيْرُ

فذكر فيها ربيعة وهجاء ، فجاء رجل من بكر بن وائل الى أبي النجم

(١) هو عبد الله بن الغيور ، وقيل له الكذاب لكذبه . انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٦٦٥ - ٦٦٦ والمؤلف ١٧٠ .

(٢) الشعر والشعراء ٦٦٥ .

(٣) انظر ترجمته في الشعراء ٥٨٣ - ٥٨٤ ، والمؤلف ١٩٣ - ١٩٤ .

(٤) الشعر ٥٨٣ .

(٥) متحفلاً : متزيناً .

وهو في بيته فقال له : انت جالس ، وهذا العجاج هجوتاً بالمربد ، قد اجتمع عليه الناس !! قال : صف لي حاله وزينه الذي هو فيه ، فوصف له . فقال : أبغني جلاً طحناً قد أكثر عليه الهناء ، فجاء بالجل الىه . فأخذ سراويل له فجعل احدى رجليه فيها واتزرد بالأخرى وركب الجمل ودفع خطاه من الى يوقده ، فانطلق حتى أتى المربد . فلما دنا من العجاج ، قال : اخلع خطاهم ، فخلعه ، وأنشد :

تَذَكَّرَ الْقَلْبُ وَجْهًا مَذَكَّرُ

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسديا به ورحله بالقطران ، حتى اذا بلغ الى قوله :

سَيْطَانُهُ أَنْتَى وَسَيْطَانِي ذَكَّرُ

تعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه<sup>(١)</sup> .

وبذلك كان العجاج من يسهم في حياة المربد الأدبية ، فيشده بعض رجزه ، أو يستمع الى ماجرى فيه من نقاض ومهاجاة بين فحول القريض ، ومن ذلك ما نقله صاحب الاغانى عن النابغة الجعدي ، فقال : « وهاجي أوس بن مغيرة بحضرة الأخطل والعجاج وكعب بن جعيل ، فقلبه أوس ، وكان مُتَغَلِّباً<sup>(٢)</sup> » ، وقال أيضاً عن النابغة الجعدي وأوس بن مغيرة : « قال أبو زيد : فحدثني الدائني أنها اجتمعا في المربد فتنازعا وتهاجيا ، وحضرهما العجاج والأخطل وكعب بن جعيل ، فقال أوس :

لَمَآ رَأَتْ جَعْدَةً مِنْهُ وَرَدَا<sup>(٣)</sup> وَلَوْ أَنْعَامًا فِي الْبِلَادِ رُمِدَا<sup>(٤)</sup> »

(١) الاغانى ١٥٣/١٠ (دار الكتب) ، ونقله ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٥٨٤ - ٥٨٥ مع اختلاف يسير في الرواية .

(٢) الاغانى ٨/٥ (دار الكتب) ، وشاعر مُتَغَلِّبٌ : كثير ما يغلب .

(٣) الوردة : الجيش ، والوردة : أيضاً : الاشراف على الماء .

(٤) النعام الربد : ما كان لونه سواداً مختلطاً .

إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ مَعَدَّةً<sup>(١)</sup> كَالِهَاتٍ وَرُكُنَّهَا الْأَشْدُّ

فقال العجاج :

كُلُّهُ أَمْرِي يَبْعُدُونِي بِمَا اسْتَعْدَا<sup>(٢)</sup>

فالعجاج اذن شارك في حياة المريد ، وكان من شعرائه منشداً أو مستمعاً ، ولكنه لم يشارك جديداً في لعبة التفاضل التي كانت تشتد يوماً بعد يوم على أيدي الفرزدق وجريز ، لأن طبع العجاج قد صدّف عن هجاء الناس والتبذير منهم سواء كان ذلك عن جد أو عن هزل .

وبذلك نجد العجاج قد نشأ أعزياً في اليمامة ، وامتدت به الحياة الى الشطر الأكبر من القرن الهجري الاول ، ولكننا نجهل ظروف حياته وأطوارها شأن أكثر شعراء أدبنا القديم ، اذ لا نكاد نلم بأخبار يسيرة عن حياته الأدبية في مريد البصرة ، أو مديح بعض الخلفاء والولاة والأمراء والقادة ، وكذلك الأمر في عقيدة العجاج وأخلاقه وشخصيته ، فاذا ما أردنا بحث هذه الجوانب من حياته لم نجد الا أخباراً جد يسيرة ، ولكننا هنا يمكن أن نلوذ بأراجيزه ، ذلك لأنه لم يضن بشيء من وصف أخلاقه وعقيدته ، بل ان أراجيزه لا تخلو من الإشارة أحياناً الى ثقافة العجاج وبعض اتجاهاته العقلية والنفسية .

## ٢ - عقيدته

لا شك أن الأب لؤيس شيخو قد غالى في كتابه « شعراء النصرانية » و « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » ، وكذلك في أكثر مقالاته

(١) اراد معد بن عدنان واليه ينتسب اوس بن مفرأه ، وبه يفخر على النسيابة .

(٢) اسفاني دار الكتب ١٣/٥ .

التي نشرها في مجلة « المشرق » ، وذلك لأنه كاد يسلك في النصرانية كل شعراء الجاهلية دون تمييز بين النصراني منهم أو اليهودي أو المثلث أو الحنفي ، وكثيراً ما كانت تخدعه بعض الألفاظ في أشعارهم دون أن يدقق فيها ورامها من المعاني ، فيخذه منها لنفسه حججاً وأكثرها عليه حجة ، وقد تحدثنا عن هذا الجانب في دراستنا لأمية بن أبي الصلت .

الا أن ما يستغوب حقاً من الأب لؤيس شيخو أن يسلك في النصرانية شاعراً اسلامياً كالعجاج ، لاشيء اللهم الا لوجود رواية لأحد ابياته يمكن أن تفسر بمعنى « الانجيل أو القربان » . فقد قال الأب شيخو : « ما كنا لنجسر أن ننظم العجاج في سلك شعراء النصرانية لولا كلمة وردت في شعره تدل على أنه دان بالنصرانية ، وان يكن بعد ذلك عدل الى الاسلام . وهذه الكلمة هي مطلع قصيدته الرائية الشهيرة حيث قال :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَى الشَّيْبَرَ

فشرح البعض لفظة ( الشبر ) بمعنى الخير والعطية ، أي الحمد لله موزع الخيرات والعطايا . الا أن لفظة معنى آخر قديماً ورد في شعر عدي بن زيد الشاعر النصراني الشهير حيث يصف أمانته نحو التعان ( شعراء النصرانية ص ٤٥٢ ) :

لم أخنه والذي أعطى الشبر

فورد هناك شرح الكلمة « بالانجيل والقربان » وكذلك قال ابن السكيت في اصلاح المطلق ( في الطبعة المصرية ص ١٦٩ ) : وقيل في الشبر هاهنا انه القربان . فعدي اذ أقسم بالشبر أراد أجمل ماله النصراني في دينهم وهو القربان . وقد زاد العجاج على قول عدي اذ خص الحمد له في مقدمة قصيدته وبراعة استهلاله بمجدة الله للشبر ، فلا يريد أي عطية كانت بل أكبر هبات

الله التي هي عند النصاري الانجيل والقربان» (١).

وهذا المعنى الأخير لكلمة الشبر كان عند الأب شيخو يكفي لتصوير العجاج ، ولهذا قال بعد ذلك : « قترى من هذه الشروح أن العجاج وعدي ابن زيد ضربا على وتر واحد وأن كليهما يدين بالنصرانية » (٢). إلا أنه مالم أن أدرك أن هذه الكلمة بالذات ليس في اختلاف في شرحها فصب ، وإنما تختلف روايتها أيضاً في بيت العجاج ، فقال : « هذا ولا نجعل أن الرواة رويوا كلمة العجاج » بالحبس أو بالحبس . وكلاهما بعيد أو تصحيف ، فالحبس الأثر أو السور ، أما الحبس على فعل أو الحبس على فعل بللفظ الجمع فلا ذكر لها في المعاجم ، مالم يُعَلَّ أن الحبس جمع خيرة أي المختار ، ولا شك في أن العجاج نظر الى قول عدي السابق ذكره ، ولا سيما أن أقدم رواية وهي « الشبر » راقية الى الخليل في القرن الثاني للهجرة » (٣).

وبهذا يجد الأب لويس شيخو أن الحجة قد قامت له ، وأن العجاج قد أصبح فعلاً بالنصرانية ، ولكن هذه الحجة جدّ واهية من أساسها ، لأن كلمة واحدة لا تكفي لإقامة الدليل على عقيدة الرجل ، ذلك لأنها ان كانت فعلاً بالرواية التي أوردتها الأب شيخو ، وبالمعنى نفسه الذي اختاردها ، فهي لاتعدوا أن تكون من آثار ثقافة العجاج وتقليده للشاعر جاهلي هو عدي ابن زيد ، ولا تدل بذلك إلا على مجرد تأثره ونقله هذا المعنى عن سواه من الشعراء ، ولسوف نرى في دراستنا لمعانيه كثيراً من نظائره هذا التقليد في المعاني ، ولسوف نقف كذلك على عدد من المعاني التي كانت بمنزلة المأخذ

(١) مجلة المشرق ٢٣/ ٤٤١ - ٤٤١ .  
(٢) مجلة المشرق ٢٣/ ٤٤١ .  
(٣) مجلة المشرق ٢٣/ ٤٤١ .

على العجاج ، لأنه لم يمثّل فيها ذلك الواقع الجديد للحضارة العربية بعد الاسلام ، وإنما بقي يستمد بعض معانيه من أعماق الحياة الجاهلية أحياناً .

ثم ان وجود رواية أخرى للبيت تُسقط الاحتجاج به ، وإذا كان الأب شيخو قد ردّ رواية البيت « الشبر » الى الخليل بن أحمد في القرن المجري الثاني ، فهو لم يجد مصدر هذه الرواية ، وعدم تحديد هذا المصدر مضعف لاستشهاده بها ، ولنفرض جدلاً أنه اعتمد في ذلك على بعض كتب اللغة ، فهذه الكتب لاتدقق أحياناً في الرواية لأنها تروي البيت مستقلاً عن قصيدته ، في حين نجد الأصمعيّ وهو من رجال القرن الثاني أيضاً لايشير مطلقاً الى هذه الرواية في شرحه لديوان العجاج ، وإنما يروي البيت على هذا النحو :

فالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَى الْحَبْرَ

ويقول في شرحه : « الحبس : السور ، ويقال : هو في حبس من العيش أي في مسرة من العيش . والحبس : السور ... يقول : الحمد لله الذي أعطى هذا العهد ، يقول : أتبعوا أثر نبئهم وذبح تشبيه الخوارج » (١). فالأصمعي يجعل معنى البيت مرتبطاً بسائر أبيات الأرجوزة ، إذ أت معنى السور يمكن أن يرتبط بالقضاء على الخوارج ، فإذا قُصِيَ على الخوارج كان ذلك مدعاة حبور وسرور لدى الناس في اليامة وذلك لما عاونه من ظلم الخوارج وعسفهم وتسلطهم على رقاب الناس وأموالهم . وهذا يردّ ما زعمه الأب لويس شيخو من أن هذه الرواية فيها بعد أو تصحيف ، ولا سيما أنها هي الرواية الوحيدة التي أوردتها الأصمعي في ديوان العجاج وشرّحها ، ولم يشّر الى أية رواية أخرى .

وإذا كان البيت رواية أخرى في بعض كتب اللغة ، وهي رواية

(١) شرح الأرجوزة ٣/ ١ .

« الشَّيْبَرُ » ، فهذه الكتب أشارت الى معنى القربان مدفوعة بما ورد في بيت عدي بن زيد النصراني ، وأشارت الى أن المعنى هو مجرد « الشَّيْبَرُ أو العظية » ، وأكثرها لم يشر في هذه الرواية الا الى المعنى الأخير فقط (١) . وما دام هناك أكثر من شرح واحد لرواية « الشَّيْبَر » ، فهذا يكفي لاسقاط الاحتجاج حتى بهذه الرواية نفسها ، اذ لا يجوز الاحتجاج بأحد هذين الشرحين دون الآخر .

ومها يكن فوجود كلمة واحدة لا يكفي لتحديد عقيدة العجاج مع وجود مئات من الألفاظ والمعاني الاسلامية في رجزه ، وقد شعر بهذا الأب لوبس شيخو ، فقال : « ولنا لتقصد بقولنا هذا أن نصرانية العجاج كانت خالصة لا غبار عليها ، فكما ترى هنا أثر النصرانية (٢) » ، نجد أيضاً في شعره آثاراً اسلامية (٣) . ثم أئند بعض الأمثلة من المعاني الاسلامية في رجزه . وفي قوله الأخير مغالطة علمية ليست من المنطق في شيء ، اذ يجعل كلمة واحدة دليلاً على نصرانية الرجل ، ثم يجعل الآثار الاسلامية الكثيرة في رجزه ، والمتغلغة في أعماق نفسه ، شبه بالغبار على نصرانيته تلك ، ثم زاد مغالطة حين قال : « فمن هذه الأمثلة بلوح للقراء ماصار اليه شعر الرجز في عهد بني أمية ، اذ بلغ الغاية من التامة والتبسط ، وكان للعجاج في ذلك السهم النائر ، وعلى أثره جرى ابنه رؤبة من بعده ، وعاش الى زمن دولة بني العباس ، ولا تعرف من نصرانيته شيئاً كما ظهر من شعر والده ، ولعله

(١) انظر اصلاح المنطق لابن السكيت ١١٠ ، وتهذيب اصلاح المنطق للبربري ١٦٩/١ وأمالى القالي ١٣٤/١ ، وجمهرة اللغة ٥٧/١ ، والصحاح ٦٢١/٢ و ٦٩٢ ، ومجالس ثعلب ٥٢٣ ، والمخصص ٨٠/١٥ ، واللسان والتاج (شبر) .

(٢) يزيد في كلمة ( الشَّيْبَر ) .

(٣) مجلة المشرق ٤٤٢/٢٣ .

لم يثبت على دينه أو جمع بينه وبين الدين المحمدي كما وقع لغيره من نصارى عهد الاسلام الأول الذين لم يستقروا على رأي فتقلّبوا على حسب أحوال الزمان والله أعلم » (١) .

وهذا كلام كله مغالطة لا تعتمد على أدلة من العلم أو المنطق ، وإنما تعتمد على أوامهم كانت تحيا في بخلة الأب البسوسي ، وتحمله حملاً على المغالاة والخروج عن الأساليب العلمية في أمثال هذه الابحاث ، اذ أن رؤبة بن العجاج لا يحال أبداً للشك في عقيدته الاسلامية الخالصة من كل شائبة ، والعجاج لا يمكن بحال أن تناقش مسألة عقيدته لولاما اصطنعة الأب شيخو من أوامهم أيضاً ، وما ابتناه من برهان لا يقم على أساس علمي في الاحتجاج ، حين جعل كل الحجة تركزت حول بعض المعاني لاحدى روايات بيت واحد من رجز العجاج ، ثم اغفل مابين أيدينا من أخبار وأراجيز تشير بكل وضوح الى أن الاسلام كان من الأركان الأساسية في تكوين شخصية العجاج وبعض خصائص رجزه .

فاذا نظرنا الى راجزنا العجاج لم نجد فيه الا تقبلاً وعباً ، قد أنشأ الاسلام بين جوارحه ، وهذه خير تهذيب ، حتى كانت برما بما يقوله على عادة الشعراء من التسبب والغزل ، بل كان يجشى أن يكون ذلك ما حرمه الاسلام ، فقد ورد في شرح ديوانه : « حدثنا أبو حاتم قال : حدثنا أبو عبيدة حدثنا رؤبة بن العجاج عن أبيه قال : وردت المدينة فأقبت أبا هريرة ، فقلت : يا صاحب رسول الله ، اني رجل أقول من هذا الرجز شيئاً ، فهل ترى فيه حرجاً ، قال : أصمعي بعض ما قلت . قال : فأئندته :

طافَ الصَّيْلانِ فهاجَباً سَقَمًا خيالٌ تَكْنَى وخيالٌ تَكْسَمًا

(١) مجلة المشرق ٤٤٨/٢٣ .

قَامَتْ ثَرْيُكَ رَهْبَةً أَنْ تَصْرَمَا سَاقًا يَخْنَدَاةً وَكَعْبًا أَدْرَمَا  
فَقَالَ : قَدْ كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشُدُّ مِثْلَ هَذَا  
فَلَا تَرَى بَأْسًا<sup>(١)</sup>.

وَلَا يَخَافُ الْحَرْجَ وَالْإِثْمَ فِي أَمْثَالِ هَذَا الْغُزْلِ ، إِلَّا إِنْسَانٌ قَتَى وَرَعَ  
قَدْ آمَنَ بِالْإِسْلَامِ قَلْبًا وَنَفْسًا وَلِسَانًا ، وَإِذَا كَانَ قَدْ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنْ أَبْيَاتِهِ  
فِي الْغُزْلِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا رَاحَ يَسْأَلُهُ عَمَّا يَقُولُهُ أَيْضًا فِي  
مَوْضِعِ الْوَعْظِ ، وَقَدْ تَقَلَّلَ الْأَصْفَاءُ فِي شَيْئٍ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ : « أَخْبِرْنِي عَنِ  
اللَّهِ بَنَ أَبِي دَاوُدَ الْجِسْتَانِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَادٍ قَالَ حَدَّثَنَا  
يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزُّهْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ  
رُوْبَةَ بْنِ الْعِجَاجِ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أَنْشَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ<sup>(٢)</sup> :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَعَلَّيْتُ بِأَمْرِهِ السَّيِّئَةَ وَاسْتَقَلَّتْ  
بِإِذْنِهِ الْأَرْضُ وَمَا تَغَيَّتْ أَرَسَى عَلَيْهَا بِالْجِبَالِ الثَّبَتِ  
الْبَاعِثِ النَّاسَ لِيَوْمِ الْعُرْوَةِ

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ تَوْفَنَ يَوْمَ الْحِسَابِ<sup>(٣)</sup> .

وَلَا شَكَّ أَنَّ لِقَاءَهُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ قَدْ جَعَلَهُ يَحْتَمِلُ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ عَنْهُ ،  
وَفِي الْأَخْبَارِ السَّابِقَةِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَرَوَاتِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَشْهُورَةٌ  
قَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا السُّوْطِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ<sup>(٤)</sup> ، وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : « وَكَانَ لِقَى أَبَا  
هُرَيْرَةَ وَسَمِعَ مِنْهُ أَحَادِيثَ . قَالَ الْعِجَاجُ : قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟

(١) الأرجوزة ١٦/٢١ ، وانظر الأغانبي ٥٨/٢١ ، والعقد الفريد  
١٣٩/٦ ، واللسان (بغند) ، و (درم) .  
(٢) الأرجوزة ١٢/٢٢ - ٣ - ٨٤٥ .  
(٣) الأغانبي ٥٨/٢١ ، وأشار البغدادي إلى هذا الحديث في الخوابة  
٥٠٩/٣١ ( بولاق ) .  
(٤) تاريخ ابن عساکر ٣٩٤/٧ ، وشرح شواهد المفني ١٨ .

قُلْتُ : مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ . قَالَ : يَوْشَكَ أَنْ تَأْتِيكَ بُقْعَانُ الشَّامِ فَيَأْخُذُوا  
صَدَقَتَكَ ، فَإِذَا أَنْوَكَ فَلَغَتْهُمْ بِهَا ، فَإِذَا دَخَلُوهَا فَكُنْ فِي أَقْصَايَا وَخَلْ عَنْهُمْ  
وَعَنَّا ، وَابَاكَ وَأَنْ تَسْبِيَهُمْ ، فَإِنَّكَ أَنْ سَبَيْتَهُمْ ذَهَبَ أَجْرُكَ وَأَخَذُوا صَدَقَتَكَ ،  
وَأَنْ صَبَرْتَ جَاءَتْكَ فِي مِيزَانِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup> .

وَلَا رَيْبَ أَنَّ لِقَاءَهُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ يَنْبَغِي عَنْ إِسْلَامِ حَقٍّ ، لَا يَدْخُلُهُ  
شَكٌّ ، وَلَا يَصْدَعُهُ رِيَاءٌ ، وَلِهَذَا كَثُرَتْ الْمَعَانِي الْإِسْلَامِيَّةُ فِي رِجْزِهِ ، كَالْحَدِيثِ  
عَنِ الْمَلَائِكَةِ الْمُؤَكِّلِينَ بِأَصْحَابِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِذَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ خَوْفًا مِنْهُمْ ،  
وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَبَانَ قَاسِمًا عَلَى جَهْلِهِ النَّاسَ مِنْ رِيَاصَتِهِ عَدَاةً أَوْ حَسَدًا<sup>(٢)</sup> :

تَكَلَّمَ لَوْ لَا أَنْ تَحْسَنَ الطَّبِيعُ فِي الْجَنِيمِ حِينَ لَا مُسْتَصْرَحُ  
فِي دُخَانِ النَّارِ وَقَدْ تَسَلَّخُوا لَعَلِمَ الْجِبَالُ أَيْنِي مِفْتَخُ  
لِهَامِيمٍ أَرْضُهُ وَأَنْفَخَ أَمَّ الصَّدَى عَنِ الصَّدَى وَأَصْمَحُ  
فَالطَّبِيعُ أَرَادَ بِهِمْ مَلَائِكَةَ الْعَذَابِ الْمُؤَكِّلِينَ بِنَارِ جَهَنَّمَ<sup>(٣)</sup> ، وَقَدْ تَنَاوَلَ  
هَذِهِ الْفِكْرَةَ مِنْ زَاوِيَةِ إِسْلَامِيَّةٍ خَالِصَةٍ ، وَمِثْلَهَا أَحَادِيثُهُ الْكَثِيرَةُ عَنِ الْإِيمَانِ  
وَالْكَفْرِ وَالْغُفْرَانِ .

فَالْخَارِجُ قَدْ خَرَجُوا عَلَى دِينِ اللَّهِ ، وَكَفَرُوا فَهَزُّوا وَقَتِلُوا بِكَفَرِهِمْ  
وَضَلَالَتِهِمْ<sup>(٤)</sup> :

وَأَخْتَارَ فِي الدِّينِ الْحَرُورِيِّ الْبَطَرُ وَأَنْزَلَ الْحَقَّ وَأَوْدَى مِنْ كَفَرٍ  
وَالَّذِينَ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِيِّ طَبْعًا ، فَالْعِجَاجُ يَكْثُرُ مِنْ ذِكْرِهِ وَلَا سِيَا

(١) الشعر والشعراء ٥٧٢ - ٥٧٣ .

(٢) الأرجوزة ١٤١/٦ - ٦ .

(٣) انظر مقاييس اللغة ٧٢٧/٣ ، والصحاح ٤٢٦/١ ، واللسان  
( حشيش ) و ( طبخ ) .

(٤) الأرجوزة ٣٤١/٣٥ - ٣٥ .

في حديثه عن الحوارج وأصحاب ابن الأشعث ، من خرجوا على سلطان الدولة  
أهل الأمويين وابن الزبير .

والعجاج دائم الدعاء الى الله تعالى ، يطلب منه الرزق في الدنيا ،  
والغفران في الآخرة (١) :

يَا رَبِّ رَبِّ الْبَيْتِ وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ كُلِّ سَهْبٍ سَمَلَقِ  
إِيَّاكَ أَدْعُرُ فَتَقْبَلْ مَلَقِي فَتَغْفِرَ خَطِيئَاتِي وَسَمِّرْ وَرَقِي  
فَالْجَلْ مَوْمِنُ أَشَدَّ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وهذا الإيمان  
إنما ينبع من الإسلام نفسه لآمن دين سواء ، ذلك لأنه في رجزه أيضاً قد  
حدد لنا طبيعة هذا الإيمان العميق ، فقد هلى لرسالة محمد صلى الله عليه  
وسلم ، اذ دعا الى دين الله وما زال حتى أظهر الله هذا الدين به ، وغفر  
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (٢) :

فَاوْتِنِي مُحَمَّدٌ مَذُنٌ أَنْ غَفَرَ لِي الْإِلَهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ  
أَنْ أَظْهَرَ الدِّينَ بِهِ حَتَّى تَظْهَرَ

وهو لا يقتصر على هذه المعاني الإسلامية العامة ، وإنما يستمد من القرآن  
الكريم بعض المعاني بألفاظها وعباراتها أحياناً ، وهذا لا يسيء إلا من آمن  
بكتاب الله أشد إيمان ، حتى كان في وسعه أن يستمد من ألفاظه ومعانيه .  
فاذا تحدث عن قتلى أعدائه جعلهم يتنازرون هنا وهناك كأعجاز غخل  
مُعْرِق (٣) :

كَأَنَّهُمْ مِنْ زَاهِقٍ وَمُزْهَقٍ بَيْنَ الزَّانِقِ وَعَطْفِ الْأَبْرِقِ  
أَعْجَازٌ تَخْلُ بِالتَّزْوِيرِ مُعْرِقٍ

(١) الأرجوزة ١/١ - ٤ .

(٢) الأرجوزة ١/١ - ١٦ .

(٣) الأرجوزة ١/١ - ٢٧ .

ثم عاد الى هذه الصورة مرة أخرى في حديثه عن قتلى أعدائه ،  
فقال (١) :

كَأَنَّهُمْ مِنْ هَالِكٍ مُطَارٍ وَرَامِقٍ يَجْرُسُ بِالصَّبَاحِ  
وَعَائِسٍ تَقَادُ بِالْوَسَّاحِ أَعْجَازٌ تَخْلُ بِالتَّزْوِيرِ ضَاحِ  
ولا نكاد نشك أن هذه الصورة قد استمدتها العجاج من القرآن الكريم ،  
اذ وردت في الحديث عن هلاك قبيلة عاد ، فجاء في سورة القمر : « انا  
أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز  
نخل منقعر » (٢) ، وفي سورة الحاقة : « وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر  
عاتية ، سخرها عليهم سبع ليل ولثانية أيام حسوماً ، فترى القوم فيها صرعى  
كأنهم أعجاز نخل خاوية » (٣) .

واذا تحدث العجاج عن الثور واشرافه على الفجر ، قال (٤) .  
حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهُ تَنَفَّسًا غَدَاً بِالْعُلَى سَحَرٍ وَأَجْرَسَا  
غَدَاً يُبَارِي خُرُوجاً وَأَسْتَأْنَسَا كَالْكُوكَبِ الدَّرِيِّ يَعْلمُو الْأَوْغَسَا  
وَتَنَفَّسُ الصُّبْحُ أُنَى بِهِ مِنْ الْآبَةِ : « وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ » (٥) ،  
وتشبيه الثور بالكوكب الذي لعله أتى من أعجاب العجاج بتلك الصورة  
الرائعة في قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة  
ففيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري .. » (٦) .

(١) الأرجوزة ٣/٣٧ - ٣٣ .

(٢) سورة القمر ١٩/٥٤ - ٢٠ .

(٣) سورة الحاقة ٧/٦٩ - ٨ .

(٤) الأرجوزة ١١/٤٦ - ٤٩ .

(٥) سورة التكوين ١٩/٨١ .

(٦) سورة النور ٣٦/٢٤ .

وإذا تحدثت عن أخلاقه ذات الطابع الاسلامي الخالص ، أعقبها بقوله (١) :  
« عَلَّ الْإِلَٰهَ الْبَاطِلَ الْإِتْقَالَ يُعْقِبُنِي مِنْ جَبْتِهِ تَطْلُلَا  
وَعَبًا يُسَاقِطُ الْأَهْدَالَ »

وصورة الجثة بظلالها وقطوفها الدانية ، صورة اسلامية وردت في مواضع  
كثيرة من القرآن ، الا أن قوله « الباطل الاقنالا » نقل حرفي لقوله  
تعالى : « وأخرجت الأرض أثقالها » (٢) ، أي مافيا من كنوز أو موتى ،  
وذلك يوم القيامة .

فالعلاج ينقل عن القرآن المعاني والألفاظ والعبارات ، ويتأثر بالاسلوب  
كذلك ، ومن أبرز هذه الصور التي تأثر فيها بأسلوب القرآن ، قوله مثلاً (٣) :  
« عَاصِمٌ مَاعَاصِمٌ لَوِ اعْتَصِمَ »

وكان العلاج بعدد هذا البيت ويسمي مافيه من التجنيس بـ«عطف  
الرجز» ، قال ابن رشيقي : « ولم تكن القدماء تعرف هذا اللفظ ، أعني  
التجنيس ، يدلك على ذلك ما حكي عن رؤبة بن العجاج وأبيه ، وذلك أنه  
قال له يوماً : أنا أشعر منك . قال : وكيف تكون أشعر مني ، وأنا  
علمتك عطف الرجز ؟ قال : وما عطف الرجز ؟ قال : ( البيت ) .. » (٤) .

وعطف الرجز هذا لم يأت به العجاج من إبداعه ، وإنما تأثر فيه بأسلوب  
القرآن ، إذ نجد من أساليب القرآن التكرار في بعض الآيات ، ليعظم من  
سألهما ويجعل لها وقعاً في النفوس قوياً ، ولتأثير الأسماع والأفهام سريعاً ، ومن  
ذلك ما جاء في سورة الطارق : « والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق » النجم

- (١) الأرجوزة ١٤/١٤ - ١٦ .
- (٢) سورة الزلزلة ٩٩/٢ .
- (٣) الأرجوزة ٢٣/٣٩ .
- (٤) المعتمد ١/٢٢٧ .

الثاقب ، ان « كلُّ نفسٍ لَمَّا عليها حافظ » (١) ، وفي سورة القارعة :  
« القارعة ، ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » (٢) ،  
وفي سورة الحاقة : « الحاقة ، ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة ، كذبت  
ثود وعاد بالقرعة » (٣) .

فالعلاج قد أخذ بهذا الأسلوب وسماه بعطف الرجز ، ومن ثم فقد تأثر  
بالقرآن أسلوباً وألفاظاً ، واستمد منه كثيراً من العبارات والمعاني ، وهذا  
كله يجعل من أغرب العجب أن ينظر إليه الأب لويس شيخو على أنه نصرافي  
بمجرد وجود رواية لأحد أبنائه يمكن أن تُفسر بالقرآن أو الإنجيل ! ولكن  
قاتل الله التعصب ، فكثيراً ما يغرب بصاحبه ، ويزن باطن الرأي صواباً ،  
ويخرج بالحق الى الهوى ، وما هذا من أساليب العلم في شيء ! فالعلاج  
كان مؤمناً بعقيدة الاسلام ، وهذا الايمان قد حدّد أكثر اتجاهاته الأخلاقية ،  
وكان من العناصر البارزة في تحديد شخصيته وأخلاقه .

#### ٤ - شخصية العلاج

ونود الآن أن نرسم صورة لشخصية العلاج بما تطوّر عليه من أخلاقه  
وصفاته وثقافته ، ولنا أن نعرف منذ البدء ، أن وسائلنا الى دراسة هذا  
الجانب الهام شبه قاصرة بعد ضياع أكثر أخباره ، وليس لنا الا أن نعتمد في  
أكثر هذا البحث على رجز العجاج نفسه ، وهذا قد يهين لنا معرفة بعض  
الجوانب الأخلاقية من خلال حديث العلاج عن نفسه ، ولكنه لا يكفي اذا  
أردنا المنهج العلمي الصحيح ، إذ ينبغي أن نقارن بين ما قاله هو عن نفسه ،

- (١) سورة الطارق ٨٦/١ - ٤ .
- (٢) سورة القارعة ١٠١/١ - ٤ .
- (٣) سورة الحاقة ٦٩/١ - ٤ .

وما قاله الناس عنه ، ومع ذلك فأننا لا نبعد عن الصواب إذا قلنا ان هذه المعاني التي تحدث فيها العجاج عن نفسه ، قد تكررت بكثرة في أراجيزه ، مما يشير الى أنها أقرب ماتكون الى الصواب في تصوير حياته وأخلاقه وشخصيته .

وأول ما يلاحظنا في شخصية العجاج أنه رجل أعراي نشأ كما رأينا في البلمة من بادية نجد ، ثم أقام فترة أو فترات بالبصرة ، ولذلك كان يوصف بأنه من أعراب البصرة<sup>(١)</sup> . وهذا الجانب الأعراي من شخصيته قد برز واضحاً في ألفاظه الغربية ومعانيه الجافية أحياناً ، أمثال قوله<sup>(٢)</sup> :

يارب! لا أدري وأنت الداري

وقد أخذ عليه اسناد الدرية لله تعالى لما في الدرية من معنى القتل والحيلة ، واعتبر هذا الاسناد من جفاء الأعراي ، لأن العجاج ، وهو أعراي ، لا يعلم بدقة ما يطلّق على الله من الصفات وما يجوز منها وما يجتنع<sup>(٣)</sup> .

وأمثال هذا كثير في رجزه ولسوف نفرّد له بحثاً خاصاً ، ولكنه يشير الآن الى جفاء هذا الأعراي واتصاله الوثيق بحياة الصحراء ، حتى أنه إذا أراد أن يتحدث عن قوة ابنه رؤبة وفاته وإكثاله لم يجد أفضل من ان يشبهه بالبرذون المشدود بالإكاف<sup>(٤)</sup> :

حَسَىٰ إِذَا مَا أَحْزَ ۚ أَعْرَافُ كَالْكُرْدِ ۚ الْمَشْدُودِ ۚ بِالْإِكَافِ  
فَقَالَ الَّذِي جَمَعَتْ لِي صَوَافِ

(١) المقاصد النحوية ٢٧/١ ، وفرائد القلائد ٥٠ .

(٢) الأرجوزة ٢٥/٤ .

(٣) انظر المخصص ٢١/٣ ، والمفردات في غريب القرآن ١٦٩ ،

وتفسير البحر المحيط ١٦٤/٧ .

(٤) الأرجوزة ٦٠/٨ - ٦٢ . والإكاف : البرذمة .

وهذا الأعراي قد تذبذب بالإسلام أحسن تذبذب ، وانطبع بالمدرسة التجديدية العنصرية أجل انطباع ولكنه إن تحدث عن شبابه الماضي أورد شيئاً عن شغف النساء به ، حتى أنهن لينظرن اليه من خلال الحدود اعجاباً به وميلاً اليه<sup>(١)</sup> :

إِذَا تَرْتَمَيْ مِنْ تَحْلَلِ الْغُدُورِ بِأَعْيُنٍ مُحَوَّرَاتٍ حُورِ  
خُزْنٍ بِالْبَابِ إِلَى صُورِ إِذَا نَحْنُ فِي ضَلَابَةِ التَّسْكِينِ  
بَل رَجَا حَدَثًا عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ سَفَا الشَّبَابِ ، قَبْلَ أَنْ يَنْهَاهُ الْحُمُ وَالذِّينُ  
الْحَنِيفُ عَنْ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup> :

فَإِنْ يَكُنْ نَاهِي الصَّبَا مِنْ سَنِي وَالْعِلْمُ بَعْدَ السَّفَا الْمُسْتَنِي  
وَعِلْمٌ وَعَدَّ اللَّهُ غَيْرَ الظَّنِّ فَقَدْ أَرَانِي وَلَقَدْ أَرْنِي  
بِالْفَنِّ مِنْ تَسْجِ الصَّبَا وَالْقَبْنِ غُرّاً كَأَرَامِ الصَّرِيمِ الْغُنِّ  
وربما أشار الى شيء من اللهو والجنون ، ولكنه لا يصرح بهذه الكلمات ، وإنما يورد ذلك عن طريق الكتابة والغموض المتعمد ، وإذا جئنا تسمي جنتين في هو كأنه الشجر المتلف الكيف في ظلمته والباسه<sup>(٣)</sup> :

وَقَدْ يَسَامِي جَنَّتَيْنِ جَنِّي فِي غَيْطَلَاتٍ مِنْ دُجَا الدَّجْنِ  
ويلخص تلك الفترة من شبابه بعبارة لا تخلو من حرقة ولوعة ، اذ يرى أن تلك الفترة قد كانت زمناً تمتع به وكأنه سكران قد أخذت به نشوة الصنع والدين<sup>(٤)</sup> :

(١) الأرجوزة ١٢/١٩ - ١٥ .

(٢) الأرجوزة ١٧/١٦ - ٢٢ .

(٣) الأرجوزة ١٦ - ٢٧/٢٧ .

(٤) الأرجوزة ١٦ - ٣٣/٣٥ .



مَلَاوَةً مُلْتَمِثًا كَأَنِّي ضَارِبٌ صَنِيعِي نَشْوَةً مُعْنً  
بَيْنَ حِفَافَتَيْ قَرَقَنْبٍ وَدَنٍّ

وقد يشير الى تعلقه بامرأة أيام شبابه ، ولكنه في أحاديث الشباب كلها لا يشير الى مجون سافر كالذي كان عند طرفة بن العبد في الجاهلية ، أو شعراء الجبان في عصره ، وإنما يتحدث عنهم حديثاً عاماً ، وإذا ما أورد طرفاً من حديث المجون جاء به غامضاً أو مستتراً وراء صور مختلفة من الكناية ، وهو في هذا كله لا يريد أن يتحدث عن غزله ومجونه ، وإنما يريد أن يغفر بنفسه أيام كان في أبرد الشباب ، ولذلك نجد بلعاً على بعض المعاني التقليدية عند الشعراء ، فالنساء شغوفات به ، ينظرن اليه من خلل الحُدُور ، وهو يحدثن بمنطق لو سمعته حبات الجبال جاءت اليه ، ولو سمعته الوعول لاحتدريت نحوه ، وأغلب الظن أن العجاج لا يقصد وجه الحقيقة تماماً لأن طبيعة الفخر هي التي تدفع غالباً الى أمثال هذا الحديث ، ومما يكن فحديث العجاج عن الشباب لا يصرح بالمجون السافر ، ولا يقصّ أخباراً مع هذه أو تلك ، ولنا أن نتوقع منه ذلك لما عرفنا في طباعه من حق الأيمان ، وأصالة العقّة ، والبعد عن الريبة .

فخصية العجاج لما تبرز من خلال هذه الأخلاق التي طبعت على الحيرة ، وابتعدت كل البعد عن الشر والافساد بين الناس ، فهو امرؤ ذو عقّة لا يبتغي من جاراته سوءاً ، ولا يشتم الناس ، ولا يسير في ثيمة ، ولا يجتنبه عمل فيه عيب ، أو خلق فيه سوء <sup>(١)</sup> :

أَنِّي أَمْرُؤٌ عَن جَارَتِي كَتَمْتُ عَنِ الْأَذَى إِنَّ الْأَذَى مَغْلَبِي  
وَعَن تَبَعِي مَرَّهَا غَنِي عَفَّ فَلَا لَصٍ وَلَا مَلْصِي

(١) الأرجوزة ٢٥ / ٣٨ - ٥٠ .

بَرَزَ وَذُو الْعَقَاةِ الْبَرَزِي  
لِمَا قَضَى اللَّهُ وَلَا قَضِي وَلَا مَحَ الْمَاشِي وَلَا مَشِي  
يَكْمِزُهَا وَذَلِكَ طَرَأَنِي لَا يَطْبِئِنِي الْعَمَلُ الْمُقْدِي  
وَلَا مِنَ الْأَخْلَاقِ دَغْمَرِي وَجَارَةُ الْبَيْتِ لَهَا حُجْرِي  
وَمَعْرَمَاتٌ هَتَكُنَّ بِجُرِي

وهذه المعاني الأخلاقية قد أكثر العجاج من ترديدها ، فهو دائماً يصون حرمة جاراته ، ويبعد بنفسه عن الفحش والخنا ، ولا يُقدِّم على ما حرم الله عليه <sup>(١)</sup> :

يَارِبُ إِذْ شَدَدَتْ نِيَّيَ عَقَالَا  
إِنْ كُنْتُ قَدْ غَيَّرْتُ حَالِي حَالَا  
فَلَمْ أَكُنْ أَسْتَنْطِقُ الْعَذَالَا  
وَلَمْ أَكُنْ لِجَارَتِي غَوَالَا  
وَلَمْ أَكُنْ أَخَادِعُ الضَّلَالَا  
وَلَا لِبَيْتِ جَارَتِي خَتَالَا  
تَبَعِيًّا مَا لَيْسَ لِي حَلَالَا  
يُعْقِبُنِي مِنْ جَنَّةٍ تَطْلَالَا

وقد يُشبّه الصابِرَ التَّوَالَا

فهو انسان مؤمن كل الأيمان بالله ، ولذلك أصبحت تتمثل فيه أخلاق المسلم الحق ، أنه لا يشتم الناس ، بل ربما خصّص فعددا لا يشتم الانسان الكريم المسلم ، ولا يرى من الغش أن يشتم انساناً بريئاً ، ولا أن يعين بذلك أقرب الناس اليه ، ثم يؤكده مرة أخرى أن جاراته حرام عليه كما أراد

(١) الأرجوزة ١٤ / ١ - ١٧ .

الله لها أن تكون ، وفي ذلك تكريم لنفسه لأنه يسعى الى مكارم الأخلاق خائفاً من الله ، راجئاً في نوال ثوابه <sup>(١)</sup> :

لَا أَشْتُمُ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ الْمُسْلِمًا  
وَلَا أَرَى شَتْمَ الْبَرِّ بِمَعْنَمَا  
وَلَا ابْنَ عَمِّي أَنْ أَرَاهُ مُحْرَمًا  
وَجَارَةَ الْبَيْتِ أَرَاهَا مُحْرَمًا  
كَمَا قَضَاهُ اللَّهُ إِلَّا أَنْتَمَا  
مَكَارِمُ السَّعْيِ لِمَنْ تَكْرُمَا  
مَخَافَةَ اللَّهِ وَعِلْمًا أَنْتَمَا  
يَجْزِي الْمُجَازِي عَامِلًا مَا قَدَّمَا

وفي أرجوزة أخرى يعود الى هذه الفكرة أيضاً ، فهو لا يشتم السعدية من قبيلته ، ولا تبيت جارته بريبة تُقَدِّفُ بها ، ولا تتال منه الهدية وتكرماً <sup>(٢)</sup> :

إِنِّي أَمُرُّ لَا أَشْتُمُ السَّعْدِيَّةَ  
وَلَا تَبَيْتُ جَارَتِي مَلْصِيَّةَ  
إِلَّا مِنْ التَّكْرِيمِ وَالْهَدِيَّةِ

ولهذا تخلّى راجز بني سعد عن هجاء الناس ، وإذا تحم عليه ما يشبه الهجاء ، مال الى التعريض أو ما يشبه أن يكون تعريضاً ، وقد نجد من الغرابة أن العجاج قد لجأ الى ما يشبه النفاق في صلته بأمرأه عصره ، إذ مدح الأميين ، ثم مدح آل الزبير ، فلما عاد الأمر الى بني مروان ، عاد العجاج أيضاً الى مدح بني أمية والليل من آل الزبير ، ولكن هذا النفاق أو الصانعة كان ظاهرة طبيعية في تلك الفترة ، ذلك لأن تقلب الأحداث السياسية بسرعة ، والصراع العنيف بين الطامعين الى الحكم والسلطان ولا سباً في العراق ، قد جعل أمثال العجاج يرهبون أن تدور الدائرة عليهم ، أو على قومهم ، في ظروف لم تكن لها سابقة في تاريخ القبائل ، ولهذا كان

جانب الصانعة لا بد منه في شخصية العجاج ، وخاصة ان تبار الصانعة كان هو السائد لدى شعراء ذلك العصر ، ولم ينبج منه إلا شعراء الحوارج ، فمهم الذين أبوا أن يصانعوا خليفة أو أميراً حتى ولو كان السيف ينظر الى أعناقهم في قبضة الجلال .

فالعجاج اذن قد تأثر بشيء من أخلاق العصر الذي عاش فيه ، ولعله كان على شيء من الفاقة والعوز حتى وجدنا في الأخبار أنه يقترض من ابنته حزمة سبعين درهماً يدفعها للصدوق <sup>(٣)</sup> ، وقد يكون له بعض الابل ، ولكنه على ما يبدو لم يكن صاحب غنى وراء ، ولهذا كان في بعض مديحه يتجه الى التكسب وطلب النوال ، ولكنه في مدائحه كثيرة لا يتعرض للمعاني التكسب مطلقاً ، وكأنه كان خلصاً في هذا المديح ، أو أنه كانت تشغله المعاني السياسية عن التفكير في المعاني الأخرى ، ولا نجده يتعرض للتكسب إلا في المدائح التي قالها لليزيد بن معاوية ، والوليد بن عبد الملك .

ومن هنا نلاحظ أن شخصية العجاج كانت ذات جوانب متعددة ، منها ما كان وليد النشأة الأعرابية والزرية الدينية ، ومنها ما كان وليد البيئة الاجتماعية والسياسية ، ولهذا يمكن القول ان العناصر التي كونت شخصية العجاج كانت كثيرة جداً ، منها بيئته وأسرته وقبيلته من بني سعد ، ومنها رحلاته الى بعض أنحاء الجزيرة وإلى العراق والشام ، ومنها الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عاصرها ، ولكن الحضارة الجديدة في العراق والشام ، لم تغير كثيراً من ثقافته الأعرابية ، ولهذا كان يخطئ التعبير أحياناً عن بعض مظاهر هذه الحضارة التي لا تتصل بحياة الأعراب ، ومن ذلك قوله في وصف بعبده <sup>(٤)</sup> :

(١) اللسان ، مادة (دعثر) .  
(٢) الأرجوزة ١٩/٤٠ - ٥٢ - ٥٧ .

(١) الأرجوزة ٢١/٢١ - ٢٨ .  
(٢) الأرجوزة ١٧/٤٠ - ١٩ .

كَانَ عَيْنِي مِنَ الْغُورِ بَعْدَ الْإِنْسِ وَعَرَقِ الْغُورِ  
فَلَمَّا نِيَّ الْحَدَى صَفَا مَنُورُ أَذْكَ أَمْ حَوَّلَتَا قَارُورِ  
غَيَّرْنَا بِالنَّضْحِ وَالتَّصْيِيرِ صَلَاحِ الْزَيْتِ إِلَى الشُّطُورِ  
فَبَشَّ عَيْنِي بِعَبْرَةِ بَقَارُورَتَيْنِ تَرْشَحَانِ الزَّيْتِ ، وَبِذَلِكَ ظَنُّ أَنْ الزَّجَاجِ  
يُرْسِحُ كَالْفَخَّارِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى أَخَذَهُ عَلَيْهِ عِدَدٌ مِنَ النَّقَادِ ، أَمْثَلُ ابْنِ قَتِيبَةَ<sup>(١)</sup> ،  
وَإِبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ<sup>(٢)</sup> ، وَأَبُو هَالِلٍ الْعَسْكَرِيُّ<sup>(٣)</sup> .

وهذا يعني أن ثقافته كانت تنحصر في الحياة التي تمكن منها في بيئة الصحراء النجدية ، حيث أخذ الفصاحة من قومه أو بيئته أو بيئة نجد ، حتى قال الجاحظ أنه : « أَرَجَزُ النَّاسِ وَأَفْصَحُهُمْ »<sup>(٤)</sup> ، وهذه الفصاحة قد انتقلت منه إلى ابنه حتى قال ابن سلام : « قُلْتُ لِيُوسَ : هَلْ رَأَيْتَ عَرَبِيًّا قَطُّ أَفْصَحَ مِنْ رُؤْيَةٍ ؟ قَالَ : مَا كَانَ مَعَدُّ بَنِ عَدْنَانَ أَفْصَحَ مِنْهُ »<sup>(٥)</sup> ، ونقل صاحب الأغاني بسنده عن محمد بن داود قال : « لَقِيتُ الْحَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ يَوْمًا بِالْبَصْرَةِ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، دَفَعْنَا الشَّعْرَ وَاللُّغَةَ وَالْفَصَاحَةَ الْيَوْمَ ! فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : هَذَا حِينَ انْصَرَفْتُ مِنْ جَنَازَةِ رُؤْيَةٍ »<sup>(٦)</sup> ، وفصاحة رؤْيَةٍ هذه قد اشتهرت عند النقاد حتى أصبح ابن قتيبة إذا تحدث عن الحسن البصري قال : « وَكَانَتْ يَشْبُهُ رُؤْيَةَ بَنِ الْعَجَاجِ فِي فَصَاحَةِ لَهْجَتِهِ وَعَرَبِيَّتِهِ »<sup>(٧)</sup> ، وإذا تحدث الجاحظ عن إبراهيم بن السدي قال : « وَكَانَ

يُكَلِّمُ بِلِسَانِ رُؤْيَةٍ »<sup>(٨)</sup> ، وربما ذهب بعضهم إلى أن رؤْيَةٍ أفصح من أبيه<sup>(٩)</sup> ، إلا أن هذه الفصاحة لم تكن لرؤْيَةٍ إلا اكتساباً من أبيه العجاج ، فالعجاج قد نقل ذلك عن بيته وبيئته ومن ثم أعطاه إلى أبنائه وأحفاده ، فكانت فصاحته من أبرز ما تميزت به شخصيته وثقافته ، وما ذلك إلا لأن هذه الثقافة كانت تتميز بالطابع البدوي الأعرابي ، ولسوف نجد لها آثاراً واضحة في دراستنا لموضوعاته وخصائص رجزه ، ولنا أن نشير هنا إلى بعض مظاهر هذه الثقافة ، إذ نجد العجاج عالماً بأمور الصحراء وما يتصل بها من مستلزمات الحياة ، فهو عالم بالأنواء والرياح ، ومن ذلك قوله<sup>(١٠)</sup> :

سَارَ سَرَى مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ فَجَرَّ عِطَ السَّحَابِ وَالْمَرَابِيعِ الْكَبِيرِ  
وَزَفَرَتْ فِيهِ السَّوَابِقُ وَزَفَرَتْ بَغْرَةَ نَجْمٍ هَاجَ لَيْلًا فَبَغَرَتْ  
فَمَا أَرَادَ أَنْ يَشْبَهُ الْجَيْشِ فِي آيَاتِ سَابِقَةِ الْمَطَرِ ، جَعَلَ هَذَا الْمَطَرُ غَزِيْرًا جَدًّا ، وَجَعَلَ سَجَابَهُ مِنْ أَعْظَمِ السَّجَبِ ، وَلَكِنَّهُ بِنِيقَاتِهِ الْأَعْرَابِيَّةِ أَدْرَكَ أَنْ أَغْزَرَ مَا يَكُونُ الْمَطَرُ ، إِنَّمَا يَأْتِي مِنْ جِهَةِ الْعَيْنِ ، وَهِيَ عَيْنُ قَبْلَةِ الْعِرَاقِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : « مَطَرُنَا بِالْعَيْنِ وَمِنَ الْعَيْنِ » ، إِذَا كَلَفَ السَّحَابُ نَافِثًا مِنْ نَاحِيَةِ قَبْلَةِ الْعِرَاقِ<sup>(١١)</sup> ، وَلِهَذَا جَعَلَ ذَلِكَ الْمَطَرُ يَسْرِي مِنْ جِهَةِ الْعَيْنِ ، ثُمَّ يَجْرِي أَعْظَمُ السَّحَابِ ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ بَلْ جَعَلَ هَذَا السَّحَابَ مِنْ « الْمَرَابِيعِ الْكَبِيرِ » أَيِ مِنَ السَّحَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَكُونُ مَطَرُهُ فِي أَوَّلِ الرَّيِّعِ ، وَذَلِكَ أَغْزَرَ لَهُ وَأَشَدَّ .

- (١) الشعر والشعراء ٥٧٤ .
- (٢) العقد الفريد ٢٠٥/٦ .
- (٣) كتاب الصناعتين ٦٧ .
- (٤) البيان والتبيين ٣٥٦/١ .
- (٥) الأغاني ٥٨/٢١ .
- (٦) الأغاني ١٢٥/١٨ و ٦١/٢١ .
- (٧) كتاب المعارف ٤٤١ ، ومثله في الأغاني ١٢٤/١٨ .
- (٨) البيان والتبيين ٣٣٥/١ .
- (٩) أنظر الموشح ٢١٩ ، ورفض المرزباني أن يكون رؤْيَةٍ أفصح من أبيه العجاج .
- (١٠) الأجزاء ٤٩/١ - ٥٢ .
- (١١) المخصص ١٨٥/١٦ ، وأنظر الأزمعة والأمكنة ٨/٢ ، واللسان (عين) .

وهذا كله إما يستمد العجاج من ثقافته الأعرابية ، التي خبرت أنواء الصحراء وأمطارها ورباحها ، وهو عالم أيضاً بطباع الحيوان في هذه الصحراء ، فإذا تحدث عن الثور الوحشي عرض لأمر في وصفه لا يدركه إلا من رآه بعينه ، فقال (١) :

يَرْكَبُ كُلَّ عَاقِرٍ جُمُودٍ مَخَافَةً وَزَعَلٍ مَحْجُودٍ  
وَالْهَوَلُ مِنْ تَهَوُّلِ الْهَيَّودِ

فالثور يركب الرمل العظيم الذي لا يثبت . ويعصم به خوفاً من الرماة ، ولأن كلاب القاض لا تقدر على ركوب الرمل (٢) ، وهذا من طباع الثور ، ولا يدركه إلا من ألفه في الصحراء . ولكن العجاج ربما ربط بين صورة لهذا الثور وهو يحفر كتله ، وبين صور أخرى لطرائقهم في حفر الآبار ، وذلك في قوله (٣) :

وَشَجَرَ الْهَدَابِ عَنْهُ فَحَفَا بِسَلْسِلَيْنِ فَوْقَ أَنْفِ أَذْلَعَا  
إِذَا انْتَحَى مُعْتَقِمًا أَوْ لَجَا

فالثور يدفع عنه أعضان الشجر بقرنيه الطويلين ، ويحفر كتله مُعْتَقِمًا أَوْ مُلَجِّجًا ، والاعتقَام أن تحفر البئر ، فإذا قَرَّبَتْ من الماء احتفرت في وسطها بئراً صغيرة بقدر ما يجد طعام الماء ، فإن كان عذبا حفرت بقتها (٤) ، والتلجيف حفر في جوانب البئر من أسفل توسعاً دون تعميق (٥) .

وبذلك أمكن ثقافة العجاج أن تمتد بثل هذه الصور عن حياة الصحراء ، بل زادت معرفة بالأمراض والأدواء التي لا بد منها في حياة الأعراب ، فإذا وصف المعركة بين الثور والكلاب قال (١) :

وَبَجَّ كُلَّ عَانِدٍ تَعَوَّرَ أَجْوَفَ ذِي نَوَارَةٍ تَتَوَّرِ  
قَضَبَ الطَّبِيبِ نَائِطَ الْمَصْفُورِ

فالثور يطعن منها كل عريق تَعَوَّرَ بالدم ، فيقطعه قطع الطبيب لذلك العرق المعروف بالنائط والمتمد في الصلْب ، وذلك معالجة للصغار وهو اجتاع الماء في البطن (٢) .

وإذا وصف المعركة مع الجوارح ، وتحدث عما أصابهم من قتل وجراحات ، قال (٣) :

ضَرْبًا إِذَا صَابَ الْيَافِخُ احْتَفَرَّ فِي الْبَاسِ دُحْلَانًا يَفْرَسُنَ الشَّعْرَ  
بَيْنَ الطَّرَاقِينِ وَيَقْلِينِ الشَّعْرَ عَنْ قُلُوبِ ضُجْمٍ تَتَوَّرِي مِنْ سَبَرِ

فالجراحات تشبه الآبار الضجْم ، أي المائلة ، وهذه الجراحات لفسادها تورتي من سبها ، أي من قاسها أو روتت جوفه داء يسمى «التورتي» (٤) ، وهو داء في الجوف ، وقيل : هو قرح شديد يقاء منه القيح والدم (٥) .  
وهذه مجرد أمثلة لبعض الجوانب من ثقافة العجاج الأعرابية ، وسوف نجد ظواهر أخرى كثيرة من هذه الجوانب في أمثالتنا القادمة ، إذ أن هذه

(١) الأرجوزة ٨٦/١٩ - ٨٨ .

(٢) انظر المعاني الكبير ٧٤٩/٢ ، والانتصاب ٣٢٠ ، وتحصيل عين الذهب ١٨٥/١ ، والخزانة ١٠٢/٣ .

(٣) الأرجوزة ٥٢/٤٤ - ٥٤ .

(٤) الصحاح ١٩٨٩/٥ ، واللسان (عق) .

(٥) الصحاح ١٤٢٥/٤ ، والاساس ٣٣٢/٢ ، واللسان (لجف) .

(١) الأرجوزة ١٤٩/١٩ - ١٥١ .

(٢) انظر أدب الكاتب ١٥٢ ، وشرح أدب الكاتب ٢٢٦ ، والصحاح ١١٦٦/٣ ، واللسان ( صفر ) .

(٣) الأرجوزة ١١٩/١ - ١٢٢ .

(٤) المعاني الكبير ٩٨٥/٢ - ٩٨٦ ، والصحاح ٢٥٢٢/٦ .

(٥) اللسان ، مادة ( وري ) .

الثقافة الأعرابية قد تأثرت بروافد أخرى منها سياسية واجتماعية وفكرية سوف نرى آثارها في معانيه وموضوعاته ، ومنها دينية اسلامية سوف نجد آثارها في موضوع الوعظ وفي المعاني والألفاظ القرآنية أو الاسلامية التي تطالعنا في أغلب اراجيزه ، وفيه ملاحظة هامة ينبغي أن نشير اليها ، وهي اكثار العجاج من تشبيه الأطلال بالكتابة ، ومن ذلك قوله في وصف الأطلال (١) :

كَأَنَّمَا بَعْدَ الرِّيحِ الْهَجْرُ      وَبَعْدَ هَذَا السَّحَابِ السَّجْمُ  
مِنْ مَرَّ أَعْوَامِ السِّنِّ الْعَوْمُ      مَرَايِجُ النَّفْسِ يَسْخِي مَعْجَمُ (٢)

فشبه آثار الديار بأثر المداد في كتاب معجم .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله في وصف الديار (٣) :

تَنَازَعُ الْأَرْوَاحُ وَالْأَمْطَارُ      أَنْوَاءُهَا وَالْبَارِحُ الطَّيَّارُ  
بِالْجَوِّ إِلَّا أَنْ تَرَى حَيَارًا (٤)      كَمَا يُعِدُّ الْكَاتِبُ الْأَسْطَارَا

فشبه آثار الأطلال بتجديد آثار الكتابة .

وفيها اشارات أخرى في اراجيزه ، ولعل من أوضحها قوله لمروان بن

الحكم (٥) :

فَدَافَقَ وَأَنْ تَدْفَعَ أَدْنَى لِلْكَرَمِ      فِي عَاجِلِ الْأَمْرِ وَأَجَلَسَ لِلظُّلَمِ  
وظَاهِرِ الْإِسْأَالِ وَاسْتَبَّ بِالْقَلَمِ      السَّى ابْنَ حَرْبٍ لَا تَجِدُهُ كَالْبُرْمِ

فهو يدعو أن يكتب الى معاوية بن أبي سفيان في أمر «عاصم» و «حيي» وكانا في سجن مروان بن الحكم .

وهذه الاشارات في رجزه تدعونا الى التساؤل ، أكان العجاج يعرف الكتابة ، أم كان يحسنها قراءة وخطاً ، إلا أن كثرة ترددها في رجزه ، تجعل من المحتمل أن يكون العجاج من كان يقرأ ويكتب ، وإذا صح ذلك ، كانت القراءة مصدراً جديداً من مصادر ثقافته وبناء شخصيته .

فثقافة العجاج كانت بدوية أعرابية ، ولكنها لا تخلو من مؤثرات العصر والبيئات المختلفة التي ارتحل اليها ، وأخلاقه كانت تبعد عن الفحش قولاً وعملاً ، وتصدر عن ايمان عميق بالدين الاسلامي الحنيف ، وبذلك كانت شخصيته تمتاز بمعالم خاصة ، لا بد أن تؤثر في ديوانه وخصائص رجزه .

(١) الارجوزة ١٢/٢٤ - ١٥ .

(٢) النقيش : المداد ، ومراجعه : آثاره . والوحي : الكتاب .

(٣) الارجوزة ٩/٣٤ - ١٢ .

(٤) الجيو : كل بطن واسع مضمّن . والخبر : الاثر .

(٥) الارجوزة ١٤/٢٣ - ١٧ .

نق

عبد الرحمن بن النعمان  
المسلم بن النعمان

## الفصل الثاني

مصادر رجز العجاج

ان تعرف رجز العجاج وخصائصه لابد لنا ، الا بعد توثيق هذا الرجز ، ومن ثم نجد أنفسنا في هذا الفصل والذي يليه ، أمام عدد من الأبحاث الهامة ، اذ ينبغي أن نقف عند ديوان العجاج ، لنرى طريق روايته ، ومدى الثقة بمن رواه ، وما يتصف به شرحه من خصائص ، ومن ثم نحاول أن نلقي نظرة على ما بين أيدينا من رجزه ، لنرى ان كان قد تسربت اليه بعض مظاهر الشك أو الالتحال ، فاذا فرغنا من غربة أراجيزه على هذا النحو ، قمنا بغربة أخرى مهمة جداً نحاول فيها أن نحيط ما استطعنا بالاضطراب في رواية أراجيزه وعزوها أحياناً اليه والى غيره من الرجاز أو الشعراء ، وبذلك نقر ما للعجاج وننفي عنه ما ليس له ، وبهذا يصبح من اليسير أن نحدد خصائص رجزه ، بعد أن وثقناه ، وفصلنا عنه ما دخله من قبل الرواة .

### ١ - ديوان العجاج

ان ديوان العجاج كان معروفاً لدى المصنفين خلال قرون متعاقبة منذ أن وضعه الأصمعي ، اذ نجد اشارات اليه في كتب اللغة والتراجم والأدب منذ القرن الثالث الى القرن الحادي عشر الهجري ، ومن أقدم الاشارات التي وجدناها ماورد في جهرة اللغة لابن دريد ( ٣٢١ هـ ) اذ جاء فيها : « والسبط

واحد الأسباط ، وهم أولاد اسرائيل اثنا عشر سبطاً ، كل سبط قبيلة هكذا فسر في التنزيل والله أعلم . وغلط العجاج أو رؤية فقال - الشعر في أراجيز العجاج يصف ثور وحش : ( الآيات ) » (١) ، وفي العبارة الأخيرة اشارة الى تصنيف أراجيزه في ديوان خاص به ، الا أن هذه العبارة قد تكونت مزيدة على أصل الجمهرة من قبل بعض النساخ .

وفي القرن الرابع نجد اشارة الى ديوان العجاج في الفهرست لابن النديم ( ٣٨٥ هـ ) ، اذ أشار ابن النديم الى أن ديوان العجاج قد عمله كل من الأصمعي وأبي عمرو والشيباني (٢) .

وفي القرن السادس بطالعنا ابن خير الأندلسي ( ٥٧٥ هـ ) بنص جده يمين عن ديوان العجاج ، فيقول : « أراجيز العجاج وابنه رؤية بن العجاج : حدثني بها الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان النفرزي عن خاله أبي محمد غانم ابن وليد الخزومي عن أبي عمر بن خيرون السهمي عن أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد عن أبي علي البغدادي . وحدثني بها أيضاً الشيخ أبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام رحمه الله عن الأستاذ أبي محمد بن السيد النحوي عن أخيه أبي الحسن علي بن محمد عن الأستاذ أبي عبد الله محمد بن يونس الطجاري عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن الأسلمية عن محمد بن أبان بن سيد عن أبي علي البغدادي عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي عن عن أبي عمرو بن العلاء عن رؤية بن العجاج عن أبيه العجاج رحمه الله (٣) » .

وفي القرن السابع نجد اشارة الى الديوان في وفيات الاعيان لابن خلكان ( ٦٨١ هـ ) ، اذ يقول في ترجمة رؤية : « هو وأبوه راجزات

(١) جمهرة اللغة ١/ ٢٨٤ .

(٢) الفهرست ١٥٨ .

(٣) فهرسة ابن خير ٣٩٣ .

مشهوران ، كل منها له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز » (١) ، وهذه العبارة بتأنيدها تجعدها في المقاصد الحوية للامام محمود بن أحمد العيني ( ٨٥٥ هـ ) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ( ١٠٦٧ هـ ) ، مما يدل على أن الديوان كان معروفاً في القرن التاسع والقرن الحادي عشر ، وفي إشارة أخرى وردت لهذا القرن الأخير في خزائن الأدب للبغدادي ( ١٠٩٣ هـ ) إذ يصبح رواية أحد التواهد للعجاج ثم يقول : « كما هو في ديوانه » (٢) .

فديوان العجاج كان معروفاً خلال هذه القرون الطويلة ، وقد حفظ لنا ابن النديم أنه صُفِّت على يد الأصمعي ( ٢١٠ أو ٢١٣ هـ ) ، وأبي عمرو الشيباني ( ٢٠٦ أو ٢١٣ هـ ) ، ولا نعرف شيئاً عن ديوان الشيباني ، إلا هذه الإشارة التي أوردها ابن النديم ، أما ديوان الأصمعي فقد حفظ لنا ابن خنبر سنداً متصلاً لروايته حتى القرن السادس الهجري ، وأهم ما في هذا السند هو اتصاله بأبي علي البغدادي عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن رؤبة بن العجاج عن أبيه العجاج رحمه الله .

وقد حفظت لنا مكتبة « فاطم » في استانبول نسخة من ديوان العجاج ، هي أقدم ما عثرنا عليه من نسخ ، وهي أصل لها جميعاً ، وهذه النسخة لم يجد ناسخها شيئاً عن اسمه أو تاريخ نسخها لها ، ذلك لأنه بدأ بعد رجز العجاج برجز رؤبة ، وبذلك أصبح المكان المعتاد لوضع اسم الناسخ وتاريخ النسخ وما إلى ذلك في آخر رجز رؤبة ، إلا أن الناسخ لم ينجز نقله لديوان رؤبة ، أو أن هذا الديوان قد سقط وضاع من هذه النسخة ، فضاع ما كان يمكن أن يرشدنا بدقة إلى تاريخها واسم ناسخها .

(١) وفيات الأعيان ٦٣/٢ .

(٢) خزائن الأدب ٣٧٩/٤ .

ومع ذلك فدراسة الخط الذي رُسمت به ، تجعل من اليسير إلى حد ما ، أن نجد لها تاريخ على وجه التقريب ، فالحظ مغربي قديم ، يرقى إلى القرن السادس الهجري ، وبذلك فالتاريخ رسمها قريب جداً من تاريخ تدوين كتاب الفهرسة لابن خنبر ، وإذا طالعنا الورقة الأولى من الديوان ، وجدنا فيها : « سفرٌ فيه رجز العجاج عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر التميمي رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي رحمة الله عليه » .

وعنوان النسخة على هذا النحو واضح الدلالة على أنها من عمل الأصمعي ، ويؤكد ذلك أن الأصمعي أو كنيته « أبو سعيد » قد ورد بكثرة تلفت النظر في شرح الأراجيز ، إلا أن هذا العنوان قد أغفل سند الرواية عن الأصمعي ، وهو نقص يمكن أن يعوض جانباً منه بما ورد في النسخة نفسها من عبارات تؤكد أنها من رواية أحد تلامذة أبي حاتم السجستاني عن أبي حاتم عن الأصمعي ، وبذلك تلتقي بالجزء الهام من الأسانيد التي أوردها ابن خنبر في فهرسته .

وهذه العبارات يمكن أن نسلکہا في قسمين : الأول عبارات تفيد أن الرواية منقولة عن الأصمعي نفسه ، وهي أربع ، الأولى في الورقة ( ٣٠ / ب ) وهي : « وأخبرنا الأصمعي » ، والثانية في الورقة ( ٣٧ / ب ) وهي : « زعم الأصمعي » ، والثالثة في الأوراق ( ٥٢ / ب ، ٥٣ / ب ، ٥٦ / آ ) ، وهي : « وأشدنا أبو سعيد » ، والرابعة في الورقة ( ٥٦ / ب ) ، وهي : « وقال أبو عمرو : فشرعنا ، أراد ولد الضبع ، وقال الأصمعي : صف » ، ومن المحتمل أن يكون في العبارة الأخيرة تحريف بزيادة الواو في قوله : « وقال الأصمعي » ، إذ لو حذفته الواو لكانت العبارة تعبيراً من الأصمعي على قول استاذة أبي عمرو .

والقسم الثاني من هذه العبارات فيه ما يؤكد رواية النسخة من قبل أبي حاتم عن الأصمعي وهي ثمان : الأولى في الورقة ( ٢٦ / آ ) وهي : « قال أبو حاتم : سمعت عن الأصمعي : من طول ما نَحْشِمُهَا الْمَهَالِكَا » ، والثانية في الورقة ( ٨٨ / آ ) وهي : « قال أبو حاتم : سمعت من الأصمعي قال : تَسْبِجٌ ، لَيْسَ الْقَمِصُ .. » ، والثالثة في الورقة ( ٩٠ / آ ) وهي : « ويروى : بطن قَوْرَعْرَفَجَا . قال أبو حاتم : أنشدني الأصمعي : بطن قَوْرَعُسْجَا » ، والرابعة في الورقة ( ٩١ / ب ) وهي : « قال أبو حاتم : سألت الأصمعي ، فقال تَنْسَجُ تَوَثَّرَ » ، والخامسة في الورقة ( ٩٢ / ب ) وهي : « قال أبو حاتم : قال الأصمعي : الْمُفْرَجُ الواسعة الفروج » ، والسادسة في الورقة ( ٩٣ / ب ) وهي : « قال أبو حاتم : كانت الأصمعي ينشد : ترى نليله .. » ، والسابعة في الورقة ( ٩٨ / ب ) وهي : « وَيَسَاهُ : أضحكه . والقَدَمُ : مامرٌ من السنين . قال أبو حاتم : سمعت الأصمعي عن خلف الأحمر وَيَسَاكُ قَرْبُكُ » ، وأما أضحكك فعن ابن عباس ، « والثامنة في الورقة ( ١١٣ / آ ) وهي : « قال أبو حاتم :

إِنْ تَشْكِرِيَا فَبَيْ نَشْكُرِيَا »

هكذا قرأته على الأصمعي » .

فهذه العبارات تؤكد رواية النسخة من قبل أبي حاتم عن الأصمعي ، وفي المصاد ما يشير أيضاً إلى قراءة أبي حاتم رجز العجاج ، أو بعض رجزه على الأصمعي ، ففي المزمع : « وقال أبو حاتم أيضاً : قرأت على الأصمعي رجز العجاج حتى وصلت إلى قوله : جاباً ترى بلبته مسججاً »<sup>(١)</sup> ، وفي المضاف : « قال أبو حاتم : قرأت على الأصمعي في حبيمة العجاج : جاباً

(١) المزمع ٢/ ٣٧٥ .

ترى بلبته مسججاً »<sup>(٢)</sup> .

فمن الثابت أن أبا حاتم هو الذي روى نسخة الديوان التي بين أيدينا عن أستاذه الأصمعي ، وإذا كانت أسانيد ابن خيوط تجعل أبا بكر بن دريد هو الذي نقل رواية الديوان عن أبي حاتم ، ففي جملة اللغة ما يؤكد ذلك ، إذ نجد ابن دريد يسأل أبا حاتم عن رجز العجاج في مسائل أوجز الأصمعي في شرحها ، ومن ذلك قول العجاج حسب رواية الجهمرة<sup>(٣)</sup> :

يَحْوِزُهُمْ وَلَهُ حَسَوِزِي كَمَا يَحْوِزُ الْفَيْتَةَ الْكَمِيَّةُ

قال ابن دريد : « ويروى ( حوذي ، كما يحوز ) ، وسألت أبا حاتم عن قوله ( وله حوذي ) ، قال حاز من قلبه مزيج »<sup>(٤)</sup> . ولم ينطرق الأصمعي إلى شرح ذلك في البيت ، بل اكتفى بقوله : « ويحوز : يسوق ويطرده » .

ويبدو أن ابن دريد قد أنقل على أستاذه في هذه الأسئلة ، يدل على ذلك قوله : « قال أبو عبيدة وقد روى بيت العجاج »<sup>(٥)</sup> :

وَحَسَى لَهَا الْقَتْلَ تَنَسَّعَتْ وَشَدَّهَا بِالْأَسْبَاتِ الثَّبِيتِ  
( وأوحى لها ) أيضاً . قال أبو بكر : سألت أبا حاتم عن هذا فصح ، فقال : لا تزال تسألني عما أكره »<sup>(٦)</sup> ، ثم شرح أبو حاتم لتلميذه ابن دريد قول أبي عبيدة ورأه في شرح الروايتين ، ذلك لأن الأصمعي قد أورد الروايتين ولكنه أوجز في شرحه ، ولم يوضح الفارق بينهما .

فابن دريد كان حريصاً على تفهم رجز العجاج من أستاذه ، ولكنه كما

(١) الخصائص ١/ ٣٦٦ ، ومثله في نزهة الألباء ٢٥٤ .

(٢) الأروحة ٢٥/ ١٧٨ ، ١٨٠ .

(٣) جهمرة اللغة ١/ ١٥١ .

(٤) الأروحة ٢٢/ ٤ - ٥ .

(٥) جهمرة اللغة ٢/ ١٩٨ .



سنرى لم يضاف الى شرح الاصمعي الا أشياء بسيرة نقلها هو عن أبي حاتم ، أو أضافها أبو حاتم نفسه ، وهي لاتعدو عدة مواضع معددة لدينا معروفة ، وذلك لأنه قدم قبلها ما يشير الى اضافتها .

ويبدو لنا أن رجز العجاج قد رواه عن الاصمعي بعض تلامذته غير أبي حاتم السجستاني ، وينبغي هنا ألا نعتبر سند ابن خنير هو السند الوحيد لرواية ديوان العجاج عن الاصمعي ، اذ كان الاصمعي يقرئ هذا الديوان لتلامذته ، وليس في أيدينا من الأدلة على ذلك الا ما أورده ابن جني بسنده عن أبي عبد الله الزبدي قال : « حدثنا الحليل بن أسد النوشجاني قال : قرأت على الاصمعي هذه الأرجوزة :

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً

الى آخر الخبر .. (١) » .

فالاصمعي كان يقرئ رجز العجاج لتلامذته ، واذا كان الحليل بن أسد النوشجاني قد قرأ هذه الأرجوزة على الاصمعي ، فلا شك أن تلامذة آخرين قد قرأوا على الاصمعي ديوان العجاج ككلما مع أبي حاتم السجستاني ، ومنهم مشاهير أمثال عبد الرحمن بن أخي الاصمعي ، وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي ، وأبي إسحق إبراهيم بن سفيان الزبدي .

والذي جعلنا نرجح هذا الاحتمال ، وتبرز أسماء هؤلاء الثلاثة من تلامذة الاصمعي ، أمران : الأول ما نلاحظه في نسخة الأصل من ديوان العجاج الذي بين أيدينا ، والثاني ما نلاحظه في كتب الأدب واللغة والتراجم من ملاحظات تؤيد ذلك .

(١) الخصائص ٣٦٠/١ .

ففي نسخة الأصل وردت حواش كثيرة أضيفت اليها بخط يختلف عنها لونا وطريقة ، وهو خط مغربي قريب من خط الأصل الا أنه أحدث منه زمناً ، وهذه الحواشي منها ما كان شروحا لغوية ، ومنها ما كان اشارة الى روايات أخرى للأبيات ، وفي نهاية الأرجوزة (٤٢) ورد بخط الحواشي نفسه : « بلغت المقابلة من أوله الى آخره بالكتاب الذي قرئ على ابن أخي الاصمعي رحمه الله فصح بحمد الله تعالى وعونه وصلى الله على محمد نبيه » .

وهذه الحاشية الأخيرة يمكن أن تشير الى أن صاحبها قد قابل نسخة الأصل بنسخة من ديوان العجاج قرئت على عبد الرحمن بن أخي الاصمعي ، ونقل عنه بعض ما لاحظته من اختلاف في الرواية أو نقص في الشروح ، وهذا أمر نسلم به تماماً ، الا أن المقابل لم يلتزم بالاشارة الى عبد الرحمن بن أخي الاصمعي في نقل الروايات المخالفة ، وانما أشار أيضاً بدقة واستقصاء الى روايات أخرى تخص الرياشي ، وقائلة تخص الزبدي ، وكان يمكن أن نذهب الى أن فئة تحريفاً بين « الرياشي » و « الزبدي » ، اذ أن المقابل قد أشار الى عبد الرحمن ( ٢١ ) مرة ، وأشار الى الزبدي ( ٤ ) مرات فقط . ولكن هذا الاحتمال ينفيه أن المقابل كان يميز بين رواية كل من الثلاثة ، فاذا اتفقت رواية عبد الرحمن والرياشي رسم الى جانبها « صح لها » وجاء هذا في ( ٧ ) مواضع ، أو رسم كلمة « صحا » وجاء هذا في ( ٤ ) مواضع ، وقد نص في موضعين على اختلاف رواية الرياشي وعبد الرحمن معاً عن رواية الزبدي ، ففي الأصل ورد البيت (٧) من الأرجوزة (٥) على هذا النحو :

هَشَمَكَ حَوِيلِي الْهَيْبِدِ آرِكَا

والى جانب ( آركا ) رسم المقابل : « صح زبدي » مشيراً الى أن روايته كرواية الأصل ، ثم رسم فوقها : « الراتكا : صح لها » اشارة الى

أنها رواية الرياشي وعبد الرحمن ، وكذلك الأمر في البيت ( ٧٠ ) من الأرجوزة ( ٣٤ ) إذ ورد في الأصل :

فعاد منه رَحْمَةً وغارا

وتحت كلمة « رحمة » رسم المقابل « صح لها » إشارة الى أنها أيضاً رواية الرياشي وعبد الرحمن ، ورسم فوقها : « أَسْفَأ - صح زيدي .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أنه لا تحريف بين « الرياشي » و « الزيادي » في اضافات المقابل ، فكل منها كان مقصوداً بذاته ، ولا سيما أن المقابل قد أشار الى أن رجز العجاج قد قرئ على الرياشي ، وعلى عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، كما أشار أيضاً الى وجود كتاب للزيادي يضم رجز العجاج .

فقد ألحق حاشية بشرح البيت (٤٩) من الأرجوزة (١) يقول فيها : « وقرئ على الرياشي : من كوكب العين » ، ورسم حاشية الى جانب البيت (١٠٨) من الأرجوزة (٣٣) يقول فيها : « قرئ على الرياشي : ولم تعوج رحم من تعوجا » . مما يدل على أن هذا الرجز كله قرئ على الرياشي ، ويؤيد ذلك ما تنبئ به المقابل من رواية الرياشي لأرجيز الديوان جميعاً ، ولا يكون هذا التنوع الا عن كتاب يجمع ديوان العجاج برواية الرياشي عن الأصمعي .

وفي شرح البيت (٤١) من الأرجوزة (٢٠) قال الأصمعي : « المهور : المكان المظلم من الأرض » ، ورسم المقابل حاشية الى جانب هذا الكلام فقال : « واحد هير ، هكذا في الكتاب الذي قرئ على ابن أخي الأصمعي » ، وهذه الحاشية ثينة جداً لأنها تشير الى أن كتاب ابن أخي الأصمعي قد نقل عن الأصمعي الأرجيز والشرح معاً .

والى جانب البيت (٢١) من الأرجوزة (٢١) رسم المقابل حاشية يقول فيها : « في كتاب الزيادي : لا أشتم اجر البريء المسلما » . ويمكن

أن يذهب بنا الظن الى احتمال أن يكون كتاب الزيادي هذا كتاباً لغويّاً ورد فيه هذا الشاهد ، أو بعض أبيات من رجز العجاج ، ولكن هذا ينفيه نفيّاً قاطعاً أن المقابل قد أضاف الى نسخة الأصل الأرجوزتين المطولتين (٤٣) و (٤٤) نقلاً عن كتاب الزيادي نفسه ، إذ قال في التقديم لها : « وقال العجاج في رواية أبي اسحق الزيادي » ، وهذا يشير بوضوح الى أن كتاب الزيادي ، ان هو الا « ديوان العجاج وشرحه » ، نقله الزيادي عن أستاذه الأصمعي كما نقله أبو حاتم السجستاني ، والرياشي ، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي .

وأمام هذه الأدلة لا نجد ما يمنع أن يكون رجز العجاج قد نُقِلَ عن الأصمعي عن طريق تلامذته هؤلاء جميعاً ، ولم تنقل لنا المصادر الا "سنداً متصلاً" بآبي حاتم في فهرسة ابن خير ، ولم يحفظ لنا الزمن الا "نسخة برواية أبي حاتم عن الأصمعي .

والذي يجعلنا نزداد يقيناً بهذا الاحتمال ، هو أن هؤلاء جميعاً من أبرز تلامذة الأصمعي ، وأكثرهم رواية لكتبه ، فأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ( ٢٥٥ هـ ) كان كثير الرواية عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي ، وكان عالماً باللغة والشعر <sup>(١)</sup> ، وقد روى كثيراً من كتب الأصمعي ومصنفاته من دواوين الشعراء <sup>(٢)</sup> . والرياشي أبو الفضل العباس بن الفرج ( ٢٥٧ هـ ) كان كثير الرواية عن الأصمعي وغيره ، الا أنه قال : « تحفظت كتب أبي زيد ودرسها ، الا أنني لم أجعله مجالستي للأصمعي ، وأما كتب الأصمعي فاني حفظتها لكثرة ما كانت ترد على سمعي لطول مجالستي له <sup>(٣)</sup> » ، وكان

(١) انظر الفهرست ٥٨ ، واخبار النحويين البصريين ٩٣ ، ونسبة الوعاة ٢٦٥ ، ومراتب النحويين ٨٠ ، وطبقات النحويين ١٠٠ ، ونزهة الألبا ٢٥١ .  
(٢) انظر فهرسة ابن خير ٣٤١ و ٣٧٥ و ٢٨٩ و ٢٩٣ و ٣٩٤ و ٤٠٢ .  
(٣) طبقات النحويين ١٠٣ - ١٠٤ .

علماً بالشعر واللغة والنحو وكان مقدماً على أبي حاتم عند أهل البصرة<sup>(١)</sup> .  
والزبائي أبو إسحق إبراهيم بن سفيان (٢٤٩ هـ) ، وكان نحويّاً لغويّاً  
راوية ، وقد روى عن أبي عبيدة والأصمعي وكان يشبه به في معرفة الشعر  
ومعانيه<sup>(٢)</sup> . وعبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب<sup>(٣)</sup> روى عن عمه الأصمعي  
علماً كثيراً ، وكانت كتب الأصمعي بين يديه ، وربما حكى عنه ما يحسنه  
في كتبه من غير أن يكون سمعه من لفظه ، وهو ثقة فيما يرويه عن عمه  
وعن غيره من العلماء<sup>(٤)</sup> .

فهم جميعاً من تلامذة الأصمعي الناهين ، ولا يبعد أن يكونوا جميعاً  
قد تلقوا عنه ديوان العجاج ، ولا سيما أن ثمة دواوين أخرى أمكن أن نجد  
لأسانيدنا عن الأصمعي أكثر من تلميذ واحد ، ومنها مثلاً أشعار هذيل وقد  
رواها عن الأصمعي كل من أبي حاتم والزبائي<sup>(٥)</sup> . وشعر طفيل الغنوي ،  
وقد رواه عن الأصمعي كل من أبي حاتم وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي<sup>(٦)</sup> .  
وهذا يرجح أيضاً أن يكون رجز العجاج قد رواه عن الأصمعي كل  
من الزبائي والزبائي وعبد الرحمن بالإضافة إلى رواية أبي حاتم ، وذلك  
لما رأيناه من أدلة مختلفة تؤيد هذا الاحتمال ، وإذا كانت لم تَبْقَ لنا إلا  
نسخة من رواية أبي حاتم عن الأصمعي ، فقد حَفِظَتْ لنا بعض الروايات

- (١) انظر طبقات النحويين ١٠٥ ، والفهرست ٥٨ ، وأخبار النحويين  
البصريين ٨٩ ، ونبذة الوعاة ٢٧٥ ، ونزهة الألبا ٢٦٢ .
- (٢) انظر بغية الوعاة ١٨١ والفهرست ٥٨ ، وأخبار النحويين البصريين  
٨٨ ، ونزهة الألبا ٢٦٩ ، وطبقات النحويين ١٠٦ .
- (٣) لم أقف على سنة وفاته ، وكان حياً حوالي ٢١٦ هـ ، انظر  
معجم المؤلفين ١٤٨/٥ .
- (٤) انظر مراتب النحويين ٨٢ ، ونبذة الوعاة ٢٩٩ ، وطبقات النحويين  
١٩٧ ، والفهرست ٥٦ ، وفهرسة ابن خير ٣٧٥ .
- (٥) فهرسة ابن خير ٣٨٩ .
- (٦) فهرسة ابن خير ٣٩٣ .

للتسخ الأخرى فيما ورد من اضافات على حواشي نسخة الأصل . وكان يمكن  
أن تضيف هذه الحواشي الى متن الأصل نفسه ، لولا أنها تضم أيضاً بعض  
الروايات دون تحديد لأصحابها ، وتضم شروحاً لغوية كثيرة منها ما يظهر عليه  
أنه نَقَلَ عن كتاب عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، ومنها ما يبدو أنه  
منقول عن كتب لغوية مختلفة ، وليس من الميسر التمييز دائماً بين هذا وذاك  
ولذلك كان لابد من وضع هذه الإضافات جميعاً في حاشية التحقيق ، دون  
أن تخلط بالأصل .

ولمهم أن الأصمعي هو الذي روى ديوان العجاج<sup>(٧)</sup> وشَرَحَه ، ومن  
واجبنا أن نقف رويداً عند صانع هذا الديوان ، قبل أن نتجه الى دراسة  
طريقته في شرحه وتصنيفه .

والأصمعي هو عبد الملك بن قُرَيْب ويكنى أبا سعيد ، واسم قُرَيْب  
عاصم بن عبد الملك بن أَمَّع بن مطهر بن رياح بن عمرو بن عبد الله الباهلي<sup>(١)</sup> ،  
وكان من أهل البصرة ، ثم قدم بغداد أيام هارون الرشيد<sup>(٢)</sup> ، وقد اجتمع  
له من الأخلاق والصفات ما جعله أهلاً لمجالسة الرشيد ومناذاته ، فلم يكن  
الأصمعي من أصحاب الأوهام ، وكان في ذلك يشبه أبا عمرو بن العلاء  
والخليل بن أحمد ويونس بن جيب<sup>(٣)</sup> ، وكان صدوقاً في الحديث<sup>(٤)</sup> ، ينسب

- (١) أخبار النحويين البصريين ٥٨ ، وثمة خلاف في بعض حلقات نسبه  
فانظر : نزهة الألبا ١٥٠ ، ونبذة الوعاة ٣١٣ ، وأنباء الرواة ١٩٧/٢ ،  
واللباب في تهذيب الأنساب ٥٦/١ ، ولب الألباب ١٧ ، والفهرست ٥٥ ،  
وروضات الأجنات ٤٥٨ ، وطبقات النحويين ١٨٣ ، وتقريب التهذيب  
٥٢١/١ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٤٥ ، ومراتب النحويين ٤٦ .
- (٢) أنباء الرواة ١٩٨/٢ .
- (٣) نزهة الألبا ١٧١ .
- (٤) نزهة الألبا ١٥٠ .

عليه بالثقة أكبر علماء الحديث أمثال الشافعي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين<sup>(١)</sup>، ولم يشتهر الأصمعي في شيء من دينه<sup>(٢)</sup>، وكان يتقي أن يفسر الحديث أو يفسر القرآن<sup>(٣)</sup>، بل كان لا يفسر شيئاً من اللغة له نظير أو اشتاق في القرآن وكذلك الحديث تحرجاً، وكان لا يفسر شعراً فيه هجاء، وكان صدوقاً في كل شيء<sup>(٤)</sup>.

وكان الأصمعي إلى ذلك كله وفيماً في صداقته للناس، إذ نقل الزبدي بسنده عن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال: «سمعت عمي يقول: أرسل إلي هارون الخليفة فدخلت عليه، فإذا هو على كرسي جالس، والفضل بن الربيع على كرسي، وإذا بنطع مبسوط عليه رجل مقول، فجلست. قال: فقال لي الفضل بن الربيع: يا عبد الملك، هذا جعفر قد أخزاه الله. قال: فسكت. قال: فقال هارون: قم. فمقت. وسمعت عمي يقول: سمعت هارون يقول: ما رأيت أوفى من الأصمعي بعد، ما ذكرت جعفرًا لأحد إلا دعا عليه أو شتمه إلا الأصمعي<sup>(٥)</sup>. وهذه الأخلاق والصفات تجعل باطلاً ما يروى عن أبي عبيدة من أخبار تنسب للأصمعي إلى الكذب<sup>(٦)</sup>، ذلك لأن السيرافي ذكر أن أبا عبيدة والأصمعي كانا «يتقارضان كثيراً ويقع كل واحد منهما في صاحبه<sup>(٧)</sup>»،

- (١) نزهة الألبا ١٧١ - ١٧٢، وروضات الجنات ٤٦١، وطبقات النحويين ١٨٤ و ١٩٢، وتقريب التهذيب ٥٢٢/١.
- (٢) طبقات النحويين ١٨٨.
- (٣) بغية الوعاة ٣١٣.
- (٤) مراتب النحويين ٤٨، وانظر أخبار النحويين ٦٠، ونزهة الألبا ١٧٠.
- (٥) طبقات النحويين ١٨٥.
- (٦) انظر الفهرست ٥٥.
- (٧) أخبار النحويين ٦٦.

ونقل الأنباري شيئاً من أخبار هذه القارصة<sup>(١)</sup>، وقال أبو الطيب اللغوي: «فأما ما يحكيه العوام وسفهاء الناس من نوادر الأعراب، ويقولون: هذا بما افتعله الأصمعي، ويحكون أن رجلاً رأى عبد الرحمن ابن أخيه فقال: ما فعل عمك؟ فقال: قاعد في الشمس يكذب على الأعراب، فهذا باطل ما خلق الله منه شيئاً، ونعوذ بالله من معرفة جهل قائله، وسقوط الخاضعين فيه. وكيف يقول ذلك عبد الرحمن ولولا همه لم يكن شيئاً! وكيف يكذب عنه وهو لا يروي شيئاً إلا عنه! وأنتى يكون الأصمعي كما زعموا ولا يفتي إلا فيما أجمع عليه العلماء، ويقف عما يتفردون به عنه، ولا يجوز إلا أفصح اللغات، ويتلجج في دفع مساواة<sup>(٢)</sup>».

وهذا كله إنما أحاط بالأصمعي لحصومات كانت بينه وبين أقرانه من معاصريه أمثال أبي عبيدة وأبي زيد<sup>(٣)</sup>، وأما ما ينسب إليه من نوادر وأساطير فذلك لشهرته الواسعة في حياته أو بعد وفاته.

فالأصمعي صدوق ثقة فيما يرويه، وأكثر روايته كانت عن الأعراب، قال السيرافي: «وأكثر سماعه من الأعراب وأهل البادية، حدثنا أبو بكر ابن السراج قال حدثنا أبو العباس البرد قال: قال الأصمعي: رأي أنباري وأنا أكتب كل ما يقول، فقال: ما ندع شيئاً إلا نصحتته، أي نتقته. وقال له بعض الأعراب وقد رآه يكتب كل شيء: ما أنت إلا الحقطة، تكتب لفظ الحقطة. وقال له آخر: أنت حنف الكلمة الشروء<sup>(٤)</sup>».

ولعل اتصاله الوثيق بالأعراب، وأخذته عن التفات أمثال أبي عمرو بن

(١) نزهة الألبا ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) مراتب النحويين ٤٩.

(٣) انظر مراتب النحويين ٥٠.

(٤) أخبار النحويين البصريين ٦٦ - ٦٧، وانظر الفهرست ٤٧.

العلاء<sup>(١)</sup>، كان من الأسباب التي جعلت من لسانه لساناً طلقاً فصيحاً ، حتى قال الشافعي رحمه الله : « ما عر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي<sup>(٢)</sup> » ، وروى الرائي قال : « سمعت عمرو بن مَرْزُوق يقول : رأيت الأصمعي وسيبويه يتناظران ، فقال يونس : الحق مع سيبويه وهذا يغلبه بلسانه في الظاهر ، يعني الأصمعي<sup>(٣)</sup> » .

والأصمعي في نقله عن الأعراب كان يكتب ويدون كل ما يسمعه ، إلا أن ذاكرته لم تكن دون كتابته في الحفاظ على ما يسمعه من لغة أو غريب أو أخبار مختلفة ، وقد نُقِلَ عن ذاكرة الأصمعي من الأخبار ما يشبه الأساطير ، ولكنه مع ذلك لا يَرَوِي إلا الحقيقة<sup>(٤)</sup> ، إذا كانت ذاكرة الأصمعي تتسع لأكثر ما نُقِلَ إلى عصره من تراث العرب ، فقد نَقَلَ السيرافي بسنده عن ابن الأعرابي قال : « شُهِدَ الأصمعي وقد أُنْشِدَ نحواً من مائتي بيت ما فيها بيت عرفناه<sup>(٥)</sup> » ، ولهذا كان عمر بن شبة يقول : « سمعت الأصمعي يقول : أحفظ عشرة آلاف أرجوزة<sup>(٦)</sup> » وفي رواية أخرى : « ستة عشر ألف أرجوزة<sup>(٧)</sup> » ، ونقل أبو الطيب اللغوي بسنده عن أبي حاتم قال : « كان الأصمعي أروى الناس للرجز ، سمعت بَحْرَانِيَا كان قد طاف بتواحي خراسان يسأله ، فقال له : أخبرني فلان بالري أنك تروي اثني عشر ألف أرجوزة . فقال : نعم ، أروي أربعمئة عشر ألف

أرجوزة . فعجبت ، فقال لي : أكثرها قصار . فقلت : اجعلها بيتاً بيتاً ، أربعة عشر ألف بيت !  
وأما في رواية الرائي فيما كتب إلى أبو روق البرّاني ، قال : سمعتُ الرائي يقول : سمعت الأصمعي يقول : أحفظ اثنتي عشرة ألف أرجوزة ، فقال له رجل : منها البيت والبيتان ، فقال : ومنها المائة والمائتان .  
حدثنا جعفر بن محمد قال : أخبرنا علي بن ذكوان عن المازني قال : قلت للأصمعي : انك لتخطف من الرجز مالا يحفظه أحد . فقال : إنه كان هماً وسدّماً . قال اللغوي : والسدّم هاهنا الحرص<sup>(٨)</sup> » .

فذاكرة الأصمعي نادرة في اتساع ما تحفظه من أشعار العرب وأخبارها ، وصلة الأصمعي بأراجيز العرب صلة جدّ وثيقة ، ولذلك كان يحفظ رجز العجاج ورؤبة ، يدل على ذلك ما نقله المرتضى في خبَرِ أول لقاء بين الأصمعي والرشيد ، وفيه يقول الأصمعي : « قال لي الرشيد : أصبّت ، ثم قال : أتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئاً ؟ فقلت : هما شاهدان لك بالقولاني وأنّ غُيْباً عن بصرك بالأشخاص<sup>(٩)</sup> » ، ثم طلب إليه ، فأنشده بعض أراجيز رؤبة .

واتصاله بالرجز عامة ، وحفظه لأراجيز رؤبة والعجاج خاصة ، جعله هو نفسه يقول الرجز<sup>(١٠)</sup> ، وأدّى به أيضاً إلى تصنيف كتاب الأراجيز<sup>(١١)</sup> ، وهذا كله يشير إلى مدى اهتمام الأصمعي بالرجز ، ويؤكد مرة أخرى صغره لديوان العجاج وشرحه له وعنايته به ، وهذه الصلة بالرجز من ناحية ، وبالأعراب

- (١) مراتب النحويين ٥٧ ، وانظر طبقات النحويين ١٨٥ و ١٨٨ .
- (٢) أمالي المرتضى ٩٨/٢ ، ونقله ابن عديري في العقد الفريد ١٦١/٦ .
- (٣) انظر كتاب الورقة ٣١ - ٣٢ .
- (٤) بنية الوصاة ٣١٤ ، وإنباه الرواة ٢٠٤/٢ ، والفهرست ٥٥ ، وروضات الجنات ٤٦١ .

- (١) انظر بعض أسانئده في بنية الوعاة ٣١٢ ، وإنباه الرواة ١٩٨/٢ .
- (٢) نزهة الألبا ١٦٦ ، وبنية الوصاة ٣١٢ ، وروضات الجنات ٤٥٨ و ٤٦١ ، وفي الروضات : « ما عر أحد من العرب » .
- (٣) نزهة الألبا ١٦٩ ، وبنية الوعاة ٣١٣ .
- (٤) انظر نزهة الألبا ١٦٧ - ١٦٨ .
- (٥) اخبار النحويين البصريين ٦٠ ، ونقله الانباري في نزهة الألبا ١٥٤ .
- (٦) نزهة الألبا ١٥١ .
- (٧) بنية الوعاة ٣١٢ ، وروضات الجنات ٤٦١ ، وإنباه الرواة ١٩٨/٢ .

من ناحية اخرى ، جعلت للأصمعي شهرة واسعة في معرفة الغرب واللغة ، بل جعلته صاحب ملح ونوادر وأخبار لكثرة ما كانت يجاليس من أغراب البادية .

وكان يوصف دائماً بالتساع باعه في اللغة والغرب والنوادر والأخبار وقد يوصف أيضاً بأنه صاحب نحو ، ولكنه في هذا دون أبي زيد الأنصاري وفوق أبي عبيدة معمر بن المثنى ، ولذلك قال السيوطي : « أبو سعيد الأصمعي البصري اللغوي أحد أئمة اللغة والغرب والأخبار والملح والنوادر . . قال ابن معين : ولم يكن ممن يكذب ، وكان أعلم الناس في فقه <sup>(١)</sup> » ، ونقل أبو الطيب اللغوي عن الفراء قوله : « ذاك أعلمهم بالشعر ، وأتقنهم للغة ، وأحضرهم حفظاً <sup>(٢)</sup> » ، وقال محمد بن داود : « بصري راوية للشعر والغريب موثوق به في الحديث <sup>(٣)</sup> » ، وقال الأنباري : « وكان صاحب النحو واللغة والغرب والأخبار والملح . . ويقال : كان الرشيد يسميه شيطان الشعر . وقال الأخفش : ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي وخلف ! قلت : أيها كان أعلم ؟ فقال : الأصمعي لأنه كان غريباً . وقال أبو العباس محمد ابن يزيد المبرد : كان أبو زيد صاحب لغة وغريب ونحو ، وكان أكثر من الأصمعي في النحو ، وكان أبو عبيدة أعلم من أبي زيد والأصمعي بالأنساب والأيام والأخبار ، وكان للأصمعي يد غراء في اللغة لا يعرف فيها مثله وفي كثرة الرواية ، وكان دون أبي زيد في النحو <sup>(٤)</sup> » .

وهذا كله انما يفسر اهتمام الأصمعي برجز العجاج ، ويلقي ضوءاً على

(١) بغية الوعاة ٣١٣ ، ومثله في روضات الجنات ٤٥٨ .

(٢) مراتب النحويين ٤٨ .

(٣) كتاب الورقة ٣٠ .

(٤) نزاهة الألبا ١٥١ - ١٥٢ ، وتنقل الكلام المبرد بروايات متقاربة في أخبار النحويين ٥٩ ، وانباء الرواة ٣٠١/٢ ، والفهرست ٥٥ ، وأخبار النحويين ٦٨ .

طريقته في شرح هذا الرجز ، وقد ترك الأصمعي مصنفات عديدة جداً <sup>(١)</sup> ، وجمع دواوين كثير من الشعراء ، والذي يهينا من مصنفاته كتاب الأراجيز السابق ذكره ، وكتاب الأمثال <sup>(٢)</sup> ، وهذا الكتاب يمكن أن يوضح السبب لاهتمام الأصمعي بالأمثال في شرحه للديوان .

وقد عُمِّر الأصمعي فبلغ ثمانياً وثمانين في بعض الروايات ، أو بلغ إحدى وتسعين في روايات أخرى ، وتوفي رحمه الله بالبحر سنة (٥٢١٣) وقيل سنة (٢١٠ - ٢١٢ أو ٢١٥ أو ٢١٦ أو ٢١٧) على خلاف في ذلك ، وتقصد الزبيدي فذكر أنه توفي بزوخراسان <sup>(٣)</sup> .

## ٢ - شرح الديوان

في البحث السابق تأكد أن ديوان العجاج من عمل الأصمعي ، وأنت شرحه أيضاً من عمل الأصمعي نفسه ، ونود هنا أن نؤدق في نسبة الشرح الى الأصمعي ، لا لأننا نجد مجالاً للشك ، ولكن دعفاً لكل تشكك أو ريب في ذلك ، ولا سيما أن هذا الشرح من أقدم الوثائق التاريخية للشروح في مكتبتنا العربية .

— وأهم ما يؤكد أن الشرح للأصمعي نفسه ، كثرة ما نقل عنه من عبارات حرفية أو شبه حرفية عُرِيتَ للأصمعي في كثير من المصادر المختلفة ، وقد أشرنا في تحقيق الديوان الى العديد من هذه العبارات ، وحسبنا هنا أن نورد بعض الأمثلة التي توضح ذلك .

(١) انظر بغية الوعاة ٣١٤ ، وانباء الرواة ٢٠٣/٢ ، وروضات الجنات ٤٦١ ، وفهرست ابن خير ٣٧٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ - ٣٩٧ ، ٤٠٢ .  
(٢) فهرسة ابن خير ٣٤٠ - ٣٤١ .  
(٣) طبقات النحويين ١٩٢ .

فقد أنشد البكري (٤٨٧) بيت العجاج :

وَالشَّدَائِثُ يُسَاقِطْنَ النُّعْرَ

ثم قال : « قال الأصمعي : إنما يقال : ناقة ماحملت نعرة قط ، ولا يقال طرحت نعرة »<sup>(١)</sup>.

وهذه العبارة منقولة حرفياً عن شرح الديوان ، وفيه : « قال الأصمعي : ليس أحد يقول : يُسَاقِطْنَ النُّعْرَ ، ولا طَرَحَتْ نَعْرَةً ، إنما يقال : ناقة ماحملت نعرة قط »<sup>(٢)</sup>.

وأنشد البكري أبيات العجاج

رَحَلْتُ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ الرِّحْلِ مِنْ قُلُوبِ الشَّجَرِ فَجَنَّبِي مَوْكِلَ

ثم قال : « قال الأصمعي : ( مَوْكِل ) . أظنه حصناً بجزموت »<sup>(٣)</sup>.

وفي شرح الديوان : « كاييد : بكسر الباء ، بعدها دال مهملة ، على لفظ

فاعل : موضع في شق ديار بني قيم ، قاله الأصمعي . وأنشد للعجاج :

وَلَيْلِيَّةٌ مِنَ اللَّيَالِي مَرَّتْ شَاهَدَتْهَا بِكَايِيدٍ وَجَرَّتْ  
كَتَلَتْهَا لَوْلَا الْإِلَهُ صَرَّتْ

وقال مرة أخرى : « ( بكاييد ) أي بكايدة شديدة ومشقة ، كذا نقله قاسم بن ثابت »<sup>(٥)</sup>.

وفي شرح الديوان : « بكاييد ، يقول : بأمر يكايدي . وكاييدها : شاقها . وقال مرة أخرى : ( بكاييد ) ، كأنه موضع في شق بني قيم ، يقال له : كاييد »<sup>(١)</sup>.

وقال البكري : « صَعْفُوقَةٌ : قرية بالهامة ، كان ينزلها خول السلطان ، قاله الأصمعي ، قال وخول بالهامة يقال لهم الصعافقة ، كان بنو مروان سيروهم ثمة . وإناهم أراد العجاج بقوله :

مِنْ آلِ صَعْفُوقٍ وَأَنْبَاعٍ أُخَرَ

صَعْفُوق : مفتوح الأول ، ولم يأت مثله في الكلام إلا مضموم الأول »<sup>(٢)</sup>.

وهذا نقل لا يخلو من تصرف ، عن شرح الديوان ، وعبارة الشرح : « صَعْفُوق : مفتوح الأول ، لم يجرى مثله في الكلام إلا مضموم الأول نحو دُعُوب ، وصَعْفُوق : قوم كانوا يخدمون السلطان ، خول بالهامة يقال لهم الصعافقة ، كان معاوية بن أبي سفيان أو آل مروان بن الحكم صيروهم ثمة ، لا أدرى ما أصله ، والصعفوقية : قرية بالهامة كان ينزلها خول السلطان »<sup>(٣)</sup>.

وفيه أمثلة أخرى في اللسان ، ومن ذلك أن ابن منظور أنشد قول العجاج :

قَدْ أَقْصَرَتْ غَيْرَ الظُّلُمِ الْأَصْعَلِ

ثم قال في شرحه : « الأصمعي : قوله ( أصعل ) هكذا يروى ،

(١) الأروزة ٢٢/٢٤ .

(٢) مجمع ما استعجم ٨٣٣/٣ .

(٣) شرح الأروزة ٣١/١ .

(١) مجمع ما استعجم ٧٨٤/٣ .

(٢) شرح الأروزة ١/٦٢ .

(٣) مجمع ما استعجم ٧٨٢/٣ .

(٤) الأروزة ١٢/٥٠ .

(٥) مجمع ما استعجم ١١٠٧/٤ . وقاسم بن ثابت بن حزم اندلسي توفي بقرسطة سنة (٣٠٢ هـ) .

فأما كلام العرب فهو (صَعَلٌ) بغير ألف<sup>(١)</sup> .

وهذا نقول شبه حرفي عن شرح الديوان ، وفيه « قال أبو سعيد : ولم أسمع (الأصعل) إلا هنا والصعل هو الكلام<sup>(٢)</sup> » .

وأشدد ابن منظور أيضاً قول العجاج :

بَعْدَ الَّذِي عَدَا الْقُرُوصَ فَحَزَزْ

ثم قال في شرحه : « وقال الأصمعي وحده : إذا حذَى اللسان فهو قارص<sup>(٣)</sup> » .

وفي شرح الديوان : « والقارص : اللَّبَنُ الَّذِي يَحْذِي اللِّسَانَ<sup>(٤)</sup> » . وهذا النقل الحرفي أو شبه الحرفي لعبارة الديوان ، وعزوها إلى الأصمعي ، إنما يدل دلالة قاطعة على أن هذا الشرح للأصمعي نفسه ، وليس من السائغ أن يقال إنه نقل عن كتب الأصمعي ، ذلك لأنه نقل حرفي عن الديوان أحياناً دون زيادة أو نقصان .

وقد أورد البكري أيضاً ثلاث إشارات في كتابه « سبط السالك » ، تدل دلالة قاطعة على أن الشرح للأصمعي ، وتفيد أن هذا الشرح قد نقله عنه كل من أبي حاتم وعبد الرحمن بن أبي الأصمعي .

فقد روى البكري بيت العجاج<sup>(٥)</sup> :

تَوَاضِعُ التَّقَرُّبِ قَلْبُوا مِجْلَجًا

ثم قال في شرحه : « والقليو : الخفيف . والحليج : الشديد المدمج ،

هكذا رواه أبو حاتم عن الأصمعي<sup>(١)</sup> » . وهذا الشرح موجود حرفياً في الديوان .

وأشدد البكري أيضاً قول العجاج<sup>(٢)</sup> :

لَا تَعِزَّ الْهَوَى وَلَا جَعَدَ الْقَدَمُ

ثم قال في شرحه : « وقال أبو حاتم عن الأصمعي في قوله ( ولا جعد القدم ) : هو واسع الشحوة ليس بضيقها ، وهذا متل ضربه<sup>(٣)</sup> » . وهذا الشرح موجود أيضاً بصورة حرفية في شرح الديوان .

وأشدد البكري بيتاً للعجاج على هذا النحو<sup>(٤)</sup> :

يَقْتَسِرُ الْأَقْوَامُ بِالتَّغْمُرِ

ثم قال في شرحه : « هكذا رواه أبو علي ، بالتغمم ( بالغين المعجمة ، لم تختلف الرواية عنه في ذلك ، وإنما هو ( بالتغمم ) بالفاء ، أي الركوب والاستعلاء ، كذلك رواه أبو حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي وفسره بما ذكرته ، وهو الذي لا يصح غيره<sup>(٥)</sup> » . والرواية الثانية مع شرحها موجودة حرفياً في ديوان العجاج .

وهذه الإشارات الثلاث تؤكد أن الشرح للأصمعي ، وتوثق ماسبق أن ذكرناه من أن رواية الديوان وشرحه ، قد جاءت من طريق أبي حاتم عن الأصمعي ، ومن طريق عبد الرحمن عن عمه .

وقد رأينا في موضع سابق أن النسخة الباقية من الديوان هي من رواية

- (١) سبط اللالي ٦٩٩ .
- (٢) الأرجوزة ١٨/٢٣ .
- (٣) سبط اللالي ٧٢٩ .
- (٤) الأرجوزة ١٠٣/٢٤ .
- (٥) سبط اللالي ٤٩١ .

- (١) اللسان ( صعل ) .
- (٢) شرح الأرجوزة ٢٨/١٢ .
- (٣) اللسان ( قرص ) .
- (٤) شرح الأرجوزة ١٣١/١ .
- (٥) الأرجوزة ٧٨/٢٣ .



أبي حاتم عن الأصمعي ، وقد كان أبو حاتم يضيف الى شرح أستاذه بعض الزيادات ، الا أنه لم يخلط بينها وبين شرح الأصمعي ، وإنما قدم لكل منها بقوله « قال أبو حاتم » فميز بذلك اضافاته من الأصل . وهذه الاضافات قليلة جداً ، لا تؤثر في بنية شرح الأصمعي ، ولا سيما بعد أن تميزت منه .

وقد سبق أن حددنا المواضع التي ذكر فيها أبو حاتم مشيراً الى أمور خاصة سأل عنها الأصمعي ، أو سمعها منه ورأى أن يثبت عليها بوجه خاص ، وهنا سنعرض للمواضع الأخرى التي ذكر فيها أبو حاتم مشيراً الى زيادات خاصة به ، وهي لا تعدو أن تكون شرحاً لما أغفله الأصمعي ، أو تدقيقاً واستدراكاً على شرحه ، أو مخالفة له فيما ذهب اليه ، أو رواية لأبي حاتم عن غير الأصمعي ، وهي جميعاً لا تزيد على عشرة مواضع في شرح الديوان كله . وأما المواضع التي شرح فيها أبو حاتم ما أغفله الأصمعي فهي أربعة ، ففي شرح البيت ( ٤٠ ) من الأرجوزة ( ٣٣ ) :

وفايحاً ومُرسناً مُتَرَجِّجاً

ورد لأبي حاتم قوله : « قال أبو حاتم : الفاحم الشعر الأسود ، شبه سواده بسواد الفحم » . ولم يتعرض الأصمعي لشرح كلمة « الفاحم » .

وفي شرح البيت ( ٨٥ ) من الأرجوزة ( ٣٣ ) :

وفرثاً من رعي ماترَجِّجاً

جاء لأبي حاتم قوله : « قال أبو حاتم : الرعي الأكل ، والرعي المرعى » . ولم يشرح الأصمعي كلمة « الرعي » .

وفي شرح البيت ( ٩١ ) من الأرجوزة ( ٣٣ ) :

فوق الجلاذِي إذا ما أمتَجَجَا

زاد أبو حاتم قوله « قال أبو حاتم : كان الوجه أن يقول ( أمتَجَا ) ، ولكنه أراد الوزن فحرك الجيم » ولم يثبت الأصمعي على ذلك .

وفي شرح البيت ( ١١٧ ) من الأرجوزة ( ٣٣ ) :

طَرَنَّا الى كثر طُولِ أهْوَجَا

أضاف أبو حاتم قوله : « قال أبو حاتم : يقال فرس طويل وطوال ، فإذا أردت الجميع قلت : طوال » . ولم يشرح الأصمعي كلمة « الطوال » . وفي ثلاثة مواضع أخرى وقف أبو حاتم من شرح الأصمعي موقف المصدق المستدرك . ففي شرح البيت ( ٥٨ ) من الأرجوزة ( ٣٣ ) :

ومَهْمَه هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجَا

ورد مايلي : « هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجَا : أي مَنْ تَعَرَّجَ فيه هَلِكٌ ، أي هَالِكٌ المتعرجين » . قال أبو حاتم : قال أبو عبيدة : يقال هَلِكْتُ الله وأهْلَكْتُ . فسأل الأصمعي عنه فردّه وخطأه في قوله « .

وفي شرح البيت ( ٥ ) من الأرجوزة ( ٣٤ ) :

فَتَحِيَّ بَعْدَ الْقِدَمِ الدِّيارَا

ورد مايلي : « فَتَحِيَّ بعد القِدَمِ الدِّيارَا : أي قل لما حيَّاكَ الله ، وهو البشِيرُ بالإنسان ، ورسالة . وأضحكه . والقِدَمُ : مامر من السنين . قال أبو حاتم : سمعت الأصمعي عن خلف الأحمر : وبيَّاكَ قُرْبَكَ ، وأما أضحكك فعن ابن عباس .

وفي شرح البيت ( ١٢ ) من الأرجوزة ( ٣٤ ) :

كأَيُّجِدُ الكَاتِبِ الأسْطَارَا

ورد مايلي : « ويقال سَطَرٌ وسَطَرٌ جميعاً ، والجميع أسطار

وَأَسْطَرَّ وَسَطُور . قال أبو حاتم : سَطَرٌ وثلاثة أسطر ، وَسَطَرٌ وثلاثة أسطار .

وفي موضعين آخرين عقَّب أبو حاتم على شرح الأصمعي بما يخالفه ، ففي شرح البيت (٩٧) من الأرجوزة (٣٣) :

جَابًا تَرَى تَلِيلًا مُسَحَّبًا

ورد مايلي : « ويرى : ترى بليته . قال أبو حاتم : كان الأصمعي يندس ( ترى تليه ) ، والتليل : العنق ؛ وهو الذي كان يجترده ، وغيره يقول : بليته ، أي بعقه . واللَّيْتَان : ناحيتا العنق . قال أبو حاتم : رواه الناس كلهم : بليته مسحبا . فقال : هذا تصيف . قال أبو حاتم : ويحاطب الأصمعي ، فقلت : لم ؟ قال : كيف يكون « ترى بعقه مسحبا » ، لو كان ذلك لقال « تسحبا » . قلت له : في كتاب الله : « ومزقاهم كلَّ ممزَّق » ، يريد كل تقريق . فسكت وعرف الحق (١) .

وفي شرح البيت (١١٦) من الأرجوزة (٣٣) :

سَقَرُ السَّيَالِ الزُّبُرِجِ الْمُزْبَرَجَا

ورد مايلي : « وقوله الزُّبُرِجِ الْمُزْبَرَجَا : مثل الحبَّيتِ الْمُخْبِتِ . قال أبو حاتم : تفسير الْمُخْبِتِ أن أهله خبناه ، وليس هذا مثل المزبرج . ففي هذين الموضعين نصُّ أبو حاتم على مخالفته للأصمعي ، ذلك لأنَّ أبا حاتم قد روى أيضاً عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري ، وأبو زيد يفوق الأصمعي في النحو ، وأبو عبيدة يفوق الأصمعي في الأخبار ، ولهذا وجدناه

(١) هذه الحادثة مشهورة في كتب اللغة ، وقد صرح أبو حاتم في أكثر الروايات أنه سمع روايته « بليته » من أبي زيد الأنصاري عن رؤبة بن العجاج انظر شرح منافع فيه التصحيف ١٠٠ و ١١٤ ، والخصائص ٣٦٦/١ ، والمزهري ٢٧٥/٢ ، ونزهة الألباء ٢٥٣ ، واللسان (سج) .

في موضع واحد فقط بنقل رواية خبر عن أبي عبيدة ، ويضيفه هو أو تلميذه ابن دريد الى شرح البيت (١٥) من الأرجوزة (٢١) على هذا النحو : « حدثنا أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة حدثنا رؤبة بن العجاج عن أبيه قال : وردت المدينة فانبتت أبا هريرة .. الخ » .

تلك هي المواضع التي حاول فيها أبو حاتم أن يتعقب الأصمعي ، شارحاً أو مدقّقاً أو نافلاً عن غير أساتده ، وهذه المواضع المستدركة ، إما تعني بوضوح أن الشرح الأصل ماهر إلا للأصمعي نفسه ، ولو لم يكن ذلك لما أمكن لأبي حاتم أن يتعقَّب ذلك الشرح ويدقق فيه ويخالف بعضه ويشرح ما أغفل شرحه منه .

وبتجديد هذه العبارات التي أضافها أبو حاتم نكون قد زدنا من توثيق شرح الديوان ، وميزنا بينه وبين ما أضيف اليه ، وزادنا في هذا التوثيق ، ينبغي أن نشير الى خمسة عبارات أخرى وردت في شرح الديوان وهي مزيدة عليه ، ونظن ظناً أن ثلاثاً منها يمكن أن تكون لأبي حاتم مع اغفال اسمه لسبب من الأسباب ، وأن اثنتين منها قد أضيفتا من قبل النسخاء فيما بعد .

أما العبارات التي نظن أنها لأبي حاتم ، فالأولى في الورقة (٦٨/ب) وهي : « الجسر الطويل ، وقال غيره الشديد » . فالعبارة الأخيرة ليست من قول الأصمعي . والثانية في الورقة (٧٠/أ) ، وهي : « وقال مرة أخرى : بكابد ، كأنه موضع في سق بني تميم » ، والقول قول الأصمعي ، إلا أنه نُقِلَ عنه نقلاً . والثالثة في الورقة (١١٠/أ) ، وهي : « قال : يقول قد ضنرت فكأنها القداح من الضمر ، قاله أبو عبيدة » ، والعبارة الأخيرة لاتصدر عن الأصمعي ، لأنه لا يمكن للأصمعي أن يروي عن معاصره

أبي عبيدة لما كان بينها عن مقارضة وإهام .

فهذه العبارات الثلاث يبدو أنها من نقل أبي حاتم ، وإن كان لا يستبعد أن يكون بعضها من إضافات النسخ ، أما العبارات التي نرجح أن تكون مضافة من قبل النسخ ، فهي اثنتان ، الأولى في الورقة ( ٤ / ب ) ، وهي : « قال عبد الرحمن قال عبي : أنشدت هارون الرشيد أمير المؤمنين .. الخ » ، والثانية في الورقة ٩٦١ / أ ) ، وهي : « قرئ على الراشي : ولم تتعوج رُحْمُ مَنْ تَعَوَّجًا » .

وبتميز هذه العبارات جميعاً أمكن لنا أن نجرّد شرح الأصمعي من كل زيادة أو شائبة قد أضيفت إليه ، ومن ثم يمكن أن نلقي نظرة الى هذا الشرح ، لتعرف طريقة الأصمعي وأسلوبه في شرح ديوان العجاج .

ولأبرز ما يمتاز به شرح الأصمعي التركيز على الشرح اللغوي للألفاظ ، وهو لا ينفك عند شرح معنى الكلمة في البيت ، وإنما يقلّب معانيها المختلفة في اللغة ، ثم يأتي بشواهد من الشعر القديم ، أو بشواهد من الآيات القرآنية ، وغالباً ما يشرح هذه الشواهد ، ولاسيما تلك التي يستمدّها من الشعر القديم ، إلا أن اهتمامه بالشرح اللغوي ، كان لا يفسيه غالباً أن يوجز في شرح المعنى العام للبيت ، وكثيراً ما كافى بدفعه الى شرح معاني الآيات ذلك الحرص على إيضاح ما يرده من دقة في شرح المعاني اللغوية للألفاظ ، وتظهر هذه الخصائص بجلاء في شرحه لهذه الآيات <sup>(١)</sup> :

فالحَمْدُ لله الذي أعطى الحَبْرَ مَوَالِيَ الحَقِّ إن المَوَالِي شَكَرٌ  
اذ قال في شرحها : « قال : الحَبْرُ السُرور ، ويقال هو في حَبْرَةٍ

(١) ديوان العجاج ، الأرجوزة ٣/١ - ٤ .

من العَيْش ، أي في مَسْرَةٍ من عَيْش ، والحَبْرُ السُرور ، ويقال هو حَبْرٌ به ، أي سُرٌّ به ، وفي الحديث : « ذَهَبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ » .  
والحَبْرُ : الآكل . وأنشد للعجاج :

به شَيَاتٍ كالحَبْرِ القَمَلِ  
يصف ظليماً . وقال ذو الرمة :

لا زِلْنَا في حَبْرَةٍ مَابِقِيْنَا ولا قِيَمْنَا يَوْمَ الحِسَابِ مُحَمَّدًا  
صلّى الله على محمد وآله وسلّم . وقوله « حَبْرَةٍ » ، يقول : في سرور ، ويقال : فلان مَحْبُورٌ . يقول : الحمد لله الذي أعطى هذا العهد ، يقول : اتَّبَعُوا أثرَ نَسِيْبِهِمْ ، وذهب تشبيه الخوارج . وقوله « موالى الحق » أي أولياء الحق . والمولى : الولي ، والمولى : ابن العم ، والمولى : المنعم ، والمولى : المنعم عليه ، والمولى : الخليف ، ويقال : مولاي ، أي وليّ . وأنشد للحطيطة في المولى ابن العم :

بني عَمَّانَ الرُكَّابِ بَاهِلِيَا اذا ساءها المَوَالِي تَرَوُحُ وتَتَبَكَّرُ  
يريد اذا ساءها ابنُ العم بامر مكروه رحلت الى غيره . وقوله « إن السَمُولَى شُكْر » ، قال : هذا بمنزلة قولك : قد أعطاك الله خيراً أن شكرت ، أي فاشكر . يقول : ردّ الحق الى اهله فليشكروا » .

ومن الملاحظ أن هذا النص فيه معظم خصائص شرح الأصمعي ، من اصرار على شرح الألفاظ شرحاً لغوياً ، واستطراد في الشرح اللغوي للكلمة ، وتقليب لمعانيها المختلفة في اللغة ، أو لأصل اشتقاقها ، أو ما تفرع عنها من طرق الاشتقاق ، ثم الاجازة في معاني الآيات ، والاستشهاد بالشعر والحديث . إلا أن هذا الاتساع في الشرح لا يجده دائماً في شروح الأراجيز ، وإنما نجد الشرح يستفيض في بعضها ، ويضمر في بعضها الآخر ، ويكاد ينعدم في

بعض الأراجيز القصيرة<sup>(١)</sup>.

وسواء أوجز الأصمعي في شرحه أو أطال فهذه الخصائص لا تفارقه كلها أو بعضها حسب حاجته في شرح كل بيت . وإذا رأيناه في النص السابق يستشهد بالشعر القديم ، فثمة مواضع أخرى يلجأ فيها إلى آيات الكتاب العظيم ، ومن ذلك ما نجده في شرح هذه الآيات<sup>(٢)</sup> :

يَوْمَ تَنسَى النَفْسُ مَا أَعْدَتْ مِنْ نَزْلٍ إِذَا الْأُمُورُ غَشِيَتْ  
وقال في شرحه : « ما أعدت : أي ما أعدت هناك من ثواب خير أو شر » قدمته . أي هيأت من نزل . قال الأصمعي : من قوله عز وجل : « كانت لهم جنات الفردوس نزلاً »<sup>(٣)</sup> . وغبت : أتت عليها زمان ، إذا غشيت الأمور فغبت أياما .

ولا يقف الأصمعي عند الشواهد من الشعر والقرآن والحديث ، ولما يكثر من الأمثال أيضاً ولا سيما تلك التي ترد إشارة إليها في أبيات العجاج ، ومن أمثلة ذلك ما قاله في شرح البيت<sup>(٤)</sup> :

في بيشر لآخوري سري وما سَعَر

اذ قال في شرحه : « وقوله » في بئر لآخور « ، يريد في بيشر حُور ، وهي بئر نقص ، سري الحوروي وما شعر ، يقول : نقص وما درى . ولا لغو . ويقال : فلان يعمل في حور ، أي في نقصان ، وأنشدنا عن أبي عمرو :

(١) انظر الأراجيز ٢٦ - ٢٢ ، فالشرح فيها يكاد يكون منعماً .

(٢) الأراجيز ٢٢/١ - ١١ .

(٣) سورة الكهف ١٨/١٠٨ .

(٤) الأراجيز ١/٤٠ .

وَأَسْتَعِجِلُوا عَنِ خَفِيفِ الْمَضْغِ فَبَارِدَرْدَا

وَالنَّهْمُ يَبْقَى وَزَادَ الْقَوْمُ فِي حُورٍ

ومثل من الأمثال يقال للرجل إذا رأوه ينقص ويدير أمره : « حور » في تحارة ، أي نقص في منقصة . يقول إن الحوروي سري من امره في في أمر حوري به بفلا في حور .

فالأصمعي هنا جاء بشاهد من أمثال العرب ، وإذا كانت الأمثال ترد في مواضع متعددة من شرحه ، فهذا يؤكد بما رأيناه منذ حين ، وهو أن الأصمعي قد ألف كتاباً خاصاً بالأمثال . وفي النص السابق ثمة إشارة إلى أمور نحوية ، وذلك في قوله « ولا : لسعر » أي زائدة ، ومثل هذا قليل في شرحه نسبياً ، ذلك لأن الأصمعي لم يكن يعنى بالنحو عنايته باللغة ، ولهذا كان أبو زيد الأنصاري يقدم عليه في النحو .

واهتمام الأصمعي باللغة جعله يوفق في شرحه اللغوي ، ويمتاز في عبارته ، ولا يلقي الكلام على عواهنه ، إذا لم يكن على ثقة تامة بما يقول ، ومثال ذلك شرحه لهذا البيت<sup>(١)</sup> :

دَيْتَ صَعْبَاتِ الْغِفَافِ وَأَبْتَارَ

فقد جاء في شرحه : « وقوله » ابتار « ، قال : أظنه احتقار ، اتخذ طريقاً واتخذ بئراً . ويقال : ابتاراً يبتيره ابتساراً . قال : ومعناه أنه اتخذ طريقاً سهلاً .

هنا قال : « أظنه » ، ولم يأت رأيه بعبارة فيها يقين أو ما يشبه اليقين ، بل أنه لا يجد ضيراً أن يصرح بأنه لا يدري كنه أحد المعاني إذا استغفلت عليه في بعض الروايات من وجز العجاج ، وبذلك لا تبغضت في شرحه ولا

(١) الأراجيز ١/٤٥ .

يجعل نفسه على مواطن الزلل ، ومن أمثلة ذلك شرحه للبيت (١) :

هَشَمَكَ حَرَوِيَّ الهَيْدِ أَرَاكَ

فقد نصّ على أن البيت يروى أيضاً « حولي الهيد الراتكا » ، وبعد أن شرح الرواية الأولى ، قال : « الرتَكَ : أن تقارب الخطر وتسرع المشي . قال الأصمعي : وأما قوله « الهيد الراتكا » فإن هذا لا أندري ما عو » .

ويلاحظ في هذا النص أيضاً أن الأصمعي قد يورد أكثر من رواية للبيت إن وقف على روايات مختلفة له ، ومثل هذا كثير في شرح الديوان . والأصمعي لا يكتفي بالشرح اللغوي للألفاظ ، دون أن يتحدث عن أصل الكلمة الأعجمي إن كان لها ذلك ، فهو لا يمر بكلمة أعجمية ، إلا وقف عندها وأشار إلى أصلها باللغة الفارسية أو النبطية أو غيرها ، ومثال ذلك شرحه لهذا البيت (٢) :

نُغَشِيهِمْ مِنْ بَعْدِ سَلِّ صَالِكََا

اذ قال في شرحه : « السَّلِّ : الطَّرْدُ ، ويقال سَلَّ سَلًّا . والصالِك : الدم ، وأصله الذي له ريح ، أي متن ، وقد أخطأ لأن الدم لا يكون له تلك الساعة ريح ، إلا أنه أطلق عليه ما يؤول إليه ، وأصل الصالك بالنبطية صِكا » .

فقد شرح الكلمة ثم ردها إلى أصل معناها ، وفتر استعمال العجاج لها ، ومن ثم تحدث عن أصلها في اللغة النبطية ، وهذا الحرص اللغوي جعله يتم في شرحه باللهجات العربية ، فاذا وقف على كلمة تختلف من لهجة إلى

أخرى في بنيتها أو معناها ، لم يغفل هذا الاختلاف ، وأما وقف عنده بشرح يرضي نزغته إلى الدقة والاستقصاء في شرح ألفاظ اللغة ، ومثال ذلك شرحه للبيت (٣) :

حَتَّى اسْتَفْتَرُوا حَرَوِيَّ مُرْفَضًا

وبما قاله في شرحه : « والمُرْفَضُ : المُتَفَرِّقُ . وَمُنْفَضٌ : من التفريق أيضاً ، يقال : لا يَفْضُضُ اللهُ فَاكْ ، وقيس ويتم ومن دنا منهم يقولون : لا يَفْضُضُ اللهُ فَاكْ » .

وهذا الحرص اللغوي ربما دفعه إلى نقد أستاذه أبي عمرو بن العلاء ، وعدم الأخذ برأيه ، فاذا أورد آيات العجاج (٤) :

كَالْبُرْدِ بَعْدَ الْجِدَّةِ الْمُرْعَبِلِ فَرَعْلَةً بِالْأَدَمَى وَالْمَغْسَلِ

قال في شرحها : « قال : المرعبل ، المشتق . وفَرَعْلَةً : قطعة من الناس ، قال أبو عمرو : فَرَعْلَةً ، أراد وَلَدَ الضَّبْعِ . وقال الأصمعي : صُف . والأَدَمَى والمَغْسَلِ موضعان » .

فالأصمعي كان أدق من أبي عمرو في شرح البيت وفهمه ، وذلك لأن « الرَعْلَةَ : القطعة من الناس » ، ومعنى البيت أن الناس بعد أن أجدهم القحط وسوء معاملة الجبابرة ، أصبحوا كأنهم برد مشق بعد جدّة ، وغدت قطعة منهم في هذا المكان وأخرى في ذلك المكان .

والأصمعي في شرحه ربما أتى بأحكام تصل بالنقد أو باللغة أو بضرائر الشعر ، وربما أورد بعض الأخبار التي تفسر بعض الأراجيز ، وتشرح المناسبات التي قيلت فيها ، ولكن معظم هذه الأخبار ترد موجزة لا تفصيل

(١) الأرجوزة ٢٦/٦

(٢) الأرجوزة ١٣٢/١٧ - ١٣٣ .

(١) الأرجوزة ٧/٥

(٢) الأرجوزة ٩/٥

### كَجَمَلِ الْبَحْرِ إِذَا خَاضَ جَسْرٌ

فقد شرح جَمَلُ الْبَحْرِ بأنه شَمَكَة طوله ثلاثون ذراعاً ، أقل وأكثر ، ولما فرغ من شرح البيت تماماً ، قال : « قال الأصمعي : قال خلف : قلت لأعرابي خبثت نفسه عليّ وكسل ، وأردت أن أنشطه : إن في البحر شَمَكَة طوله ستون ذراعاً تسير السفينة رأسها عند رأسها ، وذنبها عند ذنبها . قال : أشهد أن أمر الله حق - وطابت نفسه - والله ما هي بشَمَكَة إنما لَشِيطَان ! » .

ومثل هذا ما تجده في شرح الآيات (١) :

وَبَلَدَةٌ لِمَاعَةٍ الْأَكْثَفُ فُلُوبٌ غَاشِيَا عَلَى انْحِرَافٍ  
وقال الاصمعي في شرح الثاني : « وقوله « على انحراف » ، يقول : من غشيها فانه منحرف ليس بظلمين . قال الاصمعي : قال اعرابي ، وسمعت رجلاً يقرأ « ومن الناس من يعبد الله على حرف » (٢) ، فقال : اللهم اجعلنا من يعبدك على حَرْفَيْنِ » .

فالأصمعي اذن لا يتخلّى عن الملح والنوادر ان وجد اليها منفذاً ، بل يجعل منها ما يشبه الاستراحة أحياناً من ذلك التزاحم اللغوي في رجز العجاج او شرح الاصمعي له .

ومن المهم جداً أن نشير الى أن الأصمعي قد تنبه في شرحه الى مظهرتين خطيرتين ، الأولى ظاهرة الالتئام في رجز العجاج ، والثانية ظاهرة الاضطراب في نسبة بعض الآيات الى العجاج والى غيره من الشعراء .

### (١) الأرجوزة ١/٨ - ٢ .

(٢) سورة الحج ١١/٢٢ والحرّف في الآية : الشك ، أي على شك في صيادته ، شبهه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته . ولم يفهم اعرابي هذا المعنى .

فيها ولا استقصاء ، ومثال ذلك كله ما تجده في شرح الآيات (١) :

فَاصْبَحًا بِنَجْوَةٍ بَعْدَ حَرَرٍ مُسَلَّمِينَ مِنْ إِسَارٍ وَأَسْرٍ  
وقال في شرحها : « قال : والنَجْوَة ، ما ارتفع من الأرض ، أي أصبحا بمكان مرتفع عن الأذى بعد حرر ، يريد عاصماً وحيثاً . يقول : أصبحا بيمينين حال بعد ضر من إيسار وأسّر ، قال : لما اختلف اللفظان حسن التكرير ، ولما يقال : إيسار وأسّر ، فاحتاج اليه فحركه . قال : وكانا لصين ، فأخذهما مروان وكان على اليامة والمدينة ، فرفعها الى سجن المدينة . قال فشنع الى عبد العزيز بن مروان فأعانه على شيء من أمرهما . والذي نعلمه من أخبار الأصمعي أن أكثر روايته كانت عن الأعراب ، وهذا يظهر أيضاً في شرحه لديوان العجاج ، فإذا وقفنا عند البيت (٢) :

وَعَهْدَ إِخْوَانِهِمْ كَانُوا الْوَزَرَ  
وجدناه يشرح الْوَزَرَ بالمَلْبَجَا ، ثم يقول : « قال الأصمعي :

وحديثي شيخ من غني » (٣) قال : قلت لأعراب تزلت عندهم مثنى : هل من مرعى ؟ فقالت امرأة منهم : نعم ، انظر بأقبال الأوزار ، تعني بتلك الجبال » .

وإذا كان الأصمعي قد اشتهر بأنه صاحب ملح ونوادر وأخبار ، فهذه كلها قد تركت آثاراً في شرحه ، فهو لا يترك مجالاً لادخال نادرة أو خبر طريف الا وأورده واتخذ منه ما يريح قارئه أو سامعه من غناء اللغة ومشكلاتها ، ومثال ذلك شرحه للبيت (٤) :

### (١) الأرجوزة ١١/٢ - ١٢ .

(٢) الأرجوزة ٨/١ .

(٣) غني : حي من قطعان .

(٤) الأرجوزة ٩٨/١ .

أما ظاهرة الالتحال فقد أشار إليها في موضعين ، اذ شرح البيت (٥٢) من الأرجوزة (١) ثم قال : « قال الأصمعي : أظن هذا البيت مصنوعاً ، أظن ناساً وضعوه يتفنون به ، فأسقط هذا البيت » . وفي مقدمة الأرجوزة (٥) قال : « وقال العجاج أيضاً في قتال الأزد وبني تميم في دم عمرو بن مسعود . قال : وهي تشبه » . ففي الموضع الأول أشار الى انتحال بيت في إحدى الأراجيز ، وفي الموضع الثاني أشار الى اتهام أرجوزة بكاملها ، وهذا يعني أن الأصمعي لم يغفل عن هذه الظاهرة الخطيرة في رجز العجاج .  
وأما ظاهرة الاضطراب فقد أشار إليها في موضعين أيضاً ، اذ شرح هذين البيتين للعجاج (١٤) :

يُمْكِنُ السِّيفُ إِذَا الرَّمْعُ انْتَابَرُ . فِي هَامَةِ اللَّيْلِ إِذَا مَا اللَّيْلُ تَهَرُ .  
ثم قال بعد شرحها : « قال الأصمعي : قال العَلَّاقُ بن جَبَل ، وهو مع أبي موسى أو خالد بن الوليد بنهر المرأة (١٥) :

مَنْ يَرَانَا يَوْمَ الْمَدَارِ وَالنَّهَرِ . يَسْتَبْطِنُ مَيْسَانَ وَقَدْ حَقَّ الْحَدَرُ .  
حَوْلَ أَمِيرٍ صَادِقٍ نَبَتَ الْغَدَرُ . يُمْكِنُ السِّيفُ إِذَا الرَّمْعُ انْتَابَرُ .  
في هَامَةِ اللَّيْلِ إِذَا مَا اللَّيْلُ تَهَرُ » .

وكأنه يشير هنا الى التداخل في رواية أبيات العجاج وأبيات العَلَّاقِ بن جبل ، ولهذا فنظرنا كثيرة في رواية الشعر العربي القديم ، وقد أشار الى مثل هذا أيضاً في الأرجوزة (١٦) اذ قال بعد البيت (٣٠) : « قال الأصمعي : بعضهم يجعل من هذا لدَهْلَبِ القرَيعي . قال أبو سعيد : وسمعت عقبة بن رؤبة يشدها للعجاج » ، فقد أشار الى أن بعض الرواة قد نسب

عدداً من أبياتها الى دهلب ثم صحح روايتها للعجاج بأنه قد سمعها عن عقبة بن رؤبة يشدها للعجاج نفسه ، وعقبه في هذا حجة على غيره من الرواة .

وبذلك كان الأصمعي في شرحه واسع الآفاق ، فلم يترك مجالاً فيه فائدة الاطرفة ، ولكن اهتمامه بالشرح اللغوي ، واستطراده الدائم في سبيل استقصاء هذا الشرح ، كان أبرز ما يميز طريقته في شرح الديوان ، وهذه الطريقة لم تحتفظ بخصائصها لدى شراح الدواوين ومن اليهم بعد الأصمعي ، وإنما جعل الشرح اللغوي يضرر تدريجياً ، ويتجه الى التخفف من الاستطراد ، حتى كاد لا يشرح الا المعنى اللغوي المستعمل للكلمة في البيت ، في حين بدأ يتسع تدريجياً شرح المعاني للأبيات ، حتى غدا يجتث المكان الأكبر من شرح كل ديوان أو مجموعة مختارة .

### ٣ - مصادر مختلفة

في دراستنا لديوان العجاج ، أمكن أن نجد سنداً متصلاً لرواية أراجيزه الا أن ثمة ما يدعو الى نظرة أخرى شاملة الى رواية رجزه ومصادره بوجه عام ، ذلك لأن الأصمعي لم يكن بالرواية الوحيد لأراجيز العجاج ، وثمة ملحقات كثيرة أضفناها الى الديوان ، وهي متناثرة في مصادر اللغة والأدب والمعاجم والتراجم وما إليها ، ولا وجود لها في أصل الديوان ، ومثل هذه الملحقات ظاهرة أصبحت مألوفة لدى كل ديوّان قديم ، وكان صناع تلك الدواوين أمثال الأصمعي وأبي عمر الشيباني وابن السكيت ومن اليهم ، كانوا يصفون للشاعر ديواناً يجمع كل ما وقعوا عليه من أشعاره أوكل ما أعجبوا به أو اطمانوا اليه من هذه الأشعار ، ومن ثم كانت تبقى هنالك أشعار أخرى متناثرة في مصادر المكتبة العربية ، ولا وجود لها في الديوان المصنف .

(١) الأرجوزة ٩٦/١ - ٩٧ .  
(٢) نهر المرأة : نهر بالبصرة ، انظر معجم البلدان ٣٢٣/٥ .

وهذا كله يدعونا أن نعرف الطرق التي وصل منها رجز العجاج ،  
وأني طبقة من الرواة قد عُنيت به واعتمدت بنقله ، وفي معرفة ذلك كله  
مايفيد حتماً في دراسة توثيق هذا الرجز ، وتعليل اختلاف رواياته ، أو  
الاضطراب في نسبه ، أو ما داخله من رجز متحول عليه .  
ولاشك أن أفراد أسرة العجاج وقبيلته كانوا على راس الرواة في حمل رجزه  
ونقله من القرن الأول الهجري الى عصر التدوين في القرن الثاني ، فابنه  
رؤبة كان أشبه براوي لأرجيزه وأخباره ، وعنه دوى أبو عمرو بن العلاء  
ديوان العجاج وعن أبي عمرو رواه الأصمعي <sup>(١)</sup> ، وكثيراً ما نجد روايات  
لآيات العجاج أو شروحاتها أو أخباراً حولها تستند روايتها الى رؤبة بن  
العجاج ، ومن ذلك مثلاً ما سبق أن ذكرناه من اختلاف أبي حاتم والأصمعي  
حول بيت العجاج <sup>(٢)</sup> :

تَجَاباً تَرَى تَلِيلَهُ مُسَحَّجاً

ونقل ابن جني هذا الخلاف فقال : « قال أبو حاتم : قرأت على  
الأصمعي في جيمة العجاج : ( البيت ) ، فقال : ( تليله ) ، فقلت :  
بليته . فقال : هذا لا يكون ، فقلت : أخبرني به من سمعه من قلبي  
في رؤبة أعني أبازيد الأنصاري .. الخ » <sup>(٣)</sup> .

فأبو حاتم ينجح على الأصمعي برواية رؤبة للبيت ، وأمثال هذا كثير  
في مصادرنا المختلفة . وأما رواية رؤبة لأخبار أبيه ، فمن ذلك ما رواه صاحب  
الأغاني فقال : « أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال حدثنا أبو حاتم عن  
أبي عبيدة عن رؤبة ، قال : لما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة بعث بي

(١) فهرسة ابن خير ٣٩٣ .

(٢) الأرجوزة ٧٩/٣٣ .

(٣) الخصائص ٣٦٦/١ - ٣٦٧ ، وانظر نزهة الألبا ٢٥٣ .

العجاج مع أبي لنقاء <sup>(١)</sup> .. الخ .

وروايته لأخبار العجاج جعلته يروي عنه أيضاً الحديث ، ومن  
ذلك ما نقله صاحب الأغاني فقال : « أخبرني عبد الله بن أبي داود السجستاني  
قال حدثنا عبد الله بن محمد بن خالد قال حدثنا يعقوب بن محمد الزهري قال  
حدثنا محمد بن إبراهيم عن يونس بن حبيب عن رؤبة بن العجاج عن أبيه قال :  
أنشئت أبا هريرة <sup>(٢)</sup> :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَعَلَّيْتُ بِأَمْرِهِ السَّيْءُ وَاسْتَقَلَّتْ  
يَاذَنِي الْأَرْضُ وَمَا تَعَيَّنَ أَرْضِي عَلَيْهَا بِالْجِلَالِ الثَّيِّبِ

الْبَاعِثُ النَّاسَ يَوْمَ الْمَوْقِفِ

قال أبو هريرة : أشهد أنك تؤمن يوم الحساب <sup>(٣)</sup> .

وقال أبو الفرج أيضاً : « أخبرني محمد بن خلف عن وكيع قال  
حدثنا عبد الله بن عمرو عن محمد بن إسحق السهمي عن أبي عبيدة الجداد قال :  
حدثنا رؤبة بن العجاج عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : السَّيْءُ  
يُذَيِّبُ وَصَبْرُ الطَّعَامِ <sup>(٤)</sup> » .

فرواية كان راوية لأرجيز أبيه وأخباره ، وقد كان الى ذلك كثيراً  
ما يسأل عن شروح بعض الآيات أو مما فيها من مشكلات ، ومن ذلك  
مثلاً ما نقله المزياني فقال : « أخبرنا أبو بكر الجرجاني قال : حدثنا أبو  
العباس ، قال : سئل الأصمعي عن بيت العجاج <sup>(٥)</sup> :

(١) الأغاني ٦٠/٢١ وانظر الأغاني أيضاً ١٢٤/١٨ .

(٢) الأرجوزة ١/٢٢ - ٣ ، ٥ ، ٨ ، وفي رواية الأغاني اختلاف واسع  
عن رواية الديوان .

(٣) الأغاني ٥٨/٢١ .

(٤) الأغاني ٥٨/٢١ .

(٥) الأرجوزة ٨/٢٤ ، ورؤية ردة الى الواو فقط ، وأورده صاحب  
القاموس بالواو والياء معاً .



غَيَّرَ ثَلَاثَ فِي الْمَحَلِّ صَيِّمٍ

وأصله الواو : قال حدثني عيسى بن عمر قال : سألت رؤبة عن هذا فقال : تبه به في المُنْتَهَيْن ، هو صَوْمٌ<sup>(١)</sup> .

وقال المرزباني أيضاً : « أخبرني الصولي قال : حدثنا القاسم بن اسماعيل قال : حدثنا محمد بن سلام ، قال : سمعت يونس يقول : كان رؤبة عندي ، فقال له رجل : مامعنى قول العجاج<sup>(٢)</sup> :

وَحَبَّسَ النَّاسُ الْأُمُورَ الْحَبْسَاسَا

فقال له رؤبة : قَلْبَهُ وَبَلَك !<sup>(٣)</sup> » .

وهكذا كان رؤبة راوية لأراجيز أبيه ، شارحاً لما يسأل عنه من معانيها أو أبينتها ، غير مغفل لما يوضح أمرها من أخبار أحياناً ، وكأنه بذلك من طبقة أولئك الرواة العلماء الذين ستحدث عنهم بعد قليل .

ورؤبة كان له من الأبناء عبد الله بن رؤبة ، وعقبة بن رؤبة ، ولا شك أنهما قد أسهما أيضاً في رواية أراجيز العجاج وأخباره ، وقد نُقِلَ اليْنَا بعض الأخبار التي تشير إلى ذلك ومنها قول البغدادى : « قال أبو القاسم الزجاجي في أماليه الوسطى والصغرى أخبرنا أبو عبد الله محمد بن العباس البزدي قال أخبرنا أبو الفضل الرياشي عن الأصمعي عن عبد الله بن رؤبة بن العجاج عن أبيه عن جده قال : أنشدت أبا هريرة .. الخ<sup>(٤)</sup> » ، ومن ذلك أيضاً ماقاله المرزباني : « قال الأصمعي : وأنشدني عقبة بن رؤبة :

وَدَغِيَّةٌ مِنْ خَطِيلٍ مُغْدَوْدِينَ

ولمّا هو دغوة ، يقال : فلان ذو دغوات أي سقطات<sup>(٥)</sup> » .

وهذا البيت لرؤبة بن العجاج<sup>(٦)</sup> ، وقد أنشده عقبة بن رؤبة ، وقد أشرنا في بحث سابق إلى أن عقبة هذا لم يحفظ عنه خبر غير التقائه مع بشار بن برد عند عقبة بن سلم ، ولم يُنْقَلْ له بيت واحد من الشعر ، ولمّا ضاعت أخباره وأراجيزه ، ولا شك أنه فُتِحَ معها أيضاً كثير من مروياته وأسانيده التي نقل فيها بعض الأخبار والأراجيز عن أبيه وجده .

ومن هنا نجد أن أسرة العجاج من ولده وأحفاده قد أسهمت دون ريب في رواية رجزه ، وكذلك أخوه العباس ، إذ قال الجاحظ : إنه كان « علامة عالماً ، نسباً راوية<sup>(٧)</sup> » ، وإذا كان راوية ، فلا يعقل أن يروي أشعار الناس من دون أراجيز أخيه العجاج ، بل ينبغي أن يكون العباس من أفراد أسرة العجاج الذين كان لهم الدور الأول في رواية رجزه .

ولم تكن أسرة العجاج هي الوحيدة التي نقلت رجزه إلى عصر التدوين ، ولمّا كانت قبيلته أيضاً لها حظ في ذلك ، شأن أي شاعر آخر من شعراء أدبنا القديم ، فالقبيلة كانت تحفظ أشعار شعرائها منذ الجاهلية ، واستمر بها الأمر على هذا النحو في الاسلام وذلك لما رأيناه من استمرار الأساس القبلي في تكوين المجتمع الاسلامي لذلك الحين ، وربما بلغ الأمر بأحد أفراد قبيلة العجاج أن يشتمل رجزه وينسب إلى نفسه ، فقد نقل الجرجاني بسنده أن أبا نَحْيَلَةَ<sup>(٨)</sup> الراجز قال : « وفدت على مسلمة بن عبد الملك وقد مدحت

(١) الموشح ٢١٨ .

(٢) في المعاني الكبير ٧٦٦/٢ ، وشرح القاموس مادة ( غدن ) .

(٣) البيان والتبيين ٣٥٦/١ .

(٤) سبق التنبيه الى ان اسمه تحرف في الوساطة فجاه «أبا بجيلة» بالباء والجيم .

(١) الموشح ٢١٨ .

(٢) الأراجوزة ٦٤/١١ ورواية الديوان : « وحَبَّسَ النَّاسُ الْأُمُورَ » .

(٣) الموشح ٢١٨ - ٢١٩ .

(٤) خزانة بولاق ٥٠٩/٣ .

فاكرمني وأزلي ، ثم قال لي : مالك والقصيد وأنت من بني سعد ، عليك بالرجز قلت : أولست بأرجز العرب ؟ فقال : اسمعني ، فأنشدته :

يا صاح ماسأفك من رسم خالٍ - ودمنة تعرفها وأطلال

وهو من قول العجاج<sup>(١)</sup> ، فلما سمع أولها أصاح ، فلما أسبغت فيها قال : امسك ، فحنن أروى لهذا منك ! وظننته مقتني فما أصبت منه خيراً<sup>(٢)</sup> .

ولا يهينا في هذا الخبر الآن ما يدعيه أبو نخلة لنفسه من رجز العجاج ، وإنما يهينا أن أبا شخيلة قد حفظ رجز العجاج ، وكلاهما من قبيلة بني سعد من تميم ، وهذا يؤيد ما قلناه من أن قبيلة العجاج نفسها كانت تحفظ أراجيزه وترونها ، ولم تكن كلها كأبي نخيلة في هذا الانتحال والادعاء ، ومع ذلك فخير أبي نخيلة هذا يمكن أن يهينا منذ الآن على بعض الأسباب للاضطراب في رواية رجز العجاج .

فأصرة العجاج وقيلته قد كان لها اليد الطولى في رواية رجزه خلال القرن المجري الأول ، أضف إلى ذلك أن العجاج نفسه ربما كان يحسن الكتابة ، يدل على ذلك كثرة ما أورده في رجزه من تشبيه الأطلال بأثر الكتابة ، وقد رأينا أمثلة لذلك في موضع سابق ، وإذا كان العجاج يحسن الكتابة فهذا يعني أنه قد أسهم هو أيضاً بتدوين طائفة من رجزه على الأقل ، فكان ذلك عوناً لرواة من بعده ، أو لبعض الرواة الأقربين منه أو من ولده رؤبة .

ولعل أراجيز العجاج كلها أو بعضها قد دوت قبل الاصمعي ، فقد

(١) ملحقات الديوان ١/٦٤ - ٢ .

(٢) الوساطة ١٥٢ .

ذكر الإمدى كتاباً لبني سعد<sup>(١)</sup> ، وذكر ابن النديم كتاباً آخر لبني قيم<sup>(٢)</sup> ، وبنو سعد من أحياء تميم ، وإذا جمعت أشعار تميم فليس من شك في أنها تضم أشعار بني سعد ، ذلك لأن كتاب القبيلة كان يضم شعر شعرائها أو بعضهم ، وينقل ما يتصل بهذا الشعر من أخبار أو قصص أو أنساب أحياناً<sup>(٣)</sup> ، وهذا يعني أن رجز العجاج قد جُمع كله أو بعضه في كتاب بني سعد أو كتاب بني تميم .

وقد نشط تصنيف دواوين القبائل منذ أواخر القرن المجري الثاني على أيدي أبي عبيدة معمر بن المثنى والاصمعي من علماء البصرة ، والمفضل الضبي وأبي عمرو الشيباني من علماء الكوفة ، إلا أن ثمة من الأخبار ما يدل « على أن كتب القبائل كانت مكتوبة مدونة قبل مطلع القرن الثاني المجري ، وأن العلماء الرواة من رجال الطبقة الأولى - في القرن الثاني - قد وصلتهم هذه المدونات من القرن الأول المجري فاعتمدوها مصدراً من مصادر تدوينهم نسخهم الخاصة التي نسبت روايتها إليهم<sup>(٤)</sup> . »

وبما يؤيد هذا الرأي ماورد في خبر دخول الاصمعي لأول مرة على الرشيد ، وفيه يقول الاصمعي : « قال الرشيد : احسن ، اروي للعجاج ورؤية شيئاً ؟ قلت : هما يا أمير المؤمنين يتشاذبان لك بالفواني وإن غابا عنك بالأشخاص . فمد يده فأخرج من تحت فراشه رقعة ، ثم قال : اسمعني . فقلت :

(١) المؤلف والمختلف ٦٩ .

(٢) الفهرست ٢٢٦ .

(٣) انظر مصادر الشعر الجاهلي ٥٥١ - ٥٥٤ .

(٤) مصادر الشعر الجاهلي ٥٥٨ .

أَرَقَنِي طَارِقُ نَحْمَ طَرَقَا

فَضِيَتْ فِيهَا مَضَى الْجَوَادُ فِي سَنَسٍ مِيدَانَهُ .. الخ (١) .

ووجود « رقة » عند الرشيد فيها رجز للعجاج أو لرؤبة بن العجاج ، يعني أن بعض هذا الرجز على الأقل قد دَوَّنَ قبل اشتهار أمر الأصمعي ، ذلك لأنه لم يحظ بهذه الشهرة إلا بعد أن اتصل بالرشيد ، واختص بمناذمته وبجالسته .

وبذلك كانت الرواية والتدوين قد اجتماعاً معاً في الحفاظ على أراجيزه العجاج ونقلها من القرن الأول إلى القرن الثاني ، ومن ثم أصبحت أراجيزه بين أيدي الطبقة الأولى من الرواة العلماء (٢) ، أمثال أبي عمرو بن العلاء ، وعبد الملك بن قريب الأصمعي ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي عمرو الشيباني ، ثم الطبقة الثانية من هؤلاء الرواة ، أمثال أبي حاتم السجستاني ، وأبي إسحق الرضائي ، وأبي الفضل الرائي ، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي .

وقد سبق القول في تفصيل أمر هؤلاء الرواة ، وسبق القول أيضاً في أن ديوان العجاج قد رواه الأصمعي عن أستاذه أبي عمرو بن العلاء عن رؤبة ابن العجاج عن أبيه العجاج ، وكثيراً ما نجد في مصادرنا روايات لأبيات العجاج تسند إلى أبي عمرو بن العلاء ، أو الأصمعي ، أو أبي عبيدة ، أو أبي زيد ، أو من تلاهم من تلامذة أخذوا عنهم ، واستوا طريقتهم في الرواية والعلم معاً .

- (١) العقد الفريد ١/٦١٦ (طبعة القاهرة ١٣٥٩ هـ) ، وأورد المرتضى هذا الخبر في أماليه ٢/٩٨ .  
(٢) انظر طبقات الرواة في مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد ٢٢٢ - ٢٥٤ .

وكثيراً ما نجد اختلافاً في روايات بعض أبيات بسبب اختلاف هؤلاء الرواة العلماء ، ومثال ذلك ما قاله السيوطي : « الأحوزي مثل الأحوزي ، وهو السائق الحقيف عن أبي عمرو ، قال العجاج (١) :

يَحْزُونُ مَنْ وَلَهُ حَوْزِيْهُ

وأبو عبيدة يرويه بالذال ، والمخى واحد (٢) .

وهناك شروح كثيرة لقدامى الرواة ، تتناول بعض أبيات العجاج ، وهي متناثرة في مصادر الأدب واللغة ، ومنها مثلاً ما نقله أبو بكر بن دريد قال : « .. وأوحى يوحى لإنجاء ، فالوحي من الله عز وجل وإلهام ، ومن الناس إلهاء .. قال أبو عبيدة ، وقد زوى بيت العجاج (٣) :

وَحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِياتِ الثَّبَتِ

و ( أوحى لها ) أيضاً . قال أبو بكر : سألت أبا حاتم عن هذا فضح ، فقال : لا تزال تسألني عما أكره ، ثم قال : يا بني قال أبو عبيدة : وحى لها القرار ، أي كتب لها ذلك ، وأوحى لها القرار لقوله عز وجل ( اتينا طوعاً أو كرهاً ، قلنا اتينا طائعين ) (٤) هذا لفظه ، وقال مرة أخرى : قلنا اتينا طائعين ، أي قال لاهل السموات والأرض ، فاكفئ بذكر السموات والأرض (٥) .  
وأمثال هذه الروايات والشروح كثيرة جداً ، وقد علمت جهدي في التفسير

(١) الأرجوزة ٢٥/١٧٨ ، ورواية الديوان : « يحوزها هو لها حوزي » .

(٢) المزهر ١/٥٦٠ .

(٣) الأرجوزة ٢٢/٤ - ٥ .

(٤) سورة فصلت ١١/٤١ وتام الآية : « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً . قلنا : اتينا طائعين » .  
(٥) جمهرة اللغة ٢/١٩٨ .

والنحو ، حتى كانت الإشارة إليه تكفي لتعريفه وتعريف موضع الشاهد من رجزه ، ومثال ذلك ما قاله ابن فارس : « فاللّخسُ أن يندس الشيء في التراب ، ولذلك سَمِيَ الرَّجَزُ الْإِثْنِي دُخْسًا <sup>(١)</sup> » .

وهو في ذلك لِمَا يشير إلى بيت العجاج في وصف آثار الديار <sup>(٢)</sup> :

فَاطْرَقَتْ إِلَّا ثَلَاثًا دُخْسًا

ولهذا ينبغي أن تتوقع انتشار أراجيز العجاج في تلك المصادر التي عُدَّت جميع اللغة أو تناولت بالتصنيف مشكلات اللغة وظواهرها من فقه واشتقاق وغريب ونوادر وما أشبه ذلك ، لأن في رجز العجاج ذخراً واسعاً من الشواهد على هذا كله ، ولذا كانت أمثال هذه المصادر في مقدمة مصادر رجز العجاج ، ولا سيما المعاجم منها ، حتى إننا عدنا في كتاب الألفاظ لابن السكيت (١١٠) أبيات للعجاج ، وفي جهرة اللغة لابن دريد (٤٢٨) بيتاً ، وفي مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٣) بيتاً ، وفي الصحاح للجوهري (٣٨٨) بيتاً ، وفي الأساس للزمخشري (١١٠) أبيات ، وفي المحصن لابن سيده (٢٠٩) أبيات ، وفي اللسان لابن منظور (٨٠٩) أبيات من أصل الديوان وحوالي (٣٠٠) بيت من الملحقات ، ولو عدنا الأبيات المكررة لكادت هذه الأرقام تتضاعف في هذه المعاجم ولا سيما في اللسان .

وهذه المصادر اللغوية جميعاً لِمَا تورد أبياتاً للعجاج لتكون شاهداً على معنى من المعاني ، أو بنية لفظ من الألفاظ ، أو أصل كلمة من الكلمات . ولهذا الغاية أيضاً كانت كتب التفسير وما يتصل بها من كتب صنّفت في غريب القرآن ، أو مشكاه ، أو مجازه ، أو ما أشبه ذلك ، هي من المصادر

عنها ، أثناء تحقيق الديوان .

فأراجيز العجاج قد حملها الرواية والكتابة إلى هؤلاء الرواة العاملين في القرن الثاني ، ومن ثم أصبحت ألسنة اللغويين والنحاة تليج بها قوتاً يعبد قرن ، لما في هذه الأراجيز من شواهد لاتعد ولا تحصى على معاني اللغة ، وأبنية الألفاظ ، وطرائق الاشتقاق ، وغرائب الاستعمال ، ولهذا كلت يقال : « أشعر الناس العجاجان ، أي روبة وأبوه <sup>(١)</sup> » ، وهذا لِمَا يثبث آراء اللغويين والنحاة فيه ، يدل على ذلك قول الأصمعي : « أخبرني ابن دريد ، قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال قيل ليونس : من أشعر الناس ؟ قال : العجاج ورؤية . فقيل له : ولم ، لم نعلم نعن الرّجّاز ! فقال : هم أشعر من أهل القصيد ، لِمَا الشعر كلام ، وأجوده أشعره ، قال العجاج <sup>(٢)</sup> :

قَدْ جَبَّرَ الذِّينَ الْإِلَهَ فَيَجْبِرُ

فهي نحو ما في بيت موقفة القوافي ، ولو أطلقت قوافيها ، كانت كلها منصوبة . قال : وكذلك عامة أراجيزهما <sup>(٣)</sup> . فيونس ، وهو من النحاة ، مجعّب بالعجاج ورؤية ، مقدم لها على أهل الرجز والقصيد ، ومصدر إعجابه هو جودة الكلام ، وجودة الكلام يبنينا على أساس لغوي أذ يرى في قدرة العجاج على اللغة في أرجوزته تلك دافعاً إلى تقديره على أقرانه من رجّاز ومُتَقَدِّين .

وهذه القدرة اللغوية هي التي شهرت رجز العجاج في أوساط أهل اللغة

(١) الصحاح ٢٢٧/١ ، والمقاصد النحوية ٢٦/١ ، واللسان (عجج) .

(٢) مطلع الأرجوزة (١) من الديوان .

(٣) الأغاني ١٢٤/١٨ و ٥٦/٢١ ، ونقله ابن رشيق في المصدا ٥٦/١ ، والبغداد في الخزائن ٩٢/١ ، والسيوطي في المزه ٤٨٤/٢ .

(١) مقاييس اللغة ٣٣٤/٢ .

(٢) الأرجوزة ٩/١١ .

الرئيسية لرجز العجاج ، ولهذا أمكن أن نعد في مجاز القرآن مثلاً لأبي عبيدة (٢٧) بيتاً من رجز العجاج .

ثم كانت كتب النحر على اختلافها من مصادر رجز العجاج أيضاً ، وذلك لما في رجزه من شواهد كثيرة تؤيد ماضعه أوائل النجاة من قواعد اللغة ، أو لما فيه من خروج على تلك القواعد أحياناً ، ومن ثم كان الخلاف يتبع بين النجاة ، منهم من يحاول أن يوجد له تعليلاً ، ومنهم من يذهب به إلى الشذوذ في الاستعمال ، وحسبنا أن سيوبه قد احتجّ بآيات للعجاج ، أو بآيات تنسب إليه ، في (٢٧) سبعة وعشرين موضعاً من كتابه ، وهذه نسبة كبرى إذا ما قيست بسائر الشعراء الذين احتجّ بهم سيوبه في الكتاب ، وإذا عدنا إلى مجالس ثعلب أو الخصائص لابن جني مثلاً ، وجدنا في الأول (٢٧) بيتاً للعجاج ، وفي الثاني (٤٥) بيتاً ، مما يؤكد اهتمام هذا النوع من المصادر بـرجز العجاج .

ثم تردّ مصادر الأدب والنقد والمعاني ، وقد أورد كل منها طائفة من رجزه ، ولكنها قليلة نسبياً إذا ما قورنت بالمصادر السابقة ، حتى إن كتاب الأغاني مثلاً لم ينقل من أراجيز العجاج إلاّ ثمانية أبيات متفرقة وردت في ثنائيا أخباره ، ولم يشذ الجاحظ من رجزه غير (١٦) بيتاً في البيان والتبيين ، و (٩) أبيات فقط في كتاب الحيوان ، إلاّ أن هذه المصادر ربما طالعتنا بشيء من أخباره ، أو أغلاطه ، أو بعض خصائص رجزه أو أحكام النقاد التقديمي فيه ، ولذلك فهي من المصادر الهامة جداً لرجز العجاج ودراسه معاً .

وبتو ذلك منزلة تلك المصادر التي تناولت شرح بعض الدواوين أو المختارات أو اهتمت بجمع الأمثال ، أو صنّفت على شكل رسائل في موضوع من الموضوعات ، أو تعرضت لطبائع الحيوان ، أو ألقت في الأماكن

والبلدان ، فبذه المصادر جميعاً إما ترد بعض ما ينصل بموضوعها من الشواهد ، وكثيراً ما نجد في بعضها تحريفاً أو اضطراباً في الرواية .

وأما كتب البلاغة فلا قيمة لها في دراسة رجز العجاج ، ولولا بيت العجاج (١) :

ومقلة وحاجبا مزججاً وفاحما ومرسنا مسرجاً

لما كان له ذكر في هذه المصادر ، إلاّ أن البيت الثاني لا يخلو منه كتاب من كتب البلاغة ، وذلك لأن الإغراب في قوله « مسرجاً » قد أصبح من شواهد البلاغيين طراً .

وهناك مصادر أخرى في المكتبة العربية ، ولا وجود فيها لأشعار العجاج وهي كتب التاريخ ، والسيرة (٢) ، والديانات ، والمذاهب والفرق ، والكتب التي عالجت أبحاثاً عامة في الديانة الإسلامية ، وصفات الله وأسمائه ، والملائكة والكتب المقدسة ، والأنبياء والرسل ، والقضاء والقدر ، وما يتفرع عن هذه الأبحاث جميعاً (٣) .

فبذه المصادر كلها لم نقف على أي بيت فيها للعجاج ، وأكثرها بعيد كل البعد عن ذكره مع أنها تحدثت عن بعض معاصره ، وهذه المصادر أكثرها غير موثقة فيما تناولته من أشعار ، ولا سيما كتب التاريخ منها ، لأن أصحابها لا يمتنون بصلة إلى رواية الشعر أو نقده ، وأكثر الشعر المتحول على أمة بن أبي الصلت مثلاً ، قد حماه النا أمثال هذه المصادر من كتب التاريخ والسيرة وما إليها ، أما المصادر التي تناولت طرفاً من رجز العجاج ، فهي من المصادر

(١) الأرجوزة ٣٩/٣٣ - ٤٠ .

(٢) ما عدا الروض الأنف ، وهو من شروح السيرة ، لا كتاب في السيرة نفسها .

(٣) كل ما رجعنا إليه من هذه المصادر البتته في بيت المصادر والمراجع .

الموثوق بها بوجه عام ، وإذا رأينا فيها بعض آثار التحريف أو الاضطراب في الرواية ، فهذا أمر لا ينبو منه شاعر قديم في تاريخ أدبنا العربي ، وإذا وقفنا على بعض الآيات التي نرجح أن تكون منجولة ، فهذا لا يبعدو كتب النحو بوجه خاص ، ذلك لأن الصراع بين النحاة ربما قاد بعضهم أحياناً إلى صنع ما يؤيده من شواهد ، ومثل هذا لا يخفى منه طابع الوضع والتلفيق ، ولذلك كانت مصادر العجاج بوجه عام لا مجال إلى انهماكها أو التنبل من توثيقها ، وكل ما يمكن لنا أن نشير إليه هو وجود بعض الشواهد القليلة المثمة في كتب النحو وهي لا تجعل من السائق أن نتهم كتب النحو كلها ، أو أن نعتبرها كتباً غير موثوقة بها ، شأن انهماكنا لابن إسحق في السيرة <sup>(١)</sup> ، أو للمقدسي في كتابه البدء والتاريخ <sup>(٢)</sup> . والفصل القادم سيكون خاصاً بدراسة هذا الجانب من رجز العجاج .

رَفَعُ

## الفصل الثالث

عبد الحميد الحميري  
أسلم الدين الزروركي

### توثيق رجز العجاج

أشرنا في مواضع سابقة إلى ظاهرتين كان الأصمعي قد تنبه إليهما في رجز العجاج ، وهما ظاهرة الانتحال ، وظاهرة الاضطراب في الرواية ، وفي هذا الفصل نود أن نبسط القول في كل منها ، وذلك لتوثيق أراجيز العجاج قبل أن نخفي في الفصول التالية إلى دراسة خصائصها المختلفة .

#### ١ - الانتحال في رجزه

إن ظاهرة الانتحال لم تقتصر على شعراء ما قبل الاسلام ، ولما تبرز أحياناً لدى شعراء العصر الأموي ، ذلك لأن القرن الأول الهجري لم يتسع فيه نطاق التدوين اتساعه في القرن الثاني وما بعده ، إلا أن هذه الظاهرة تختلف في وضوحها واتساع أمرها من شاعر إلى آخر ، سواء كان الأمر في الجاهلية ، أم كان في عصر بني أمية ، إذ أن الأحداث نفسها كانت تتحدد وتباين والأحزاب أي شاعر يمكن أن يضاف إلى شعره بعض المنحول عليه ، وذلك تبعاً للصراع القبلي والحزبي الذي ضجّ في القرن الأول بعد الهجرة .

ومن هنا يمكن أن نتلص ظاهرة الانتحال في رجز العجاج ، فهذا رجل لم يشتهر أمره على أساس ذلك الصراع الحزبي أو القبلي لعصره ، ولأن كان قد مَسَّ بعض جوانب هذا الصراع في رجزه ، ولعل عدم شهرته بذلك

(١) انظر دراستنا لأمية بن أبي الصلت ٥٣ - ٥٦ .

(٢) المصدر السابق نفسه ٥٩ .

مادفع بالجاحظ إلى القول عنه : « وهو أعراي ليس ببذي نخلة » ، ولا حب خصومة ، وقد أدرك الجاهلية <sup>(١)</sup> .

ولو اشتهر أمره بمثل هذه الموضوعات لكان حُمِلَ عليه شيء منها ، سيما أن الأرجوزة التي انتبها الأصمعي لا تخرج في موضوعها عن الصراع لي في البصرة .

ومعظم أراجيز العجاج كانت وفقاً على الصحراء وما فيها من صور رائعة ، وهذه الأراجيز لاجابة لأحد كي يضيف إليها أشعاراً منجولة عليها ، ولا أن أسأبب العجاج في بنائه للأرجوزة بألفاظها وتراكيبها وموسيقاها . كان تموى عليه أربع الرضائع حذفاً ومهارة ، ومع ذلك فقد أشار الأصمعي موضعين من الديوان فيها شيء من آثار الوضع والانتحال ، وكنا أثرنا هذين الموضعين ولكننا نعود إليها الآن ، لنحاول مناقشة ما فيها من وضع تلفيق .

فالعجاج وصف الجيش بالكثرة والجلبة ، فجعل من كثرته ليلاً ، من أصواته مطراً غزيراً ، فقال <sup>(٢)</sup> :

كأفك زهاؤهم لَمَنَ جَهَرُ لَيْلٍ ، وِرْزُهُ وَغَرُّهُ إِذَا وَغَرُ  
سَابِ سَرَى مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ وَجَرُ عِطِ السَّابِ وَالْمَرَابِيعِ الْكَبِيرِ  
زَقَرْتُ فِي السَّوَابِي وَزَقَرُ بَغْرَةُ نَجْمٍ هَاجَ لَيْلًا فَتَغَرُ  
مَاءُ نَشَاصٍ حَلَبَتْ مِنْهُ فِدَرُ حُدُوءُهُ إِذَا الْوَيْلُ انْتَشَرُ

وفي شرح البيت السادس من هذه الآيات قال الأصمعي : « وقوله بغرة نجم ( ) ، قال : فورة نجم . فتَغَرُ ، يقول : فار بها . فقال

(١) كتاب العثمانية للجاحظ ١٢٥ .

(٢) الأرجوزة ٤٧/١ - ٥٤ .

الأصمعي : اظن هذا البيت مصنوعاً ، اظن ثاساً وضعوه يثمنون به » فأسقط هذا البيت .

وأفضل ما في قول الأصمعي كلمة « اظن » ، فهو يظن أن البيت مصنوع ، ولذلك يدعو تلميذه إلى إسقاط هذا البيت وعدم روايته ، ومرد ذلك إلى أن في البيت روحاً جاهلية لا تتفق مع الشعر الإسلامي ، فالعرب قبل الإسلام كانوا يؤمنون بالألواء ، وينسبون المطر إلى النجوم ، فيقولون : « مطراً ثابثاً كذا » <sup>(١)</sup> .. ، وهذا كله قد أبطله الإسلام ، ولعل هذا مادفع الأصمعي إلى اتهام البيت وربما كان البيت موضوعاً فعلاً ، إلا أننا لا نجد سبيلاً إلى القطع بذلك ، لأن رجز العجاج قد تنقل عدداً من المعاني الجاهلية التي لا يمكن أن تسهم لمجرد أنها معاني جاهلية ، ذلك لأنها وردت في رجز أعراي قد قتل الإسلام على ما يبدو من رجزه ، ولكنه لم يستطع أن يتخلى عن بعض المعاني الجاهلية التي انطبعت في نفسه وهو بعيد في صحارى نجد ، ولا سيما أن هذه المعاني لا تخرج عن تصوير بعض العادات القديمة أو المعتقدات التقليدية التي لاتعارض مع الإسلام تعارضاً واضحاً أو جدياً .

ولهذا يمكن القول إن البيت الذي شك فيه الأصمعي ، قد يكون مثاراً للشك والالتباس ، ولكنه لا يمكن القطع بوضعه وانتحاله .

ومما موضع آخر أشار فيه الأصمعي إلى الانتحال في رجز العجاج ، وذلك في الأرجوزة (٥) من الديوان وأولها :

لَمَّا رَأَوْا مِنَّا إِذَا سَامِكَا مَرْدَى خُرُوبٍ يَقْرُجُ الْإِسْكَانَا  
وقال الأصمعي مقدماً لها : « وقال العجاج أيضاً في قتال الأزدي وبني

تيم في دم مسعود بن عمرو . قال : وهي تسهم . »

(١) انظر اللسان مادة ( نوا ) .

«دراسة الأرجوزة تبرز بعض دواعي الشك فيها ، ومن ذلك موضوعها ، فهو يتصل بالفتنة التي شجرت بين القبائل في البصرة عقب وفاة يزيد بن معاوية . وهرب والده على البصرة عبيد الله بن زياد ، فظلت البصرة من أمير شرعي ، وبرز الصراع العصبي بين تميم المضربة والأزد البانية ، فجعلت تميم ترتفع إلى الأمانة من شامت ، وشرعت الأزد ترتفع إليها من أرادات ، وبذلك قامت الحرب بينهما ، وقتل مسعود بن عمرو العتسكي بعد أن رفعته الأزد إلى إمارة البصرة<sup>(١)</sup> . ومن ثم نجد في هذه الأرجوزة النسوبة إلى العجاج فخرًا بالقضاء على الأزد وقتل زعيمها مسعود بن عمرو . ومثل هذا الموضوع يمكن أن يُنحَل الشعر بسببه ، لا فيه من أهداف عصبية بين القبائل ، ولا سبًا أن للعجاج أرجوزة أخرى مؤثقة . تناول فيها فتنة البصرة وقتال الأزد وبني تميم وقتل مسعود بن عمرو العتكي<sup>(٢)</sup> .

ومما يؤيد ذلك أن في الأرجوزة بعض المآخذ التي أشار إليها الأصمعي نفسه ، ومنها ما علق به على هذا البيت<sup>(٣)</sup> :

هذا ومنا المُمطرُ الرِّكَّاكَا

قال الأصمعي : « أخطأ لما كان ينبغي أن يقول : منا المُمطرُ المطر الغزير ، فقال : الرِّكَّاك ، وهو جمع رَكَاكٍ ، ورَكَاكٌ جمع رَكَاكٍ ، وهو المطر الضعيف » .

وأمثال هذا لا يصر عن العجاج ، إذ لا يمكن أن يضل في تحديد أوصاف

(١) تاريخ الطبري ٤٠٣/٤ - ٤٠٨ ، وتاريخ ابن الأثير ٥٥/٤ - ٥٧ ، وجمهرة الأنساب ٣٥٠ ، وأسماء المتنازلين من الأشراف في نوادر المخطوطات ١٧١/٤ .

(٢) البيت ٢٧ من الأرجوزة .

(٣) الأرجوزة ( ٣٥ ) من الديوان .

وثقة الصلة بالبحراء ، وهذا يرجح أن تكون الأرجوزة منجولة عليه بدافع من الصراع بين العصبية ، لأن هذا الصراع جعل كل قبيلة على التزيد من أمثال هذه الأشعار التي تصور ألامها وانتصاراتها على القبائل الأخرى .

فإذا عدنا إلى الأراجيز التي وردت في ديوان العجاج لم نجد موضعاً للشك في غير الأرجوزة السابقة ، وأما المقطعات التي أشفناها من مصادر مختلفة فالثك يلح في بعض المقطعات أو الأبيات التي وردت في كتب النحو بوجه خاص ، ذلك لأن الخلاف بين النحاة والخصومة القائمة بين مدرستي الكوفة والبصرة<sup>(١)</sup> ، كانت من الأسباب التي أدت إلى تحل بعض أبيات الشواهد وعزوها للشعراء القدامى ، وكثيراً ما يقع الاضطراب في رواية هذه الأبيات وعزوها لهذا الشاعر أو لذاك . ومن هنا نجد بجلاً للشك والالتباس في بعض المقطعات التي عزيت للعجاج ، أو نسبت إليه وإلى عدد آخر من الشعراء أو الرجاز .

ومن المقطعات التي تشك فيها هذه الأبيات :

لقد رأيتُ عَجَباً مُدَّ أَمْسَا عَجَازاً مِثْلُ الْأَفَاعِي خَمْسَا  
يَا كُنْ مَافِي رَحْلَيْنِ هَمْسَا لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهْنٌ خَيْرَسَا  
وَلَا تَلِينِ الدَّهْرُ إِلَّا تَعَسَا فِيهَا عَجُوزٌ لَاتَشَاوِي فِلَسَا  
لَا تَاكُلُ الزُّبْدَةَ إِلَّا نَهَسَا

وقد وردت هذه الأبيات كلها أو بعضها في مصادر كثيرة جداً<sup>(٢)</sup> ، وذلك لأن البيت الأول شاعل على أن بعض بني تميم يعربون « أمس » ويعتونها من الصرف ، خلافاً لأهل الحجاز فهي عندهم مبنية على الكسر مطلقاً ، وكل من رواها أو روى أبياتاً منها كانت روايته دون نسبة إلى شاعر معين ،

(١) انظر هذه الخصومة في مصادر الشعر الجاهلي ٤٢٩ - ٤٣٨ .

(٢) انظر تخريجها في الديوان .



، إن بعضهم قد صرح أنها من الشعر الذي لا يُعرَفُ قائله <sup>(١)</sup> ، ولم ترد إشارة إلى نسبتها للعجاج إلا عند البغدادي إذ قال : « والبيت الشاهد ن أبيات سيويه التي ما عرفت قائلها ، وقال ابن المستوفي : وجدت هذه أبيات الثانية في كتاب نحو قديم للعجاج أبي رؤبة ، وأراه بعيداً من طه <sup>(٢)</sup> » . ولم نجد منها إلا سبعة أبيات فقط .

واضح ما قاله ابن المستوفي فالأبيات بعيدة عن نط العجاج في أراجيزه ، قد يقال : إن لكل شاعر ضعيفاً وسقطاً ، وقد تكون هذه الأبيات من نيف العجاج وسقطه ، وهذه حجة لا تنكر ، ولولاهما لقطعنا بنقل الأبيات طعاً ، إلا أن وضع النواة للشواهد ، ونجافي هذه الأبيات عن أسلوب عجاج ، نجعلنا نشك فيها ، ونحيل بها إلى الشعر المنحول عليه ، ولا يمنعنا ن هذا الشك أن بعضها ورد في كتاب سيويه ، لأن شواهد سيويه لم تخل ن بعض الأبيات المنحولة ، وإذا كنا نحمل سيوية عن ذلك ، فلا مربة أن تل هذه الأبيات قد وضعت قبل تأليف سيويه للكتاب .

ومن الرجز الذي نشك فيه أيضاً ، هذه الأبيات :

بِقِنَا جِسَانٍ وَمِعْرَاةٍ تَحْطُ تَلَحَّسْ أَذْنِيَّ وَحِينًا تَمْتَحُطْ  
فِي سَمَنْ مَنهُ كَثِيرٌ وَأَقِطْ مَا زِلْتُ أَسْمَى بَيْنَهُمُ وَالْتَحِطْ  
حَتَّى إِذَا كَادَ الظَّلَامُ يَخْتَلِطْ جَاءُوا بِمَعْدَنِي هَلْ رَأَيْتِ الذَّبَّ قَطْ

وهذه الأبيات وردت في مصادر كثيرة دون نسبة <sup>(٣)</sup> ، وعزتها بعض لصادر للعجاج ، فقال العيني : « أقول ذكره المبرد ونسبه إلى راجز لم

(١) المقاصد النحوية ٣٥٧/٤ .

(٢) خزانة بولاق ٢٢٢/٣ .

(٣) انظر تخريجها في آخر الديوان .

يعين اسمه ، وقيل هو العجاج <sup>(١)</sup> ، وقال العيني أيضاً : « عزي إلى العجاج ، ولم يثبت <sup>(٢)</sup> » ، وقال البغدادي : « وهذا الرجز لم ينسب أحد من الرواة إلى قائله ، وقيل : ذلله العجاج <sup>(٣)</sup> » .

وكل من أورد هذه الأبيات كلها أو بعضها ، إنما أوردناها لأن في البيت الأخير شاهداً عندهم لوقوع جملة « هل رأيت الذب قط » الاستهامية ، نعتاً لـ « مدق » على تقدير القول ، أي جاءوا بمدق يقول من رآه : هل رأيت الذب قط . ذلك لأن الجملة التي تقع نعتاً شرطها أن تكون خبرية . وإذا عدنا إلى تأمل الأبيات وجدناها كالأبيات السابقة تختلف كل الاختلاف عن نط أراجيز العجاج ، وعدم نسبتها في أكثر المصادر إلى راجز معين ، ربما أوحى بنقلها من أساسها على أيدي صانع النحو ، ثم حاول بعضهم أن يلصقها بالعجاج لإصافاً ، ولذا لانسلم بتوثيقها ، وإلنا نشك فيها ونحيل إلى ترجيح وضعها واتخاذها .

وفئة أبيات أخرى تبدو فيها بعض مواطن الشك ، ولكننا لانجد أدلة كافية للكبها في الرجز المنحول أو المشكوك فيه ، ولا سباً أن بعضها مضطرب في نسبه إلى العجاج ، وإلى غيره من الرجاز ، ولذا ربما كان من صنع العجاج ، وربما كان منحولاً أيضاً ، ولهذا أنجانا النظر فيه إلى القسم الثاني من هذا الفصل ، وهو الاضطراب في رواية رجز العجاج .

## ٢ - الاضطراب في رواية رجزه

وجدنا أن صور الالتحال قليلة جداً في رجز العجاج ، ولا سباً في

(١) المقاصد النحوية ٦١/٤ .

(٢) فرائد القلائد ٢٨١ .

(٣) الخزائن ٩٥/٢ .

ديوانه الذي رواه الأصمعي ، إلا أن صور الاضطراب في رواية رجزه كثيرة جداً ، ولا بد من عرضها جميعاً لغلبة رجز العجاج قبل أن نبث في موضوعاته وخصائصه . ومشكلة الاضطراب في رواية الشعر ونسبته إلى أصحابه مشكلة صعبة المسالك ، يمكن أن تصادف الباحث في كل دراسة يتجه بها إلى أدبنا القديم ، ولا سيما أدب الجاهلية وصدر الاسلام ، ذلك لأن تشابه الأسماء أحياناً يميل بالرواية إلى الوم والاضطراب بين هذا وذاك ، وأسرة الشاعر أيضاً ربما أوقعت في الوم إن كان فيها من يقرض الشعر ، وكذلك شهرة الشاعر بالون معين من الشعر يمكن أن يقع في الوم والاضطراب مع من اشتهر بهذا اللون أيضاً ، ومن ثم وجدنا اضطراباً واسعاً بين الشعراء الذين عرفوا بالثأله والتحنف ، والشعراء الذين عرفوا بالنسب والغزل ، والشعراء الذين عرفوا بنظم الرجز ، وكذلك نجد اضطراباً في نسبة الأشعار إلى أصحابها لالتباس الآب بسبب الوم وعدم التثبت من الرواة ، وهذا كثير جداً في أدبنا القديم ، وهذه الأسباب وما إليها تجعل من واجب الباحث أن يحقق دائماً في هذه الأشعار المضطربة ، ليكون على بينة مما لهذا الشاعر وما ليس له .

ومن هنا كان توثيق رجز العجاج لا بد فيه من دراسة للأشعار المنحولة أو المشكوك فيها ، ودراسة أخرى للأشعار المضطربة التي يتنازعها الرواة بين العجاج وبين غيره من الشعراء . ويمكن أن تصنف الأراجيز أو الأبيات المضطربة عند العجاج في أربعة أقسام تبعاً للأسباب التي أدت إلى هذا الاضطراب ، وأول هذه الأقسام تلك الأراجيز التي وقع الاضطراب في روايتها مع أسرة العجاج ، ونعني بذلك روبة بن العجاج ، وعبد الله بن روبة حفيد العجاج .

أما عبد الله بن روبة فقد أثار لدينا الشك في موضع واحد فقط ، إذ

أورد الراغب الأصفهاني هذين البيتين :

يرى راحة في كثرة المال ربُّه وكثرة مال المرء المرء متعب  
إذا قل مال المرء قلت همومه وتَشَعَّبَ الأموالُ حين تَشَعَّبَ

وعزاها إلى عبد الله بن روبة<sup>(١)</sup> . ومَرَدُّ إثارة الشك ، إلى أن عبد الله بن روبة يمكن أن يكون العجاج نفسه ، ويمكن أيضاً أن يكون حفيده ، فكل منها يدعى عبد الله بن روبة ، والبيان من الطويل لا من الرجز ، وقول العجاج لغزير الرجز نادر جداً ، ومع ذلك فإننا نرجح أن تكون الأبيات له ، لأن حفيده لم يُسَمَّ عنه أنه يقول الشعر أو الرجز .

وأما روبة فقد حمل لواء أبيه في الرجز ، حتى كالت أكثر من أبيه رجزاً ، وأغزر منه ديواناً ، والرواة يجمعون بينها في الفصاحة واللغة والاحتجاج ولهذا كان ثمة تداخل كثير واضطراب واسع في رواية بعض الأراجيز أو الأبيات ، والخطأ في عزوها إلى روبة أو إلى أبيه العجاج .

وأول ما نلاحظه من صور الاضطراب بين روبة والعجاج بعض الأراجيز التي وردت في ديوان العجاج ، ثم وردت في ديوان روبة ، وهي تعني أنها عزيت إلى العجاج مرة وإلى روبة مرة أخرى ، ولا بد من نظرة إليها ، ولأن كان لنا أن نقول منذ الآن ، إن روبة كان هو الذي روى ديوان العجاج ، ومن المحتمل جداً أنه روى هذه الأراجيز لأبيه فظن بعضهم أنها لروبة فرواها له .

وأول هذه الأراجيز الأربعة (٢٨) من ديوان العجاج ، وأولها :

إنشأ جَعْلَنَا لَتَيْمٍ جَبَّيلاً وَمَعْقِلًا إِذَا أَرَادُوا مَعْقِلًا

(١) محاضرات الادباء ٢٤٧/١ .

وتتألف من (٧) أبيات ، وقد وردت أيضاً في ديوان رؤبة<sup>(١)</sup> ، وفي النسخة التي جاءت برواية الأصمعي وشرحه<sup>(٢)</sup> ، بما يشير إلى أن الأصمعي قد رواها للعجاج أولاً ، ثم رواها لرؤبة ثانياً ، وكان يمكن أن يقال إنها قد أضيفت إلى ديوان رؤبة يوم من النسخ ، ولكن اختلاف الشرح بين هذا الديوان وذاك ، يجعل من المستبعد أن يكون نقلها في ديوان رؤبة بفعل النسخ لا من أصل الديوان .

ولم يرد شيء من أبياتها في كل مارجعنا اليه من مصادر ، وبذلك لا نجد لها مصداً إلا رواية الأصمعي ، وإذا عدنا إلى دراستنا وجدنا من الصعب جداً أن يقال فيها حكم فصل يدفع بها إلى العجاج أو إلى ولده رؤبة ، ولا سيما أن موضوعها هو الفخر بتميم ، وهذا سائد في رجز رؤبة والعجاج معاً ، وأسلوبها لا تتميز فيه بسهولة الفوارق بين أسلوب كل منها ، ولكننا نستشعر من تكرار الألفاظ داخل البيت أنها أقرب إلى أسلوب العجاج منها إلى أسلوب رؤبة ، وكذلك يساعدنا في هذا الترجيح ما قلناه سابقاً من أن رؤبة كان راوية أبيه ، وقد روى هذه الأرجوزة لأبيه حين جُمع شعر العجاج ، ثم رواها مرة أخرى فظن الأصمعي أو أستاذه أبو عمرو أنها لرؤبة نفسه .

والأرجوزة الثانية هي الأرجوزة (٣٩) من ديوان العجاج ، وأولها :

إِنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ حَدَّ نَابِهَا وَطَلَّ بَعْدَ قَصْرِ سَبَابِهَا

وتتألف من (٢١) بيتاً ، وقد وردت أيضاً في ديوان رؤبة ، وفي

النسخة التي رواها وشرحها ابن الأعرابي<sup>(٣)</sup> ، ولم يرد شيء من أبياتها في كل مارجعنا إليه من مصادر ، وإذا عدنا إلى الأرجوزة نفسها وجدناها تتبع طريقة العجاج في الفخر ، فصاحبها لا يهتم ولا يجب ذلك الشتم حتى إنه لا يرد في هذه الأرجوزة على من تعرض له بذلك ، ثم نجد لديه فخرًا بقوافيه وجرياً على لسانه جري السيل من شعاب الجبال ، وهذه المعاني وردت بكثرة في أراجيز العجاج التي خصّها بموضوع الفخر الذاتي ، ولهذا نرجح أن تكون الأرجوزة للعجاج نفسه وما تسلكها في ديوان رؤبة إلا لأن رؤبة كان راوية لديوان أبيه ، ولا يبعد أن يكون ابن الأعرابي أو أحد أستاذه قد وهم في نقل بعض الأراجيز التي رواها رؤبة لأبيه فظن أنها لرؤبة نفسه .

والأرجوزة الثالثة هي الأرجوزة (٤٢) من ديوان العجاج ، وأولها :

يَارِبُ إِن أَسْطَلْتُ أَوْ نَسَيْتُ فَانْتَ لَا تَنْسَى وَلَا تَمُوتُ

وتتألف من (٧٤) بيتاً ، وقد وردت في ديوان رؤبة ، وفي كل من نسختي الأصمعي وابن الأعرابي<sup>(٤)</sup> ، وفي اختلاف بين شرح الأصمعي لها في ديوان رؤبة ، وبين شرحه لها في ديوان العجاج ، وهذا الاختلاف ينفي أن تكون الأرجوزة قد أضيفت مع شرحها إلى ديوان رؤبة بفعل النسخ ، إذ لو تم ذلك على يد من نسخ لا اختلف الشرح المدرج مع الأرجوزة ، وهذا يؤكد أن الأصمعي هو الذي صنف الأرجوزة في ديوان العجاج وشرحها ، ثم صنفاً في ديوان رؤبة وشرحها أيضاً .

وقد وردت أبيات من هذه الأرجوزة في مصادر كثيرة جداً ونسبت إلى

(١) النسخة (٥١٩) أدب ص ١٥٥ ، والنسخة (ش ٤٩) أدب ص ١٦٦ .

(٢) أمكن لنا أن نعثر على أصليين لديوان رؤبة : الأول برواية الأصمعي وشرحه ، والثاني برواية ابن الأعرابي وشرحه أيضاً ، وقد اختلفا في عدد الأراجيز ، وترتيبها ، وطريقة شرحها .

(١) النسخة (٥١٦) أدب الورقة ٣٠٢ .  
(٢) النسخة (٥١٦) أدب الورقة ١٢٨ ، والنسخة (٥١٩) أدب ص ١٠٣ ، والنسخة (٤٩) (ش) أدب ص ١٠٩ .

ية<sup>(١)</sup> ، ولم ترد أية إشارة إلى العجاج إلا في رواية الخالدين لليتين ٣٢ - ٣٣ ) منسوين للعجاج ، وكثرة هذه المصادر التي تروي أحياناً منها أية ربما كانت مرجحاً قوياً في عزو الأرجوزة إلى رؤبة دون العجاج ، لنا لو افترضنا أن الرواة والمضفين قد نقلوا عن ديوان رؤبة هذه الأرجوزة ، بلهم لا ينقلونها عن ديوان العجاج أيضاً ، وكلاهما مصنف موجود بين أيدي مدة الأصمعي ومن لحق بهم ، إن هذا لا نجد له تفسيراً سوى شهرة الأرجوزة أية دون العجاج ، ولكننا بالمقابل لانقوى على تأكيد هذه النتيجة واعتبار رجوزة لرؤبة وإخراجها من ديوان العجاج ، ذلك لأن الديوان الذي بين يدينا قد نُقِلَ الأصمعي روايته نقلاً عن أبي عمرو بن العلاء عن رؤبة له ، ورواية رؤبة لرجز أبيه ربما أوقعت الأصمعي أو أبا عمرو في شيء من الاضطراب والوهم ، ولهذا نشك في نسبة الأرجوزة إلى العجاج ، كتنفي مجرد التنبيه على ما في نسبتها من اضطراب بينه وبين ولده رؤبة . ومقابل هذه الأراجيز الثلاث التي وردت في ديوان العجاج ، وفي ديوان أية أيضاً ، ثمة أرجوزة وردت في ديوان رؤبة برواية الأصمعي دون إشارة العجاج ، وأولها<sup>(٢)</sup> :

وبلدي يغتال خطو المختطي يغابيل الغول عريض المنبسط

وهي تتألف من (٤٥) بيتاً ، وقد وردت أيضاً في ديوان رؤبة برواية الأعراي ، وجاء في مقدمتها قوله : وقال أبو الحسن الخبزي ابن الأعراي ، هذه للعجاج ، وهي في رواية أبي عمرو والأصمعي لرؤبة<sup>(٣)</sup> . ولا شك أن الأصمعي قد رواها عن أبي عمرو (١٥٤) هـ ، ورواية

أبي عمرو أوثق وأقدم من رواية ابن الأعراي ( ٢٣١ هـ ) ، ولا سيما أن أبا عمرو قد نقل ذلك كله عن شفاء رؤبة ، ولو نقل أبو عمرو شيئاً من رواية هذه الأرجوزة للعجاج لأوردتها الأصمعي في ديوانه ، بل إن الأصمعي قد أكد نسبتها إلى رؤبة حين قال في شرح البيت الأول منها : « قال أبو سعيد : سرقها رؤبة من أبيه العجاج ، قال أبيه :

وبلدي يغتال خطو المختطي<sup>(١)</sup>

قال : حدثنا مسلمة بن عياش قال : قال رؤبة : الفحول هم الرواة . قال : يريد أنهم يسرقون .

ونقل : ابن الأعراي في نسخة خلاصة قول الأصمعي فقال : « قوله وبليد ، قال الأصمعي : سرق هذا من أبيه من قوله :

وبليد يغتال خطو المختطي .

فالأصمعي قد نص على سرقه رؤبة لهذا البيت من أبيه العجاج ، وهذا مانص عليه ابن قتيبة أيضاً فقال عن رؤبة : « قوله :

وبليد يغتال خطو المختطي

سرقه من أبيه ، قال أبيه :

وبليد يغتال خطو المختطي<sup>(٢)</sup> .

وبذلك فقول الأصمعي وابن قتيبة يؤكد أن تكون الأرجوزة لرؤبة لا لأبيه كما زعم ابن الأعراي ، والذي يؤكد ذلك أيضاً أن ابن دريد وابن فارس والمجاطة والخزرجي قد نقلوا أحياناً عنها ونسبوها جميعاً إلى رؤبة<sup>(٣)</sup> ،

(١) الأرجوزة ٢/٢٠ ، والبيت برواية الديوان :  
وبلدة بعيدة النياط

مجدولة يغتال خطو المختطي

(٢) الشعر والشعراء ٥٧٨ .

(٣) انظر جملته للغة ٣٠٦/١ ، ومقاييس اللغة ١٥٨/٤ ، والبيان

العجاج - ١١

- ١٦١ -

(١) انظر تخريج الأرجوزة في آخر الديوان .

(٢) النسخة (١٥١٩هـ) أدب) ص ٢١٣ ، والنسخة (ش) ٤٩) أدب) ص ٢٢٧ .

(٣) النسخة (١٥١٦هـ) أدب) الورقة ١٥٤ .

- ١٦٠ -

في حين لم نجد إشارة إلى العجاج إلا في اللسان<sup>(١)</sup> ، إذ نسب إليه بيتين من الأرجوزة ، وهذا لا يبدو أن يكون ضرباً من الوهم ، إذا ما قورن بكثرة الروايات التي تنسب الأرجوزة إلى رؤبة .

ولهذا لم نخجل هذه الأرجوزة إلى ديوان العجاج ، لأن من المرجح لدينا أنها ليست له مطلقاً ، ولأنها هي لرؤبة بن العجاج ، ومكانها الطبيعي أن تكون في ديوان رؤبة .

وقد أرجوزة ألحقت بديوان العجاج ، من رواية أبي اسحق الزبادي ، وهي الأرجوزة (٤٣) ، وأولها :

كَمْ قَدْ حَسَرْنَا مِنْ عِلَاقِ عَنَسٍ كَبْدَاهُ كَالْفَوْسِ وَأُخْرَى جَلَسٍ  
وتألف من (٧٧) بيتاً . وقد أخبر نجعل منها أرجوزة لرؤبة بن العجاج ، أو نجعل العجاج هو الذي سرقها من رؤبة ونسبها إلى نفسه ، ولا بد من مناقشة ذلك حتى نخرج إلى توثيق هذه الأرجوزة .

والخبر الأول نقله ابن قتيبة فقال : « وحدثنى ( سهيل بن محمد ) عن الأصمعي عن عقبة بن رؤبة عن أبيه ، قال : بينا أنا أصليح برذعة لي وأنا أقول<sup>(٢)</sup> :

حتى احتسرتنا بعد ستر حدس إمام رغن في نصاب رغن  
خليفة ساس بغير تعس

فقال لي أبي : بأحق ، ألا قلت<sup>(٣)</sup> :

- والتيبين ٢٦٦/١ ، وأساس البلاغة ٣٤٦/٢ . وعبارة الجمهرة : « قال الراجز رؤبة بن العجاج » .  
(١) اللسان (أجن) .  
(٢) الأبيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ من الأرجوزة .  
(٣) البيت الأول والثاني هما البيتان (٤٠ - ٤١) من الأرجوزة ،

بيتين ابن مروان قريع الإنسان وبنت عباس قريع عيس  
أحب عيس جبلاً وعيس  
فنبها بها كلها ، لا والله ماله منها إلا أربعة أبيات<sup>(١)</sup> .

والخبر الثاني أورده السيرافي فقال « وحدثننا أبو بكر بن السراج ، قال حدثننا أبو العباس محمد بن يزيد ، قال حدثننا الرياضي ، أحبه عن الأصمعي ، قال : قال رؤبة خرجت مع أبي أريد سليمان بن عبد الملك<sup>(٢)</sup> ، فلما صرنا ببعض الطريق قال لي أبي : أيرك راجز وجدك راجزاً وأنت مفهم ! قلت : أفأقول ؟ قال : نعم . قال فقلت :

كَمْ قَدْ حَسَرْنَا مِنْ عِلَاقِ عَنَسٍ

ثم أنشدته إلهها ، فقال : أسكت فض الله فك . قال : فلما انتهينا إلى سليمان ، قال له : ما قلت ؟ فأنشده أرجوزتي ، فأمر له بعشرة آلاف ، فلما خرجنا من عنده قلت : أنسكتني وتشد أرجوزتي ؟ قال : أسكت وملك فانك أرجز الناس . قال : فالتصمت منه أن يعطيني نصيباً مما أخذه بشعري فأبى أن يعطيني منه شيئاً فغابته ، فقال<sup>(٣)</sup> :

لطال ما أجرى أبو الجحاف لينة بعيدة الإحاف  
ثاو عن الأهلين والألائف سرهفتنه ماشت من سرفاف  
حتى إذا ما آخر ذا أعراف كالكوذن المشدود بالإكاف

والبيت الثالث لم يرد في أرجوزة الديوان ، وقد رواه أيضاً بعد هذين البيتين الجواليقي في التكملة ٢٥ ، ورواه ابن منظور في اللسان (عرس) بعد البيت (٤٣) من الأرجوزة .

- (١) الشعر والشعراء ٥٧٦ - ٥٧٧ .  
(٢) سبق أن أشرنا إلى أن الصواب هو الوليد بن عبد الملك . انظر حديثنا عن رحلة العجاج .  
(٣) ديوان العجاج ، الأرجوزة ٧/٨ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٩ - ٦٣ وثمة اختلاف في الرواية .

قال الذي عندك لي صَوافٍ من غير ما كَسَبَ ولا احْتِرَافٍ  
فقال رؤبة مجيباً<sup>(١)</sup> :

انك لم تصف أباً الجِفافِ وكان يرَضَى منك بالانصافِ  
ظلمتني غيْرَتُكَ ذو الإسْرافِ بإلتِ حظي من نَدَاكَ الصافي  
والفضل أن تتركني كَتِفَافٍ<sup>(٢)</sup> .

فاجبر الأول يزعم أن الأرجوزة لرؤبة ، وليس للعجاج منها إلا أربعة  
أبيات والخبر الثاني يزعم أن العجاج قد سرق الأرجوزة من رؤبة ، ثم يجعل  
ذلك سبباً للعتاب الذي جرى بين العجاج ورؤبة ، إلا أن هنالك من الأخبار  
والحقائق ما يفند هذين الخبرين ، ويؤكد أن الأرجوزة للعجاج نفسه .

فالمرزباني نقل بسندين عن أبي عبيدة والأصمعي : « أن العجاج دخل  
على الوليد بن عبد الملك ، فأنشده :

كَمَ قد حَسَرْنَا من عِلَاةِ عَنَسٍ

فصار إلى قوله :

بين ابن مروان قريع الإنس وابنة عباس قريع عيس  
فقال له الوليد : ما صنعتَ شيئاً ، أنشدني غيرَ هذا . فأنشده<sup>(٣)</sup> :

وقد أُراني للغواني مِصْبِداً ملاوةً كان فوقِي جُنُدا  
فقال : مِصْبِداً ، وجُنُداً ، لم تصنع شيئاً ، أفرغتَ مدحك في عمر

(١) ديوان رؤبة : من أرجوزة رَدِّ بهاء على أبيه ، وهي في النسخة  
(٥١٦) أدب : الورقة ٢٩٩ ، والنسخة (٥١٩) أدب ص ١٥٣ ، والنسخة  
(ش ٤٩) أدب : ص ١٥٩ ، وثمة اختلاف في الترتيب والرواية .

(٢) أخبار التحويين البصريين ٩١ - ٩٣ ، ونقله ابن عساکر في تاريخه  
٣٩٥/٧ .

(٣) ديوان العجاج ، الأرجوزة ٩/٢٧ - ١٠ وفي الرواية بعض الاختلاف .

ابن عبيد الله بن معمر إذ قلت - وقال الأصمعي فقال له أنقول في ابن  
معمر -<sup>(١)</sup> :

حَوْلَ ابنِ غُترَةٍ حَصَانٍ إِنْ وَتَرْتُ فَازْوَإِنْ طَالَبَ بِالْوَعْمِ اقْتَدَرْتُ  
إذا الكِرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ بَدَرْتُ  
وتقول في :

بين ابن مروان قريع الإنس وابنة عباس قريع عيس  
فقال : فأما المومنين ، إن لكل شاعر غُترَياً ، وإن غُترَني ذهب  
في ابن معمر ، وقال أبو عبيدة : قال : فإن لكل شاعر حُمَّةً ، وكانت  
هذه الأرجوزة حُمَتي فقهدها<sup>(٢)</sup> .

ثم روى المرزباني شيئاً من هذا الحديث بأسانيد تنتهي عند أبي عمرو بن  
العلاء ، وذكر في نهايته أن يونس كان يشك بهذا لعله أن الوليد كانت  
لُصّاً لا يحسن ذلك<sup>(٣)</sup> ، إلا أن هذا الشك فيه نظر ، ذلك لأن اللحن في  
اللغة لا يمنع أن يتنوع الخليفة بعض المعاني في المديح ، ويفاض بينها ، ولا  
سبباً إذا كان الفارق بسيطاً كما في أبيات العجاج المتقدمة .

والمهم في خبر المرزباني أن سنده ينتهي عند الأصمعي وأبي عمرو وأبي  
عبيدة لا عند رؤبة بن العجاج ، وكذلك فهو لا يشير إلى استحسان العجاج  
لمعاني بعض الأبيات التي أوردها ابن قتيبة ، ولا نجد هذه الرحلة التي وصفها  
السيرافي ، ولا أثر لرؤبة في حضرة الوليد ، ولنا دخل العجاج وحده فأنشد  
الأرجوزة ، أما خبر السيرافي فيشير من طرف خفي إلى اجتماع رؤبة والعجاج

(١) ديوان العجاج ، الأرجوزة ٧١/١ - ٧٣ .

(٢) الموضح ٢١٥ - ٢١٦ .

(٣) الموضح ٢١٦ - ٢١٧ .

معاً بين يدي الوليد . وإذا مُجِدَّ للخيبر أكثر من رواية لم يعد من العلم في شيء أن يؤخذ بواحدة دون أخرى .

وما يمكن أن ينقُض خبر السيراني من أساسه ، هو أن هذا الخبر قد أوردته السيوطي<sup>(١)</sup> ، والبغدادى<sup>(٢)</sup> أيضاً ، ونقله بعده خبيراً آخر يفسر الخلاف بين العجاج وولده ، فقال السيوطي : « وروى صاحب كتاب مناقب الشبان وتقديهم على ذوي الأسمان من طريق محمد بن سلام عن أبي يحيى الضبي ، قال : كان رُؤبة يرعى إبل أبيه ، حتى بلغ وهو لا يقرب الشعر ، فتزوج أبوه امرأة يقال لها عقرب ، فعادت رُؤبة ، وكانت تقسم إبله على أولادها الصغار ، فقال رُؤبة : ما هم أحق مني<sup>(٣)</sup> ، إني لأقاتل عنها السنين ، وأنتجع بها الغيث . فقالت عقرب للعجاج : اسمع ، هذا وأنت حي ، فكيف بنا بعدك ؟ ! فخرج فزيره ، وصاح به ، وقال : اتبع ابلتك : طالباً أجرتى أبو الجحاف .. الخ<sup>(٤)</sup> » .

وهذا الخبر ينقُض مانس عليه خبر السيراني من أن الخلاف بين رُؤبة والعجاج كان بسبب الأرجوزة السنية ، إذ يجعل الخلاف بينهما خلافاً أسرياً يمكن أن يحدث في كل طرف مشابه ، وما يؤيد هذا أن أرجوزة العجاج التي عاتب فيها ولده ، وأرجوزة رُؤبة التي رد بها على أبيه ، لا تحتمل أية إشارة إلى رواية تلك الأرجوزة في حضرة الوليد ، ولما نجد من خلال الأرجوزتين ما ينم عن ذلك الخلاف الأسري بسبب إبل أو مال أو ما أشبه ذلك ، قد جر إلى خلاف أوسع بينهما ، ويبدو من قراءة أرجوزة

(١) شرح شواهد المفني ٣٢٣ .

(٢) الخزائن ٣٩/٢ .

(٣) في الخزائن : « ما هم بأحق مني لها » .

(٤) شرح شواهد المفني ٣٢٤ ، ونقله البغدادى في الخزائن ٤٠/٢ .

رُؤبة أنه كان مهذباً بعض الشيء في الرد على أبيه ، ولكنه كان متألماً لأن والده قد رجز فيه ، ولو كانت المشكلة مشكلة سرقة العجاج لأرجوزة من أراجيزه ، لكان رُؤبة سباً إلى الإشارة ، ولو من طرف خفي ، إلى هذا السبب الذي أثار العجاج فقال في رُؤبة رجزاً قد يسيء إليه بين الناس . ولكن ليس من إشارة إلى هذا كله ، بما يدل على أن هذا العتاب الذي شجر بين الوالد وولده كان خلاف آخر لايت بصلة إلى ما يزعمه رُؤبة فيما بعد من أن السبب كان سرقة العجاج لأرجوزة له .

ولعل الصلة قد ساءت فيما بعد بين رُؤبة بن العجاج وأسرته أبيه ، ولا سيما بعد وفاة العجاج ، ولهذا ربما سمح رُؤبة لنفسه أن يلقق بعض الأخبار التي تناهض أباه العجاج ، أو تلقي عليه السلام فيما كان قد شجر بينهما من خلاف . ولذا وجدنا الخبرين الذين يتالان من العجاج ينتهان عند رُؤبة نفسه ، في حين لم نجد الأخبار الأخرى تنتهي عنده ، ولما تنتهي عند كبار الرواة أمثال أبي عمرو بن العلاء ، تنقل عن شاهد ماجري في مجلس الوليد أو سمعه .

وبهذا نرجح أن يكون باطلاً كل ما قيل عن سلب العجاج لهذه الأرجوزة من رُؤبة ، وتزداد هذه الحقيقة يقيناً باتفاق الأصمعي وابن الأعرابي على أنها للعجاج ، فالأصمعي قد رواها عنه أبو اسحق الزبدي في ديوان العجاج ، وأما في ديوان رُؤبة فلم ينقل الأصمعي منها شيئاً ، ولم يشر إليها بأية إشارة ، وكذلك ابن الأعرابي لم يروها في ديوان رُؤبة ولم يشر إليها مطلقاً ، وقد رأينا يعرض لرواية الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء في غير هذه الأرجوزة ، ولو وجد مجالاً إلى مخالفة الأصمعي ورواية هذه الأرجوزة لرُؤبة ، لنص على ذلك ، إلا أنه أغفلنا من ديوان رُؤبة ، وكان هذا ارهاص منه بأنها للعجاج كما رواها الأصمعي .

وأبيات الأبرجوزة قد تناوت في مصادر كثيرة جداً<sup>(١)</sup> ، ومعظم هذه المصادر على صحتها قد نسبت إتيانها إلى العجاج ، ولم نجد في كل ما رجعنا إليه من مصادر أية إشارة إلى رؤية إلا في موضع واحد من جهرة اللغة ، نقل فيه ابن دريد البيت (٢١) وعزاه إلى رؤية<sup>(٢)</sup> ، وهذا لا بدو أن يكون وهما منه في هذا الموضع لأنه نقل أبياتاً أخرى من هذه الأبرجوزة في مواضع متعددة من جهرة اللغة ، ونص في عدد منها على أن الرجز للعجاج<sup>(٣)</sup> . وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الأبرجوزة للعجاج ، وما قيل من أنها لرؤية ، لم يجد أذن صافية لدى الرواة الأوائل من أمثال أبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأبي عبيدة ومن إليهم .

فإذا توسعنا في دراسة الاضطراب بين رؤية والعجاج رأينا هذه الظاهرة بتسع نطاقها اتساعاً بلغت النظر في رواية أبيات من أراجيز العجاج وعزوها إلى رؤية ، أو رواية أبيات من أراجيز رؤية وعزوها إلى العجاج ، ومرد هذا الاضطراب الواسع في الرواية بينها ، لما يعود إلى أن شهرة رؤية في قول الرجز لا تقل عن شهرة العجاج ، وهذا ما أدى برواة الشواهد إلى الوقوع في الهم والحطأ في إسناد الرجز لرؤية أو للعجاج . وبما ساعد على اتساع ذلك امران : الأول تشابه الأسماء ، والثاني تشابه الرجز .

أما تشابه الأسماء فيبدي في كنية رؤية ، إذ كان يكنى بأبي الجحاف ،

وبأبي العجاج أيضاً<sup>(٤)</sup> ، ولا شك أن كنيته الثانية « أبا العجاج » ، قد لعبت دوراً هاماً في مشكلة الاضطراب بين العجاج ورؤية ، ويمكن أن يضاف إليها أن الرواة والمصنفين قد أكثروا من عبارة « قال العجاج بن رؤية<sup>(٥)</sup> » ، أو « أنشد للعجاج بن رؤية<sup>(٦)</sup> » ، وأكثروا أيضاً من عبارة « قال رؤية بن العجاج<sup>(٧)</sup> » ، أو « أنشد لرؤية بن العجاج<sup>(٨)</sup> » ، ولا يخفى التشابه بين « العجاج بن رؤية » و « رؤية بن العجاج » ، مما كان يوقع في الهم ، أو التقديم والتأخير من قبل النساخ أو الرواة ، ولعل من صور هذا الهم ما كان يصادفنا من حيرة لدى بعضهم ، إذ كان يقف عند رواية البيت فيقول : « وأنشد للعجاج أو رؤية<sup>(٩)</sup> » ، فيحار بين الرأجين الكبيرين ، وهذا التشابه كان وراء كثير من أمثلة الاضطراب بينها .

ولم يكن تشابه الأسماء هو الوحيد الذي أوقع في الهم والاضطراب ، وإنما كان لتشابه الأراجيز دور هام في ذلك أيضاً ، ومن أمثلة ذلك ، أن الزمخشري أنشد بيت العجاج<sup>(١٠)</sup> :

تَرَبَّيْتُ هَذَا ذِيكَ وَطَعْنًا وَخَفْضًا

وعزاه إلى رؤية وهما منه<sup>(١١)</sup> ، وذلك لوجود بيت مشابه لرؤية

(١) الأغاني ١٨/١٢٢ ، و ٢١/٥٧ ، و ٥٨ .

(٢) انظر مثلاً الصحاح ٤/١٦٧٢ ، وجمهرة اللغة ١/٢١٣ .

(٣) جمهرة اللغة ١/٢٢١ ، و ٣/٤٩٩ .

(٤) انظر مثلاً البيان ١/٤٠ ، وجمهرة اللغة ١/٦١ ، و ٩٣ ، وادب الكاتب ٦٤ .

(٥) والصحاح ٣/٩٧٢ ، وشرح المصنوع ٢١٤ .

(٦) انظر مثلاً البيان والتبيين ١/٣٧ .

(٧) انظر مثلاً الأزمدة والاسكنة ٢/٣١٩ .

(٨) ديوان العجاج ، الأبرجوزة ١/٣١٦ .

(٩) أساس البلاغة ٢/٥٤١ .

(١١) انظر تخريجها في آخر الديوان .

(١٢) جمهرة اللغة ٣/٢٥٦ ، وعبارة الجمهرة : « قال رؤية » .

(١٣) انظر جمهرة اللغة ١/٦٠ ، و ١٧٣ ، و ٢١٠ ، و ٢/٤٧ ، و ٣/٣٧ ،

٤٤ وعبارة الجمهرة فيها جميعاً : « قال العجاج » ، وهي صريحة بأنها لابن

دريد . وانظر الجمهرة ١/١٤٧ ، و ٢/٧٢ ، و ٩٤ ، و ١٦٥ ، و ٢٤٥ ، و ٢٤٨ ،

و ٢/٤٣ ، و ٢٠٥ ، وعبارة الجمهرة في هذه المواضع : « قال الرجز العجاج »

وانظر الجمهرة ١/١٣٧ والعبارة هنا : « قال الآخر العجاج » .



ن أرجوزة في ديوانه تشبه في رؤيتها وفافتها أرجوزة العجاج ، وهو <sup>(١)</sup> :  
قَتْنَةً عَلَى الْهَامِ وَبَجًا وَخَضًا

فالتشابه بين الأرجوزتين أو بين البيتين ، أوقع الزخسري في الوم  
أخطأ في رواية بيت العجاج ونسبه إلى رؤبة . ومن هنا كان تشابه الرجز ،  
و تشابه الأسماء ، يؤدي إلى رواية بعض الأبيات وعزوها إلى رؤبة وهي  
عجاج ، أو عزوها إلى العجاج وهي لرؤبة ، وتمييز ذلك سهل جداً إذا كانت  
له الأبيات من أراجيز قد وردت في ديوان كلٍّ منها ، إذ أن وجود بيت  
نسب إلى رؤبة وهو للعجاج ، يمكن أن تصحح نسبته أرجوزة البيت  
لواردة في ديوان العجاج مثلاً ، ولهذا لا نجد ضرورة لعرض ذلك الحشد الكبير  
بن صور الاضطراب في أبيات من ديوان العجاج تعزى إلى رؤبة ، أو من  
ديوان رؤبة تعزى إلى العجاج ، فهي كثيرة جداً ولا فائدة من عرضها في  
هذا الموضع ، وقد أشرنا إليها جميعاً في مواضع من ديوان العجاج نفسه .

وأما الاضطراب في ملحقات ديوان العجاج ، فقد نجد صعوبة أحياناً  
بدراسة وردت روايته للعجاج أو لرؤبة ، ولكن أكثر الاضطراب في هذه  
الملحقات يمكن أن تحل مشكلاته ، وذلك تبعاً لدراسة نوع المصادر التي أوردت  
هذه الرواية أو تلك ، وقدم هذه المصادر ، ومدى توثيق أصحابها ، وما  
تصل بها من ظروف خاصة ، وما يلاحظ من كثرة الأبيات المتفرقة التي  
تعزى إلى أحدهما ، وهي من روي وقافية واحدة وقفة أبيات أخرى من  
لروي والقافية نفسها تعزى إلى الآخر ، إذ ربما أشار ذلك إلى أنها كانت

(١) البيت (٨٦) من أرجوزة رؤبة ، وهو في ديوانه النسخة (٥١٦)  
'دب' الورقة ١١١ ، والنسخة (٥١٩) أدب من ١٩٨ ، والنسخة (٤٩) ص  
٢١٢ . وهو في مقاييس اللغة ١٧٣/١ ، و ١١٣/٥ ، والصحاح ٢٩٨/١ ،  
٤٢٩ ، واللسان (فتح) و (بج) و (وخص) .

تؤلف أرجوزة واحدة في الأصل ، قد تكون لمن تعزى إليه أكثر أبياتها .  
فهذه الملاحظات يمكن أن تحدد لنا صاحب الأبيات بشيء من السهولة  
أحياناً .

وإذا كنا لم نجد ضرورة لعرض ماحدث من اضطراب بين رؤبة والعجاج  
في أبيات من أراجيز كلٍّ منها ، فإن ملحقات الديوان بحاجة إلى مثل هذا  
العرض والدراسة .

ففي الأرجوزة (١) من الملحقات ، نجد ابن منظور (٧١١هـ) قد أشد  
منها البيتين :

حَبْرَانُ لَا يَشْعُرُ مِنْ حَيْثُ أَتَى عَنْ قَيْسٍ مِنْ لَاقِي أَخَاسٍ أَمْ زَكَا  
وعزاهما إلى رؤبة في موضع من اللسان <sup>(١)</sup> ، ثم عزاهما إلى العجاج في  
موضعين آخرين <sup>(٢)</sup> ، ورواية الأبيات في موضعين للعجاج أرجح من روايتها في  
موضع واحد لرؤبة ، ولا سيما أن الأبيات قد رواها ابن قتيبة (٢٧٦هـ)  
للعجاج <sup>(٣)</sup> ، وروايته أقدم من رواية المصادر التي اعتمدها ابن منظور في  
تصنيف كتابه <sup>(٤)</sup> ، ولهذا تبقى الأبيات للعجاج دون رؤبة .

وفي الأرجوزة (٢) من الملحقات ، أشد البكري (٤٨٧هـ) للعجاج <sup>(٥)</sup> :

(١) اللسان (حسا) .  
(٢) اللسان (دجر) و (زكا) .  
(٣) المعاني الكبير ١٦٣/٢ .  
(٤) صنف ابن منظور كتابه اللسان من الأصول الخمسة : تهذيب  
اللسنة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ( ٣٧٠ هـ ) ، والصحاح لأبي  
نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ( ٢٩٣ هـ ) ، والمحكم لأبي الحسن علي  
ابن اسماعيل بن سيده الأندلسي ( ٤٥٨ هـ ) ، والإمامي على الصحاح  
للشيخ أبي محمد عبد الله بن بري ( ٥٨٢ هـ ) ، والنهاية لأبي السعادات  
المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ( ٦٠٦ هـ ) .  
(٥) معجم ما استعجم ١٢٤٧/٤ .

وَحَلَّتْ أَنْفَاءَ الْمُعَيَّ رَبْرَبًا

وأشده ابن سيده (٤٥٨ هـ) لرؤية (١) ، والبكري وابن سيده متعاصران إلا أن رواية البكري أرجح لأن للعجاج أرجوزة بهذا الوزن تتناثر أياتها في مصادر كثيرة ، وليس لرؤية مثل هذه الأرجوزة .

وفي الأرجوزة (٢) أيضاً أشد ابن منظور (٧١١ هـ) :

سَدَّ الشَّطِيهَ الْجَنْدَلُ الْمَطْرَبَا

وعزاه إلى رؤية (٣) ، وأشد ابن فارس (٣٥٥ هـ) البيت الذي يليه :

فِي رُؤْيَا لَا يَتَسَكَّمُ الْحَوْبَا

وعزاه إلى رؤية أيضاً (٣) ، إلا أن هذا البيت أشده الجوهري (٥٣٩٣)

في موضعين للعجاج (٤) وأشده الإسكافي (٤٢١ هـ) (٥) ، وابن منظور (٦) للعجاج أيضاً ، كما نسب البيهقي معاً إلى العجاج في جهرة اللغة (٧) ، وهذا كله يميل بالبيتين إلى العجاج ، ولا سيما أن لهما نظائر من وزنهما في رجز العجاج ، وليس لهما نظائر في رجز رؤية .

وفي الأرجوزة (٢) أيضاً أشد ابن منظور هذين البيتين :

وَلِنْ تَنَاهِيَه تَجِدَه مِنْهَبَا تَكْسُو حُرُوفَ حَاجِبِيهِ الْأَنْثَبَا

وعزاهما إلى رؤية (٨) ، وفي موضع آخر أشد الأول منها مع ثان على هذا النحو :

وَلِنْ تَنَاهِيَه تَجِدَه مِنْهَبَا فِي وَعَكَةِ الْجَدِّ وَحِينًا مِثْلَبَا

وعزاهما إلى العجاج (٩) ، ثم أشد البيت الأول مرة ثالثة ونسبه إلى العجاج أيضاً (٣) ، وإشارته إلى العجاج في موضعين أرجح من إشارته إلى رؤية في موضع واحد ، ولا سيما أن بنية هذه الأبيات ومعانيها تدل على وحدة نسقها في أرجوزة واحدة في الأصل .

وآخر ما عثرنا عليه من اضطراب مع رؤية في الأرجوزة (٢) هذا

البيت :

وَقَارِجًا مِنْ قَضْبٍ مَا تَقَضَّبَا

فقد أشده الزمخشري (٥٣٨ هـ) (٤) ، وابن منظور لرؤية (٥) ، وجاء في جهرة اللغة مع بيتين آخرين من هذه الأرجوزة للعجاج (٧) ، ولا شك أن كثرة الأبيات المنسوبة إلى العجاج في هذه الأرجوزة تشد هذا البيت إليها وتنفي عن رؤية ، وبذلك يكون قد رد إلى العجاج ككل ما روي لرؤية من هذه الأرجوزة التي بلغت أياتها (٦٠) بيتاً ، ولا يبعد أن تكون جزءاً من الأرجوزة (٧) من أصل الديوان ، وهذا الاحتمال يبعد عنها كل اضطراب داخلها بين العجاج وغيره .

(١) المخصص ١٢/١٧ .

(٢) اللسان (ظرب) .

(٣) مقاييس اللغة ٦٦/٢ .

(٤) الصحاح ١١٢/١ و ١٣١٩/٤ .

(٥) مبادئ اللغة ١٢١ .

(٦) اللسان (حشب) .

(٧) جهرة اللغة ٣٦١/٣ ، وعبارة الجمهرة : « قال الراجز العجاج » ،

وكلمة « العجاج » قد تكون لابن دريد أو لناسخ بعده .

(١) اللسان (ثلب) .

(٢) اللسان (الب) .

(٣) اللسان (نهب) .

(٤) أساس البلاغة ٣٣٦/١ .

(٥) اللسان (قضب) .

(٦) جمهرة اللغة ٤٣١/٣ ، وعبارة الجمهرة : « قال الشاعر العجاج » .

وفي الرقم (٨) من الملحقات ، أنشد التميمي (٥٣٨) البيت<sup>(١)</sup> :  
 مالي إذا أجديتها صابئة أكبر غيـرني أم يـبـت

وعزاها إلى العجاج ، وهذان البيتان أنشداهما ابن دريد (٣٢١ هـ) في  
 جهرة اللغة ، وعزاها إلى رؤبة بن العجاج<sup>(٢)</sup> ، وأنشد العيني (٨٥٥ هـ)  
 الأبيات (١-٢) من هذه المقطعة في المقاصد ، وقال : « أقول : قيل  
 إنه لرؤبة ، ولم أقف على صحته<sup>(٣)</sup> » ، وأنشداهما أيضاً في الفرائد ، وقال :  
 « غزي لرؤبة ولم يصح<sup>(٤)</sup> » ، وأنشد الأبيات (٣-٦) في المقاصد أيضاً ،  
 وقال : « أقول : قاله رؤبة بن العجاج ، وهو من الرجز المدس ، ويقال:  
 هذا أنشده الكسائي ولم يعزه إلى أحد<sup>(٥)</sup> » ، وأنشد الأبيات (٥-٦)  
 في الفرائد أيضاً ، وقال : « هذا رجز عزاها بعضهم إلى رؤبة ولم يثبت<sup>(٦)</sup> » .  
 ولا شك أن رواية ابن دريد أقدم من رواية أبي طاهر محمد بن يوسف التميمي  
 وأوثق ، وهي ترجح أن تكون الأبيات لرؤبة ، ولكن الشك الذي أُلح  
 عليه الإمام العيني ربما أشار إلى احتمال وضع هذه الأبيات من قبل النحاة أو  
 أصحاب الشواهد وعزوها فيما بعد إلى العجاج عند بعضهم ، أو إلى رؤبة  
 في أكثر الروايات .

وفي الرقم (١٣) من الملحقات أنشد الجوهري هذا البيت :

بِفَاحِمٍ وَخَفٍ وَعَيْتِي بَحْرَجٍ

(١) المسلسل في غريب اللغة ٤٢ .

(٢) جهرة اللغة ١/١٨٢ .

(٣) المقاصد ٥٧٣/٣ .

(٤) فرائد القلائد ٢٦٠ .

(٥) المقاصد ٥٢٤/٢ ، ونقل السيوطي نسبة الرجز لرؤبة عن العيني

في شرح شواهد الفتي ٢٧٧ .

(٦) فرائد القلائد ١٦٨ .

وعزاها إلى العجاج<sup>(١)</sup> . وأنشده كذلك ابن منظور وعزاها إلى رؤبة<sup>(٢)</sup> ،  
 ولا مرجح بينها لشبه المعاصرة بين الجوهري (٣٩٣ هـ) وأصحاب المصادر<sup>(٣)</sup>  
 التي يمكن أن ينقل عنها ابن منظور هذا البيت .

وفي الرقم (٢٠) من الملحقات أنشد ابن يعيش هذا البيت :

والرأس قد كان له شكير

وعزاها إلى العجاج<sup>(٤)</sup> ، ثم أنشده البغدادي في الخزانة وعزاها إلى رؤبة  
 ابن العجاج<sup>(٥)</sup> .. ورواية ابن يعيش أقدم من رواية البغدادي (١٠٩٣ هـ) ،  
 ولهذا ترجح أن يكون البيت للعجاج .

وفي الأجزاء (٢٥) من الملحقات ، أنشد سيبويه هذا البيت :

يَذْهَبْنَ فِي نَجْدٍ وَغَوْرًا غَاثًا

ونسبها إلى العجاج<sup>(٦)</sup> ، ثم أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن مع  
 بيت آخر على هذا النحو :

يَهْوُونَ فِي نَجْدٍ وَغَوْرًا غَاثًا فَرَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَاثِرًا

ونسب البيتين إلى رؤبة<sup>(٧)</sup> ، وبما أن أبا عبيدة قد أنشداهما في مجاز

(١) الصحاح ٢٩٩/١ .

(٢) اللسان (بحر ج) .

(٣) الأزهري (٣٧٠ هـ) ، وابن سيده (٥٨٤ هـ) ، أما ابن بري  
 (٥٨٢ هـ) فلا ينقل عنه ابن منظور عادة إلا بعد ذكر اسمه والنص على  
 أقواله .

(٤) شرح المفصل ١٠٧/٣ .

(٥) الخزانة ٣٢/٤ (بولاقي) .

(٦) الكتاب ٤٩/١ ، وعبارة الكتاب : « ومثله قول العجاج » وهي  
 صريحة بأنها من كلام سيبويه نفسه ، لا من كلام أبي عمر الجرمي (٢٢٥ هـ)  
 الذي قيل أنه نسب بعض أبيات الكتاب . انظر في هذه المسألة كتاب  
 سيبويه وشروحه للدكتور خديجة الحديثي ١١٨ وما بعدها .

(٧) مجاز القرآن ٤٠٦/١ .

القرآن ، فقد نُعِلّا عنه لرؤية في عدد من المصادر التي أهتمت بهذا الموضوع أو بما يقاربه <sup>(١)</sup> ، وعنها نُحِلّت هذه النسبة لرؤية في بعض المصادر الأخرى <sup>(٢)</sup> ، إلا أن رواية أحد الآيات من قِبَل سيويه للعجاج يجعل من المرجح أن يكون البتآن معاً للعجاج ، لأن سيويه (١٦١ و ١٦٨ هـ) سبق من أبي عبيدة (٢١٠ هـ) زمناً ، وبؤيد ذلك آيات أخرى بهذا الوزن قد نسبت إلى العجاج في بعض المصادر <sup>(٣)</sup> ، وليس من إشارة إلى رؤية إلا في رواية أبي عبيدة .

وفي الرقم (٢٨) من الملحقات أنشد ابن عساكر (٥٧١ هـ) في ترجمة العجاج البيّتين :

كانَ خَلِيفَتِهَا إِذَا مَادَرَا جِرُوا هِرَاشٍ حُرْشًا فَهَرَا

وقال قبلها : « وما يستحسن له <sup>(٤)</sup> في وصف الدّر » وتروى لرؤية <sup>(٥)</sup> ، وهذا يشير إلى أن البيّتين من أرجوزة تروى للعجاج وتروى لرؤية أيضاً ، ولكنّه لا أثر لها في ديوان هذا أو ذاك ، ولم نعتز بهذا الوزن والقافية إلا على بيت واحد أنشده صاحب اللسان ، ومن المرجح أن يكون من هذه الأرجوزة الضائعة ، وقد عزاه ابن منظور إلى العجاج <sup>(٦)</sup> ، وليس

(١) الكشف للزمخشري ٣٩٢/٢ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٩٢/١ ، والتفسير الكبير لأبي حيان الأندلسي ١٣٦/٦ ، ومفاتيح الغيب للأمام الرازي ٤٨٨/٥ .

(٢) أساس البلاغة للزمخشري ٢٠٠/٢ ، وشرح المقامات للبرقي ٥١/١ .

(٣) جمهور اللغة ٣٣٤/٣ ، والشعر والشعراء ٥٧٢ ، واللسان (دمشقر) .

(٤) أي العجاج .

(٥) تاريخ ابن عساكر ٣٩٤/٧ .

(٦) اللسان (دمشقر) ، وفي اللسان (دمشقر) أربعة أبيات بهذا الوزن والقافية أيضاً قالها العجاج في أبيته حزمة ، ولكنها تبدو خاصة بمناسبة معينة ، وليست من أرجوزة مطولة ، ولهذا أفردناها في الرقم (٢٦) من الملحقات .

في هذا البيت ما يرجّح نسبة الأرجوزة إلى العجاج دون رؤية ، وذلك لضياح هذه الأرجوزة ، وبذلك لا نجد من دليل يقطع في نسبة الأرجوزة إلى العجاج أو إلى ولده رؤية .

وفي الرقم (٤٢) من الملحقات ، أنشد المستشرق ألواردت هذين البيّتين :  
لِئَنِي إِذَا اسْتَنْشِدْتُ لَأَحْبَبْتَنِي وَلَا أَحْبَبَهُ كَثَرَةُ التَّمْطِي  
وأشار إلى أنه قد نقل البيّتين عن كتاب الإشفاق (ص ٧٨) ، ولم نعتز عليها في كتاب الإشفاق لابن دريد ، أو في كتاب الإشفاق للأصمعي ، وقد وردا في بعض المصادر دون نسبة ، وأنشدهما العسكري في موضعين .  
اثنتين لرؤية بن العجاج <sup>(١)</sup> ، وليس في وسعنا مناقشة هذين البيّتين إلا بالوقوف على مصدر نقل ألواردت ، وذلك لاحتمال وجود خطأ في تصريحه بنقل البيت عن الإشفاق .

وفي الرقم (٤٥) من الملحقات ، أنشد الجاحظ هذه الآيات :

أَمَّا رَأَيْتَ الْأَلْسَنَ السَّالِطَاتِ إِنَّ النَّدَى حَيْثُ تَرَى الضَّغَاطِ  
وَالْبَجَاءَ وَالْإِفْدَامَ وَالنَّشْطَاتِ

ولم يصرح باسم صاحب الآيات ، ولما قال : « وقال التميمي :  
الآيات <sup>(٢)</sup> » ، إلا أن المبرد أنشد البيت الثاني منها وعزاه إلى رؤية <sup>(٣)</sup> ، وأنشده كذلك الطاليدان وعزاه إلى العجاج <sup>(٤)</sup> ، وبذلك أصبحت الآيات تضطرب روايتها بين العجاج وابنه رؤية ، ولكن المبرد (٢٨٦ هـ) سبق من

(١) شرح ما يقع فيه التصحيح ٢٨ و ١٠٨ .

(٢) البيان والتبيين ١٧٧/١ .

(٣) اكتمال للمبرد ١٤٩ .

(٤) المختار من شعر بشار ٩٥ .

«الخالدین»<sup>(١)</sup> ، وباعتبار هذا المقياس الزمني نرجح أن تكون الأبيات لرؤية ، لأننا لا نجد من حولها أو في أساليبها وبينها مرجحاً آخر ميل بها نحو هذا الراجز أو ذلك .

وفي الأرجوزتين (٥١) و (٥٢) من الملحقات نجد تشابهاً في الوزن والموضوع ، فالأولى في مدح الحارث بن سليم الهجيمي ، والثانية في مدح ابراهيم بن عربي والي البصرة . وقد نقل البغدادي هاتين الأرجوزتين للعجاج عن أبي محمد الأعرابي في فرحة الأدب ، ثم قال بعدها : « هكذا أوردته والله أعلم بالصواب ، والأكثر على أن هذا الرجز لرؤية بن العجاج لا للعجاج »<sup>(٢)</sup> .

ولم نجد من أبياتهما إلا بيتين فقط ، فقد عثرنا على البيت (٦) من الأرجوزة الثانية مروياً على هذا النحو :

بِأَبْتَا عَلِّكَ أَوْ عَسَاكَ

وقد ورد في بعض المصادر دون نسبة<sup>(٣)</sup> ، ولكنه نُسب في كتاب سيويه إلى رؤية<sup>(٤)</sup> ، وتابع الشنمري على نسبته إلى رؤية أيضاً<sup>(٥)</sup> . وعثرنا على البيت (١) من الأرجوزة الأولى مروياً مع البيت (٦) من الأرجوزة الثانية على هذا النحو :

تَقُولُ بِنَيْتِي قَدْ أُنْسَى أَنَاكَ بِأَبْتَا عَلِّكَ أَوْ عَسَاكَ

(١) سعيد بن هاشم ( ٢٧١ هـ ) ومحمد بن هاشم ( ٢٨٠ هـ ) .

(٢) خزائن الأدب ٤٤٣/٢ ( بولاق ) .

(٣) أدب الكاتب ١٣٦ ، والانصاف ٢٢٢/١ ، والخزانة ٧٤/١ وخزانة

بولاق ٤٣٠/٢ .

(٤) الكتاب ٣٨٨/١ ، وعبارته : « قال الراجز وهو رؤية » ، وكلمة « وهو رؤية » زيادة من أبي عمر الجرمي على الأرجح .

(٥) تحصيل عين الذهب ٣٨٨/١ .

وهذه الرواية أنشدنا الإمام العيني ، وصرح أن الأول منها صدر للثاني ، ونسب البيت إلى رؤية بن العجاج<sup>(١)</sup> ، ثم تابعه السيوطي على ذلك كله ونسب البيت إلى رؤية أيضاً<sup>(٢)</sup> ، ثم نسب البغدادي على هذا الخلط والتداخل في رواية البيت وأشار إلى موقع كل منها في كلتا الأرجوزتين<sup>(٣)</sup> .

وبذلك فالمصادر لا تذكر العجاج مطلقاً ، وإنما تشير إلى رؤية ، والذي يبدو لنا من دراسة الأرجوزة الأولى أنها لا يمكن أن تصدر عن العجاج ، لأنه في مدحها لا يسفر الوجه تماماً عن الدوال وطلب العطاء ، ولأنه لم يخرج إلى خراسان أو كرمان ، وكذلك فأسلوب الأرجوزة بوجه عام ليس من نمط أساليب العجاج ، ولعل من الأرجح أن تكون لرؤية لأنها أقرب إلى طبيعة رؤية وأساليبها منها إلى العجاج .

وأما الأرجوزة الثانية فلا يبعد أن تكون هي الأخرى لرؤية ، إلا أننا لا نكاد نميل كل الميل إلى ذلك ، لأن في الأرجوزة مدحاً لوالي البصرة ابراهيم بن عربي ، وقد مدحه العجاج بأرجوزة مطولة في ديوانه<sup>(٤)</sup> ، والمطاني التي تصادفنا في هذه القطعة تشبه بعض المطاني التي وردت في أرجوزة الديوان ، ولا سيما في الحديث عن السنين والقطط وما ألم بالناس من بلاء ، ولهذا نكاد نرجح أن تكون هذه الأرجوزة للعجاج ، ولكن لإنشاء سيويه بيت من أبياتنا وعزز الجرمي ( ٢٣٥ هـ ) على الأرجح لهذا البيت إلى رؤية ، وكذلك اشتهار رؤية بالرجز للملح في البصرة والديانة في البصرة ، يجعلنا نعيد الخلط في هذا الترجيح ، ومن هنا نجد وسائلنا لا تقوى في هاتين الأرجوزتين على القول

(١) المقاصد النحوية ٢٥٢/٤ ، وفرائد القلائد ٣١٨ .

(٢) شرح شواهد الغني ١٥١ .

(٣) الخزائن ٤٤٣/٢ ( بولاق ) .

(٤) انظر ديوان العجاج : الأرجوزة (١٧) .

الفصل ثامناً ، وإلغا خروج ونحن متوجعين بين الشاعرين ، وإن كنا نفضل أن تكون الأرجوزة الأولى لرؤية ، والثانية للعجاج ، وما حدث بينها من تداخل ، إن هو إلا من صور الاضطراب بسبب تشابه الأوزان .

وفي الرقم (٦٠) من الملحقات أنشد ابن منظور هذا البيت :

كلُّهُ جَلالٌ بِمَلَأِ الْمُحِبِّلا

ونسبه إلى رؤية<sup>(١)</sup> . ثم أنشده مع بيت آخر ونسب البيت إلى العجاج<sup>(٢)</sup> ، وما يرجح أن يكون البيت للعجاج أن أبا زيد الأنصاري (٥٢١٥ هـ) قد أنشد بيتين آخرين بهذا الوزن وعزاها للعجاج<sup>(٣)</sup> ، مما يدل على أن ثمة مقطعة للعجاج بهذا الوزن ، ومنها هذه الأبيات المتفرقة .

وفي الأرجوزة (٦٤) من الملحقات أنشد الجوهري هذا البيت :

كَمَا يَلَوِّحُ الْخَوْعُ بَيْنَ الْأَجْبَالِ

ونسبه إلى رؤية وزعم أنه يصف ثوراً<sup>(٤)</sup> ، فردّه عليه الصاغاني وابن بري ، أن البيت للعجاج<sup>(٥)</sup> ، وهو من أبيات يصف فيها الأفاقي وآثار الديار ، وأنشده ياقوت لرؤية أيضاً<sup>(٦)</sup> ، ولعله تأثر في ذلك بالجوهري<sup>(٧)</sup> ، والصواب أنه من أرجوزة العجاج ، وقد مرّ بنا في موضع سابق أن أبا نخلة الراجز السعدي قال : « وفدت على مسلمة بن عبد الملك وقد مدحته فأكرمني

(١) اللسان ( جبل ) .

(٢) اللسان ( فيل ) .

(٣) نوادر أبي زيد ١٤٥ .

(٤) الصحاح ١٢٠/٣ .

(٥) اللسان والنساج ( خوع ) .

(٦) معجم البلدان ٢/٢٩٦ و ٢/٩٩٩ .

(٧) لأنه نقل عبارة الجوهري : « قال رؤية يصف ثوراً » ، معجم

البلدان ٢/٩٩٩ .

وأنزلي ثم قال : مالك والقصيد وأنت من بني سعد ، عليك بالرجز ، فقلت : أولست بأرجز العرب ؟ فقال : أسعني ! فأنشدته :

بِأَصَاحِ مَشَاقِكْ مِنْ رَسَمِ خَالٍ وَدِمْنَةٍ تَعْرِفُهَا وَأَطْلَالٍ

وهو من قول العجاج ، فلما سمع أولها أصاح ، فلما أسهت فيها قال : أمسك فجنح أروى لهذا منك ، وظننته مقيني ، فما أصبت منه خيراً<sup>(١)</sup> .

ومعنى ذلك أن هذه الأرجوزة كانت مشهورة للعجاج منذ أيام مسلمة ابن عبد الملك وقد توفي سنة (٥١٢٠ هـ)<sup>(٢)</sup> ، وأمکن لنا أن نجمع منها أبياتاً كثيرة منسوبة إلى العجاج ، وهذا ينقض ماذهب إليه الجوهري من أن ذلك البيت لرؤية ، ويؤكد أنه للعجاج من هذه الأرجوزة ، ولا سبيل أن رؤية ليس له أرجوزة على هذا الوزن .

وأنشد الآمدي ( ٥٣٧٠ هـ ) من الأرجوزة السابقة هذه الأبيات :

مِثْلَ مِثْلِ الْكَتِيبِ الْمُنْبَهِلِ عَزَّزَ مِنْهُ وَهُوَ مُعْطِي الْأَسْهَالِ  
تَصَرَّبَ السَّوَارِي مَتْنَهُ بِالْمُنْبَهِلِ

ونسبها إلى رؤية في موضعين من كتابه الموازنة<sup>(٣)</sup> ، إلا أن ذلك قد دبر عن وهم منه ، ذلك لأن البيت الثاني والثالث منها قد نسب للعجاج لدى عدد من معاصري الآمدي ، وهم أبو الطيب اللغوي ( ٥٣٥١ هـ ) في كتابه الإبدال<sup>(٤)</sup> ، وأبو علي الغالي ( ٥٣٥٦ هـ ) في أماليه<sup>(٥)</sup> ، وأبو الفتح عثمان بن جني ( ٥٣٩٢ هـ ) في كتابه الخصائص<sup>(٦)</sup> ، وكذلك وردا للعجاج في مصادر

(١) الوساطة الجرجاني ١٥٢ ، وتوفي الجرجاني سنة ( ٣٦٦ هـ ) .

(٢) دول الاسلام ١/٦٢ .

(٣) الموازنة ٣٢٦ و ٣٢٧ .

(٤) الإبدال ٢/٣٨٣ .

(٥) الأمالي ٢/٤١ .

(٦) الخصائص ٢/٨٣ .

أخرى<sup>(١)</sup> ، ونسب البيت الأول للعجاج أيضاً في شرح القاموس<sup>(٢)</sup> ، وجاءت هذه الأبيات الثلاثة بهذا الترتيب منسوبة للعجاج في لسان العرب<sup>(٣)</sup> .

ورواية هذه الأبيات للعجاج من قبل جماعة من معاصري الآمدي ، ثم شهرتها للعجاج بعد ذلك في مصادر أخرى ، تجعل من المؤكد أن تكونت من ضمن أبيات هذه الأرجوزة المشهورة للعجاج .

وقد أبيات أربعة ، تفرقت في بعض المصادر ، وعزيت إلى رؤبة ، والأرجح أنها من أرجوزة العجاج ، فقد أنشد ابن دريد هذا البيت :

من ساهكات دُقَّتْ وخُلُجَالُ

وعزاه إلى رؤبة<sup>(٤)</sup> ، وأنشد ابن منظور هذا البيت :

مُعْدَوْدِنَ الْأَرْضَى غُدَايُهُ الضَّالُّ

ونسبه إلى رؤبة<sup>(٥)</sup> ، وأنشد الزمخشري هذين البيتين :

وقد أعاصي في السَّابِ السَّالِّ مَوْعِظَةُ الْأَذْنَى وَتَقَطُّعِي الرِّوَالِ

ورواهما لرؤبة بن العجاج<sup>(٦)</sup> .

ومن المرجح أن تكونت هذه الأبيات الأربعة من أرجوزة العجاج نفسها ، ذلك لأن رؤبة لا يمتلك أرجوزة بهذا الوزن ، ولا يعقل أن تشرّد له هذه الأبيات فقط ، على ما فيها من تفرق وعدم اتصال ، ولما الأولى أن تكون

أشباتاً من أرجوزة العجاج ، التي لم ترد في الديوان وإنما تفرقت أبياتها في أثناء المصادر . ولهذا كله فقد أُلحقت هذه الأبيات الأربعة بأرجوزة العجاج ، وأثبتها في المراجع التي تتناسب مع المعاني والنسق العام للأرجوزة .

وفي المقطعة (٧١) من الملحقات ، أنشد الجوهري هذا البيت :

صُرْنَا بِهِ الْحُكْمِ وَأَعْيَا الْحُكْمَا

ونسبه للعجاج<sup>(١)</sup> ، وأنشده ابن منظور للعجاج أيضاً ثم قال : « قال ابن بري : هذا الرجز نسبة الجوهري للعجاج ، وليس هو للعجاج ، وإنما هو لرؤبة مخاطب الحكم بن صخر بن عثمان ، وقبله :

أبْلِغْ أَبَا صَخْرٍ بَيَانًا مُعْلَمًا صَخْرُ بْنُ عَثَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَأْ »

وبذلك جعل ابن بري هذه الأبيات الثلاثة لرؤبة لا للعجاج . وثمة أرجوزة لرؤبة بهذا الوزن وردت في ديوانه المخطوط<sup>(٢)</sup> ، ونقلها جبير في مشارف الأقاويل<sup>(٣)</sup> ، ولا وجود فيها لهذه الأبيات الثلاثة . وكذلك ثمة أرجوزة للعجاج أيضاً بهذا الوزن<sup>(٤)</sup> ، ولا وجود فيها أيضاً لهذه الأبيات ، ومن هنا لا نجد مرجحاً يدفع بالأبيات إلى رؤبة أو إلى العجاج ، إلا ما قاله ابن بري ، ولا نعلم له تسليماً مطلقاً ، لأنه لم يعرض حجة مقنعة في ذلك ، ولهذا نبقى على هذه الأبيات مترجمة بين الراجزين ، دون أن نقطع برأي في أمر نسبتها .

وبهذا نكون قد فرغنا من مناقشة القسم الأول من الاضطراب في

(١) الأزمعة والأمكنة للمرزوقي (٤٥٣ هـ) : ١٤٢/٢ ، واللسان (هتل) ، والتاج (عز) .

(٢) شرح القاموس ، مادة (ضنك) .

(٣) اللسان ، مادة (ضنك) .

(٤) جمهرة اللغة ١/١٤٠ ، وعبارة الجمهرة : « قال رؤبة » . وجاء البيت في اللسان (سهك) و (دق) و (خلل) دون نسبة .

(٥) اللسان (غدن) .

(٦) أساس البلاغة ٢/٢٠٦ .

(١) الصحاح ٢/٧١٧ .

(٢) اللسان (صور) .

(٣) النسخة (٥١٩) أدب ٣١٣ .

(٤) مشارف الأقاويل ١٢٠ .

(٥) هي الأرجوزة (٢١) من الديوان .

«رواية رجز العجاج ، وهو القسم الذي يتصل بأسرة العجاج ، أو قل بولده روبة . وأما القسم الثاني فقد حدث بسبب تشابه الأراجيز بينه وبين عدد من الرجاز أو الذين عرفوا بقول الرجز ، وهذا القسم يكاد يشمل كل ماورد من اضطراب وتداخل في أراجيز الديوان ، ولأن كان قد يمتد إلى بعض الملحقات أيضاً . ولا بد من عرض ومناقشة لكل ماورد من صور هذا النوع من الاضطراب .

ولإذا كان روبة قد مضى الحديث عنه في القسم السابق ، فإن أبا النجم العجلي أكثر الرجاز حظاً في هذا القسم ، وذلك لكثرة أراجيزه وشهرتها وتشابه بعضها مع أراجيز العجاج ، ولهذا كان ثمة اضطراب أو تداخل بين أراجيز العجاج وأبي النجم .

ففي إحدى أراجيز العجاج ، ورد هذا البيت (١) :

نَظَارِ أَنْ أَرَكَبَ نَظَارِ

وقد أنشده المرد لأبي النجم (٢) ، وذلك لوجود أرجوزة له بهذا الوزن أمكن لنا أن نجتمع منها نحو ثلاثين بيتاً ، ولا ندرى إن كان فيها مايشابه هذا البيت في الأصل .

وفي أرجوزة أخرى للعجاج ، ورد هذان البيتان (٣) :

تَشْكُو الرَّجْزَ مِنْ أَطْلَلٍ وَأَطْلَلِ

وطول إملال وظاهر ممتلئ

والبيت الأول من شواهد سيوبه ، ولذلك كثرت روايته عند شراح أبيات ، ومن ثم أنشد شارح الشافية هذين البيتين ، ثم قال : « والبيتان من رجز طويل لأبي النجم العجلي ، وصف فيه الإبل لهشام بن عبد الملك وأوله :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْإِبْلُ

وهذا أيضاً ضرورة ، والقياس الأرجل (٤) » .

وقد وهم شارح الشافية فظن البيتين من أرجوزة أبي النجم ، وذلك لتشابهها مع رجوزة العجاج ، بل ربما زاده وهما أن موضع الشاهد في بيت العجاج ، وهو فك الإدغام ، قد وثجد أيضاً في مطلع أرجوزة أبي النجم ، فأرسل حكمه دون عودة إليها ، أو نظر إلى أبياتها .

وفي الأرجوزة (١٧) من أراجيز العجاج (٥) :

مَعَجِ التَّوَامِي عَنْ قِيَّاسِ الْأَشْكَالِ

وقد تعرّف هذا البيت في عدد من المصادر (٦) ، منها أمالي القاضي (٧) ، فجاء على هذا النحو :

عُوجًا كَمَا اغْوَجَتْ قِيَّاسُ الْأَشْكَالِ

وبهذه الرواية أنشده البكري (٨٤٩٦) في سمط الآلي ، ثم قال : « أنشده كراع لأبي النجم ، ولم أجده في رجز أبي النجم الذي على هذا الروي (٩) » .

(١) شرح الشافية ٤٩١/٤ .

(٢) الأرجوزة ٥٥/١٧ .

(٣) مقاييس اللغة ٢٠٥/٣ ، والصحاح ١٧٣٦/٥ .

(٤) الأمالي ٢٦٦/٢ .

(٥) سمط الآلي ٩٠٦ . وانظر أرجوزة أبي النجم في الطرائف

الأدبية ٥٧ - ٧١ .

(١) الأرجوزة ٥/٤ .  
(٢) الكامل للمبرد ٤١٣ . ونسب هذا البيت لرؤية في الكتاب ٣٧/٢ ، والانصاف ٥٤٠/٢ ، والمخصص ٦٣/١٧ ، وهذه النسبة لا تعقد بعض صور الوهم الذي رابناه في حديثنا عن روبة منذ حين .  
(٣) الأرجوزة ٨٨/١٢ - ٨٩ .



ولا شك أن الذي أوقع كراعاً في الوم إما هو تحريف البيت ، وعدم  
بته في المصادر التي تحرفت فيها ، ثم تشابه أرجوزة العجاج مع أرجوزة  
ب النجم .

ولم يفت الاضطراب مع أبي النجم عند أراجيز الديوان ، وإلغا تعدى  
لك إلى بعض الملحقات ، ففي الأرجوزة (١) من الملحقات أنشد أبو عبيدة  
ياتاً للعجاج (٢) ، منها هذا البيت :

ساطر إذا ابتل رقيقاه ندى

وهذا البيت أنشده ابن قتيبة مفرداً لأبي النجم (٣) ، إلا أن أبا عبيدة  
شده في موضع آخر للعجاج أيضاً (٤) ، بما يدل على وعي منه في عزوه البيت  
للعجاج ، ولعل هذا هو الصواب بدليل أن ابن قتيبة نفسه قد أنشد  
ياتاً من هذه الأرجوزة وعزاها إلى العجاج (٥) .

والذي أوقع ابن قتيبة في هذا الوم ، إما هو تشابه الرجز ، ذلك  
جود أرجوزة على ما يبدو لأبي النجم بهذا الروي وقد جمعنا منها (١٣)  
تاً ولا ندرى إذا كانت هذه الأبيات من أبيات تلك الأرجوزة التي ألقناها  
بديوان العجاج ، أم أن لكل منها أرجوزة مستقلة بهذا الوزن .

وفي الرقم (٥٠) من الملحقات ، ورد هذا البيت :

كان عني إذا ما ألتفتا

وقد نسب في جمهرة اللغة إلى العجاج (٥) ، إلا أن ابن قتيبة (٥٢٧٦).

أنشده لأبي النجم ضمن أبيات لا يفتصل عنها لشدة تملكه منها (١) ، وهذا  
يعني أنه من هذه الأبيات التي تروى لأبي النجم ، وإذا كان خمسة أبيات  
أخرى بهذا الوزن تروى لأبي النجم في بعض المصادر (٢) ، فهذا يرجح أن  
تكون هنالك أرجوزة له ، منها أبيات ابن قتيبة ، وأما الأبيات الثلاثة  
الباقية في الرم (٥٠) من ملحقات العجاج ، وهي بيت ورد في اللسان (٣) ،  
وبيتان وردا في الألفاظ لابن السكت (٤) (٥٢٤٤) ، فقد تشير إلى أنها  
ربما كانت أيضاً من أبيات أرجوزة للعجاج ، أو من شوارد الأرجوزة  
الأخيرة في ديوانه ، وربما كانت أيضاً من أرجوزة أبي النجم وقد نسبت سهواً  
إلى العجاج في رواية ابن السكت واللسان .

والهم أن هذا الاضطراب إما حدث فعلاً لوجود أرجوزة للعجاج في  
ديوانه بهذا الروي والفاية هي الأرجوزة (٤٤) وهي آخر أرجوزة وردت في  
الديوان ، وأولها :

باصاح مالهج الدومج الذرفا من طلكل أنشخى تغال المصحفا  
ومن المرجح وجود أرجوزة أخرى قائلها لأبي النجم ، وهذا التشابه

(١) المعاني الكبير ٢٥٢/١ ، والابيات وردت فيه على هذا النحو :

كان سقافاً بخوص سقفا	من سعف النخل كميتاً سقفا
ناط على التين منه خصفاً	وابن من الصدر بظنا أهيفاً
وان رآه مدالج تلها	وصدق الظن الذي تخوفاً
عدوا ولها با يمد الطففا	كان عنييه إذا ما ألفاً

(٢) محاضرات الادباء ١٥١/٢ ، والمعاني الكبير ٦٨٨/٢ ، وبعض هذه  
الابيات تنسب إلى رؤبة ، فانظر العمدة ١٨٨/٢ ، والتكامل للبريد ٥٢٢ ،  
وروايتها لرؤبة قد تكون من قبيل الاضطراب بينه وبين أبي النجم .

(٣) اللسان ( وكف ) .

(٤) مختصر تهذيب الالفاظ ٤١٧ .

هو الذي أدى إلى الهم والاضطراب في بعض الآيات . ولم نجد من أوجه الاضطراب مع أي النجم لسبب آخر غير تشابه الرجز ، إلاّ بيتين أوردهما ابن منظور ، وهما :

إِذَا تَدَبَّرْتُهَا خَوْصًا بِأَرْسَالٍ      وَلَا تَتَذَوِّدَاهَا ذِيَادَ الضَّلَالِ

وقد عزاهما إلى أبي النجم العجلي (١) . ولم نجد لأبي النجم أي شعر بهذا الوزن ، وإنما هنالك أرجوزة مشهورة للعجاج بهذا الوزن سبقت الإشارة إليها في حديث رؤبة ، ولهذا نرجح أن يكون البيتان من أرجوزة العجاج (٢) ، وأت ماوردي في رواية اللسان ليس إلا وليد الهم أو التصفيف ، والذي حل صاحب الرواية على ذلك أن البيتين قد وردا في عدد من المصادر دون نسبة (٣) ، فلما أراد لها ردّاً إلى راجز معين ، وهم في ذلك أو أخطأ .

فلاضطراب والتداخل بين أراجيز العجاج وأبي النجم ، كان معظمه بسبب التشابه بين هذه وتلك ، ومثل هذا التشابه كان داعياً إلى شيء من الاضطراب والتداخل أيضاً بين أبيات العجاج ، وأبيات عدد من الرجاز ، أو من عُرف بقول الرجز .

ففي الأرجوزة (١) من ديوان العجاج ، قال يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر (٤) :

يُمْكِنُ السِّيفَ إِذَا الرَّمَحُ انْتَابَرَ      فِي هَامَةِ اللَّيْلِ إِذَا مَا اللَّيْلُ هَرَّ  
وفي شرحها قال الأصمعي : « قال العَلَّاقُ بْنُ جَعْفَلٍ ، وهو مع أبي

موسى أو خالد بن الوليد بنهر المرأة (٥) :

مَنْ يَرَنَا يَوْمَ الْقَدَارِ وَالشَّوَرِ      يَبْطِئُ مَيْسَانَ وَقَدْ حَقَّ الْقَدَرُ  
حول أمير صادق ثَبِتَ الْقَدَرُ      يُمْكِنُ السِّيفَ إِذَا الرَّمَحُ انْتَابَرَ  
في هَامَةِ اللَّيْلِ إِذَا مَا اللَّيْلُ هَرَّ .

ولم يعلق الأصمعي بشيء حول روايته هذه الآيات ، وكأنه يشير إلى ماينها وبين أبيات العجاج من تداخل ، ولا نظن أن الأصمعي يشير بذلك إلى أخذ هذا عن ذلك ، لانه لو أراد ذلك لصرح به على عادته في بعض المواضع من شرحه لديوان العجاج (٦) ، أو ديوان رؤبة (٧) . ولكنه يشير إلى مجرد التداخل ، وهذا مرده إلى وهم الرواة وخطبهم بين أبيات من أرجوزة العجاج مع أبيات لابن جَعْفَلٍ وذلك لتشابه الرجز .

وفي الأرجوزة (١١) من ديوان العجاج ، ورد هذا البيت في وصف النور (٨) :

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهُ تَنَفَّسًا

وهذا البيت أنشده أبو عبيدة مع بيت آخر لم يرد في أرجوزة العجاج ، ورواه على هذا النحو :

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسًا      وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَسًا

ونسب البيتين إلى علقمة بن قروط (٩) . وقد ورد هذان البيتان بهذه

(١) نهر المرأة : نهر بالبصرة ، انظر معجم البلدان ٣٢٥ .

(٢) انظر مثلاً شرح الأرجوزة ١٤/٦ من ديوان العجاج .

(٣) انظر مثلاً ديوان رؤبة : النسخة (٥١٦ أدب) الورقة ١٥٤ ،

والنسخة (٥١٩ أدب) ٢١٣ ، والنسخة (ش ٤٩ أدب) ٢٢٧ .

(٤) الأرجوزة ٤٦/١١ .

(٥) مجاز القرآن ٢٨٧/٣ .

(١) اللسان ، مادة ( خوص ) .

(٢) ملحقات ديوانه رقم ( ٦٤ ) .

(٣) مقاييس اللغة ٢٢٩/٢ ، والمصاحح ١٠٣٩/٣ .

(٤) الأرجوزة ٩٦/١ - ٩٧ .

الرواية في بعض المصادر<sup>(١)</sup> ، ونسباً إلى العجاج . وهذا يجعلنا في حيرة من أمرهما ، إذ ربما كان هنالك أبيات لعلقة بهذا الوزن منها البيت الثاني ، وربما كان هذا البيت من شوارد أرجوزة العجاج ، ولم ينقله الأصمعي ، وربما كان أيضاً من زيادات رواة الشواهد ، ، زاده بعد روايتهم البيت الأول شاهداً على اللغة في قوله تعالى : « والصح إذا تنفس<sup>(٢)</sup> » .

فإذا صح وجود أبيات لعلقة بهذا الرمي ، فلا شك أن البيت الأول قد تداخل معها بسبب تشابه الوزن ، وإلا فالبيت للعجاج ، والثاني من شوارد أرجوزته ، أو أنه مزيد عليها .

وفي الأرجوزة (١٢) من أراجيز العجاج ، جاء قوله<sup>(٣)</sup> :

ومستهل وردته عن مستهل

وهذا البيت من شواهد النجاة على واروب<sup>(٤)</sup> ، وقد ورد في بعضها دون نسبة ، إلا أن السيوطي أنشده ضمن أرجوزة قوامها (٢٢) بيتاً ، وترتيبه فيها الثالث عشر ، وقدّم لها بقوله : « قال ابن الأعرابي في نوادره : أنشدني بكير ابن عبد الله الربيعي<sup>(٥)</sup> » . وعزاه ابن السيد البطليوسي إلى العجاج ، ثم قال : « وأنشده ابن الأعرابي في نوادره في رجز ذكر أنه لعبد الله بن وراحة<sup>(٦)</sup> » . وجاء بعد هذا البيت في أرجوزة ابن الأعرابي :

فقرّبه الأعطان لم تستهل عليه نسج العنكبوت المرمل  
طال فلم ينقطع ولم يؤصل ..

(١) الكشف للمخشي (٥٣٨ هـ) ٥٢٧/٢ ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦٠٦ هـ) ٢٦٦/٨ .

(٢) سورة التكاوير ١٨/٨١ .

(٣) الأرجوزة ١٢/١٠٢ .

(٤) شرح شواهد المتن ١٤٨ .

(٥) الاقتضاب ٤٤٤ .

والبيت الثاني من هذه الأبيات ، هو أيضاً من أرجوزة العجاج مع اختلاف بير في الرواية<sup>(١)</sup> ، ولا يُعقل أن يكون ثمة اضطراب بين الأرجوزتين : أرجوزة العجاج ، وأرجوزة ابن وراحة ، في هذين البيتين ، وذلك لتمكّن كل منهما في موضعه من كل أرجوزة ، ولهذا نرجح ألا يكون ثمة اضطراب أو تداخل بينهما ، بل نرجح أن ثمة شيئاً من التضمن أو توارد الخواطر ، لأن معاني الأبيات ربما كانت من المعاني الشائعة بين الشعراء يومئذ ، فكل من عرف الصعراء وقاساهم ذلك الحين ، قد سار من منهل إلى منهل ، وأول ما يلاحظه حتماً إذا ماورد منهل بعيداً عن الواردة ، إنما هو العنكبوت المتدلي من الأغصان ونحوها .

وفي الأرجوزة (١٦) من ديوان العجاج ، قال الأصمعي في شرح البيتين (٢٩-٣٠) : « قال الأصمعي : بعضهم يجعل من هذا لدهلب القريني . قال أبو سعيد : سمعت عقبة بن ربيعة ينشده للعجاج » . وقال بعد البيت (٤٣) : « قال : هذا آخرها ، والباقى زيادة » ، ثم رسمت حاشية بخط المقابل تابعت السطر تقول : « أنشدها ابن الأعرابي في نوادره لدهلب » ، وأراد صاحب هذه الحاشية أن الزيادة هي التي أنشدها ابن الأعرابي لدهلب ، وهي أربعة أبيات وردت في نهاية الأرجوزة .

فالأصمعي قد أشار إلى تداخل حدث على ألسنة الرواة بين أرجوزة العجاج ، وأرجوزة عائله لدهلب القريني ، إلا أنه احتج بأن موطن التداخل ، في بعض الأبيات التي تروى لدهلب ، قد سمعها الأصمعي نفسه من عقبة بن ربيعة ينشدها للعجاج ، وهذا حجة في نظره ، وفي نظرنا أيضاً ، على أن هذه الأبيات للعجاج .

(١) الأرجوزة ١٢/١٠٨ .

ولكن بعض هذه الأبيات بقيت تروى للدهلب في بعض المصادر ، فقد أنشد ابن منظور الأبيات (١) :

جارية "ليست من الوخش" كان مجرّى دمعها المستن  
قطنة من أجود القطن

وعزاها إلى دهلب (٢) ، ثم روى البيهقي الأخيرين من هذه الأبيات الثلاثة وقدّم لها بقوله : « قال قارب بن سالم المري » ، ويقال : دهلب بن قريع البيهقي (٣) . وبذلك زاد ابن منظور من الاضطراب في رواية هذين البيتين ، إلا أن ابن دريد قد أنشدهما أيضاً وقال مقدّمًا لها : « وأنشدنا أبو حاتم عن أبي زيد للعجاج : البيتين (٤) » ، بما يدل على أن رواية هذه الأبيات قد جاءت للعجاج من طرق متعددة موثوق بها ، فقد نقلت من طريق عقبة بن روبة ، والأصمعي ، وأبي زيد الأنصاري (٥) ، وأبي حاتم السجستاني وكلهم يجمعونها للعجاج ، ولهذا نرى أن هذه الأبيات ينبغي أن تكون فعلاً للعجاج ، ولكنها قد دخلت عند الرواة مع رجز يائثا للدهلب القريني ، أو قارب بن سالم المري ، وقد نبه الأصمعي على هذا منذ قليل .

وامتد هذا النوع من الاضطراب إلى بعض ملاحظات الديوان ، ففي الأرجوزة (٢) من الملحقات ، أنشد التبريزي هذين البيتين :

(١) وهي من أرجوزة العجاج ٣٧/١٦ ، ٤٠ ، ٤١ .

(٢) اللسان (وخش) .

(٣) اللسان (قطن) .

(٤) جبهة اللغة ١١٥/٣ . وأنشدهما ابن دريد في الجبهة ٢٥٠/٣ .

دون نسبة .

(٥) جاء في نوادر أبي زيد مابيلي : « قال أبو زيد : وقال الراجز ( وهو قارب بن سالم المري ، وقيل : دهلب بن قريع ) : الأبيات ١٦٧ . وما بين الأقواس ليس من كلام أبي زيد ، والا لما وضع ضمن أقواس فكانه زيادة من ناسخ أو محقق ، أخذت من اللسان .

واطناً من دغس الغمير نسيباً  
من صادر أو وارد أُندي سباً  
وعزاها إلى العجاج مع أبيات أخرى (١) ، وفي اللسان أنشد ابن منظور لـ «الدين الراجز» (٢) :

ملكاً ترى الناس إليه نسيباً  
من داخل أو خارج أُندي سباً  
ثم قال : « ويرى : من صادر أو وارد » .

وقد يكون هذا تحريفاً أو اضطراباً أو تداخلاً بين الأرجوزتين ، وقد يكون مجرد تضمين من أرجوزة العجاج ، أو سرقة لبعض معانيه وهذا هو الأرجح ، لأن البيت يبدو متمكناً من موضعه في أبيات دكين ، وبذلك لا يشير إلى التداخل ، ولنا يشير إلى أنه من أصل بناء الأبيات ، وهذا يعني أن دكينا قد اقتبسه أو سرقه من العجاج .

وفي الرقم (٢٥) من الملحقات ، ورد هذان البيتان في وصف حر الوحش :

يتبعن ذاهداً هده عجباً  
إذا الغرابان به تَمَرَسَا

وقد أنشد الجوهري البيت الأول وعزاها إلى العجاج (٣) ، ثم أنشد ابن منظور البيتين ، وقال : « قال العجاج وقبل جرّى الكاهلي : البيتين ، قال ابن بري : نسب الجوهري هذا البيت للعجاج ، وهو لـ جري الكاهلي (٤) » ، ثم أنشد البيت الأول مع البيت (٢٧) من أرجوزة العجاج (١١) دون نسبة على هذا النحو (٥) :

(١) كنز الحفاظ ٥٥ .

(٢) اللسان (نسب) .

(٣) الصحاح ٩٤٣/٢ .

(٤) اللسان (عجبس) .

(٥) اللسان (هده) .

يَتَّبَعْنَ ذَا هُدَاهِدٍ عَجَسًا مُوْاجِلًا قَفْصًا وَزَمَلًا أَدَقَسًا

وهذا تليق بإمكان له في أرجوزة العجاج ، لأن البيت ( ٢٧ ) وما قبله يتحدث عن القفص ، لا عن حمر الوحش .

وبهذا نكون قد فرغنا من دراسة القسم الثاني بما وقفنا عليه من تداخل واضطراب في رواية رجز العجاج بسبب تشابه الرجز بينه وبين عبيد من الرجّاز الآخرين .

وأما القسم الثالث من الاضطراب في رواية رجزه ، فمردّه إلى عدم تَشَبُّه الرواة وخلطهم في نسبة الرجز بين العجاج وبين عدد من الرجّاز أو من عُرِفَ بقول الرجز . وهذا الزم أو خطأ في الرواية أمر لا يسلم منه رواة الشواهد ومن إليهم من لا يعينهم صاحب البيت أو الأبيات ، وإنما الذي يعينهم هو مافي البيت أو الأبيات من شاهد على اللغة أو النحو أو المعاني أو ما إلى ذلك ، ولهذا ربما نسبوا هذه الأبيات خطأ إلى غير أصحابها ، وبذلك ينشأ الاضطراب في نسبتها بين شاعرين أو أكثر .

ومن هنا كان ثمة اضطراب واسع بين طبقة الرجّاز في الأدب العربي ، فهناك اضطراب في نسبة بعض الرجز بين رُبُوبَة وأبي النجم <sup>(١)</sup> ، وبين رُبُوبَة وأبي نُجَيْمَة <sup>(٢)</sup> ، وبين رُبُوبَة والحطيئة <sup>(٣)</sup> ، وبين رُبُوبَة وعنترة بن عروس <sup>(٤)</sup> ، وبين رُبُوبَة وأبي الأخيلية <sup>(٥)</sup> ، وهناك اضطراب بين أبي نُجَيْمَة وهِمْيَان

(١) انظر الشعر والشعراء ٥٨٢ ، والمغرب ٣٣٩ ، وقابل ذلك بالشاعر (نيم) ، وانظر الف با ٧٥/٢ فقد نسب البلوي إلى رُبُوبَة أشهر بيت معروف لأبي النجم .

(٢) انظر البديع ١٤١ ، وقابلة بالشعر والشعراء ٥٨٤ ، والعمدة ١٨٧/٢ ، والعمد ٢٠٦/٦ .

(٣) انظر الصحاح ١٩٨٢/٥ ، وقابلة بالعمدة ٧٤/١ .

(٤) انظر شرح شواهد الغني ٢٠٦ .

(٥) انظر فتح الجليل ٢٩ .

- ١٩٤ -

ابن قُحَافَة <sup>(١)</sup> ، وبين أبي نُجَيْمَة ومعاصره العماني <sup>(٢)</sup> ، وهناك اضطراب بين هِمْيَان بن قُحَافَة والزُّبَيَّان <sup>(٣)</sup> ، وبين هِمْيَان بن قُحَافَة وخِطَام الجاشعي <sup>(٤)</sup> ، وهناك اضطراب بين أبي النجم وحُمَيْد الأرقط <sup>(٥)</sup> ، وبين أبي النجم وعِلَّان ابن حُرَيْث الربيعي <sup>(٦)</sup> ، وبين أبي النجم وبعض بني ضَبَّة <sup>(٧)</sup> ، وهناك اضطراب بين حُمَيْد الأرقط وحُمَيْد بن ثور <sup>(٨)</sup> ، وفيه اضطراب بين الأغلب العجلي ويحيى بن منصور <sup>(٩)</sup> ، وبين الأغلب وخِطَام الجاشعي <sup>(١٠)</sup> ، وبين الأغلب وأبلي بنت النُّبَاح <sup>(١١)</sup> ، وبين الأغلب وعَجَفَاء بنت علقمة <sup>(١٢)</sup> ، وقد يضطرب الرجز الواحد بين عدد من الرجّاز ، وهناك مثال على ذلك بين الشاخ وأبن أخيه جَبَّار بن جَزْء بن خِرَار وأبي النجم وابن المعتز <sup>(١٣)</sup> ، ومثال آخر بين أبي نُجَيْمَة والعاني والحكم بن عبدل <sup>(١٤)</sup> ، وأمثال هذا كثير .

ولعل من أقرب ما صادفنا من صور هذا الاضطراب بين طبقة الرجّاز،

(١) المخصص ١٣٩/١١ ، والكامل ١٤٩ .

(٢) خزائن بولاق ٢٩٣/٤ .

(٣) الحيوان ١٥/٢ .

(٤) الخزائن ٣٧٤/٣ - ٣٧٦ ، وكتاب سيبويه ٢٤١/١ ، ٢٠٢/٢ .

(٥) الحيوان ٩٨/٥ ، والجمهرة ٣٠٦/١ - ٣٠٧ .

(٦) مجالس لعلي ٦٥٥ ، ومجالس القرآن ١٥٠/٢ .

(٧) شرح أدب الكاتب ٣٢٤ - ٣٣٦ .

(٨) اللسان (جفف) .

(٩) كتاب الابدال ٨٧/٢ .

(١٠) اللسان (رعي) .

(١١) جمهرة اللغة ١٧/١ ، ومقاييس اللغة ١٢/١ .

(١٢) جمهرة الأمثال ١٦٢ .

(١٣) أسرار البلاغة ١٤٤ .

(١٤) قابل بين ديوان المعاني ٣٦/١ ، ومغني اللبيب ١٦٤/١ ، وشرح شواهد الغني ١٧٥ ، وخزائن بولاق ٢٩٢/٤ - ٢٩٣ ، وقنوات الوقفيات ١٤٦/١ .

أنت نجد ابن قتيبة (٥٢٧٦) يقول : « أخيراً أبو حاتم حدثنا الأصمعي قال: كان ثلاثة أخوة من بني سعد لم يأتوا الأمصار ، فذهب رجزهم ، ويقال لهم منذر ونذير ومنتذر ، ويقال لمرت قصيدة رؤبة التي أولها :  
وقائم الأعماق خاوي المخترق<sup>(١)</sup>

لمتندر<sup>(٢)</sup> » .

ففي عهد الأصمعي ومُجد من يزعم أن أرجوزة رؤبة وهي غرّة ديوانه ، ليست له وإنما هي لأرجز معمر من بني سعد ، وهذا لا يمكن أن يصدق بحال على أرجوزة رؤبة .

والهم أن وهم الرواة وخلطهم في نسبة أبيات الرجز بين عدد من الرجاز أو الشعراء قد حمل على وجود اضطراب واسع في رواية رجز العجاج ، إلا أن ذلك لا يكاد يخرج عن ملحقات الديوان إلا نادراً ، إذ لم نجد من هذا النوع غير بيت واحد في الديوان قد تلاقى على الاضطراب حوله كل من العجاج ورؤبة وذو الرمة ، وذلك بسبب الوهم والخطأ من الرواة ، وهذا البيت هو<sup>(٣)</sup> :

تَرْجِي أُرَاعِيْلَ الْجَهَامِ الْخَوَرِ

فقد أنشده ابن منظور لذي الرمة<sup>(٤)</sup> ، وأنشده الزمخشري لرؤبة<sup>(٥)</sup> ، وكلا الروايتين فيها خطأ أو وهم ، لأن البيت من أرجوزة للعجاج في ديوانه وليس لرؤبة أو لذي الرمة رجز بهذا الوزن .

- (١) الشمر والشعراء ٥ ، وقارن ذلك بالوساطة ١٣١ - ١٣٢ .  
(٢) الأرجوزة ٧٦/١٩ .  
(٣) اللسان ( رعل ) .  
(٤) أساس البلاغة ١/ ٣٥٠ .

ولا نكاد نضيف إلى هذا البيت ، إلا بعض الصور التي مرت بنا فيما سبق ، وأما سائر هذا النوع من الاضطراب فهو خاص برواية بعض الملحقات ، وسوف نعرض لها جيعاً .

ففي الأرجوزة (٢) من الملحقات ، أنشد الزبيدي للعجاج<sup>(١)</sup> :

وإن تَوَسَّى التَّالِيَاتُ عَقْبًا

وأنشده ابن منظور للطرماع<sup>(٢)</sup> ، وكان صاحب التاج قد صحح ما وهم به صاحب رواية اللسان ، لأن البيت أقرب إلى العجاج منه إلى الطرماع ، ذلك لوجود أرجوزة بهذا الوزن للعجاج ، وليس من أرجوزة للطرماع بهذا الوزن ، مما يرجح أن يكون البيت للعجاج .

وفي الأرجوزة (٧) من الملحقات ، التي أولها :

وَمَنْبَلٌ فِيهِ الْغُرَابُ مَيَّتٌ كَأَنَّهُ مِنَ الْأَجُونِ زَيْتٌ

أشار البكري إلى أبيات الرجز ، وقال : « هذه الأشرطة قد نسبها قوم للعجاج ، ونسبها آخرون إلى أبي محمد الفقعسي ، وكذلك قال يعقوب إنها للحذلي<sup>(٣)</sup> » ، وأشار إليها في موضع آخر فقال : « هو لأبي محمد الجرمي الفقعسي ، وقد مضى القول فيه ، وقد نُسِبَ هذا الرجز إلى العجاج والصحيح ماذهبنا<sup>(٤)</sup> » ، وأنشد ابن منظور الأبيات (١-٣) ونسبها إلى أبي محمد الفقعسي<sup>(٥)</sup> ، وأنشد الأبيات (٧-٩) وعزاها أيضاً إلى أبي

- (١) التاج ( عقب ) .  
(٢) اللسان ( عقب ) .  
(٣) سقط الأبي ٢٠١ .  
(٤) سقط الأبي ٨٦٩ .  
(٥) اللسان ( أجن ) .

محمد الفقعسي<sup>(١)</sup> ، واتسع الاضطراب حول هذه الأبيات فامتد إلى رؤية أيضاً إذ أنشد أبو عبيدة البتيني (٤-٥) في مجاز القرآن وعزاها إلى رؤية في موضعين من كتابه<sup>(٢)</sup> ، ولعله هو السبب لنقل أبي حيان الأندلسي نسبة هذين البيتين إلى رؤية<sup>(٣)</sup> .

والحق أن رواية أبي عبيدة (٢١٠هـ) لبعض الأبيات وعزوه لربها إلى رؤية ، يمكن أن تكون صورة من صور الاضطراب بين العجاج ورؤية التي مئت بنا فيها سبق ، وهي مرجع للعجاج على الفقعسي ، ولكننا لانكاد نقطع بهذا الترجيح لأننا لم نغف على مصادر الكري (٤٩٦هـ) ، ولم نعلم شيئاً ممن روى هذه الأبيات للعجاج ، أو ممن رواها لأبي محمد الحنظلي غير ما جاء في اللسان .

وفي الرقم (١٤) من الملحقات ، أنشد البغدادي هذه الأبيات للعجاج<sup>(٤)</sup> :

لاخَيْرَ في الشَّيْخِ إِذَا مَا اجْلَسَ      وَسَالَ غَرْبُ عَيْنِهِ وَلَجَسَ  
وَكَانَ أَكْثَلًا قَاعِدًا وَشَجَسَ      تَحْتَرَوَا قِيَامَ الْبَيْتِ يَغْتَسِ الدُّخَانُ  
وَانْتَسَرَ الرَّجُلُ فَكَانَتْ فَتَحًا      وَكَانَ وَصَلَ الْغَانِيَاتِ أَخَا

وقال البغدادي في البيت الأخير : « ولم أر نسبة البيت للعجاج إلا في الفصل وفي العباب للصابغاني » ، وفي هذا القول وهم أو تصحيف ، ذلك لأن الزمخشري في الفصل قد أنشد البيت دون نسبة<sup>(٥)</sup> ، وإلما الذي أنشده

للعجاج هو ابن يعش في شرح المفصل<sup>(١)</sup> .

والمهم أن ابن يعش والصابغاني هما اللذان نسباً بعض هذه الأبيات إلى العجاج ، وقد وردت طائفة منها في عدة مصادر<sup>(٢)</sup> ، ولكنها لم تنسب إلى راجز معين ، إلا أن البغدادي نقل أيضاً بسنده عن الأصمعي أن الأبيات لأعرابية في زوجها وكان شيئاً ، فقال : « وقال أبو عبدالله محمد بن الحسين البجلي في طبقات النورين : حدثنا ابن مطرف قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قالت أعرابية في زوجها وكان شيئاً : الأبيات<sup>(٣)</sup> » ، ثم روى الأصمعي أبياتاً لزوجها يرد بها عليها .

ولا شك أن رواية الأصمعي هذه الأبيات لأعرابية موجه أن تكون لها دون العجاج ، ولا سيما أنها ترتبط في رواية الأصمعي بغير معين ، يمكن أن يساعد على تحديد صاحب الأبيات .

وفي الرقم (٢٣) من الملحقات ، أنشد ابن السكيت (٢٤٤هـ) هذين البيتين :

فَوَرَدَتْ قَبْلَ انْتِجَالِ الْفَجْرِ      وَابْنُ ذَكَاةٍ كَامِنٌ فِي كَفَرٍ

ونسب البيتين إلى حميد<sup>(٤)</sup> ، وأنشدهما ابن منظور لمحمد أيضاً<sup>(٥)</sup> ، وأضاف التبريزي (٥٠٢هـ) إليها ثالثاً ونسب الأبيات إلى حميد أيضاً<sup>(٦)</sup> ، إلا أن الجاحظ (٢٥٥هـ) أنشد البيت الثاني ونسبه إلى العجاج<sup>(٧)</sup> ، والجاحظ وابن السكيت متعاصران وكلامهما حجة في روايته ، ولئن كان التبريزي

(١) شرح المفصل ٥٣٦/٢ .

(٢) انظر تخريجها في آخر الديوان .

(٣) خزائن بولاق ١٠٤/٣ .

(٤) مختصر تهذيب الالفاظ ٢٢١ .

(٥) اللسان (كفر) ، وأنشدهما في (ذكا) دون نسبة .

(٦) كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ ٢٨٧ .

(٧) الحيوان ١٢/٥ .

(١) اللسان (جم) .

(٢) مجاز القرآن ٢٢١/٢ ، ٢٢٢ .

(٣) تفسير البحر المحيط ١٠٤/٨ .

(٤) خزائن بولاق ١٠٣/٣ .

(٥) الفصل ١٦٥ .

واللسان مرجعاً لابن السكيت ، فابن رشيق (٤٦٣ هـ) مرجح للمحافظ لأنه أشد للعلاج يبتين آخرين بهذا الوزن نفسه<sup>(١)</sup> ، والمعاني فيها تصل اتصالاً وثيقاً بمعاني هذه الأبيات ، بما يدل على أنها جميعاً من أرجوزة واحدة في الأصل ، ومن ثم لا نجد مرجعاً في نسبة الأبيات إلى حميد أو إلى العجاج . وفي الرقم (٣٠) من الملحقات ، أشد الزخشي (٥٣٨ هـ) :

لَقَدْ تَخَاوَزْتُ وَمَا يِي مِنْ خَزَرٍ

ونسبه إلى العجاج<sup>(٢)</sup> ، وهذا البيت ورد في عدة مصادر دون نسبة<sup>(٣)</sup> ، ورواه الجواليقي (٥٣٩ هـ) أول أربعة أبيات على هذا النحو :

إِذَا تَخَاوَزْتُ وَمَا يِي مِنْ خَزَرٍ ثُمَّ كَسَرْتُ الْعَيْنَ مِنْ غَيْرِ عَوَرٍ  
أَلْفَيْتَنِي الْوَيْتَ بَعِيدَ الْمُسْتَمَرِّ أَحْمِلُ مَا حَمَلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرِّ

ونسب الأبيات إلى الأغلب العجلي<sup>(٤)</sup> . ثم رواه الهميري مع أربعة أبيات على هذا النحو :

إِذَا تَخَاوَزْتُ وَمَا يِي مِنْ خَزَرٍ ثُمَّ كَسَرْتُ الظَّرْفَ مِنْ غَيْرِ عَوَرٍ  
أَلْفَيْتَنِي الْوَيْتَ بَعِيدَ الْمُسْتَمَرِّ كَالْيَتِيَّةِ الصَّهَاءِ مِنْ أَصْلِ الشَّجَرِ  
أَحْمِلُ مَا حَمَلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرِّ

ثم قال مقدماً لها : « قال عمرو بن العاص رضي الله عنه يوم صفين<sup>(٥)</sup> » .

وبذلك أصبح الاضطراب في هذه الأبيات بين الأغلب والعجاج وعمرو بن العاص ، إلا أن ابن منظور أشد الأبيات الأربعة المتقدمة ثم قال : « قال ابن بري : هذا الرجز يروي لعمر بن العاص ، قال : وهو المشهور ، ويقال : إنه لأوطاة بن سبهة تمثل به عمرو رضي الله عنه<sup>(٦)</sup> » .

وهذا يشير إلى أن الرجز ليس لعمر بن العاص ، وإنما تمثل به بختلاء ، وإذا كان قد قتل بهذا يوم صفين فهذا يرجح ألا تكون الأبيات للعجاج ، لأنها تم عن تقدم في السن ، وحكمة وتجربة لدى قائلها ، وهذا قد يتوفر لدى الأغلب أو ابن سبهة في ذلك الحين ، ولكنه لا يتوفر للعجاج آنشد لأنه كان مازال في شبابه . ومن هنا تبقى الأبيات متنازعة بين الأغلب العجلي وأوطاة بن سبهة ، وليس من مرجح بينها يميل بها إلى هذا أو ذاك .

وفي الرقم (٣١) من الملحقات ، أشد البكري أرجوزة أولها :

يَضْرِبُنْ جَبَاباً كَمَدَّقِ الْمَعْطُورِ

يَنْتَشِفُ الْبَوْلَ انْتِشَافَ الْمَعْدُورِ

ورواها دون نسبة<sup>(٧)</sup> . « إلا أن الأبيات (١، ٤، ٥) نسبت إلى العجاج في مواضع متعددة من الصحاح<sup>(٨)</sup> ، واللسان<sup>(٩)</sup> ، والأبيات (٧ ، ٩ ، ١٠) نسبت إلى منظور بن مرثد الأسدي في موضع واحد من اللسان<sup>(١٠)</sup> . ونسبة الأبيات إلى العجاج في مواضع متعددة من الصحاح واللسان ، أرجح من نسبتها إلى منظور بن مرثد في موضع واحد من اللسان ، ولهذا نرجح

(١) اللسان ( مر ) .

(٢) أراجيز العرب ١٥٥ .

(٣) الصحاح ٢/٧٥١ و ٤/١٤٧٦ و ٤/١٥٠٩ .

(٤) اللسان ( عطر ) و ( دقق ) و ( صلق ) .

(٥) اللسان ( روح ) .

(١) العمدة ١/١٠٩ .

(٢) أساس البلاغة ١/٢٢٧ .

(٣) كتاب سيبويه ٢/٢٣٩ ، والحيوان ١/٢٨٠ ، والمختص ١/١١٩ ،

والفصل ٢٨٠ ، واللسان ( خور ) .

(٤) شرح أدب الكاتب ٣٢١ ، وانشدها ابن سيدة في المختص ١٤/١٨٠ دون نسبة .

(٥) حياة الحيوان ١/٢٥٤ ، وداها القالي دون نسبة في أماليه ١/٩٥ مع اختلاف في الترتيب والرواية .



أن تكون الأرجوزة بكاملها للعجاج .

وفي الرقم (٤٠) من الملحقات ، أنشد السيوطي أبياتاً أولها :

أَصْبَحْتُ لَا يَسْمُلُ بَعْضِي بَعْضِي مُتَقَبِّلاً أَوْ مُخِ مِثْلَ النِّقْصِ  
وقال : « وفي شرح سيبويه للزحشري : هذا الرجز للأغلب العجلي ،  
وقيل : للعجاج ، وأوله : ( الأبيات )<sup>(١)</sup> » .

وهذا الرجز وردت بعض أبياته في مصادر كثيرة دون نسبة<sup>(٢)</sup> ،  
ونُسبت بعض أبياته إلى الأغلب العجلي عند أبي حاتم السجستاني<sup>(٣)</sup> ،  
والأصفهاني<sup>(٤)</sup> ، واليعني<sup>(٥)</sup> ، والبغدادى<sup>(٦)</sup> ، ونُسبت أبيات أخرى إلى  
العجاج عند سيبويه<sup>(٧)</sup> ، وابن سيده<sup>(٨)</sup> ، والشعمري<sup>(٩)</sup> ، وأبي عبيدة معمر  
ابن النخعي<sup>(١٠)</sup> .

ولا شك أن منزلة سيبويه وأبي عبيدة ، تقابلها منزلة أبي حاتم السجستاني  
والأصفهاني ، ولذلك لا نجد مجالاً للترجيح من حيث المصادر ، ولكن الجاحظ  
نقل أن معاوية بن أبي سفيان قد رأى هؤلاء وهو مُعْتَرٍ فقال بعض هذه  
الأبيات<sup>(١١)</sup> ، ولا مَرِيَّةَ أن معاوية قد قتل بها لما تَنَدَّدَتْ عنه من

ضعف وهم . وإذا صح هذا الخبر الذي نقله الجاحظ فهو يحتم أن تكون  
الأبيات للأغلب لا للعجاج ، لأن معاوية توفي سنة (٦٠ هـ) ، ولعله قال  
هذه الأبيات سنة وفاته أو قبل ذلك بسنوات ، وعلى الحالين فالأبيات ينبغي  
أن تكون قد خرجت من شفاه صاحبها قبل سنوات على الأقل ، حتى أمكن  
لها أن تبلغ من الشرة ما يصل بها إلى أسماع الخليفة وذاكرته ، والعجاج  
في ذلك الحين لم يكن من الغم بمثل ما تصور الأبيات ، ، لأنه توفي بعد  
معاوية بنحو ثلاثين عاماً ، ولهذا ترجح أن تكون الأبيات للأغلب لأنه من  
المعمرين وقد توفي سنة (١٩ هـ) في معركة نهاوند أيام الخليفة عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه<sup>(١٢)</sup> .

وفي الرقم (٤٤) من الملحقات ، أنشد الجوهري هذا البيت :

كَأَنَّمَا رَحِلَيْيَ وَالْقَرَارِطَا

ونسبه إلى العجاج<sup>(١٣)</sup> ، ثم أنشده ابن منظور وقال : « هذا الرجز  
نسبه الجوهري للعجاج ، وقال ابن بري : هو للزفان لا للعجاج ، قال :  
والصحيح في إنشاده :

كَانَ أَقْتَادِي وَالْأَسَامِطَا وَالرَّحْلَ وَالْأَنْسَاعَ وَالْقَرَارِطَا  
ضَمَمْتُهُنَّ أَخَذَرِيًّا نَاسِطَا<sup>(١٤)</sup> »

وهذا يعني أن الأبيات مضطربة الرواية بين العجاج والزفان ، وليس  
من مرجح بينها إلا قول ابن بري وليس كلامه بالقول الفصل ، لأنه لا يعرض  
سبباً أو حجة لذلك .

- (١) الشعر والشعراء ٥٥٥ ، والإغاني ١٦٤/١٨ .
- (٢) الصحاح ١١٥١/٣ .
- (٣) اللسان ( قوط ) .

- (١) شرح شواهد المغني ٢٩٨ .
- (٢) انظر تخريج الأبيات في آخر الديوان .
- (٣) كتاب المعمرين ٧٦ .
- (٤) الإغاني ١٦٤/١٨ .
- (٥) المقاصد ٣٩٥/٣ ، والفرائد ٢٢٣ .
- (٦) الخزائن ١٦٧/٤ - ١٦٨ .
- (٧) الكتاب ٢٦/١ ، وعبارة الكتاب : « وقال العجاج » ، وهي صريحة  
بانها من كلام سيبويه .
- (٨) المختص ٧٨/١٧ .
- (٩) تحصيل عين الذهب ٢٦/١ .
- (١٠) مجاز القرآن ٩٩/١ .
- (١١) البيان والتبيين ٦٠/٤ ، ونقله السيوطي عن الجاحظ في شرح  
شواهد المغني ٢٩٨ .

وفي الرقم (٥٨) من الملحقات ، أنشد ابن فارس هذا البيت :

بارك فيك الله من ذي آل<sup>(١)</sup>

ونسب إلى العجاج<sup>(٢)</sup> ، ثم أنشده ابن منظور فقال : « قال أبو الحضر اليربوعي يمدح عبد الملك بن مروان ، وكان أجري مهراً فسبّح :

مُهِرٌ أَبِي السَّبَّابِ لَا تَسْتَلِّيْ  
بارك فيك الله من ذي آل<sup>(٣)</sup>

أي من فرس ذي سرعة<sup>(٤)</sup> » . ثم أنشد هذين البيتين مرة أخرى لأبي الحضر اليربوعي أيضاً<sup>(٥)</sup> . ومن المرجح أنه يكون البيت لأبي الحضر اليربوعي خلافاً لابن فارس ، ذلك لأن رواية اللسان قد حددت مناسبة البيت ، ولا شك أن تحديد هذه المناسبة أدعى إلى تحديد صاحب البيت ، وهذا أوثق من رواية البيت مجرداً من ذلك ، يتبادر دون أقوانه ، فتل هذه الرواية قد يقع صاحبها في وهم أو نسيان أو خطأ في غزو البيت إلى صاحبه ، ولهذا نرجح أن يكون البيت لليربوعي دون العجاج .

وفي الرقم (٦٣) من الملحقات ، أنشد ابن منظور هذه الأبيات :

تبادر الحوض إذا الحوض شغل  
بشعثنا في صهايني هذل<sup>(١)</sup>  
ومنكباها خلف أوزك الإبل<sup>(٢)</sup>

ونسب الأبيات إلى العجاج<sup>(٣)</sup> ، وأنشد البيت الثاني في موضع آخر ونسب إلى العجاج أيضاً<sup>(٤)</sup> ، وفي موضع ثالث أنشد البيتين الأول والثاني مع اختلاف يسير في الرواية ونسبها إلى أبي محمد الخدلي<sup>(٥)</sup> ، وهذا يعني أن الأبيات

ربما كانت متنازعة بين العجاج والخدلي ، ولا موجه بينها إلا أن يقال إن نسبة الأبيات إلى العجاج في موضعين من اللسان ، أرجح من نسبتها لأبي محمد الخدلي في موضع واحد .

وفي الرقم (٦٨) من الملحقات ، أنشد البغدادي هذين البيتين :

بالتين قد خرت من شمه  
حتى يعود الملك في أسطمه<sup>(١)</sup>

وكان قد أنشد الأول : « حتى إذا ما خرجت .. » ، ثم قال : « والبيت من أرجوزة للعجاج ، وقد تقدمت ترجمته في الشاهد الحادي والعشرين من أوائل الكتاب ، ورواية الشارح للبيت غير جيدة ، والصواب :

بالتين قد خرجت من فمه

كما هو في ديوانه<sup>(٢)</sup> » .

فالبغدادي قد رأى أرجوزة لهذين البيتين في ديوان العجاج ، وليس من وهم أو تصحيف في ذكره للعجاج ، لأنه أكد أنه يريده بذاته حين قال : « وقد تقدمت ترجمته في الشاهد الحادي والعشرين من أوائل الكتاب » ، والذي ترجم له في الشاهد (٢١) من الخزانة إنما هو العجاج فعلاً<sup>(٣)</sup> .

ومن الغريب أن البغدادي لم يشر إلى غير العجاج في نسبة الأبيات ، ولعله لم يفعل ذلك ، لأنه رأى أنها في ديوانه ، إلا أن ابن عبد ربه (٨٣٢٨) أورد خبراً جاء فيه قوله : « وحدث المهمل بن عدي عن سليمان عن ابن عباس ، قال : لما أراد الوليد أن يبايع لابنه عبد العزيز بعد سليمان ، أتى ذلك سليمان وشنع عليه ، وقيل الوليد : لو أمرت الشعراء أن يقولوا في

(١) الخزانة ٣٧٨/٤ - ٣٧٩ .

(٢) الخزانة ١٥٧/١ .

(١) مجمل اللغة ٧/١ .

(٢) اللسان ( الل ) .

(٣) اللسان ( شلل ) .

(٤) اللسان ( شمع ) .

(٥) اللسان ( صهب ) .

(٦) اللسان ( هذل ) .

ذلك لعله يسكت فيُشْهِد عليه بذلك . فدعا الأُفَيْل العتي فقال له :  
أرجئ بذلك وهو يسمع فدعا سليمان فسأله ، والأُفَيْل خلفه ، فرفع صوته  
فقال :

إِنَّ وَلِيَّ الْعَهْدِ لَابْنُ أُمِّهِ ثُمَّ ابْنُهُ وَلِيَّ عَهْدِ عَمِّهِ  
قَدْ رَضِيَ النَّاسُ بِهِ فَسَمِعَ فَبَوَّضَهُ الْمَلِكُ فِي مَضْمَعِهِ  
بِالْيَتَامَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ حَتَّى يَعُودَ الْمَلِكُ فِي أَسْطُفَعِهِ  
فالتفت إليه سليمان ، وقال : يا ابن الحيلة ، من رضي بهذا ؟ (١) .

وهذا الخبر يجعل الأبيات للأفيل العتي ، وثمة خبر مشابه أورده ابن  
رشيقي (٥٤٦٣) يجعل الأبيات للعاني الراجز ، وفيه يقول : « ودخل  
العاني الشاعر وهو أبو العباس محمد بن ذئب الفقيمي على الرشيد فأَنشده  
أرجوزة يقول فيها :

قُلْ لِلْإِمَامِ الْمُتَنَذِرِ بِأَمِّهِ مَا قَاسَمَ دُونَ مَدَى ابْنِ أُمِّهِ  
فَقَدْ رَضِيَانَهُ فَقَمُ فَسَمِعَهُ (٢)

والعاني هنا يطلب من الرشيد أن يبايع لابنه القاسم بولاية العهد ،  
والأبيات في هذا الخبر لاثنتي عن الأبيات السابقة ، ولما تشترك معها  
في توسيع الاضطراب حولها بين العجاج ، والأفيل ، والعاني . وهذا  
الاضطراب قد اتسع في اللسان إذ روى ابن منظور هذه الأبيات للعاني  
يحاطب الرشيد :

مَا قَاسَمَ دُونَ مَدَى ابْنِ أُمِّهِ قَدْ رَضِيَانَهُ فَقَمُ فَسَمِعَهُ

بِالْيَتَامَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ حَتَّى يَعُودَ الْمَلِكُ فِي أَسْطُفَعِهِ  
ثم قال بعدها : « وقال ابن خالويه : الرجز لجرير قاله في سليمان بن  
عبد الملك وعبد العزيز ، وهو :

إِنَّ الْإِمَامَ يَتَعَدَّى ابْنَ أُمِّهِ ثُمَّ ابْنُهُ وَلِيَّ عَهْدِ عَمِّهِ  
قَدْ رَضِيَ النَّاسُ بِهِ فَسَمِعَ بِالْيَتَامَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ  
حَتَّى يَعُودَ الْمَلِكُ فِي أَسْطُفَعِهِ أَبْرَزْ لَنَا بَيِّنَةً مِنْ كُفِّهِ (٣)

وهكذا فالأبيات متنازعة بين العجاج ، وجرير ، والأفيل ، والعاني ،  
وبين العصريين الأموي والعباسي ، ولا نكاد نعلم أن تكون للعجاج  
لأنها في الأخبار جميعاً ترتبط بأمر ولاية العهد ، ولم نجد في أخبار العجاج  
شيئاً من ذلك ، وطبيعة العجاج أصلاً تحول بينه وبين أمثال هذه المآزق ،  
وأما وجود الأبيات في ديوانه على قول صاحب الخزانة ، فليس له تفسير  
إلا أن يكون زيادة من النسخ ، لأن الأصمعي أدرى بأمثال هذه الأخبار  
المتصلة ببني أمية ، وأعلم بهذه الأشعار إن كانت قد أنشئت حقاً في  
بلاط الرشيد .

وفي الرقم (٧٠) من الملحقات ، أنشد العيني أرجوزة ، أولها :  
عَبْسِيَّةٌ لَمْ تَرَحْ قَدْفًا أَدْرَمًا وَلَمْ تَعْجِمْ عُرْفًا مُعْجِمًا  
وقال بعد إنشاده البيتين (١٨ - ١٩) : « أقول قائلته هو أبو حيان  
الفقعي ، كذا قاله ابن هشام الحنبلي ، وقال ابن هشام اللخمي : قائله  
مساور العبسي ، ويقال : العجاج والد رؤبة ، وقال السيرافي : قائله الديبري ،  
وقال الصاغاني : قائله عبد بني عبس . وهو من قصيدة مرجزة أولها هو قوله :

(١) اللسان ( طسم ) .

(١) العقد الفريد ١٨٦/٥ - ١٨٧ .  
(٢) العمدة ٣١/١ - ٣٢ .

( الأبيات )<sup>(١)</sup> .

وأشار البغدادي إلى شيء من قول العيني ، وزاد عليه قوله : « وقد روى الحلواني في كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم الأبيات الأخيرة من قوله :

عَنْدَ كِرَامٍ لَمْ يَكُنْ مَكْرَمًا

إلى آخرها باختلاف في بعض الألفاظ ، ونسب الشعر إلى ابن جنيانة ، بضم الجيم وبعدها موحداث خفيفتان وهو شاعر جاهلي لص ... ونسب ابن السيد واللخمي هذا الشعر إلى مساور العبيسي ، ونسبه بعضهم إلى العجاج ، قال ابن السيرافي في شرح أبيات الغريب المصنف للعجاج قصيدة ، يشبه أن تكون هذه الأبيات منها ، والرواية تختلف ، وأبيات العجاج في صفة فعل من فحول الإبل ..<sup>(٢)</sup> .

ولا شك أن السيرافي قد أشار إلى أرجوزة العجاج<sup>(٣)</sup> :

طَافَ الْخَيْلَانُ فَهَجَا سَقَمًا خَيْالٌ تُكْنَى وَخَيْالٌ تُكْنَمَا

ولم ترد فيها أبيات الأرجوزة المتنازعة بين عدد من الرجاز ، ولكنه لا يبعد أن تكون جزءاً منها لم ينقله الأصمعي ، أو أن تكون أرجوزة أخرى للعجاج تتفق مع الأولى رويًا وقافية ، ولكن هذا أو ذاك من الصعب أن نجد عليه دليلًا ، وإذا كانت ثلاثة أبيات من الأرجوزة المتنازعة بين عدد من الرجاز قد نسبت في جمهرة اللغة إلى العجاج ، فهذه النسبة زيادة

- (١) المقاصد النحوية ٨٠/٤ ، ومثله في الفرائد ٢٨٤ ، وشرح شواهد المفضي ٣٢٩ .  
(٢) خزائن بولاق ٥٧٣/٤ .  
(٣) الأرجوزة ( ٢١ ) من ديوان العجاج .

من المحقق على الأرجح<sup>(١)</sup> ، وبذلك لا نجد من الأدلة ما ميل بالأرجوزة إلى العجاج أو غيره ، وإنما تبقى متنازعة بينه وبين عدد من الرجاز .

وفي الرقم (٧٣) من الملحقات أنشد الزبيدي هذا البيت :  
يَطْفَنُ بِجُوزِي الْمَرَاتِعِ لَمْ تَرْعَ

بَوَادِيهِ مِنْ قَتَرِ الْقَيْسِيِّ الْكَثَائِرِ

وعزاه إلى العجاج<sup>(٢)</sup> ، وهذا البيت أنشده ابن منظور وعزاه إلى الطرماح<sup>(٣)</sup> ، وأنشد الرمازي عجزه وعزاه إلى الطرماح أيضاً<sup>(٤)</sup> ، وإنشاده من قبل الرمازي وابن منظور للطرماح يؤيد أن يكون للطرماح فعلاً ، وذلك لأنها أسبق من المرتضى الزبيدي زمنًا ، ولأن البيت من الطويل ، ويبدو أنه من قصيدة وليس بيتًا ، والعجاج قل أن يقول شعراً من غير الرجز إلا في ندر ، ولا يقول إلا البيت أو البيتين ، أما القضايد غير المرجزة ، فلا أثر لها في ديوانه أو في مصادرها على اختلاف أنواعها .

وفي الرقم (٧٦) من الملحقات ، أنشد ابن منظور هذه الأبيات :

مَابَالُ عَيْنٍ شَوْقَهَا اسْتَبْكَا  
فِي رَسْمِ دَارِ لَبَسَتْ بِهَلَا  
تَكَلُّهُ لَوْلَا النَّارُ أَنْ تَصْلَا  
لَمَّا تَمِيعْنَا لِأَمِيرٍ قَهَا

ونسب الأبيات إلى الزيفان<sup>(٥)</sup> . والبيت الأخير أنشده الجوهري ونسبه

- (١) جمهرة اللغة ٣/٣٢٥ ، وصيغة الجمهرة وردت على هذا النحو :  
« وقال الرازي في الشجيم - هو العجاج » .  
(٢) تاج العروس ( حوز ) .  
(٣) اللسان ( حوز ) .  
(٤) توجيه أعراب أبيات ملفزة الإعراب ٥٥ .  
(٥) اللسان ( قوه ) .

إلى العجاج<sup>(١)</sup> ولهذا أنشد ابن منظور الأبيات الثلاثة الأخيرة ، وقال قبلها :  
« وقال العجاج ، قال ابن بري : صواب الزيفان<sup>(٢)</sup> » ، فقد نسب ابن  
منظور الأبيات الأخيرة للعجاج ثم أورد تصويب ابن بري بأنها الزيفان ،  
ومن هنا نجد الأبيات متنازعة بين العجاج والزيفان ، والذي يرجح أنها للعجاج  
ما فيها من معان تقرب كلّ القرب من معاني العجاج المعروفة في هذا الموضوع  
وكذلك وجود بيتين آخرين من هذا الروي اندمجا في البيت العجاج<sup>(٣)</sup> ،  
ولهذا نرجح أن تكون الأبيات كلها للعجاج ، وهي أشتمت من أرجوزة  
ضائعة له .

وبهذا ينتهي القسم الثالث من الاضطراب في رواية رجز العجاج ، وكاد  
يقتصر على ملحقات الديوان بوجه خاص ، لأنها أكثر الأراجيز هدفاً لوهم  
الرواة وخططهم بين هذا وذاك من الرجاز .

وأما القسم الرابع فهو ما أنشد للعجاج من أبيات وليست له ، وإنما  
هي من قصائد أو أراجيز أمكن لنا أن نعثر عليها في دواوين أصحابها ،  
وبذلك أخرجنا تلك الأبيات من الديوان ، وألقناها به في قسم خاص أطلقنا  
عليه اسم « ما أنشد للعجاج وليس له » . ولا حاجة بنا إلى استعراض  
ماورد منها ، لأنها لا تحتاج إلى أيّ مناقشة ، ذلك لأنها مجرد أبيات وردت  
في بعض المصادر منسوبة إلى العجاج ، وقد أمكن أن نعثر على قصيدة كل  
بيت ، ونردها إلى صاحبها ، ونحدد مكانها في ديوانه ، وبذلك أصبح من  
الحال أن تكون تلك الأبيات لأرجونا للعجاج . ولم نلتحق بهذا القسم شيئاً  
ما رجحنا أنه لغير العجاج فيما سبق ، لأن مجرد الترجيح ليس فيه كلّ اليقين ،

(١) الصحاح ٢٤٠٣/٦ .

(٢) اللسان ( صلا ) .

(٣) أساس البلاغة ١١٢/١ .

وليس من السائغ أن نلحق ذلك بما ثبت يقيناً أنه ليس للعجاج ، رغم  
نسبته إليه في بعض المصادر .

ولا مزية أننا بدراسة ما داخل رجز العجاج من اضطراب أو انتحال ،  
قد غربلنا هذا الرجز ، وأصبح من اليسير أن نتجه إلى دراسة موضوعاته  
وخصائصه ، وذلك من خلال الرجز الموشق الذي بقي لدينا من ديوانه ،  
وما كان لنا أن نقف على صورة واقعية لما فيه من موضوعات أو خصائص فنية  
قبل تلك المرحلة من التوثيق والغربة .

★ ★ ★

## الفصل الرابع

موضوعات رجزه

عبد الرحمن بن أبي ربيعة  
السلمى بن أبي ربيعة

الإبل ، أو إيقاع أقدامها على الأرض ، مبدأ لظهور هذا الكلام الشعري الموزون ، وهذه النظرة إلى الرجز قديمة ليس لأحد من المحدثين أن يدعيها لنفسه ، فقد نقل القرشي بسنده عن محمد بن اسحق قال : « قدم قيس بن عاصم التميمي على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال يوماً وهو عنده : أندري يا رسول الله من أول من رجز ؟ قال : لا ، قال : أبوك مضر ، كات يسوق بأهله ليلة ، فضرب يد عبد له ، فضاح : وايداه ! فاستوتقت الإبل ونزلت ، فرجز على ذلك <sup>(١)</sup> » .

ولا يعني الآن مناقشة هذا الخبر ، وإنما يهمنا منه قِدَم هذه النظرة إلى الرجز والربط بينه وبين سير الإبل ، وبذلك يكون الربط بين الرجز والإبل قديماً ، قال به جماعة منذ عهد ابن اسحق على الأقل ، وليس جديداً يمكن أن يدعيه لنفسه بعض الباحثين في هذا العصر .

وقد لاحظ الدكتور شوقي ضيف أن الرجز كان وزناً شعبياً عاماً في عصر ما قبل الإسلام ، فقال : « الرجز من البحور القديمة في الشعر العربي ، فقد كان يستخدم بكثرة في العصر الجاهلي ، وهي كثرة تؤكد أنه كانت الوزن الشعبي العام الذي يدور على كل لسان ، ومن ثم قلما وجدنا شعراءهم المبرزين يظفرون فيه ، وكأنا تركوه للجمهور يتعده وبرعاه <sup>(٢)</sup> » .

ثم أوضح بعض مظاهر هذه الشعبية فقال : « وليس ذلك كل ما نلاحظه في شعبيته الجاهلية ، فقد دخلت فيه صور كثيرة من الزحاف ، لانتقالنا في أي وزن آخر ، فكثر فيه المشطور والمنهوك ، وأيضاً فإنه لم يطل إذ كان لا يتجاوز البيتين والثلاثة إلا نادراً ، فهو مقطوعات قصار ، ينظمها كثيرون

في هذا الفصل سوف نتحدث عن الموضوعات التي تناولها العجاج في رجزه ، والموضوعات التي صَدَّ عنها ، ولكننا لانفهم دور العجاج في مدرسة الرجز ، إلا إذا عدنا قليلاً إلى موضوعات الرجز قبل العجاج ، على أننا لن ندخل هذا البحث دخول المؤرخ أو المستقصي رغم ما لدينا من الأسباب التي تسهل علينا طريق الاطالة والاسهاب في ذلك ، وأهمها ما نأمله به من جمع الدواوين أكثر الرجاز المشاهير ، من فُتِّدَت دواوينهم أو حُفِظَت أقسام منها قليلة ، ولكن مثل هذه الدراسة المطولة أخرى أن تكون خاصة بداسة « تاريخ الرجز » ، لا أن تُسَكَّل ضمن دراسة خاصة بـ راجز معين ، ولهذا لن نتناول موضوع الرجز قبل العجاج ، إلا بشيء من الإيجاز والوقوف عند الأمور الهامة فحسب ، والتي فيها ما يساعد على فهم دور العجاج في تطوير موضوعات الرجز .

### ١ - موضوعات الرجز قبل العجاج

لاشك أن الرجز من أقدم الأوزان في الشعر العربي ، بل إن بعض الباحثين يردّ ظهور الشعر العربي إلى هذا الوزن ، فيرى أن الشعر إنما بدأ بوزن الرجز ، ثم ربط بعضهم بين الرجز والإبل والجداء ، واتخذ من جداء

(١) جمهرة أشعار العرب ٢٧ .  
(٢) العصر الاسلامي ٣٩٤ - ٣٩٥ .

معروفون ومجهولون ، حين يجدون بغير ، وحين يجولون في مآدين الحروب ،  
وحين يتناولون أي عمل كسفر بئر أو متج منها (١) .

ولذا ماعدنا إلى الأخبار المتصلة بالرجز الجاهلي وجدناه فعلاً شديد  
الاتصال بحياة الأعراب وما يعرض لهم من أحوال أو أسفار أو مهاجاة أو  
قتال أحياناً (٢) . ولم يكن من طبيعة الرجز في الجاهلية أن يطول إلى  
آيات متعددة ، ولذا نجد غالباً في ثانيا الأخبار التي تحدثت عن وقائع  
القوم وأيامهم ، وكثيراً ما نجد أمثال هذه العبارة : « فخرج إليه وهو يرتجز » ،  
أو « وكان فلان يحمل عليهم وهو يرتجز » ، ثم يوردون آياتاً لا تزيد على  
الثلاثة في أغلب الأحيان ، وهي آيات يتحدث فيها ذلك الفارس عن إقدامه  
وجرأته ، ولا ينسى أن يهتد الأعداء بسيف له أو يرمح . ولا يقف  
موضوع هذا الرجز عند الحرب ، وإنما يتعدى ذلك إلى حياة الأعراب نفسها ،  
ولا سيما في ترقص طفل أو طفلة ، أو ترديد آيات أثناء عمل شاق وخاصة  
إذا كانت تشترك فيه جماعة ، فإذا ما أوردوا آياتاً من الرجز ، وإذا  
ما وقفوا على الآبار رجزوا أيضاً ، وغنوا بأبيات ينشدونها ، فتبعث فيهم  
نشاطاً ، وهم يكدون ويتعبون ، ولهذا قال راجزم (٣) :

لن يُغَلِّبَ الماتِحُ مادامَ رَجَزٌ      فإِنْ أصاحَ ساكِتاً فقد عَجَزُ  
فال موضوعات في رجز الجاهلية عامة لا تكتاد تخرج عن هذا النطاق المحدود  
في التعبير عن بعض أحوال النفس من تعب أو حماس أو ما أشبه ذلك ،  
فهي تعبر عن دفقة شعورية خاصة في آيات قليلة لا تتجاوز الثلاثة في أغلب

الاحيان ، ولم تكن الأرجوزة تعبر عن أمور متشعبة ، أو تطول لتعبر عن  
جوانب معقدة لموضوع واحد كالذي نجد في بعض القصائد أو القطعات  
الشعرية لذلك العصر .

أما أراجيز العجاج فهي تتناول موضوعات القصيد نفسه ، والأرجوزة  
الواحدة ربما طالت فقاربت المائتين من الأبيات ، وهي تنتج سُنَّة الشعراء  
في تعدد الموضوعات ضمن الأرجوزة الواحدة ، وكثيراً ما تنقف مواقفهم من  
الأطال واليكاك عليها وتذكر أيام الشباب الحاليات ، أيام كانت تلك الأطال  
مأهولة بالأحبة ، عامرة بمجالس الأنس والهوى ، ثم تخفي مواقف الأرجوزة  
إلى وصف الرحلة أو الطريق ، وما يعرض فيها من متاعب ، ثم لا ينسى  
العجاج أن يشبه ناقته أو جمه بشور أو بحار وحشي ، ومن ثم ينطلق إلى  
وصف هذا الثور وما يصادفه من كلاب وصيد ، وقد تنتهي أرجوزة العجاج  
عند هذه المشاهد الأخاذة من الصراع بين الثور والكلاب ، ويجد غاية ما يجتم  
به الأرجوزة أن يجعل الثور يضي في نشوة النصر والغلبة ، والكلاب بين  
صريع وجريح يلفظ آخر الأنفاس ، وقد لا تنتهي الأرجوزة عند انتصار  
الثور ، وإنما تخفي إلى مدح هذا الخليفة أو ذلك الوالي أو الأمير ..

وبذلك نجد موضوعات الأرجوزة عند العجاج لا تختلف في شيء عن موضوعات  
القصيدة الجاهلية وما فيها من إطالة وتوسيع ، ولا شك أن هذا الخلاف بين  
موضوعات الرجز في الجاهلية وبين رجز العجاج ، لم يحدث إلا بعد أن  
مرت الأرجوزة بأطوار متعددة قبل أن تصل إلى منهج القصيد ، ولا نظن  
أن العجاج هو الذي بدأ هذا التحول الجندي في ترويض الأرجوزة ، ذلك  
لأن القدماء قد لاحظوا أن الأغلب العجبي كان أول من أطال الرجز وسَّع  
في أغراضه وموضوعاته .

(١) العصر الإسلامي ٣٩٥ .  
(٢) انظر طبقات ابن سلام ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، والعقد الفريد ٧٧/٤ -  
٨٢ و ٢٤/٦ - ٢٥ ، وشرح التبريزي على حماسة أبي تمام ١٣/٢ - ١٤ .  
(٣) شرح التبريزي على الحماسة ٧٠/٢ .

فابن سلام (٥٢٣٢) ذكر الأغلب العجلي في طبقة الرجاز ، فقال :  
« الأغلب العجلي ، وكان مقدماً ، أول من رجز »<sup>(١)</sup> ، وقد تكون هذه  
العبارة محرفة في نسخة الطبقات ، وقد يكون هذا التحريف قريباً يرقى إلى  
عهد ابن رشيقي (٥٤٦٣) لأنه نقل عبارة ابن سلام ورد عليها فقال : « وزعم  
الجمعي وغيره انه أول من رجز ، ولا اظن ذلك صحيحاً ، لأنه إما كان  
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك »<sup>(٢)</sup> ،  
وهذا الرأي قال محقق الطبقات<sup>(٣)</sup> .

وقد تكون العبارة غير محرفة في الطبقات ، وإلنا كانت ابن سلام  
يريد بها هذا النمط المطول من الرجز ، الذي بدأ به الأغلب وطوره العجاج ،  
لأبجد النظم بهذا الوزن ، وهذا ما كان يعنيه الرجز عند علماء القرن الثاني ،  
ذلك لأن « الرجز » لم يعد في نظر هؤلاء مجرد البيت أو البيتين أو المقطعات  
القصار التي كانت لعهد الجاهلية ، وإلنا أصبح له معنى اصطلاحياً يراد منه  
ذلك النمط الجديد الذي بدأ به الأغلب ، واستوى أمره على يد العجاج ،  
واستمر يحتفظ بشيء من خصائصه إلى عهد ابن سلام وأواخر القرن الثاني  
وأوائل القرن الثالث .

وبعد ابن سلام جاء ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) فوضح دور الأغلب بعبارة  
اذاً وأوضح فقال في ترجمته : « هو الأغلب بن جثم ، من سعد بن عجل ..  
وعاش تسعين سنة . وكلت الأغلب جاهلياً إسلامياً ، وقتل بهاوند »<sup>(٤)</sup> ،

وهو أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله ، وكان الرجز قبله إما يقول الرجل  
منه البيتين أو الثلاثة ، إذا خاصم أو ساتم أو فاخر<sup>(٥)</sup> .

فالأغلب في رأي ابن قتيبة أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله ،  
وهذا ما تجده بعد ذلك عند الأصفهاني (٥٣٦ هـ) إذ قال : « وهو أحد  
المعمرين في الجاهلية عمرأ طويلاً ، وأدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ،  
وهاجر »<sup>(٦)</sup> ، ثم كان فيمن توجه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص ، فزلفها  
واستشهد في وقعة نهاوند فقبوه هناك في قبور الشهداء . ويقال : إنه أول  
من رجز الأراجيز الطوال من العرب<sup>(٧)</sup> .

ونقل ابن رشيقي كلاماً لأبي عبيدة سنورده بعد قليل ، ثم قال :  
« وقال غيره : أول من طول الرجز الأغلب العجلي وهو قديم »<sup>(٨)</sup> ، ثم ردَّ  
على ابن سلام أن يكون الأغلب « أول من رجز » .

ولئن كانت عبارة ابن سلام فيها غرض أو تحريف ، فعبارة ابن قتيبة  
والأصفهاني وابن رشيقي ، واضحة كل الوضوح ، وهي تشير إلى أن الأغلب  
أول من أطال الرجز ، وأول من شبهه بالقصيد ، ويفهم من هذا أن الأغلب  
العجلي أول من حاول تطوير الرجز ونقله إلى ميدان القصيد ، إلا أن  
هذه الأقوال جميعاً لا تجعلنا نقف على موضوعات الأرجوزة الواحدة عند  
الأغلب ، ولا موضوعات رجزه بوجه عام ، فقطول الأرجوزة شيء ، وحملها  
على منيح القصيدة شيء آخر ، وهنا نجد مسألة جد دقيقة ، وليس في أيدينا

(١) الشعر والشعراء ٩٥ ونقله عن ابن قتيبة البغدادي في الخزانة  
٢٠٧/٢ ، ونقل السيوطي أقوال ابن قتيبة والجمعي ورد ابن رشيقي  
عليه في المزهري ٤٨٤/٢ وانظر شرح شواهد المشي أيضاً ١٨ و ٢٩٨ .  
(٢) انظر تعليق البغدادي حول « هجرة الأغلب » في الخزانة ٢٠٧/٢ .  
(٣) الأغاني ١٦٤/١٨ .  
(٤) الصمدية ٥٦/١ .  
(٥) الشعر والشعراء ٩٥ ونقله عن ابن قتيبة البغدادي في الخزانة  
٢٠٧/٢ ، ونقل السيوطي أقوال ابن قتيبة والجمعي ورد ابن رشيقي  
عليه في المزهري ٤٨٤/٢ وانظر شرح شواهد المشي أيضاً ١٨ و ٢٩٨ .  
(٦) انظر تعليق البغدادي حول « هجرة الأغلب » في الخزانة ٢٠٧/٢ .  
(٧) الأغاني ١٦٤/١٨ .  
(٨) الصمدية ٥٦/١ .

(١) طبقات ابن سلام ٥٧١ .

(٢) الصمدية ٥٦/١ .

(٣) انظر حاشية الاستاذ محمود محمد شاكر ٥٧١ .

(٤) كانت وقعة نهاوند سنة (١٩ هـ) في خلافة عمر بن الخطاب رضي  
الله عنه ، وكانت فيها نهاية دولة الفرس .



ما يحل إلهامها ، ويوضح شيئاً من أمرها ذلك لأن تراجم الأغلب لم تشر إلى هذا أبداً ، وكان يمكن لديوانه أن يعوض من ذلك ، ولكنه مفقود ليس له من أثر ، وقد حاولنا التعويض من ذلك بجمع ديوان له عسى أن يحل شيئاً من هذه المشكلة الغامضة .

إلا أن هذا الديوان الذي جمعناه للأغلب لا يستجيب لحل تلك المشكلة ، ذلك لأننا لا نجد أرجوزة مطولة فيه ، ولا نكاد نجد ما يطول غير تلك الأرجوزة الفحشة التي قالها جيو مسيلة الكذاب وسجاح التميمية ، وهذه الأرجوزة لا تخرج عن موضوع الهجاء والنيل من الكذابين ، وهي برواية ابن سلام لا تخرج عن (٣١) بيتاً . وأما سائر الديوان فلا نجد فيه إلا أبياتاً فردية أو مقطعات لا تزيد على ثلاثة أبيات غالباً ، ولا تبلغ الأراجيز القصيرة إلا نادراً ، ولا شك أن هذه الأبيات أو المقطعات القصيرة ، ليست إلا بقايا من أراجيز كانت للأغلب ثم فقدت ، فضاعت معها الحلقة الهامة التي تمثل أول منطق للرجز نحو ما يشبه القصيد .

ولعل رجز الأغلب قد فُقد أكثره قبل القرن الثاني الهجري إذ قال المزياني (٣٨٤ هـ) في ترجمته : « أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال : سألت الأصمعي عن الأغلب العجلي : أفضل هو أم من الرجاء ؟ فقال : ليس هو بفعل ولا مفعول . قال : وأعيان شعره . وقال لي مرة أخرى : ما أروي للأغلب إلا اثنتين ونصفا . قلت : وكيف قلت نصفاً ؟ قال : أعرف له اثنتين ، وكنت أروي نصفاً من التي على اللاف ، فطوّلتها . ثم قال : كان ولده يزيدون في شعره حتى أقسده . »

قال أبو حاتم : وطلب اسحق بن العباس الهاشمي من الأصمعي رجز الأغلب فطلبه مني فأعترته إياه ، فأخرج منه نحواً من عشرين قصيدة ، فقلت

للأصمعي : ألم ترع أنك لم تعرف إلا اثنتين ونصفاً ؟ قال : بلى ، ولكن انتقيت ما أعرف ، فإن لم يكن له فهو لغيره ممن هو ثبت أو ثقة . قال أبو حاتم : وكان الأصمعي من أروى الناس للرجز . قال الأصمعي وقال خلف أيضاً : أعيان شعر الأغلب . قال خلف : وكان ولده انساناً يصدق في الحديث والروايات ويكذب عليه في شعره (١) .

فهذا يشير إلى أن كبار الرواة أمثال الأصمعي وخلف لم يجدوا للأغلب أراجيز كثيرة ، وإنما فقدت هذه الأراجيز ، ولم يحفظ منها إلا أبيات متفرقة على ألسنة الرواة ، وربما كان لتزويد ولده في شعره ما زهد الرواة في حمله والحفاظ عليه ، إذ ليس من السهل أن يقبل الرواة هذا الرجز ، والأصمعي نفسه يشير إليه بإصبع الاتهام ، ولهذا لم نظفر في مصادرها على كثرتها بأراجيز مطولة للأغلب ، وإنما عثرنا على أبيات أو مقطعات قصيرة فصب .

ومع ذلك فهذه الأبيات والمقطعات تدل على أن الأغلب قد تصرف في موضوعات الرجز ، وجعله أهلاً للتعبير عن موضوعات الشعر يوجه عام ، فقد تناول فيها بعض موضوعات الوصف ، والهجاء ، والحكمة ، والحماسة ، وذكر فيها بعض أعلام بكر بن وائل ، أمثال الزهريين وكان لبرك على قيم ، وذوي قار وكان على الفرس .

ولم نقف للأغلب على شعر من غير الرجز ، والذي يبدو لنا أثراً الأغلب كان يقرض الشعر إلى جانب الرجز ، وأن الرجز كان يتميز عنده من القصيد ، يدل على ذلك هذا الجبر المشهور الذي كان ابن سلام أول من

(١) الموضح للمزياني ٢١٣ .

نقله فقال موجزاً : « وكتب عمر إلى عامله <sup>(١)</sup> ، أن سل ليدياً والأغلب ما أحدها من الشعر في الإسلام . فقال الأغلب :

أجترأ تُريد أم قصيدا فقد سألت هيناً موجودا

وقال ليدي : قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران <sup>(٢)</sup> .

وفي هذا ما يدل على أن الأغلب كان يحسن القصيد إلى جانب الرجز ، وأن الرجز كان يتميز عنده من القصيد ، ومن ثم كان في تطويله للرجز إنما يحاول فعلاً أن يجمد في هذا اللون من الشعر ، ويجد له بعض الخصائص التي لم تكن له من قبل ، ولعل محاولة الأغلب هذه قد لقيت بعض الأصداء في جزيرة العرب ، قبل أن يصل الأمر إلى العجاج ، إذ بدأ الرجز يطول على ألسنة بعض الشعراء ، ومن أمثلة ذلك ما أنشده الطبري من قول عمرو بن سالم الخزاعي <sup>(٣)</sup> :

(١) المغيرة بن شعبة وكان على الكوفة .

(٢) طبقات ابن سلام ١١٣ ، وانظر تفصيل ذلك في أمالي البيهقي ١٠٠ ، والأغاني ٩٤/١٤ ، ١٦٤/١٨٥ ، ١٦٥ ، والخزانة ٢١٤/٢ - ٢١٥ ، وثمة إشارة إلى ذلك في جواهر اللغات ٥٤ ، ومجالس نعلب ٥٥ ، والمخصص ١٣٢/١٠ ، ورواية الأبيات في المصادر الثلاثة الأخيرة فيها اختلاف ، وتثبت في المخصص حميد الأرفط وحمداً من ابن سيده .

(٣) تاريخ الطبري ٣٢٥/٢ ، والأبيات في تاريخ ابن الأثير ٩٩/٢ ، والبداءة والنهاية ٢٧٨/٤ ، وعيون الأثر ١٦٤/٢ ، وأنسان العيون ٨٣/٢ ، وتاريخ الخمسين ٧٧/٢ ، والعقد الفريد ١٣١/٦ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٦ - ٢٧ ، مع اختلاف في الرواية والترتيب .

وخزاعة من حلفاء الرسول عليه السلام بعد صلح الحديبية ، فلما افاقت قريش على حي من خزاعة يقال له بنو كعب ، فقتلوا فيهم وأخذوا أموالهم ، جاء عمرو بن سالم الخزاعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستنصراً فأنشده هذه الأبيات . وكان غدر قريش ببني كعب نقضا لعهد الحديبية ، مما أدى إلى الحرب وفتح مكة . انظر شروط الحديبية في

لاهمُ لي نأشد محمداً حلفَ أينا وأيه الأتلتدا

فوالدا كنت وكنت ولدا ثمت أسلفنا فلم نزع بدا

فانصر رسول الله نصرأ عتدا وادع عباد الله باتوا مسددا

فهم رسول الله قد تجردا أيضاً منذ البد تستني صعدا

إن سيم خسفا وجهه ترويدا في فلق كالبحر يجري مزبدا

إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقتك المؤكدا

وجعلوا لي في كداه رسدا وزعموا أن لست أدعو أحدا

وهم أدل وأقل عددا هم يبتون بالوتيد هجدا

فقتلونا ركعاً وسجداً

فهذه الأرجوزة ليست من نظم الرجز الذي كان سائداً لدى القوم قبل الأغلب العجلي ، فهي أطول في عدد أبياتها ، وأكثر تنوعاً من حيث موضوعاتها ، إذ حشدت عدداً من الموضوعات على قلة أبياتها نسبياً ، ففيها مدح للرسول عليه السلام ، وتحريض على القتال ، وتعرض بقريش ، وشرح لما حدث من عدوان على خزاعة ، فهي إذت لا تختلف في شيء عن القصيدة الشعرية هدفاً وأغراضاً ، ولها تساوٍ القصيدة في ذلك مسايمة السد للند ، ولنا الآن بصدد الخصائص الفنية عند العجاج لبحث الفارق بين هذه الأرجوزة وأراجيزه ، ولإنما حسناً أن نلاحظ ما فيها من كثرة في الأبيات ، وتنوع في الأغراض ، فهذا طور من أطوار الرجز ، كان قد حدث بتأثير الأغلب العجلي على مانظن ، وذلك لأن الأغلب قد سلخ من حياته في الجاهلية زهاء سبعين عاماً ، وهي فترة تكفي لانتشار تأثيره فيمن حوله من الشعراء .

تاريخ ابن الأثير ٨٤/٢ ، وتاريخ الطبري ٢٨١/٢ ، وتاريخ أبي الفداء ١٤٦/١ ، والبداءة والنهاية ١٧٥/٤ ، وأنسان العيون ٢٤/٣ ، وجوامع السيرة ٢٠٨ .

وفة أمثلة أخرى لتأثير الأغلب العجلي فيما نُقِلَ إلينا من رجز تلك الفترة<sup>(١)</sup> ، ولا يعيننا أن نظيل في سرد هذه الأمثلة أو أن نقف عند هذه المسألة ، إلا أن فمة قولاً للجاحظ لا يبد من الوقوف عنده ، وهو قوله : « ومن الشعراء من يحكم القريض ولا يحسن من الرجز شيئاً ، ففي الجاهلية منهم : زهير والنابغة والأعشى ، وأما من يجمعهما فامرؤ القيس وله شيء من الرجز ، وطرفة وله كمثل ذلك ، وليد وقد أكثر<sup>(٢)</sup> » .

ومثل هذا القول قد يكون مغايراً لما ورد من أقوال عدد من علمائنا وروائنا القدماء حول دور الأغلب العجلي ، إلا أن ديوان امرؤ القيس لا يحتوي من الرجز إلا على مقطعة واحدة هي قوله في بني أسد<sup>(٣)</sup> :

يا لهف هذ إذ حططين كاهلا      تالله لا يذهب شئني بإطلا  
حتى أبير مالكاً وكاهلا      القاتلين الملك الملاحلا  
خير معد حسبا وناثلا      وخيرهم قد علموا شئناثلا  
نحن جلبنا القرع القرافلا      يحملتنا والأسل النواثلا  
وحي تصعب والوشيح الذابلا      مستغترات بالحصى حوافلا  
يستشرف الأواخر الأوائل

ولا يبعد أن تكون منجولة لما فيها من سطحية تشبه أن تكون من أساليب القصص ، وسعر امرؤ القيس لا يؤمن بوجه عام ، والشعر المنحول

لم يتنبه إليه كله أمثال ابن سلام والأصمعي والأصمغاني والجاحظ ومن إليهم ، وإنما تنبه هؤلاء إلى بعض المنحول في الشعر العربي ، وجاز عليهم شعر آخر لم يتنبهوا إلى انتحاله ووضعه .

وطرفة لم تقف في ديوانه على غير هذه الأبيات<sup>(٤)</sup> :

يا لك من قبرة يمتعر      خللك الجو فيضي واصفري  
قد رفع الفخ فاذا تحنوي      ونقري ما شئت أن تنقري  
قد ذهب الصائد عنك فابشري      لا بد يوماً أن تضادي فاصبيري

وهي تروى أيضاً لكليب أخيه مهلب بن ربيعة ، ولا يبعد أن يكون طرفة قد تمثل بها . ومهما يكن من أمرها ، أو أمر مقطعة امرؤ القيس السابقة ، فنحن لا ندرى إذا كان لها رجز آخر علم به الجاحظ ولم يُنقل إلينا في ديوانها ، ولكن يبدو أن مثل هذا الرجز لم يكن يخرج عن حدود الرجز المعروف عند العرب قبل الأغلب العجلي ، إذ لو كان يشبه ما أراده الأغلب للرجز من تطوير ، لما غفل عنه كبار العلماء من أمثال ابن سلام وابن قتيبة والأصمغاني وابن رشتي وهم يحددون دور الأغلب في تطوير الرجز . وأما ليلى فقد وجدناه رجزاً في أشعار بعض المصادر ، ولكنه لا يخرج عن نطاق الرجز الجاهلي ، وذلك مثل قوله في الحكمم بين عامر بن الطفيل ، وعلقمة بن علاثة<sup>(٥)</sup> :

يلعم بن الأكرمين منبا<sup>(٦)</sup>      إنك قد أوتيت حكماً معجبا  
فطبق الفضل واغم طيباً

(١) انظر أبياتا لابن ربيعة في طبقات ابن سلام ١٨٦ - ١٨٧ ، ١٨٩ ، والمؤتلف والمختلف ١٢٧ ، وتاريخ الخميس ٤٤٢/٢ ، وأبياتا لأعشى بني الجرماز في المؤتلف ١٥ - ١٦ .  
(٢) البيان والتبيين ٨٤/٤ .  
(٣) ديوان امرؤ القيس ١٥٤ - ١٥٥ .

(١) ديوان طرفة ٦٣ (طبعة صادر) .  
(٢) البيان والتبيين ١٠٩/١ ، وبلغت هذه الابيات سبعة في الاغاني ٥٤/١٥ .  
(٣) هو هـ بن قتيبة بن سنان بن عمرو الفزاري ، أحد حكام العرب ،

فقول الجاحظ لا يعني أن هؤلاء الشعراء قد ساروا بالرجز سيرة الأغلب العجلي ، وإنما يعني أنهم قالوا من الرجز ما يشبه عادة العرب فيه أسلوباً وشكلاً وموضوعاً ، ولم يطيروا في شكله أو ينوعوا في موضوعاته كالذي أحدثه الأغلب فيما بعد ، وبذلك يبقى الأغلب العجلي أول من طوّر موضوعات الرجز وأطال في شكل الأرجوزة ، ولا شك أن امتداد حياته في عصر ما قبل الإسلام قد جعل له تأثيراً في رجز معاصريه ، وإذا كان العجّاج قد وُلِدَ في الجاهلية وقال أبياتاً فيها ، فإن بما لأرب فيه أنه قد اقتبس إلى أساليب الأغلب ، وأعجب به ، ولهذا ذكره في رجزه فقال (١) :

لِئِنِّي أَنَا الْأَغْلَبُ أَضْحَى قَدْ نَشِيرُ

وهذا القول يشير بنفسه إلى أن الأغلب هو الذي رسم الطريق للعجّاج ، ولولا ذلك لما فاخر العجّاج بأنه الأغلب قد نشير إلى الناس بـرجزه ، وإن نوارى عنهم تحت طيّات الثوب .

إلا أن العجّاج لم يقف عند الحدود التي رسمها الأغلب لموضوعات الأرجوزة ، ولم يكتف بجرد إطالة الأبيات ، وإنما سار بالتطوير إلى أبعد من ذلك ، فجعل من الأرجوزة ما يشبه القصيدة فعلاً وذلك في بنائها وموضوعاتها ، ثم حدّد لقصيدة الرجز بعض الخصائص التي تميزها من القصيد بوجه عام ، فجعل ألقاظها ومعانيها تنسج طابع الغزابة والبداءة ، وهذه الخصائص سوف نعرض لها في أبحاث خاصة ، إلا أن موضوعات الأرجوزة هي ما همنا في هذا البحث .

وقد لاحظ أبو عبيدة معمر بن المثنى التطوير الذي أدخله العجّاج على

وهو غير هرم بن سنان المري الذي مدحه زهير بن أبي سلمى في المعلقة وغيرها ، انظر الأغانى ٥٢/١٥ ، والاستبصار ٢٨٢ .  
(١) الشعر والشعراء ٥٩٥ ، والأغانى ١٦٤/١٨ ، والخزانة ٢٠٧/٣ .

موضوعات الرجز ، فقال : « إنما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك ، إذا حارب أو شائم أو فاخر ، حتى كان العجّاج أول من أطاله وقصّده ، ونسب فيه ، وذكر الديار ، واستوقف الركاب عليها ، ووصف ما فيها ، وبكى على الشباب ، ووصف الراحة ، كما فعلت الشعراء بالقصيد ، فكان من الرجاز كأمريء القيس من الشعراء (٢) » .

فأبو عبيدة لا يكاد ينظر إلى الأغلب العجلي ، وإنما يجعل العجّاج هو صاحب الدور الأوفى في تطوير أغراض الرجز وموضوعاته ، وذلك لأن هذا التطوير قد اتضح بجلاء بين في أراجيز العجّاج ، واتخذ طابعاً محدد المعالم والسمات في تاريخ الرجز ، إلا أن دور الأغلب مع ذلك ينبغي ألا يُغفل تماماً ، ولذلك نجد ابن رشيق قد حدد بدقة دور كل من الأغلب والعجّاج فقال : « وزعم الرواة أن الشعر كله إنما كان جزءاً وقطعاً ، وأنه إنما قصّد على عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أول من قصده مهمل وامرؤ القيس ، وبينهما وبين مجيء الإسلام مائة ونيف وخمسون سنة ، وذكره الجمحي وغيره . وأول من طوّل الرجز وجعله كالقصيد الأغلب العجلي شيئاً يسيراً ، وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى العجّاج بعد فافقت فيه ، فالأغلب والعجّاج في الرجز كأمريء القيس ومهمل في القصيد (٣) » .

فالأغلب قد طور الرجز شيئاً يسيراً ، ثم أتى العجّاج فافقت في هذا التطوير ، ومثل هذا الحكم الذي يطلقه ابن رشيق جدّ ثمين في نظرنا ، لأن ابن رشيق أقرب منا إلى رجز الأغلب ، ولا شك أنه أطلع على شيء من

(١) العمدة لابن رشيق ٥٦/١ ، ونقله السيوطي في المزهري ٤٨٤/٢ .  
(٢) العمدة ١٢٢/١ .

أراجيزه ، التي ضاعت ضياعاً تلاماً ، أو بقي منها بعض الأبيات في مصادر متفرقة .

وبذلك كان الأغلب العجلي أول أستاذ لمدرسة الرجز ، إلا أن العجاج هو الأستاذ الثاني ، وله يرجع أكبر الفضل في تطوير هذه المدرسة وتحديد معالمها في تاريخ أدبنا العربي ، وقد عاصر العجاج عدد من الرجاز<sup>(١)</sup> في مقدمتهم ولده رؤبة ، وأبو النجم العجلي ، وليس ثمة من يمكن أن يقارن بالعجاج سوى هذين الرجازين الكبيرين .

إلا أن رؤبة كان تلميذ والده لأرب في ذلك ولا شك ، وأبو النجم كان معقداً في رجزه ، إلا أنه لم يتخصص وإنما فرق نفسه بين الرجز والقصيد ، وجزه لابسار رجز العجاج في غرابة اللغة أو المعاني ، ولم يكن رجزه على سوية واحدة شأن العجاج في أكثر أراجيزه ، ولهذا قال المرزباني : « أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال : رأيت الأصمعي لا يستجيد بعض رجز أبي النجم ويضعف بعضاً لأن له رديئاً كثيراً . قال : وقال لي مرة في شيء : لا يعجبني شاعر اسمه الفضل بن قدامة ، يعني أبا النجم العجلي »<sup>(٢)</sup> .

ولا شك أن هذه المآخذ التي لاحظها الأصمعي في رجز أبي النجم ، قد أوزرت به في نظر النقاد ، ولم تجعله في مقدمة هذه المدرسة الجديدة ، بل إن مدرسة الرجاز كان أول أهدافها أن تنقل في موضوعاتها ومعانيها أجواء

(١) أمثال الشمردل ، وأبي نخيلة ، ودكين ، وعمر بن لجا ، وأبي الرحف ابن عم جرير ، والكذاب الحرمازي ، وحמיד الأرقط ، والمعاني ، وغيرهم ، انظر تراجمهم في الأغاني ، والمؤلف ، ومعجم الشعراء ، والشعر والشعراء ، والمعارف لابن قتيبة . وهؤلاء ليسوا من رجاز الطبقة الأولى وإنما هم من رجاز الطبقة الثانية وبعضهم يتفاوت عن بعض في منزلة رجزه .  
(٢) الموشح ٢١٣ .

البادية إلى الحياة الجديدة في العراق والشام ، وأخص ما في حياة البادية هو الإبل ، وأول ما كان يمتاز به العجاج وابنه رؤبة هو وصف البعير أو الناقة<sup>(١)</sup> ، وأما أبو النجم فقد أخذت عليه بعض المعاني التي تتصل بوصف الإبل نفسها<sup>(٢)</sup> ، ومثل هذه المآخذ أيضاً لا تنفقر لأعرابي يحدث الناس بأسلوب الرجز عن حياة الأعراب والبدو .

وهذا كله قد أبعد أبا النجم عن منزلة العجاج في مدرسة الرجز<sup>(٣)</sup> ، ولئن وجدنا عند المرزباني أيضاً أن أبا النجم « مقدم عند جماعة من أهل العلم على العجاج »<sup>(٤)</sup> ، فذلك لأن من النقاد القدامى من كان يفضل أن يكون الشاعر شاعراً وأراجزاً معاً<sup>(٥)</sup> ، وهذا شيء والمخالفة بين الرجازين شيء آخر . ولهذا كان العجاج في نظر قدامى الرواة والنقاد هو رأس طبقة الرجاز غير منازع ، وهو صاحب الاقتتان الكبير في تطوير الرجز شكلاً ومضموناً ، حتى أصبحنا نجد بعض النقاد إنما يحكمون على سائر الرجاز بالقياس إلى ما اقتربوا به من العجاج أو ابتعدوا عنه . فابو العتاهية يقول لابن مناذر : « إن كنت أردت بشعر العجاج ورؤية فما صنعت شيئاً »<sup>(٦)</sup> ، وابن المعتز يقول في المعاني الرجاز : « وله أشياء حسان كثيرة ، وكان يوزن

(١) طبقات ابن سلام ١٠٧ ، والشعر والشعراء ٥٧٧ ، والمقداد ١٣١/١ ، و ٢٠٦/٢ ، والقول في الحال للجاحظ ٢٠ ، والأغاني ١٨/١٢٥ و ٢١/٦١ .  
(٢) انظر الشعر والشعراء ٥٩٠ - ٥٩١ ، والمقداد ٢٠٦/٦ ، والأغاني ٦١/١ ( دار الكتب ) .  
(٣) انظر الأغاني ١٥٢/١ ( دار الكتب ) .  
(٤) معجم الشعراء ١٨٠ .  
(٥) انظر العمدة ١٢٣/١ - ١٢٤ ، والبيان والتبيين ١/٢٠٩ و ٨٤/٤ ، والحيوان ٢٣/٤ .  
(٦) الموشح ٢٩٥ ، وانظر أيضاً الموشح ٣٦٩ .

بالعجاج ورؤية ، بل كان أطيع منها ، وكان من أقرانها في "النس والزمان" (١) .. » ، وذو الرمة يتخلى عن الرجز خوفاً من غلبة العجاج ورؤية مع أنه أعرابي صاحب وصف للابل والصحراء ، فقد نقل المزياني بسنده أن ذا الرمة قال : « قلت الرجز ، فلما رأيتني لا أفع من الرجلين أخذت في القصيد وتركته . يعني العجاج ورؤية (٢) » .

فالعجاج إذن هو الذي افتق في تطوير الأرجوزة شكلاً ومضموناً ، فعُدَّ من أغراضها ، وجعل الرجز أهلاً لموضوعات القصيد ، ثم حدّد للرجز بعض الخصائص ليمتاز بها من غيره ، وهذه الخصائص ستكون موضوعاً للفصل القادم ، أما في هذا الفصل فحسبنا أن نتابع القول في الموضوعات التي تناولها العجاج في رجزه .

## ٢ - موضوعات الرجز عند العجاج

من خلال البحث السابق رأينا أن العجاج قد افتق في تطوير الرجز ، فقصدّه وجعله أهلاً لموضوعات الشعر عامة ، وهذا فعلاً مايطالعنا به ديوانه ، إذ نجد فيه المديح وما يشبه الهجاء ، ونرى النسيب والفخر ، ونلمس الوعظ والحكمة ، ونقف طويلاً عند الوصف بأنواعه المختلفة ، ولا نكاد نفتقد من الموضوعات الأساسية إلا موضوع الرثاء ، وذلك ربما كان لطبع عند العجاج ، أو لأنه لم يفعج في حياته بأحد من أبنائه أو أحبته .

والموضوعات التي تناولها العجاج ، ليس فيها ماهو محدود ضيق الأفق

(١) طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز ٤٧ ، وقوله فيه نظر لأن البيون شاسع بين العجاج ورؤية وبين العنماني الراجز .  
(٢) الموشح ١٧٤ .

في رجزه ، ولما هي جميعاً من الاتساع ، بحيث تبرز في جنبات الديوان كلها ، ولا بد من عرض لها جميعاً .

## النسيب والمديح

إن الغزل من الموضوعات الهامة في أراجيز العجاج ، إلا أنه بقي محافظاً على الطابع التقليدي بالنظر إلى منهج القصيدة ، إذ كان يمثل ركناً من أركان المقدمة التقليدية للأرجوزة ، على نحو ماكان عليه في قصائد الشعر العربي قبل العجاج ، أو في قصائد معاصريه من شعراء العراق ، بمن سار بالقصيدة على المنهج التقليدي القديم .

ولا نجد في ديوان العجاج إلا أرجوزة واحدة (١) ، قصر موضوعها على الغزل وحده ، وهذه الأرجوزة لا تمثل تطوراً لدى العجاج في قصيدة الغزل ، لأنها بفردتها لا تكاد تبلغ به ما عُرِف من قصائد الغزل لدى شعراء الحجاز أو شعراء نجد في عصره . فقد تخصص معظمهم لموضوع الغزل ، وأفردوه بقصائد خاصة به ، فأوجدوا بذلك شيئاً من التطور والتجديد في منهج القصيدة لعصر بني أمية ، وما ذلك إلا لأن حياة أولئك الشعراء كانت وفقاً على المرأة والغزل ، سواء كان مباحناً عند شعراء الحجاز ، أو عندياً عند شعراء نجد ، أما العجاج ففعل هذا الجانب قد اتخذ مكاناً في نفسه ومشاعره ، ولكنه لم يكن كل شيء في أدوار حياته ، ولهذا لم يغلب الغزل على أراجيزه ، ولما كان واحداً من موضوعاتها ، ولم يتفرد بأراجيز خاصة به ، ولما استمر في موضوعه التقليدي من منهج القصيدة القديمة .

على أن هذا الغزل التقليدي ، لم يكن تقليدياً كله في مضمونه ، ولما

(١) الأرجوزة (١٦) ، وعدد أبياتها (٤٧) بيتاً .

فيه ألوان من التنوع تبرز في معاني الآيات وعواطفها ، فتارة نقف على غزل تقليدي مطلق لا أثر فيه لعاطفة العجاج ، وطوراً يطالعنا غزل لا يخلو من تباريح الهوى وذكريات الغواني وأيام الشباب ، وأحياناً يطل علينا غزل الحب والصباية ، والبعد والفراق ، وهنا يتمثل حب العجاج الحقيقي ، وتظهر تجربة له مع « ليلي » والذي يبدو أنها فارقته ، وتزوجت من غيره ، فغمرت حسرة لا ترح ، وآلاماً لا تريم .

وفي الغزل التقليدي المطلق لا يصور العجاج إلا " بعض الأوصاف الحسية لامرأة لا يسميها ، فهو تارة ينعت امرأة « غراء تَسْرُقُ العُنْسَا » وطوراً يتحدث عن « لِبْرِيقِ العُشْبِي » ، وحيناً يصف « خَرَدًا ضَنَّاكَا » ، ولكنه لا يشير إلى تسمية معينة لهذه أو تلك ، وكأنه وعى في قرارة نفسه أن هذه الآيات التي يصف بها المرأة ، ليست إلا " تمهيداً لأرجوزة ، وليس له أن يتحدث عن امرأة بعينها ، وإنما حسبه أن يصف نموذجاً لامرأة جميلة يراها بخاله لا بعينه ، ولهذا كانت أوصافه لا تحمل نبضة من قلبه ، أو طرفاً من مشاعره ، ذلك لأن هذه الأوصاف إنما وردت في الأرجوزة لغرض موضوعي ، لا لتصوير تجربة شعرية واقعية ، ولهذا فهي أوصاف يصنعها العجاج صناعة ، دون أن يكون فيها أثر من خلجات نفسه أو نبضات قلبه .

فإذا وقف بالأطلال كان لابد أن يصف حالها قبل تحرُّل الأحبة عنها ، وهذا يدفع حتماً إلى ذكر امرأة غراء جميلة كانت تعجيب حتى العنسن من النساء (١) :

(١) الأرجوزة ١١/ ١١ - ١٤ .

وقد تَرَى بالدَّارِ يوماً أَنَسَا  
جَمَّ الدَّخِيسَ بالشَّعُورِ أَحْوَسَا  
وَلِهَوَاً لِّلْإِلهِي وَلَوْ تَنَطَّسَا  
أَزْمَانُ غَرَاءُ تَسْرُقُ العُنْسَا

وما أشأل إلى هذه الغراء إلا " ليشغل سامعه بشيء من أوصافها قبل أن يصل إلى غرض آخر من الأرجوزة ، وذلك تبعاً لمنهج القصيدة المعروف آنشد . ولهذا تابع وصفه لحاسن هذه المرأة ، فجعلها تعجب العنسن بشعره فاحم قد عولج بالذهن والغسل حتى ركب بعضه بعضاً ، وبشعره تجاذبها لوان من البياض والسمرة ، وهي حسنة العنق منعمة ، فتوبها كأنها أليس دُعصاً من الرمل ، وحليتها في جديدها ، إذا ما تبخترت سمعت له أصواتاً كأنها صوت الريح إذا مرت بلحصاد اليايس (١) :

بِقَاحِمِ دُومِي حَتَّى اعْلَنَسَا  
وَبَشَّرَ مَعَ الْبَايِضِ الْعُنْسَا  
خَرَدًا تَحَالُ رِيْطُهَا الْمُدْمَقَسَا  
وَمِيسَانِيَا لَهَا مُمَسَا  
أَلَيْسَ دُعْصَايْنِ ظَهْرِي أَوْعَسَا  
تَسْمَعُ لِلْحَلْبِي إِذَا مَا وَسَّوَسَا  
وَالْتَجَّ فِي أَجْبَادِهَا وَأَجْرَسَا  
زَفَرْتُهُ الرِّيحَ الصَّادَةَ الْيُسَا

ومن ثم ينتهي من آيات الغزل ، ويمضي إلى وصف المفازة (٢) :  
وبكندة يُمَسِّي قَطَاعًا نُسَا  
رَوَايَعًا أَوْ بَعْدَ رِيْعٍ خُمَسَا  
فالعجاج في هذه الآيات قد تحدث بشيء عن أوصاف هذه « الغراء » ، ولكننا لانجد أن أثر من عاطفته أو تجربته مع هذه « الغراء » ، فهو لم يفعل أكثر من سرد عدد من الأوصاف التقليدية المتعارفة بين الشعراء ، لتكون مجرد جزء من المقدمة التقليدية ، لاعتبر عما يعاينه من تجربة شعرية خاصة . وفي هذه الأرجوزة لم يطل قسم النسب ، ولكنه في أراجيز أخرى

(١) الأرجوزة ١١/ ١٥ - ٢٢ .

(٢) الأرجوزة ١١/ ٢٣ - ٢٤ .

ربما أطاله بعض الشيء ، فأتى بأوصاف متعددة لتلك المرأة التي كانت تملأ الديار أنساً وبهجة ، وهنا ينقلب إلى مصور بارع إذ يرسم صوراً حيّة لها ، ولكنه لا يحرك عاطفة في هذه الصور ، فلا يقول لنا إنها تحبه ، أو إنه يحبها ، كما يقول شعراء مدرسة ابن أبي ربيعة في الحجاز ، أو شعراء المدرسة العذرية في نجد .

فهي مثلاً برّاقة حتى بالعشي إذا ماتت الألوات ، وخصرها ضامر يكاد ينزل إذا مشت ، وهي غراء منعمة ، صيحة الجسم ، تدوس بردها تبتزراً ، وجسمها غض فغمّ العظام غير مترهل ، ومشها فيه تناقل واسترخاء ، وإذا مشت تدافعت في مشها تدافع الجدول إثر الجدول (١) :

ديارٍ إبريق العشي خوزل غراء لم تلتصق بلبس التكل  
لم تغد في بوس ولم تكتل ولم تكتبت بالجرأ المحس  
ولم تخامر وصبا فتسائل ركاشة للبرد والمرحل  
يقصّب فغمّ العظام خذل ريان لأعش ولا مهبل  
في صلب لذن ومشي هو جل تدافع الجدول إثر الجدول  
في أنغبان المتجّون المرسل

وربما تقلت من العجاء بعض المعاني المستمدة من أخلاقه وعفته . ولهذا قد يشير إلى عفة هذه المرأة ، فهي مثالة ، ولكنها لمّا قبل على الخليل ، بل الخليل المحسّل ، فهي ذات دلّ على زوجها ، لا على إنسان سواه (٢) :  
مثالة على الخليل المحسّل تهايل الدغص يهبل الهبل  
ثم يعود إلى وصف جمالها ، فهي برّاقة الخدين والغفر ، وشعرها كثيف

طويل تغذيه بالزيت والصندل (٣) :

برّاقة الخدين والمقبل تكسو الشرايف إلى المجلد  
قرون جمل وارِد مجلّد مُعدّودين يهيب غسل الغسل  
يُسّس السليط في رفاض الصندل

ثم ينتقل بعد ذلك فجأة إلى وصف الرحلة (٤) :

رحلت من أقصى بلاد الرّحل من قلل الشجر فجنّبي مو كل

ففي هذه الأبيات قد رسم العجاء صوراً حيّة لإبريق العشي ، وهي صور تجعلنا نحظر أمانتنا بضائنا وجمالها وباضها ودلالها وعفتها ، ولكننا لا نجد صلة بينها وبينه ، بل نرى صلة أخرى بينها وبين زوجها وحليها ، ومن ثم نعود إلى القول لأن العجاء في هذه الأبيات وأمانتها ، لم يكن يتجه إلى وصف الحب والهوى ، ولما كان يصف المرأة ذاتها ، وهو لا يشير إلى امرأة بعينها ، ولما يصور نموذجاً للمرأة الجميلة في نظر ذلك العصر ، وقد نجد هذه الأوصاف كلها أو بعضها في أراجيز أخرى ، قد تعرّض فيها العجاء لأوصاف الحب والمرأة معاً ، وخصها بأحداث حبه وهواه .

وهذه الأحداث تبرز غزلاً آخر عند العجاء ، هو غزل وجداني لا أثر فيه للتقليد إلاّ في موضعه من الأرجوزة ، وهذا الغزل الوجداني لا تخلو معانيه من التسويع ، فهو ثارة بيكي أيام شبابه ، وثارة يذكر فطرة الطرف وما أوقعته قلبه ، وثارة أخرى يتحدث عن ليلي ، وما خلفته من وجد وصباة وآلام .

فهو كثيراً ما يتحدث عما آلت به الأيام إلى الهرم ، ثم يتصرّ فيرى

(١) الأرجوزة ٢٩/١٢ - ٤٤ - ٤٨ .

(٢) الأرجوزة ٤٩/١٢ - ٥٠ .

(١) الأرجوزة ٢٩/١٢ - ٣٩ .

(٢) الأرجوزة ٤٠/١٢ - ٤١ .



أيام الشباب شاخصات ذات اليمين وذات الشمال ، وهنا صلة مع الغواني ،  
وهناك تجربة مع ليلى ، أما الغواني فقد كن به معجبات ، وإليه مائلات ،  
فلما شاب منه الرأس ، ودب إليه الهرم ، غشيت عنه ، واستبدلن به زيدا  
من الناس ، لما عنده من نضارة وشباب (١) :

إِنَّ الْعَرَانِيَّ قَدْ غَشَيْتْ عَيْنِي      وَقُلْنَ لِي عَلَيَّكَ بِالْتَّعَتِيَّ  
عَنَّا ، فَقُلْتُ الْغَوَانِي : لِي      عَلَى الْغَيْتِي ، وَأَنَا كَالْمُطَنِّيَّ  
لَمَّا لَبَسْنَ الْحَقَّ بِالْتَّجَتِي      غَشَيْنَ وَاسْتَبَدَلْنَ زَيْدًا مِنِّي  
غُرَانِقًا ذَا بَشَرٍ مَكْتَنٍ      يَرْضَى وَبُرْصِيهِنَّ بِالْتَّمَتِي  
أَنْ شَابَ رَأْسِي وَرَأَيْنَ أَنِّي      حَتَّى قَنَانِي الْكَيْتُ الْمُجَنِّي

ثم يستول في تصوير كبره وهرمه ، حتى يعود إلى الحوار مع الغواني ،  
فهو لا يجد هذا الهرم إلا لطول السن ، وهو السبر الشديد ، ولا تدري  
إن كان فيه كتابة عن اللباجة في الهوى ، لقولهن بعد ذلك إن الذي أفناه  
أيضا هو طول ما أنفق مع دهره مع الهوى وقلة التواني فيه (٢) :

وَقُلْ لِي أَفْنَاكَ طَوْلُ السَّنِّ      وَبُرْهَةٌ      مِنْ دَهْرِكَ الْمُقَتِّي  
مَعَ الْهَوَى وَقِلَّةِ التَّوَانِي

فالشيب والهرم دائما على لسان العجاج ، وهما يثيران لديه شيئا من  
ذكريات الشباب ، فإذا كان الكبير والحلم والتدين قد كف من صباه ولوهو ،  
فقد كانت أيام شبابه ذات صلة بأوانس يشبهن الظباء ، حتى كن يُدْمِنُ  
الأبصار إليه إعجابا ، وكان يديم النظر إليهن أيضا إعجابا أو اغواء (٣) :

- (١) الأرجوزة ١/١٦ - ١٠ .
- (٢) الأرجوزة ١٤/١٦ - ١٦ .
- (٣) الأرجوزة ١٧/١٦ - ٢٢ .

فإن يَكُنْ نَاهِي الصَّبَا مِنْ سِنِّي      وَالْعِلْمُ بَعْدَ السَّقَاةِ الْمُسْتَنِّي  
وَعِلْمٌ وَعَدَّ اللَّهُ غَيْرَ الظَّنِّ      فَقَدْ أَرَانِي وَلَقَدْ أُرْتَبِي  
بِالْفَنِّ مِنْ نَسْجِ الصَّبَا وَالْفَنِّ      غُرًّا كَارَامَ الصَّرِيمِ الْغَنِّ  
وربما عرض إلى ما يشبه المجون ، ولكنه لا يشير إلى ذلك بصراحة  
وتفصيل واستقصاء على نحو ما كان لدى شعراء الحجاز من أصحاب مدرسة ابن  
أبي ربيعة ، وإنما يشير إلى ذلك ضمن كتابة بارعة ، إذ يعبر مثلا عن الغي  
والاهو بـ "مهن" تنامي جئا منه في مُسَبَّات مثل الغيطة ، وهي ما التفت  
من الشجر ، بل زاد في دقة تصويره لهذه الغيطة فجعلها قد أَلْبَسَتْ بِالظلمة  
والسواد ، وذلك ليقول من طرف خفي : إنه كان في غاية المجون والغبي  
معين (١) :

وَقَدْ بَسَامِي جِنِّهِنَّ جِنِّي      فِي غَشِيَلَاتٍ مِنْ دُجَا الدُّجْنِ  
ثم يصور حسن منطقه وحديثه مع الغانيات ، ليخرج إلى آخر دفقة  
شعورية في تصوير ذكرياته أيام شبابه ، فقد قضى من الشباب زمنا طويلا  
مُتَّع به ، وكان كالسكران إذا أخذ فيه الشراب وراح يغني بين الحجرة  
والدنان ، بدلا من ركوب الحبل وقطع المفاوز (٢) :

مَلَاوَةٌ      مُلِّبَتْهَا كَأَنِّي      حَارِبُ صَحْبِي تَشْوَوُ مَعْنِي  
بَسِينٌ حَفَافَتِي قَرَقَتِي وَدَنٌ      مِنْ قَدِّ قَوْدِ الْفَرَسِ الْهَصْنِ  
وهذه الأرجوزة هي الوحيدة التي اختصت بالغزل ، وقد لمتنا فيها  
بكاء العجاج أيام شبابه ، ولكننا لا نجد وصفا لتجربة شعورية مع واحدة  
بالذات ، وإنما وجدنا حديثا عن المجون أو ما يشبه المجون ، إلا أن العجاج

- (١) الأرجوزة ٢٦/١٦ - ٢٧ .
- (٢) الأرجوزة ٣٣/١٦ - ٣٦ .

في غير هذه الأرجوزة قد بكى أيام الشباب ، وأتى بكثير من معاني  
الأرجوزة السابقة ، ولكنه ربما أشار إلى أن لإحداهن قد سبته وتبته ، ومن  
ثم ينطلق الى وصفها وصفاً لاجاز من الجدة أحياناً وإن كان تقليدياً في أكثر  
معانيه <sup>(١)</sup> ، وأبرز مايجئنا في هذا القسم من رجز العجاج أنه يكاد يلامس  
أحياناً بعض المعاني عند عمر بن أبي ربيعة <sup>(٢)</sup> ، إذ يجعل نفسه معشوقاً  
للغواني ، بدلاً من أن يكون هو العاشق المقيم ، وقد رأيناه في الأرجوزة  
السابقة يجعل أبصار الغواني لاتريم عنه ، إعجاباً به ، وميلاً إليه ، وفي  
أرجوزة أخرى وسّع هذا المعنى ، إذ جعل حديثه عن أيام شبابه يُنثر  
عُصَمَ العول من رؤوس الجبال ، وذلك لأن النساء كنّ يرتجئن إليه  
بأبصارهن من خلل الحدور ، معجبات به ، مائلات إليه ، وهن معه في غرة  
الشباب <sup>(٣)</sup> :

لو أن عُصَمَ شَعَفَاتِ النَّبِيرِ      يَسْمَعْنَهُ بِافْسَرْنَ لِتَنْشِيرِ  
بَيْنَ اقْتِحَامِ الطُّوُوعِ وَالضُّرُورِ      إذ تَرْتَقِي مِنْ خُكُلِ الْخُدُورِ  
بِأَعْيُنٍ مُجَوَّرَاتٍ حُورٍ      خُزْنِي بِالْبَابِ إِلَيَّ صُورِ  
إذ نحن في ضبابية التفسير

وهذه اللجات في غزل العجاج لاتقرب من غزل ابن أبي ربيعة في جعل  
نفسه معشوقاً لا عاشقاً ، ذلك لأن العجاج قد أكثر من وصف عشقه وما  
يخلفه من أثر في نفسه ، حتى لنجد شيئاً من هذا الوصف في بعض الغزل  
الوجداني الذي لم يفردة لوحدة منهن باسمها ، وإنما أطلقه لغاية قد وقع في

(١) انظر الأرجوزة ١/١٩ - ٣٢ .

(٢) انظر التطور والتجديد الدكتور شوقي ضيف ١٩٥ .

(٣) الأرجوزة ٩/١٩ - ١٥ .

حبائها ، حين تبدت في تناقلها كاطلية ذات الغزال ، مع أربع هن مثلاً  
في دلالتها وجملها ، ومثل أولاد البقر في رشاقتها وسعة عيونها ، فبات قلبه  
يتدمل ، فلا يستقر هماً وحزناً ، ودموعه تنهمل ، فلا يائثها إلا ما طر من  
سحاب غدير <sup>(١)</sup> :

إِصْطَدَيْتِي مِنْ بَعْدُ طُولِ الْمَعْدَلِ      عَلَى احْتِبَالِ الْغَايَاتِ الْجَبَلِ  
لَمَّا تَبَدَّتْ مَلَكَاً كَالْمَغْرُولِ      فَاقِرَةً الظَّرْفِ مِنَ التَّدَلُّلِ  
فِي أَرْبَعٍ مِثْلِكَ مِثْلُ الْحَسَلِ      فَبَاتَ مِنْ الْقَلْبِ ذَا تَسَلُّلِ  
مَوْكِلَ الْعَيْنَيْنِ بِالتَّهَمَلِ      كَمَا طَرَفَ مِنْ وَاقِفَاتِ الْوُشَلِ

وبذلك كالت العجاج هو العاشق المقيم في أكثر غزله خلافاً لابن أبي  
ربيعة ، الذي كاد يفرّد بالتغزل بنفسه لا بالمرأة ، حتى أصبحت هي العاشقة  
له في أشعاره .

وقد ذكر العجاج بعض الأسماء في غزله ، فإشار إلى خيال « تُكْنَى » ،  
وخيال « تُكْنَم » <sup>(٢)</sup> ، وتحدث عن جال « سلمى » <sup>(٣)</sup> أو « سليمة » <sup>(٤)</sup> ،  
وصور الحب والفراق بينه وبين « ليلى » <sup>(٥)</sup> ، وقد تكون هذه الأسماء  
لامرأة واحدة ، على عادتهم في الغزل منذ عصر ما قبل الإسلام ، إذ أن  
الشاعر الأموي قد استمر يأتي بأسماء رمزية أحياناً ، يكني بها عن الام  
الحقيقي الذي يريده ، لأسباب تصل بحياة المجتمع في ذلك الحين ، وقد تنبه  
أبو الفرج إلى ذلك في أشعار عمر بن أبي ربيعة <sup>(٦)</sup> .

(١) الأرجوزة ١/١٥ - ٨ .

(٢) الأرجوزة ٢/٢١ .

(٣) الأرجوزة ٢٤/٤٤ .

(٤) الأرجوزة ١٧/٣٤ ، والأرجوزة ١/٣٨ .

(٥) الأرجوزة ٩/٢١ ، والأرجوزة ١٨/٢٤ ، والأرجوزة ٢٧/٢٣ و ٢٧ .

(٦) الاغاني ٢٣٩/٩ .

فالأسماء التي وردت في غزل العجاج قد تردت كلها إلى « ليلي » ، لأنها هي المرأة التي شغلت قلبه على ما يبدو من أراجيزه ، فاسمها « تكتي وتكم » ، ربما كانا لامرأتين من صواحب ليلي ، ذلك لأنه لا يكاد يذكر خيال هذه أو تلك ، حتى يذكرهما بليلي وقد تبدل الحال بها وغدت لانسان سواه (١) :

طافَ الْخِيَالُ فِيهَا جَا سَقَمًا      خِيَالٌ تَكُنْسُ وَخِيَالٌ تَكُنْمَا  
بَانِجُوسَانٍ وَقَدْ تَجَرَّصَا      لَيْلُ التَّيَامِ غَيْرَ عَيْنِكَ أَدْعَمَا  
بَالْقَيْفِ مِنْ مَكَّةَ نَلَسَا نَوَمًا      فَارَقَا عَيْسًا وَشَعْنًا سَهْمَا  
أَسْرَوَا وَأَسْرَيْنَ هَرْبَةً ثُمَّ مَا      عَرَسْنَ إِلَّا مَا يُحِلُّ الْقَسَمَا  
يَا ذِكْرَةَ ذَكْرَتِ لَيْلِي بَعْدَمَا      جَالَ الْفُؤَادُ جَوْلَةً وَاسْتَهَزَمَا  
وَاسْتَبَدَلَتْ لَيْلِي تَحَاةً وَتَحَا

ولا يعد أن تكون ليلي هذه زوجة للعجاج ، ثم تقطعت بينهما الأسباب لعارض لانهاءه ، وإلا فليس من داع لقوله : لهما استبدلت حاة وحما .

وأما « سلى أو سليمى » ، فهي كذلك زوجة للعجاج على ما يبدو من حوار جرى بينهما قبل أن يرحل إلى بشر بن مروان ، إذ لا نعلم أن يكون لها موقف من رحيله وسفره ، ولهذا بدأ الأرجوزة بذكر حوارها معه (٢) :

قَالَتْ سَلِيمَى لِمَعَ الْفُؤَادِ      يَا أَيُّهَا الرَّاجِمُ رَجِمَ الْحَادِسِ  
بِالنَّفْسِ بَيْنَ النَّجْمِ الْعَوَاطِسِ

إلى آخر هذا الحوار ، وهو لا يتم غالباً إلا « بين الشاعر وزوجته ،

كالذي عرفناه من حوار جرير وأم حذرة في مقدمات بعض قصائده ، وهذا ما يرجح أن تكون سلى هذه زوجة للعجاج ، ثم تفرقاً لسبب لاندري به ، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه علينا هو أن العجاج قد تحدث عن سلى ، وتحدث عن ليلي ، وكل منهما تبدو أنها زوجة له ، فهل هما شخصية واحدة ، أم أنها شخصيتان تميزتا في حياة العجاج .

والحق أن الإجابة على مثل هذا السؤال لا تخلو من الحيرة والتردد ، ولكننا مع ذلك نرجح أنها شخصية واحدة ، لأن أحاديثه عن « سلى » لا نجد فيها لوانح الحب ، أو صباة الذكريات ، بل نجد أوصافاً للجمال ألفنا معظمها في غزله التقليدي والوجداني معاً ، أما أحاديث الحب والفراق واللوعة فهي تلازم حديثه عن « ليلي » ، بما يشير إلى أنها هي المرأة التي عاشت في خياله ، واحتلت جزءاً من قلبه ، بعد أن افتقرا لسبب من الأسباب ، ولا يعد أن تكون « سلى » أو « سليمى » تكتية عنها في بعض الأراجيز .

ولهذا كان غزل العجاج بليلى أوضح الغزل الوجداني لديه ، فهذا تبرز المشاعر الانسانية ، والصور الذاتية ، والأهواء المتناقضة ، ولا يخفى ذلك من أحاديث الصباة والحسرة أو الحزن والألم ، ورافق ذلك غالباً بعض الأوصاف الحسية والمعنوية لهذه المرأة ، التي خلقت جذوة حب ، وآلام فراق ، بعد أن كانت هي التي تزهو منه فراقاً ، فتريه من محاسنها ما يعطيه عليها ، ويدعم من حبه لها (٣) :

يَا ذِكْرَةَ ذَكْرَتِ لَيْلِي بَعْدَمَا      جَالَ الْفُؤَادُ جَوْلَةً وَاسْتَهَزَمَا  
وَاسْتَبَدَلَتْ لَيْلِي تَحَاةً وَتَحَا      قَامَتْ ثُرَيْكُ رَهْبَةً أَنْ تَضُرَّمَا

(١) الأرجوزة ١/٢١ - ١٦ .

(١) الأرجوزة ١/٢١ - ١١ .

(٢) الأرجوزة ١/٣٨ - ٣ .

سَاقًا بَخْنَدًا وَكَعْبًا أَدْرَمًا وَكَفَلًا وَغَنًا وَكَشِيحًا أَهْضَمًا  
وَفَحِيذًا لَفَاءً تَمُتُّ عِظَمًا وَمَاكِمَاتٍ يَرْتَجِعِينَ وَرَمًا  
وإذا وقف بالأطلال تذكر لي أيام كانت غابة مايشبه ويتمناه ، ثم  
أعقب ذلك بالحسرة لا آمل إليه من شيب وهم (١) :

دَارَ لِهَيْبَتَا قَلْبِكَ الْتَيْمِ ذَكَرَ الْغَوَانِي أَيْمًا تَرَهَّمِ  
أَزْمَانٍ لَيْسَ عَامٌ لَيْسَ وَحْتَمِي وَمَا تَصَافِي لِلْعُيُونِ الْحُكْمِ  
تَعْدَا لِيَضَاحُ الشَّعْرِ الْمَلْعَمِ إِلَّا أَضَالِلُ الْفُؤَادِ الْأَيْمِ  
ثم وقف عند تصوير حاسنها فأتى بصور ليأضاهو وكفلها وساقها وخصرها  
وتعتمها وما أشبه ذلك ثم غلبت عليه الحسرة مرة أخرى فقال (٢) :  
فَاصْبَحَتْ عَنْ وَضْعِهَا كَانَتْ لَمْ تَعْلَمْ بِهِ أَوْنَةً وَتَعْلَمِ  
فَانْسَ الَّذِي فَاتَ وَلَا تَنْسَ

وكان عمن هذه الحسرة هو الذي حل العجاج بعد ذلك على الانتقال  
إلى موضوع الوظة في هذه الأرجوزة ، إذ أن ثمة تجربة مع ليلى قد أرت  
في نفسه ، وإذا ماحدث عنها شيء من الصراحة ، لم يكن في وسعه إخفاء  
واقعه النفسي المتألم ، وهذا الواقع يتبدى من تكرار اسمها داخل الأرجوزة  
أو داخل البيت الواحد :

أزلمات ليلى عام ليلى وحمي

بل إن بعض المواقف ربما جعلت صابئة العجاج ترداد حتى تستبد به  
فينطلق بالحكمة يستمدحها بما هو فيه من تجربة شعورية تحيا في أعماق نفسه ،

(١) الأرجوزة ٢٤/١٦ - ٢١ .

(٢) الأرجوزة ٢٤/٣٦ - ٣٨ .

فالبعد قَطَاعٌ رَجَاءُ الْإِنْسَانِ أَنْ يَلْقَى مِنْ مُرِيدٍ ، إِلَّا أَنْ يَحْضُرَ حَاجَتَهُ  
بنفسه فلا ينقطع رجاءه (١) :

مَنَازِلًا تَيْجِنُ مَنْ تَيْجِبَا مِنْ آلٍ لَيْسَ قَدْ عَقُونَ حِجَبَا  
وَالشَّحْطُ قَطَاعٌ رَجَاءُ مَنْ رَجَا إِلَّا احْتِفَازُ الصَّاحِرِ مَنْ تَحَوَّبَا

وما تزال صابئة تتوقد حتى توجع فيه لهفة حترى إلى ليلى ، وإذا بخيالها  
يتنقل بها بين أرجاء جزيرة العرب ليقول إنها مها كانت بعيدة ، وبأي  
أرض حلت ، ثم أرسلت إلي مع الريح وحيا مبهما ، عرفت وحيا ،  
وتبينت حاجتها ، وما ذلك إلا شغفا بها ، ولهفة إليها ، وتمكنا من حبها (٢) :

فَكَيْفَ تَصِيرُ لَيْسَ يَسْلَمِي أَوْ أَجَا أَوْ بِاللَّوَى أَوْ ذِي حَسَى أَوْ يَاجُجَا  
أَوْ حَيْثُ كَانَ الْوَلَجَاتُ وَلَجَا أَوْ حَيْثُ رَمَلٌ عَلِيَجٍ تَعْلُجَا  
أَوْ حَيْثُ صَارَ بَطْنٌ قَوَّ تَوَسَّجَا أَوْ تَجْعَلُ الْبَيْتَ رَتَلَجَا مُرْتَجَا  
بِجَوْفٍ يُضْرَى أَوْ بِجَوْفٍ تَوَجَّجَا أَوْ يَنْتَوِي الْحَيَّ نَبَاكَ فَالَرَجَا  
فَتَحْمِلُ الْأَنْوَاعَ حَاجَا مُحْتَجَا إِلَيَّ أَعْرِفُ وَحَيْثَا الْمَلْجَلَجَا

ثم يرسم صورا لحاسنها لا تختلف كثيرا عن الأوصاف التي رأيناها في  
سبق ، ذلك لأنه في هذا القسم من غزله كان يجمع دائما بين وصف الحب  
والمرأة معاً ، وكانت هو العائش المذهب على عادة أكثر شعراء عصره ، إلا  
أن أوصافه لتجربة الحب لم تكن من الاتساع والوضوح كما نراها لدى شعراء  
نجد من أصحاب الغزل العذري ، وما ذلك إلا لأن قصائد هؤلاء كانت تنفرد  
بالغزل وحده ، أما غزل العجاج فكان أحد موضوعات متعددة داخل  
الأرجوزة ، ولم يتفرد بالغزل عنده إلا أرجوزة واحدة فقط .

(١) الأرجوزة ٣٣/٢١ - ٢٤ .

(٢) الأرجوزة ٣٣/٢٧ - ٣٦ .



الملك بن مروان ، إنما يعود إلى ضياع قسم من أراجيز العجاج ، ذلك لأن الصلة بينه وبين الأمويين في هذه الفترة كانت جدّة وثيقة ، إذ مدح الحجاج ابن يوسف الثقفي والي العراق وتحدث عن إبقائه بالختار الثقفي <sup>(١)</sup> ، ومدح عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك قد وجهه إلى قتال الحواريّة بالهامة ، فحزبهم وقتل قائدهم أبا فديك ، فصورّ العجاج ذلك تصويراً جعل من أرجوزته هذه غرّة ديوانه <sup>(٢)</sup> ، وما دامت الصلة وثيقة بينه وبين الأمويين هذه الفترة ، فلا يعقل أن يتخلّى عن مدح مروان بن الحكم ، أو عبد الملك بن مروان ، ولا سيّان عبد الملك هو الذي وحدّ الدولة ، وقضى بنفسه على ماثوئيه في العراق ، وهذا فيه مجال واسع للقول والمديح ، وإذ كان الحجاج قد أرسله إلى الوليد بن عبد الملك <sup>(٣)</sup> ، فهذا ما كان له أن يتمّ إلّا بعد أن استوفى مدحه له ، وذلك شأن معاصره جري ، ومع ذلك لا نجد في ديوانه غير أرجوزتين في مدح الحجاج ، وهذا يعني أن بعض أراجيزه قد فقّدت ولم تستقل في ديوانه .

وهيّة أرجوزة أخرى قيل إن العجاج قالها مدح سليمان بن عبد الملك <sup>(٤)</sup> ، وقد ذكرنا في مواضع سابقة أنها ليست في مدح سليمان وإنما هي في مدح الوليد بن عبد الملك حين ولي الخلافة <sup>(٥)</sup> ، وهناك مدح آخر أضافه العجاج أحد أمراء الأمويين وقادتهم وهو مسلمة بن عبد الملك <sup>(٦)</sup> ، وأتت في أرجوزة مطولة على والي الهامة إبراهيم بن عربي ، فمدحه وتحدث عن فساد عمال الخليفة

(١) الأرجوزة ٣٤٦ و ٣٤٧ .

(٢) الأرجوزة ١ .

(٣) الأغانى ١٢٣/١٨ و ٥٩/٢١ .

(٤) الأرجوزة ٤٣ .

(٥) انظر حديثنا عن رحلات العجاج ، والاضطراب في رواية وجزه .

(٦) الأرجوزة ٤٢ ، وهي متنازعة مع رؤية ، انظر بحث الاضطراب .

وما يلقاه الناس بهم من غنت وإرهاق <sup>(١)</sup> .

فالعجاج قد مدح خلفاء بني أمية وعدداً من أمراءهم وولائهم وقادتهم ، ومدح كذلك مصعب بن الزبير أئمة كان والياً على العراق لأخيه عبد الله ، إلّا أن مدحهم لم يكن يجري وراء التكسب على الأغلب ، وإنما نجد في أكثر أراجيزه يندفع إلى أغراض سياسية أو ما يقرب من الأغراض السياسية ، ولا نجد ملامح التكسب إلّا في خمس أراجيز فقط ، وهذه الملامح تختلف من أرجوزة إلى أخرى إذ ربما تعرّض لجرد وصف الممدوح بالكرم فصعب ، فقال لعبد الملك بن مروان <sup>(٢)</sup> :

وتُخْضِلُ الكَفَيْنَ غَيْرُ نِكْسٍ كَالغَيْثِ عَدَا الرَّجْسَ بَعْدَ الرَّجْسِ

فهو نديّ الكفّين بالعطاء ، غير ضيف من الرجال ، بل يشبه الغيث الغزير الذي يستمع له صوت جاف غليظ ، وإذنا نظر إلى قوم عبد الملك ، قال <sup>(٣)</sup> :

يَكْفُونُ أَثْقَالَ ثَنَاءِ الْمُسْتَأْمِي وَيَغْضَاوْنَ اللَّبْسَ بَعْدَ اللَّبْسِ

فهم يعملون ديّات القتال لبث لا ذنب لهم أو التجا إليهم . وفي هاتين الاشارتين لا نجد طلباً أو سؤالاً ، ولا إرافة ماء وجه ، بل لانكاد نشعر بوجود العجاج المتكسب ، لأن من الطبيعي أن يوصف الخليفة وقومه بالكرم والجلود ، أو بندى الكفين وتجعل الديّات ، وهي من المعاني التقليدية منذ عصر ما قبل الاسلام .

ومثل ذلك مدحه لابراهيم بن عربي والي الهامة ، إذ قال <sup>(٤)</sup> :

(١) الأرجوزة ١٧ .

(٢) الأرجوزة ٢٣/٤٣ - ٢٤ .

(٣) الأرجوزة ٤٩/٤٣ - ٥٠ .

(٤) الأرجوزة ٧/١٧ - ٩ .

من أجل أن وده لم ينسَلِ مِنِّي ولا بلّوذه إذ نبتلي

منه أهاضيب ربيع منبيل

فبو يلتزم جانب ابراهيم لود لم ينهب منه ، ولأهاضيب خير بنالها  
منه ، وفي هذه إشارة إلى أن العجاج ربما كان ينال شيئاً من أعطيات والي  
الجامعة ، ولكن التعبير عنها جاء متلفظاً مهذباً ، يخفي وراء هذه الأهاضيب  
والدفعات من المطر .

وفي تلك الصفات التي عددها في مديح ابراهيم ، لم ينس العجاج أن  
يتحدث عن وصله لإخوانه وجوده عليهم ، وإرتاحه أيام تبرد الرياح ويشد  
الزمان ، لا في ذلك من فرصة للجدو والكرم<sup>(١)</sup> :

وصال لإخوان الندى موصل يرتاح أن تبرّد ربيع الشمال

وفي هذه الإشارة أيضاً لانهج وجه العجاج المتكسب ، لأن مثل هذه  
الأوصاف لا يختلف عن وصف الممدوح بالسمو والرفعة والشجاعة والإقدام ونحو  
ذلك ، ولهذا لانهج في هذه الاشارات غير تلميح مهذب وسريع إلى ما كانت  
ترجوه نفوس الشعراء غالباً من عطاء ونوال .

ولكن هذا التلميح يزداد وضوحاً بديراً ، حين يخاطب ناقته قائلاً

لها<sup>(٢)</sup> :

لاتأملين في السرى ترؤبجي وإن تشككت أذى القروح

وظاهري السريج بالسريج

إلى ابن ليلى فاشتدي ورؤجي إلى فتي في الباع ذي مندوح

ممرؤء يستبنيه نفوح في البدو ذو بدو وفو ممتوح

(١) الأروزة ١٧/٢٦ - ٤٧ .

(٢) الأروزة ١٣/٥ - ١٤ .

هنا وهنا وعلى السنجوح جري ابن ليلى جوية السجوح

فناقه ينبغي ألا تأمل منه قورا أو ترويحاً عنها ، وإن أصيبت بديره ،  
أو تأوحت ثاوة الجروح ، ولنا ينبغي أن نظاهر النعال في أخفافها ، فتحمل  
منها رقاعاً فوق رقاع ، حتى تصل إلى الأمير الأموي عبد العزيز مروان ،  
ذلك لأنه رجل في الكرم ذو سعة ، وفي العطاء يصاب منه الكثير ، وله  
مال وأنعام في البوادي ، وأخرى يمنحها الناس ، ولا يخص جماعة بنواله ،  
ولنا بفرق أمواله في كل وجه ، فيعطي يمينته ويسرة وعلى القصد .

ولا شك أن في هذا تلميحاً يطلب شيء من نوال الأمير المرواني ، ولكنه  
لا أثر للسؤال ، ولا ذكر فيه لوصف حال العجاج من الفاقة والعوز وما  
أشبه ذلك مما كان يجري على ألسنة الشعراء أمثال معاصره جوير ، ولنا يجعل  
ناقه هي التي تعاني آلام الطريق ، أما العجاج فذو همة إلى لقاء ابن ليلى ،  
وابن ليلى كريم بل واسع الكرم ، ولا بد أن يكون صاحب فطنة وذلكه ،  
وله أن يقدر رحلة العجاج إليه ، فيعطيه دون أن يتدلل أو يريق إليه ماء  
الجبين .

إلا أن العجاج في موضعين آخرين من ديوانه ، لا يختلف عن شعراء  
عصره في الوقوف أمام الممدوح يطلب العطاء طلباً ، ولكنه لا يبالغ في  
المسألة ، ولا يتدلّل أو يصف ما به من فاقة أو ما خلفه من عيال لا يجنون  
طعاماً أو شرباً ، إنه يطلب من مدوحه ، ولكن بعفة دون مثله ، فإذا  
سار إلى بشر بن مروان ، وتحدث عن رحلته بمقدمة قصيرة ، وقف أمامه  
يقول<sup>(١)</sup> :

(١) الأروزة ٣٨/١٨ - ٢٢ .

بأبشرو من ذاك غير بأبش  
من سبب فترع طيب المغاسر  
بين الذر والافضل الواجس  
لأننا لتزجو نفعه من عايس  
من ماطر الكفين غير بأبش

فالذي يزود بشر بن مروان لا يصيبه بؤس أو فقر لما يناله من سيبه وعطائه ، ولذا لا يجد العجاج خيراً من قوله : إنا جشاك رجاء نفعه من رجل كريم شريف ماجد ، تملر كفتاه بالجوود والعطاء .

وعلى الرغم من أن العجاج يطلب طلباً هذه النفعه من ماطر الكفين ، فهو لا يتدلل ، وكأنه يجد في ذلك أمراً طبعياً ، وحقاً لا بد منه ، فهو شاعر قد سار إليه ومدحه ، وذاك ينبغي أن يسأل فيعطيه ، ومثل هذا ما كان من العجاج في مدح يزيد بن معاوية ، فقد مهد لذلك بقدمه طويلة ، تحدث فيها عن الأطلال والنسب والرحلة المضنية إلى يزيد ، ثم جعل غاية من هذه الرحلة كلها أن يصل إلى يزيد رجاءً نواله وعطائه ، ورجاءً أن يجعل له عطاء في الأمصار <sup>(١)</sup> :

رحلت من أقصى بلاد الرملة  
ديوان مضر أو عطاء مجزول  
بحر الأباري حنيك مسيل  
ينابسل يغمر باع النول  
فاني جداه من نداه المشمل  
بعلمهم ، والعالم لا كالأجهل  
والأول من غب الأمور الأول  
رجاء سجل من يزيد مسجل  
من مكمل فيه العلى لمكمل  
ينهل للسؤل وقيل السؤل  
مد الخليل في الخليل النور  
فشو طوفان الربيع العوسل  
أن حساب العمل المتصل  
عند الإله يوم جمع العمل

(١) الأرجوزة ٤٩/١٢ - ٦٩ - ٨٣ .

بجمع الحساب والمزسل . وأن خير الخول المخول  
فلنذ العطاء في الحقوق النزول

فغاية الرحلة أن ينال دلواً عظيمة من جود يزيد ، وعطاء يدون له في الأمصار ، ومن ثم وقف العجاج طويلاً أمام تصوير جود يزيد ، فتارة ينهل بمعروف دونه كل معروف سواه ، وطوراً يتحول جوده إلى مطر يعم الناس أجمع ، ولا ينسى العجاج بعدئذ أن يذكر بأن خير ما يجده الانسان عند ملك الماوك يوم الحباب هو العمل الصالح من جود وسخاء ، وخير الجود أن يجعل العطاء في أهله من أصحاب الحقوق ، أمثال العجاج طبعاً .

وهذه الأبيات هي الوحيدة في ديوانه التي تقف عند تصوير جود الممدوح على هذا النحو من التطويل والتنويع ، ورغم ذلك فنحن لانسح فيها وجه جوير ولا الحطبة ولا الأعشى ولا غيرهم من شعراء بني أمية أو بني العباس من مدحوا وألحوا في السؤال ، ثم هدّدوا وتوعّدوا طلباً بلائزة أو نوال ، حتى كان منهم من وقف ذليلاً على أبواب بمدوحه ، ومنهم من تصاغر بين يديه وشكى زمناً قاسياً ، أو جحافاً شاملاً ، أو عيلة لا يجد لها مايسد رمقاً ، إن العجاج لا يعتمد في مدحيه إلى أمثال هذه السبل ، ولذا يشير إشارة مهذبة إلى أن رحلته إنما كانت طلباً لـ " سجل " من يزيد ، ثم لا يعود إلى السؤال والمذلة ، ولذا حسبه أن بعدد مكرمات يزيد ، ويصف جوده ، وبذلك يوفر لنفسه عزتها ، ولا يفرط بكرامة أو بأخلاق أبيّة كان يتصف بها .

فالتكسب في رجز العجاج كان محدوداً ومهذباً ، وهو لا يزي بصاحبه أو ينال منه ، ولم يكن بالهدف الرئيسي في مدائحه كلها ، ولذا أكثر أراجيز المديح كانت لأهداف أخرى ، أبرز ما يتضح فيها هو الغرض السياسي ،



وذلك حرصاً على توطيد الأمر لنفسه أو لقبيلته عند الولاة أو الحلفاء ، ولولا هذا الغرض لما وجدنا مبرراً لتلك الأراجيز التي مدح بها مصعب بن الزبير ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، وعمر بن عبد الله بن معمر ، فالغرض منها كان رعاية لمصالح قومه بالهامة أو بالبرصة ، أو رعاية لما يهمه هو شخصياً من شؤون وحاجات ، فهذه الدلائل تخلو تماماً من أي غرض آخر أمثال التكسب أو سوام ، وأسلوبها أسلوب سياسي في الغالب ، يحاول تصوير المدح بالليل والمنعة والقوة ، ويجدد نزعتة السياسية والعقدية ، ويقربها بمنزلة خصمه من الحوار أو الشيعة ، ثم يرسم لوحات رائعة لاتصاراته على الأحزاب المناوئة ، وتحرير الناس بما أصابهم من بلاء ، ومعظم هذا البلاء كان محلياً بأهل العراق ومن جاورهم من أهل الهامة وصحراء نجد ، وربما كان هذا دافعاً نفسياً قوياً إلى مدح من تخلص القوم من هذا البلاء العظيم ، وقد صرح الحجاج بذلك في بعض أراجيزه ، وذلك حين غلبت الحزونية على الهامة وصحراء نجد بقيادة أبي فديك الخارجي ، فوجه عبد الملك عمر بن عبد الله بن معمر إلى قتالهم ، فزيمهم وقتل أبا فديك ، فمدحه الحجاج بغزة أراجيزه ، وفيها مخاطبه بقوله (١) :

هَافَهُوْ ذَا فَتَدَّرَجَا النَّاسُ الْغَيْرُ : مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَى يَدَيْكَ وَالشُّوْرُ  
مِنْ آلِ صَعْفُوقٍ وَأَتْبَاعِ أُخْرَى : مِنْ طَامِعِينَ لِأَبِيالْوَنِ الْقَمَرُ  
فَتَدَّرَجَا الْمَاءُ الزَّمْبِي فَلَاغِيْرُ

فبلاء الخارج قد طال على الناس ، حتى لأهم ليرجون تغييراً لأحوالهم على يدك يا بن معمر وثارا لهم من أولئك الصعافطة الطامعين ، الذين لا يبالون

(١) الأراجوزة ٢٩/١ - ٣٣ .

دنساً ولا تطلخ أعراض ، حتى عمّ البلاء ، وبلغ الأمر غايته من السوء ، وليس للناس من يغير عنهم هذه الحال .

ومن هذه العبارات الصريحة ندرك أسباب هذه اللفتة والتحفز ، التي تتبدى في أراجوزة الحجاج هذه ، وفي أراجيزه الأخرى التي مدح بها مصعب بن الزبير بعد قضاؤه على ثورة المختار بن أبي عبيد ، والحجاج بن يوسف بعد قضاؤه على ثورة عبد الرحمن بن الأشعث .

وإذا وقفنا عند مدحه للحجاج أدركنا أنه يندفع اندفاعاً إلى مدحيه بعد قضاؤه على ثورة ابن الأشعث ، إذ يتبع كل أسلوب من أساليب السخرية والتكلم للليل من هؤلاء الخارجين على الحجاج ، ثم ينعمهم بالغدو ونقض العهد ثرة ، وبالسفه ثرة أخرى (٢) :

أَلَمْ يَكُنْ أَشَدَّ قَتَوْمٍ رَحَضَا سَرَاهُمُ وَالْأَشْبِيْنَ رَكَضَا  
إِذْ رَكَضُوا وَالْأَضْعَفِيْنَ قَبَضَا حِينَ أَطَالُوا فِي الْأُمُورِ الْمُخَضَا  
ثُمَّ اصْطَقَوْهَا غَدَرَةً وَنَقَضَا فَانْقَضَ بِالْخُوسِ حِينَ انْقَضَا  
وَرَهَبُوا النَّفْثَ فَلَاقَتُوا نَقَضَا فَجَمَعُوا مِنْهُمْ قَضِيضًا فَضَا  
جَاوُوا مُخْلِينَ فَلَاقَتُوا خَضَا طَائِفِينَ لَا يَزْجُرُ بَعْضُ بَعْضَا  
عَنْ خَطَا وَلَا سَفِهَ خَضَا

ثم يصور كثرتهم واندفاعهم ، ولكنه ينتهي بهم إلى ملاقة الحجاج ، وإذا به بأبي الفزعة ، بل تعود أن يزم الجيوش من قبيلهم ، ولهذا جعل يهود عليهم ، فيسقيهم لبناً لا كاي لبن ، إنه يسقيهم الموت بضرب من السيوف أو طعن من الرماح ، حتى كانوا بين قتل مضرج بدمه ، أو

(٢) الأراجوزة ١/٦ - ١١ .

منهم في أشد الغم والكرب ، واتسع كرم الحجاج فراح يقدم لهم من القروض أضعاف ما أسلفوه وقدموه له (١) :

فوجدوا الحجاج يأبى الهضا  
لا فانيا ولا حديثا غضا  
ومن صريح الأكرمين تحضا  
ثبنا إذا كان المقام دحضا  
والجيوش قبلهم مهضا  
غداة يسقيهم صبوحا مضيا  
بالشرقيات وطعنا وتحضا  
يضي إلى عاصي العروق النحضا  
حتى اشقت وأخرنا مرقضا  
ملمبا أو سابقين جرحضا  
يجزيم بكل قرض قرضنا  
وطارة يسلفون قرضنا  
حتى تقضى القدر المقضى

وهذا المديح لا يريد العجاج به إلا غرضاً سياسياً يهدف إلى توطيد الأمر نفسه أو لقمه عند ولاية بني أمية أو خلفائهم ، وفيه غرض قلبي يقرب أن يكون سياسياً ، كان يدعو الشاعر الأموي إلى المديح في ذلك العصر ، وهو السعي لدى الخليفة أو الوالي لإطلاق سراح بعض السجناء ، وقد حدث للعجاج أن سجن له رجلان عند مروان بن الحكم والي المدينة واليامة لمعاوية ابن أبي سفيان ، فقام يسعى لإطلاق سراحهما ، وقد يربح في أراجيزه التي مدح بها مروان داعياً إلى فك الأسار عنها ، إذ كانت الأراجوزة تنبئ في كل جزء منها إلى تحقيق ذلك الهدف ، فهي تعرض حال العجاج وتأثره البالغ بأصحابها ، حتى أصبح لابنام توجعاً وألماً ، ولا ترقأ له عين هما وحزناً (٢) :

تطاول الليل على من لم ينم  
واحتمت العينان احتيام ذي السقم  
ووافقت الليل بشتال سجم  
جاري الرشايش كالنجان السنتظم  
من تجار مروان وجيران الحكم

وهو لا يزعم أن أصحابه « سجناء » عند مروان ، وإنما يذهب بهم إلى أنهم في جواره وجوار أبيه الحكم ، وهذه لفظة بارعة جداً ، لأن الجار له ذمة لا تخفى ، وعهد لا ينقض ، ولا ينبغي لمروان أن يخفى ذمة ، أو ينقض عهداً (٣) :

مروان إن الله أوصى بالذيهم  
وتجعل الجيران أستاذ الحرم  
ولم يكن جاركم لضم وصم  
والرخوة عن جواره كالمهضم  
ولا يزال يجادل مروان في أمر جواره ، وحققهم في حماية مروان حماية الجار لجاره ، حتى يخرج إلى أمر آخر يراه مجدياً مع الوالي ، إذ أن منتهى الأمر ومآله إلى خليفة الشام معاوية ، وإذا كان مروان لا يريد حلاً لإسار ولا إطلاقاً لسجين ، فليكتب إلى الخليفة في أمرهما حتى لا تكون عليه ملامة في ذلك ، والخليفة لا يقضي بقضاء منتهى لا عدل فيه ، وإنما يقضي بالحق والعدل (٤) :

فاندفع وأن تدفع خير للكرم  
في عاجل الأمر وأجل للظلم  
وظاهر الإرسال واكتب بالقلم  
إلى ابن جرب لا تحدة كالبرم  
لا عاجز الهرم ولا جعدة القدم  
ولا قضياً بالقضاء المضم  
في أمية مؤسها بعد أمم  
كينا نصيب نجيماً ولم ثلم

ثم يعود إلى مروان متهدداً متوعداً ، ذلك لأن عاصماً وحصياً ، لم يتنعا على مروان ، وإنما أتاه طائعتين ، مع أن لهما من المنعة مايجول بينها وبينه ، ولئن فليجند مروان أن تبته لهما بعمل فيه داهية نكراء تلحقه التدامة (٥) :

- (١) الأراجوزة ٦/٢٣ - ٩  
(٢) الأراجوزة ١٤/٢٣ - ٢١  
(٣) الأراجوزة ٢٤/٢٣ - ٢٨

- (١) الأراجوزة ١٨/٦ - ٣٠  
(٢) الأراجوزة ١/٢٣ - ٥

فَاتَّقِينَ مِرْوَانَ فِي الْقَتْلِ وَالسَّلَامِ . عِنْدَكَ فِي الْأَجْبَالِ شَعْرَاءُ النَّدَمِ  
فَاتِهِمْ زَارُولُكَ مِنْ غَيْرِ عَسَدَمٍ . وَدَوْنَهُمْ أَتْبَاجُ لَيْلِكَ وَأَكْثَمُ  
وَالْغُرُ مِنْ تَعْمَلُ مَوَاضِي الْمَوْتِ كَمُ

إلا أنه يمزج بين هذا الوعيد وبين شيء من المدح المرضي ، إذ يتابع  
الآيات بأن عاصماً وحياً إذا جاء طاعتين لينبأ عند مروان حيث يعصمان  
ويجتمعان به <sup>(١)</sup> :

حَتَّى أَنَاخُوا بِمَنَازِلِ الْمُعْتَصِمِ . مِنْ عِصِ مِرْوَانَ إِلَى عِصِ الْحَكَمِ  
ذَلِكَ يُنَجِّي جَارَهُ مِنَ الْغَمِّ

ثم يلتفت إلى وصف حيي وأنه إن لاقى أمراً شديداً يقله الجفارة ،  
فإنه عاش بعيداً عن الضم ، وله من العز ما يعالي الجبال ، ثم يقف عند  
عاصم ليلقي حكمته من التوعد والتعريض بالطرب والقتال <sup>(٢)</sup> :

وَعَاصِمٌ مَا عَاصِمٌ لَوْ اعْتَصَمَ . فِي الْهَامَةِ الرِّقَابِ مِنْ رَهْطِ جَلَمِ  
مُقَابِلٌ فِي الْمَجْدِ مِنْ خَالٍ وَعَمِ . لَوْ كَانَ تَحْكِيماً بِأَلِ مُحْتَكَمِ  
وَلَوْ أَتَى حُكَّامُهُ فَوْقَ الْأَمِّ . عَنكَ حَيِّي مَا بَغِلْنَا بِالْعَمِ  
أَوْ كَانَ تَحْرِيماً فِي بَافِخِ الْبَسَمِ . عَنكَ حَيِّي مَا جَزَعْنَا مِنَ السِّمِ  
وَلَوْ أَطَارَ السَّرْبُ طَعْنٌ مَّا كَالْضَرَمِ . فِي يَوْمِ مَهْجَاذِي طَلَالِ وَقَسَمِ

وفي أرجوزة أخرى نجد اختلافاً في تناول هذا الموضوع <sup>(٣)</sup> ، إلا أنه  
يحافظ فيها على أسلوب المزج بين المدح والافتاع والوعيد ، ولا يختلف  
عن هذه الأرجوزة إلا في اكثاره نسباً من عدد آيات المدح التي خص بها

مروان بن الحكم . وبذلك كان هذا الغرض سبيلاً إلى المدح السياسي الذي  
تخوف لصهر بني أمية ، وهذا ما كان يدعو غالباً إلى شيء من المصانعة في  
مدائح الشعراء ، وهذه الظاهرة قد وجدت لنفسها أكثر من موضع في مديح  
العجاج ، وكانت عن الدوافع البارزة إلى قوله بعض أراجيز المديح .

فالعجاج كان دائماً المدح لولادة البصرة والبلعة ، لما في ذلك من رعاية  
لمصالحه ومصالح قومه معاً ، فلما غلب ابن الزبير على العراق ، وغدا مصعب  
والياً لأخيه على البصرة ، كان لا بد أن يتقرب العجاج إليه ، ويحمده حين  
أوقع بالختار الثقيفي ، ويجعل سيره في جيشه قدراً من الله تعالى <sup>(٤)</sup> :

لَقَدْ رَأَيْتُمْ مُصْعَباً مُسْتَعْتَباً . حِينَ رَمَى الْأَحْزَابَ وَالْمُحْزَبِ  
بِحَاجِجِي سَبْعِينَ أَلْفًا مُعَرِّبَا . مَوَجَّاتٍ قَدْ مَدَّ مَوْسَهُ مَكُونِ كَبَا  
فِي مَوْجِحِينَ يَذَرُّ الْمُهَيَّبَا . سَارَ عَلَى أَعْوَابِهِ مُسْتَنْبِهَا  
يَقْدَرُ يَتَلَوُّ كِتَاباً مُوَجَّبا

فلما قُتِل مصعب وآل الأمر إلى عبد الملك بن مروان لم يبق في ذهن  
العجاج من رمى الأحزاب والمحزوب ، ولا من كان يسير إلى السبي  
بقدر من الله تعالى ، ذلك لأن هذا ما كان همه في شيء ، فمصعب قد قُتِل  
وأنطأ سراحه ، وغدا سلطان العراق لغیره ، ولا بد من التقرب إلى صاحب  
هذا السلطان الجديد ، ولذا فقد عرض بآل العولم ، ومدح آل مروان ،  
فقال بعد مقتل مصعب <sup>(٥)</sup> :

زَلَّ بَنُو الْعَوْلَمِ عَنْ آلِ الْحَكَمِ . وَسَيِّئُوا الْمُلْكَ لِمُلْكِ ذِي قَدَمِ  
تَضَعُ الْإِيَادِينَ شَدِيدَ الْمَدْعَمِ

(١) الأرجوزة ٢٣/٢٩ - ٣١ .

(٢) الأرجوزة ٢٣/٣٩ - ٤٨ .

(٣) انظر الأرجوزة (٢) من الديوان .

(٤) الأرجوزة ١/٩ - ٣ .

(٥) الأرجوزة ١/٧ - ٢ ، ٧ - ١١ .

(١) الأرجوزة ٢٣/٢٩ - ٣١ .

(٢) الأرجوزة ٢٣/٣٩ - ٤٨ .

(٣) انظر الأرجوزة (٢) من الديوان .

وما هذا إلا مصانعة من شاعر العصر الأموي ، الذي ما كان غالباً ليهم بآل العوام أو آل الحكم ، وإنما كان يُعنى بالتقرب إلى السلاطن رعاية لمصالح ومصالح قومه ، دون نظر إلى أصحاب هذا السلطان ، ولم يكن ليخرج عن هذه الظاهرة إلا شعراء الحوارج .

وتبرز هذه المصانعة عند العجاج في موضع آخر حين مدح والي اليمامة ابراهيم بن عريفي ، فالوالي دُعي إلى الخليفة على ما يبدو من بعض أبيات الأرجوزة<sup>(١)</sup> ، وكان الخليفة يرى فيه تقصيراً في جباية الأموال ، وكان من المحتمل في نظر الناس أن يُحوّل عن منصبه ، فيُعزّل ويُغرّم بعض المال ، ولهذا لم يهتم العجاج على ما يبدو حين دعي الوالي من اليمامة ، ولكن الوالي لم يُعزّل ولم يُغرّم بعد رحلته هذه ، وإنما عاد إلى ولايته على اليمامة ، وهنا انقلب الأمر بالعجاج ، وراح يمدحه في أرجوزة مطولة ، معتدراً عما أسلفه من تهاون في أمر واليه ، متعللاً بأسباب واهية القوي ، مدعياً أنه كان في شغل شاغل<sup>(٢)</sup> :

أما وَرَبَّ الْيَمِينِ لو لم أَشْغَلْ شُغْلًا يَحْتَرِ غَيْرَ مَا تَكْتَلْ  
ما كنتُ من تلكَ الرجالِ الضَّالِّ ذِي رَأْيِهِمُ والعَاجِزِ الْمُحْتَلْ  
عن هَمِّهِمْ أَتْرَاهِمْ يَوْمَ التَّرَحُّلِ وتَجْعَلُ نَفْسِي مَعَهُ ومَقُولِي  
مِنْ أَجْلِ أَنْ وَدَّهَ لَمْ يَنْسَلْ مِنِّي وَلَا بَلَاؤُهُ إِذْ نَبْتَلِي  
مَنْهُ أَهْأَصِيبُ رِيحِ مَسْبِلِ قَلْبُكَ أَنْشَاءُ كَمَا يَنْسَى السَّيْلِي  
على التناهي والزمانِ الأَصْعَلْ

وما نظن هذا صحيحاً ، وما كان ليفطن بأهـأصيب ريعه ، لو أنه

(١) الأرجوزة ٢٠/١٧ - ٢٣ .

(٢) الأرجوزة ١/١٧ - ١١ .

عُزّل وأنتهى به الأمر ، ولكنه فطن به وبودّه حين عاد من جديد إلى سلطانه ، وما هذه إلا مصانعة لا تقتصر على العجاج ، وإنما كانت سمة بارزة لدى شعراء الحزب الأموي ، وبعض شعراء الشيعة ، ولم ينج منها إلا شعراء الحوارج ، لتفاهم في عقائدهم ، والتفاهم عن الدنيا بكل ما فيها من جاه أو عرض لا يدوم .

وقد تناول العجاج في مديحه بعض المعاني التقليدية ، التي عُرفت في عصر ما قبل الإسلام ، ثم استمرت في مذائع شعراء العصر الاسلامي والأموي ، ومدح كذلك بعمان دينية وسياسية بما جدّ في العصر الاسلامي ، ودعت إليه أحوال السياسة في العصر الأموي ، وبذلك جمع في مديحه بين القديم والجديد من المعاني .

والمعاني التقليدية تظهر مثلاً في مديحه ليُزيد بن معاوية ، فهو بارع الخدين ليس بقصير دمم ، ولا بضعيف أو قبيح ، وإنما هو ماجد أشبه ما يكون بالجواد السابق أمام الحيل ، وهو كريم يبذل العطاء لمن ليست له وسيلة إليه ، ولن له وسيلة<sup>(٣)</sup> :

والقولُ إِنَّ يُضْطَكَّ حَبْلُ الحَبْلِ مِنْ الحُتُوفِ والنَّايَا الحَبْلُ  
تَرَجِعُ بِحِظِّ الشُّتَيْدِ المَجْدَلِ وَبِجَبَاهِ المَوْجَةِ المَوْجِلِ  
مِنْ بَارِعِ الخَدَيْنِ غَيْرِ حَبْلٍ لَيْسَ بِزُمَيْلٍ وَلَا كَوَائِلِ  
أَشْمُ ذِي أَكْرَوْمَةٍ مُتَرَبِّلِ نِجَارِ نُورِ السَّابِقِ المَهْمِلِ  
بَدَلِ سَبَبٍ مِنْ تَدَيِّ مَبْدَلِ لَوْسَلِ القُرْبَى وَغَيْرِ الوُسَلِ

وهذه كلها من المعاني التقليدية التي درج عليها الشعراء منذ عصر ما قبل الإسلام ، ومثلها أيضاً تلك المعاني التي مدح بها الوليد بن عبد الملك ، فهو

(١) الأرجوزة ٥٨/١٢ - ٦٧ .

كوكب الفرعين إذ كان أبوه مروان بن الحكم ، وكانت أمه ولادة العباسية<sup>(١)</sup> ، فهو ضياء بين قمر وشمس ، وأبوه لم يُعَبَّ بنص ، وأمّه حصان ليس بها أولاً من رتبة أو أذى ، وقومه فوق الناس في جدم وكرهم ، فهم يعطون إن كان عطاه ، ويحملون ديات من أصاب جراحاً ، حتى ألبم الجذب والضيّق<sup>(٢)</sup> .

بين ابن مروان قريبع الإنسان وابنة عباس قريبع عيس  
ضياء بين قمر وشمس أزهر لم يولد يسمي الشمس  
بين نجيب لم يُعَبَّ يوكس وحاصن من حاصات ملّس  
من الأذى ومن قواف الوشم من قنس مجيد فوق كل قنس  
في الباع إن باعوا ، و يوم الحيس يكفون أثقال ثنای المستامي

وم إلى ذلك لاتال الدواهي الشديدة منهم ، إذ يفصلون في أمرها ، ويصلحون من فسادها ، ذلك لأنهم ينفرون من الفساد ، ويفارقون من يضر الحيانة ، وهم إلى هذا أسود في الحرب ، لا تذل ولا تحقر ، وإن تعاقبت عليهم بلايا الدهر لم يجزعو<sup>(٣)</sup> :

ويفصلون البس بعد اللبس من الأمور الرئيس بعد الرئيس  
ويتلون من مأي في الدخس بالأس يرفى فوق كل مأس  
ليوث هيبال ترم بابس ضراغم تنفي بأخذ همس  
عن باقة البطحاء كل جرس فالأسد بين مغلصم وخرس  
وما أراهم تجزعا بحس عطف البلاء المس بعد المس  
وعر كل الباس بعد الباس

(١) قال البكري : « كانت أم الوليد وسليمان ولادة العباسية » ، سمط الكلابي ٦٤٨ .

(٢) الأرجوزة ٤٣/٤٠ - ٤٩ .

(٣) الأرجوزة ٤٣/٥٠ - ٦٠ .

- ٢٥٨ -

ثم يضي العجاج بعد ذلك إلى توسيع معنى القوة والمنعة والغلبة لديهم في أبيات متعددة وهي مع ما تقدم لا تخرج عن المعاني التقليدية في المديح ، فالشعراء جميعاً قد تناولوا في مدائحهم معاني الكرم والجدة والعفة والحن والقوة والغلبة وما أشبه ذلك ، وتفاوتوا في التعبير عنها تبعاً لاساليبهم في التعبير والتصوير وما يتصل بذلك ، وهذه المعاني التي أوردنا أمثلة لها من رجز العجاج ، يمكن أن نجدها لدى شعراء عصره ، وكذلك لدى شعراء العصر الجاهلي ، وربما وجدنا عند النابغة صورة للنعان وهو شمس والمولك كواكب ، أروع من صورة الوليد وهو ضياء بين قمر وشمس عند العجاج .

ولكن العجاج ربما افتنّ في بعض هذه المعاني التقليدية في المديح ، إذ يبعث فيها روحاً من الجدة ، بما يضيفه عليها من صور متسارعة ، وأنغام متلاحقة ، وجرس إيقاعي مثير ، واختيار للألفاظ موفق ، فقد مدح الشعراء بالعفة والمنعة والقدرة على طلب الثار ، ومدحوا بالكرم والقوة والشجاعة في القتال ، وكذلك مدح العجاج بهذه المعاني في عدد من أراجيزه ، ولكنه افتنّ دون سائر الشعراء في التعبير عن هذه المعاني التقليدية حين مدح عمر بن عبيد الله بن معمر بقوله<sup>(١)</sup> :

حول ابن غرّاء حصان إن وترّ فات وإن طالب بالوغم افتدّر  
إذا الكيرام ابتدروا الباع ابتدّر دانت جناحيه من الطور قر  
تتخصّي البازي إذا البازي كسر

وكان الوليد بن عبد الملك يعجب بهذه الأبيات ، ويقدمها على الأبيات التي مدحه العجاج بها ، حتى قال : « ما صنعت شيئاً أفروغت مدحك في عمر بن عبيد الله بن معمر ، إذ قلت : ( حول ابن غرّاء .. ) ، وتقول

(١) الأرجوزة ٧١/١ - ٧٥ .

- ٢٥٩ -

في : ( بين ابن مروان قريش الإنس .. ) . فقال بأمر المؤمنين ، إن لكل شاعر غريباً ، وإن غريبني ذهب في ابن معمر (١) .

ولم هذه المعاني التقليدية كان لابد لروح العصر أن تؤثر في مديح العجاج ، فظهر فيه تلك المعاني التي جذت بعد ظهور الاسلام ، واتسعت وتنوعت في العصر الأموي ، بتأثير الصراع الديني والسياسي بين الأحزاب ، فقد رأيناه يمدح يزيد بن معاوية بمعان تقليدية ، إلا أنه لم يلبث أن مدحه بمعان إسلامية جديدة ، فهو يقوم الليل بالصلاة حين بنام الناس ، ويطلب من ثلاثة آيات القرآن وسوره ، ويقضي بين الناس بالعدل ، ويردهم إلى الحق ودماً (٢) :

خَيْرَ الشُّبَابِ وَابْنَ خَيْرِ الْكُهْلِ      اقْرَءْ عِنْدَ غَفْوَلِ الْغَفْلِ  
إِنَّهُ بِالْمُتَيْنِ وَالْمُقَصِّلِ      وَبِالْمُتَانِي مِنْ كِتَابِ مُنْزَلِ  
وَفِي الْحَقِّ ذَوْ قَضَاءٍ فَيُصَلِّ      يَلْهَوْ أَصْدَاغَ الْخُصُوفِ الْعَيْلِ  
بِالْعَدْلِ حَتَّى يَنْتَحُوا لِلْأَعْدَلِ      يَقُولُ مَوْضِيَّ أَمِينِ الْعَيْلِ

ولا يقف مدح العجاج لبني أمية عند هذه المعاني الدينية المجردة ، وإنما يمدحهم أيضاً بمعان سياسية تعتمد على أسس دينية ، كانت الأموية يمثلها تحاول أن ترد على دعوة الأحزاب المناوئة من شيعة أو خوارج ، ولهذا كان دائماً يجعل الأمويين حياء للدين والاسلام في كل ما ينهض من ثورات المناوئة لهم ، فالخليفة يزيد لم يرزل عن الدين الخفيف ، بل قاتل عنه ، وكان سيف الله في أعناق العادين على دين الله ، أو قل على حكم بني أمية (٣) :

(١) الموشج ٢١٥ - ٢١٦ .  
(٢) الأرجوزة ١٢٤/١٢ - ١٢٤/١٣ .  
(٣) الأرجوزة ١٣٤/١٢ - ١٤٢ .

فقد رأى الراؤون غيرَ البطل      أنك يا يزيد يا ابنَ الأفحل  
إذ نزلَ الأقوامَ لم تزلْ      عن دينِ موسى والرسولِ المرسل  
إذ طارَ بالناسِ قلوبُ الضلِّ      قتلاً وإضراراً يمينَ لم يقتل  
وكنْتَ سيفَ الله لم يقتل      يفرغُ أحياناً وحيناً يختلي  
سوالفَ العادينَ هذا الغنصل

وعبد الملك بن مروان إمام بركة وفاء ، ذلك لأنه قد استمد ملكه من الله تعالى ، فكان خليفة عدل ، لا يظلم الناس ، ولا يتكثر بأموالهم ، وما أعطاه الله ذلك إلا لأنه عماد للدين وابن عماد له (١) :

حَتَّى احْتَضَرَ تَابَعْدَ سَيَرِ حَدْسِ      إِمَامَ رَعْسٍ فِي نِصَابِ رَعْسِ  
مَلَكَةً اللَّهُ بِغَيْرِ نَحْسِ      خَلِيفَةً سَاسَ بِغَيْرِ فَحْسِ  
خَبَأَ وَلَا تَكْثُرُ بِالنَّحْسِ      رَأْسُ قِرَامِ الدِّينِ وَأَبْنِ وَأَسِ

وهذا المعنى كان من أبرز ما ينادي به الحزب الأموي ، فهم يزعمون أن سلطانهم من الله تعالى ، وما على الناس إلا إطاعة أولي الأمر منهم ، ولذا ما كان لهذا المعنى أن يفارق ألسنة الشعراء من الحزب الأموي ، وقد أكثر العجاج من ترديده في مدائحه للخلفاء والولاة والقادة معاً ، وكان يربطه شأن غيره من شعراء هذا الحزب ، بمعان أخرى كانت تنادي بها الأموية ، وتشجع عليها ، أمثال الاقرار بالقضاء والقدر ، وذلك لأن الأموية كانت ترى أنها تحكم الناس بقدر من الله تعالى ، ولا مرد لما قدره الله على الناس ، ولهذا رأى العجاج أن الله هو الذي قدر أن تكون أفضل دار هي دار الحجاج بواسطة ، والله تعالى هو الذي نصر الحجاج واختار أنصاره له (٢) :

(١) الأرجوزة ٢٥/٤٣ - ٢٩ ، ٣٢ .  
(٢) الأرجوزة ٦٤/٢٤ - ٦٧ .

بَلْ قَدَرُ الْمُقَدَّرِ الْأَقْدَارِ : بِوَاسِطَةِ أَفْضَلِ دَارِ دَارِ  
أَصْبَحَ نُورًا لِلْهَيْدَى أَتَارًا : وَاللَّهُ تَعَالَى بِتَضَرُّعِ الْأَنْصَارِ  
وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَسُدُّ خُطَا الْجُلُجِجِ وَالِي الْأُمُومِينَ عَلَى الْعِرَاقِ ، وَالْجُلُجِجِ  
فِي حَرْبِهِ مَعَ ابْنِ الْأَسْثَى ، لَا يَفْضِي أَمْرًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَخِيرَ اللَّهَ تَعَالَى  
فِيهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْشِدُهُ إِلَى الصَّوَابِ (١) :

فَمَا قَضَى أَمْرًا وَلَا أَحَادًا : فِي الْحَرْبِ إِلَّا رَبَّهُ اسْتَخَارَا  
وَقَطَعَهُ فِكْرَةُ الْقَدْرِ وَاضِحَةً جَلِيَّةً أَيْضًا فِي مَدِينَةِ ابْنِ مَعْمَرٍ ، فَأَمَرَهُ  
مَقْدَرُ فِي حَرْبِ الْحُرُوزِيَّةِ ، وَقَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ فِي الدُّوْحِ الْخَفُوفِ ، وَالظُّفْرِ الْخَلِيفِ  
ابْنَ مَعْمَرٍ أَيْضًا جَزَى ، ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ قَدَرٌ لَهُ ظُفْرًا بَعِيْنَهُ ، فَإِذَا شَهِدَ  
يُطَهِّرُهُ اللَّهُ بِهَا مِنَ الذُّنُوبِ ، وَإِذَا وَقَعَتْ تَجَاوَزَ عَنِ الدِّينِ مَا لَحِقَ بِهِ الْحَوَارِجُ مِنْ  
قَدَرٍ ، وَإِذَا شَرَفَ يَسْمُ نُورًا لِابْنِ مَعْمَرٍ قَامَ الْقَمَرُ فِي لَيْلَةِ الْبَدْرِ (٢) :

فَاعْلَمْ بَأَنَّ ذَا الْجَلَالِ قَدَرٌ : فِي الصُّحُفِ الْأَوَّلَى الَّتِي كَانَتْ سَطَرُ  
أَمْرِكَ هَذَا فَاتَّحِفِظْ فِيهِ النَّسْرُ : وَفَتْرَةُ الْأَمْرِ وَمُؤَدِّهِ مَنْ فَتَّرَ  
فَأَبْنَا جَرِيَتْ أَعْطَيْتِ الظُّفْرُ : تَهَادَةً فِيهَا تَطْهَرُ مِنْ طَهَرُ  
أَوْ وَقَعَتْ تَجَاوَزَ عَنِ الدِّينِ الْقَدَرُ : أَوْ شَرَفًا يَسْمُ نُورًا قَدَرُ زَهَرُ  
كَأَنَّهُ لَيْلَةُ الْبَدْرِ الْقَمَرُ :

وفكرة القدر هذه وردت عند العجاج في مواضع أخرى غير المديح ،  
ما يَسْمُ بِالْقَوْلِ : إِنَّهُ كَانَ « جَبْرًا » ، يرى رأي الأمويين في « القدر » ،  
ولم يكن يمدحهم بما يريدون من آراء دون أن يكون معتنقاً هذه الآراء ، فإذا  
حدثت فتنة البصرة بعد هرب واليها عبد الله بن زياد عقب وفاة يزيد بن

معاوية ، لم يجد العجاج في ذلك إلا « قدراً » قدراً على الناس فالتبسهم  
جميعاً (٣) :

بَلْ لَوْ شِئْتُمْ النَّاسَ إِذْ تَكُمُّوْا : لَيَقْدَرُ حُصْمٌ لَهُمْ وَلَعُمُّوْا  
وَلِذَا أَوْقَعَ قَوْمُهُ بَحْمِيٍّ مِنْ بَيْعِلَةٍ يَدْعَى عَقِيدَةً ، لَمْ يَجِدْ فِي ذَلِكَ  
أَيْضًا إِلَّا « قَدْرًا » مكتوباً قَدَرٌ عَلَى ذَلِكَ الْحَيِّ مِنْ بَيْعِلَةٍ (٤) :

لَقَدْ نَحَاكُمْ جَدًّا وَالتَّاحِي : لَيَقْدَرُ كُلُّ وَجَاهٍ الْوَاحِي  
بِشَرِّمَدَّاهِ « جَهْرَةً » الْفَضَّاحِ :

ونلاحظ في هذين الموضعين أنه جاء بفكرة القدر في أوائل الأرجوزتين ،  
ما يدل على اهتمامه بهذه الفكرة ، ومدى مائل نفسه من تعلق بها . ولكنها قد  
ترد أيضاً في أضعاف أرجوزته ، فإذا خافت عليه « سلمي » أن يلقي بنفسه  
إلى الممالك ، ردَّ عليها بقوله : إِنَّهُ يَجِدُ وَيُضِي مُتَغَاوِلًا عَنْ الْأَخْطَارِ ، لِأَنَّهُ  
مُؤْمِنٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ ، وَلَا حَارِسَ مِنْ قَضَائِهِ ، وَمِمَّا تَشَدَّدُ الْإِنْسَانُ تَحَدُّرًا ،  
فَالدَّهْرُ غَلَابٌ لِكُلِّ مُتَشَدِّدٍ أَوْ مُخَاذَرٍ (٥) :

وَالْيَدُ مَضَاهُ عَلَى التَّعَامُسِ : مَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ لِي مِنْ حَارِسٍ  
وَالدَّهْرُ غَلَابٌ يَدُ الْمُعَامِسِ :

فالعجاج إذن قد آمن بذهب الجبورية في نظره إلى القدر على الأقل ،  
ولعله لم يتعد مع القائلين به ، في الاتساع من الجدل ، والتفريع لمشكلاته ،  
وما اتصل بهذه المشكلات من أفكار أخرى .

والذي ههنا إن مدحه الأموية كان لا يقتصر على المعاني التقليدية ، وإنما

(١) الأرجوزة ١/٣٥ - ٢ .  
(٢) الأرجوزة ١/٣٧ - ٣ .  
(٣) الأرجوزة ٧/٣٨ - ٩ .

(١) الأرجوزة ٨٣/٢٤ - ٨٤ .  
(٢) الأرجوزة ١٣٥/١ - ١٤٣ .

جاء في مدحه بعان أخرى كانت وليدة العصر الاسلامي والأموي . وبذلك كان المديح عند العجاج ذا أهداف متنوعة ، منها ما نجه به إلى التكسب ، ومنها ما قصد به الشعر السياسي بأشواعه المختلفة ، وأغراضه المتباينة ، وكان فيها جميعاً يمثل أكثر جوانب المديح في عصره ، ولكنه أضفى على بعضها شيئاً من ذاته وأخلاقه ولا سيما في مسألة التكسب .

### الفخر والهجاء

كان الفخر عند العجاج من أبرز الموضوعات الرئيسية في رجزه ، ولم يكن موضوعاً جانبياً يمكن أن يرد في أضعاف قصائد المديح أو الهجاء . فحسب ، كالذي كان عليه الأمر لدى أكثر شعراء الجاهلية ، أو شعراء النقااض بوجه عام ، وإنما أصبح عند العجاج يتفرّد بأراجيز ومقطّعات خاصة به ، لا ينازعه فيها موضوع سواه<sup>(١)</sup> ، وبذلك أسهم العجاج في اتساع ظهور المقطعة لهذا العصر ، ومال بالقصيدة إلى التخصص بموضوع واحد ، فكانت الأراجيز التي اختصّت بموضوع الفخر لديه ، تقابل القصائد التي اختصّت بموضوع الغزل لدى شعراء الحجاز ونجد ، وهذا التخصص ضمن إطار القصيدة الواحدة ، كان من سمات التجديد لعصر العجاج ، وهذه السمات تبدّت لديه في أراجيز الفخر بوجه خاص .

وقد نوع آخر من أراجيز الفخر عند العجاج ، إذ يبدأ فيها بمقدمات تقليدية من غزل وأطلال<sup>(٢)</sup> ، أو غزل ووعظ<sup>(٣)</sup> ، ثم ينتهي إلى الموضوع الرئيسي من الأرجوزة ، وهو الفخر بنفسه ، ذلك لأن الغزل لا يتخلو من الفخر

(١) انظر الأراجيز ١٠ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤١ .

(٢) انظر الأراجيز ١١ ، ١٩ ، ٢٣ .

(٣) انظر الأراجيز ١٤ ، ٢٤ .

بمغازلة الغواني ، وكذلك الحديث عن الليل والطريق والمفاوز المبهولة ، فما كان له أن يتحدث عن شيء منها ، لولا أنه يفخر بقطع الليل المظلم الخالط السواد ، ويمتاز المفازة المهلكة التي لاماه فيها ولا أنيس ، ومن ثم يفرج إلى وصف مشاهد الصحراء ، بليلها ونهارها ، ورميلها وسرايها ، ونباتها وحيوانها ، وفي ذلك متعة حقيقية لانفع لها على نظير إلا في أشعار ذي الرمة ، فقد تخلص هو الآخر بوصف الصحراء ، وجاء بصور رائعة لما فيها من طبيعة ومشاهد .

ومثل ذلك أيضاً حديثه عن مكارم أخلاقه ، فهذا لا يتخلو من فخر ضمني بما يتصف به من ورع وتدين وحسن خلق ، وبذلك نجد هذه الأراجيز المطوّلة إنما تخضع لموضوع الفخر بوجه عام ، وإن خرجت في مقدمتها إلى موضوعات فرعية من وصف أو غزل أو وعظ أو ما يتصل بأمثال هذه الموضوعات .

ولعل مراد البصرة كان له أثر في توجيه العجاج إلى مثل هذه الأراجيز ، ذلك لأن العجاج لم يشترك في « لعبة النقااض » ، ولذا كان لا بد له من فن يقف به في المربد ، فيجذب أنظار الجماهير ، ويثال منهم كل إعجاب واستحسان ، فكان يحوّس من الهجاء وتزيق الأغراض ، بفن يتناسب مع طبعه وذوقه ، فكان يبيّن الأرجوزة بناءً تقليدياً ، فيبدأ بالأطلال والغزل والوصف ، ثم يحتم بفخر قومه من بني تميم ، وما يتصلون به من الحزب المضري أحياناً ، ومثال ذلك الأرجوزة (٣٣) ، فقد بدأت بالأطلال والغزل ، واحتل الوصف شطراً كبيراً منها ، ثم انتقل العجاج انتقالاً مقصّياً بعد البيت المائة إلى تهيج حسب ، والفخر بقبيله ، فقال :

دَعْ ذَا وَهَجٍ حَسْبَا مُبْهَجَا فَتَعْمًا وَسَنَنْ مَنَظِقًا مَرْوَجَا



إنا إذا مذكى الحروب إرجيل... الخ

ثم مضى مبهجاً حبه ، مقتخراً بقيته في (٩٧) بيتاً ، وما بذلك إلا لأن الغاية من هذه الأبيجزة المطولة إنما هو الفن وحده ، سواء في وصف الأطلال ، أو التغزل ببلى ، أو الفخر بتلقب القيلة ، فهذا الفن هو الذي كان يشده غالباً في المبدأ ، وهو الذي كانت تطرب له قبائل عجم لا حين يجمع إليه ،

وهذا الجانب الفني جعل أرجوزة الفخر عند العجاج قصيدة ذات طابع خاص ، أضف إلى ذلك ما أفرده من الأراجيز أفراداً مطلقاً لموضوع الفخر ، فكان بذلك من أسهم في اتساع ظهور المقطعة ، واختصاص القصيدة بموضوع واحد في عصر بني أمية .

والفخر في رجز العجاج يمتاز قارة بالطابع الفردي ، وقارة أخرى بالطابع القبلي ، إلا أن الجانب الفردي فيه من الاتساع والوضوح ما يجعل منه عنصراً من عناصر الجدة والتطور أيضاً ، فهذا الجانب قد عرفت له بعض الآثار في أشعار الجاهليين ، إلا أنها كانت جد ضئيلة إذا ما قورنت بالفخر القبلي في أشعارهم ، وأكثر ما كان يبدى ذلك الطابع الفردي في أشعار جماعة ممن كانوا يتألمون لظلم القيلة أيام ، أو عدم اعترافها بحريتهم أو أنسابهم وذلك أمثال طرفة بن العبد ، وعنترة بن شداد .

أما عند العجاج ومعاصريه فالأمر يختلف عما كان لدى أولئك الشعراء فالعجاج ليس بظلم ولا قائم على قبيلته ، وإنما أصبح يشعر بكيانه الذاتي ، إلى جانب الكيان الكلي للقيلة ، ذلك لأن الفرد بدأ يتميز عن القيلة بعد أن كان ذائباً فيها ، ومرد ذلك إلى أن القيلة نفسها لم تعد وحدة مغلقة بسلطانها وأحكامها وتماسكها كالذي كانت عليه قبل الإسلام ، وإنما أصبحت

تضع لأحكام الدولة ، وتشترك مع القبائل الأخرى في الواجبات ، ثم جعلت الحياة الحزبية تفرق أحياناً بين أفراد القيلة الواحدة ، ولا سيما القبائل التي انحاز بعض أفرادها إلى الحوارج أو الشيعة ، إذ أصبح طبعياً أن يجسد أفراداً من القيلة الواحدة يلتقون على السيف ، بعضهم في صفوف الدولة ، وبعضهم في صفوف الأضراب المناوئة ، وخاصة في العراق وبوادي نجد حيث كانت تعصف أقوى رياح الثورة الحارجية أو الشيعة .

ومن هنا كان لا بد للفردية أن تطير بجلاء في مجتمع العجاج ، ونجد لنفسها بعض الأصداء في رجزه ، أو في أشعار معاصريه ، ولهذا كان العجاج يكثر من الفخر الذاتي بنفسه وشعره وقوافيه ، فهو فاعل دائماً بدأبه وقطعه المفازة المهولة وخاصة في ظلام الليل (٩) :

إِنْ قَاتَلَ قَيْلٌ لَمْ أَكُنْ فِي الْقَيْلِ وَأَقَطَعَ الْأَنْجَلُ بَعْدَ الْأَنْجَلِ  
مِنْ حَيَاةِ اللَّيْلِ لِبَهْدِي تَجَلِي وَمَنْهَلٌ وَرَدَّتْهُ عَنْ مَنْهَلٍ  
فَقَرَّبَ مِنْ هَذَا نَسَمٌ ذَالِمٌ يُؤْخَلُ

والمالك وأصحاب السلطان من الصعب أن يدخل إليهم كل من أراد ذلك ، أما العجاج فذو منزلة لديهم ، ومهما كان واحدهم من الكبرياء والعظمة ، فالعجاج يدخل إليه دون حجاب أو استئذان (١٠) :

فَرُبَّ ذِي مُرَادٍ تَحْجُورُ جَمَّ الْقَوَائِي حَاضِرِ الْمَحْضُورِ  
أَشْوَسَ عَنْ سِفَاةِ السَّقَائِرِ مُرْتُ إِلَهَ فِي أَعْيَالِي السُّورِ  
دُونَ صِيَاحِ الْبَابِ وَالضَّرِيرِ بِيحَاوٍ لَا تَغْلُ وَلَا تَغْمُورِ  
وهو قوي يقهر خصمه وبذلك ، ولولا أنه يخاف عذاب الله ، وفار

(١) الأرجوزة ٩٩/١٢ - ١٠٣ .

(٢) الأرجوزة ٣٢/١٩ - ٣٨ .

جهنم ، لعلم خصومه انه شداخ لرووسهم ، يرضها ويخرج منها الدماغ ، وما ذلك إلا لأنه أتم الأنث بدناخ متناول متفاخر بنفسه ، قد ارتفعت أنسابه إلى أشراف من الناس يتبدخون بالهشم من مجد وكبرياء (١) :

تَكَلَّمْ لَوْلَا أَنْ تَحْشَى الطَّبِخُ بَيْتِي الْجَمِيمِ حِينَ لَا مُسْتَضَرَّحُ  
فِي دُخَانِ النَّارِ وَقَدْ تَسَكَّنُوا لِعَلِيمِ الْجَهَالِ أَنِّي مَفْتَحُ  
لِهَامِيمِ أَرْضِهِ وَأَنْفُخُ أُمَّ الصَّدَى عَنِ الصَّدَى وَأَصْغُ  
أَسْمُ بَدَاخِ نَعْنَتِي بَدْخُ

والعجاج لا يفاخر بقوته أو قطعه للمفاوز أو دخوله على الملوك فحسب ، ولنا يفاخر دائما بالتغلب على الشعراء ، فلو رآه الشعراء ذلوا وتضاغروا ، ولو قال لهم : تكلموا بالفارسية وغيرها ، لتكلموا وهم أذلة صاغرون ، بل إنه ليدوسهم كما تداس البقرة الحفاه (٢) :

وَلَوْ رَأَى الشُّعْرَاءُ دَخُّوا وَلَوْ أَقُولَ بَرِّعُوا لَبَرِّعُوا  
لِعَلَّامِ سَرَجِسٍ وَقَدْ تَدَخَّدُوا وَدُسْتُهُمْ كَأَيْدِاسِ الْفَرَفُخِ  
يُوكَلُّ مَوَاتٍ وَمَوَاتٍ يُشَدُّ

ورب شاعر قد أقسم بأند الأيمان ، ليقطن بابل العجاج وسدة غضبه فكان في ظنه وأمانه أشبه بصبي يوث قلاته ألبم الفطام (٣) :

وَسَائِعِرِ أَلَى بَيْتِهِ الْمُقْسِمِ لِيَعْبُدَنَّ بَابِلِي وَأَحْمِي  
بِالْقَوْلِ وَالظَّنِّ لَهُ الْمَرْجَمِ وَالْأَمَانِي الَّتِي لَمْ تَزْعَمِ  
كَمَا مَتَى مَارَتْ فِي مَقْطَرِ

- (١) الأرجوزة ١/٤١ - ٧ .  
(٢) الأرجوزة ٢٤/٤١ - ٢٨ .  
(٣) الأرجوزة ٢٤/١٤٣ - ١٤٧ .

وما زال الشاعر يتكلم ويتودع حتى التقي بالعجاج ، وإذا به يتحول إلى مُفْتَحٍ لا يقدر على الكلام ، فيصفر منه اللون ، ويأخذ بالهذيان كأنه مصاب بمرض البريسام ، وذلك حين رأى داهية الدواهي دون العجاج ، ولم يستطع شيطانه أن يكف شيئا من زجر العجاج وضربه أو رده بالقوافي التي إن وصحت خصمه أوجبت عليه ذلك (٤) :

فَلَمْ يَزَلْ بِالْقَوْلِ وَالتَّكْبَرِ حَتَّى التَّقْيَاوَهُو مِثْلُ الْمُفْتَحِ  
وَأَصْفَرُّ حَتَّى أَصْبَحَ كَالْمَيْرَسَمِ وَقَدْ رَأَى دُونِي مِنْ تَجْهِمِي  
أُمُّ الرُّبَيْيْرِ وَالرُّبَيْيْرِ الْأَزْهَمِ فَلَمْ يَلِكْ شَيْطَانُهُ تَجْهِمِي  
صَقْعِي وَرَدِّي بِالْقَوَائِي الْجُتَمِ

والقوافي لا تعلق بابها دون العجاج ، ولنا هي طوع أمره ، لا يطلبها حتى تقبل عليه ، كأنها هي سيل غزير (٥) :

إِنِّي إِذَا مَا عَصَبْتُ أَنْتَابُهَا ظَالِمَةً قَدْ سَرَّ فِي سِبَابُهَا  
أَصْدَقُهَا الشَّمَّ وَلَا أَمَاهُهَا حَتَّى تُرَى جَائِحَةٌ كِلَابُهَا  
إِذَا الْقَوَائِي حُمِرَتْ أَثْوَابُهَا وَجَدُّهَا مُفْتَحًا أَبْوَابُهَا  
مُقْبِلَةً يَسْبِيهَا شَعَابُهَا

وفي حديث الغواني والغزل ، ربما فخر العجاج بنطقه وحسن حديثه ، فله منطق لو ترقى به لجأت الجبال ، لجأت إليه تسعي (٦) :

بَنْطَقِي لَوْ أَنْتَنِي أَسْتَبِي حَيَاتِ هَضْبِ جِبْنٍ أَوْ لَوْ آتَنِي  
فِي خَوْعٍ أَسْرَدَ مُسْتَحِينٍ فِيهِ كَتَنَزِيمِ نَوَاحِي الشَّنِّ  
أَوْ تُقْبَلُ الصَّنَجُ أَوْ تُجَبِّنُ الْعَنِّ

- (١) الأرجوزة ٢٤/١٤٨ - ١٥٤ .  
(٢) الأرجوزة ٣٩/١٥ - ٢١ .  
(٣) الأرجوزة ١٦/٢٨ - ٣٢ .

وهكذا فالجانب الفردي من فخر العجاج واضح في أراجيزه ، وهو يرتكز على المفاخرة بقوته ، وأدبه ، وقطعه المفاز ، ودخوله على الملوك ، وما إلى ذلك من المعاني الفردية التي تصل بذاته ونفسه ، ولعل وعي العجاج لما كان يفتن به في تقصيد الرجز ، هو الذي أملى عليه ذلك الفخر برجزه ، ولإفحامه لسائر الشعراء .

إلا أن الجوانب الفردية لا يمكن أن تستقل بفخر العجاج أو غيره من شعراء عصره ، ذلك لأن الفرد في هذا العصر قد تميز عن إطار القبيلة ، ولكنه لم يتحلل من الارتباط الوثيق بها ، لأنها مآزال تنظم شطراً كبيراً من شؤون حياته ، ولها مرد أعجاده وأتسابه ومفاخره ، ولا سباً أن التكوين الاجتماعي والسياسي كان مآزال يقوم على أساس قبلي مطلق كما رأينا في التمهيد لهذه الدراسة .

ومن هنا كان فخر العجاج يتجه إلى الجانب القبلي أيضاً ، وقارة بتفرده به في أراجيز الفخر ، وأحياناً يمزج بينه وبين الجانب الفردي ، وهذا الفخر القبلي يرتكز على المفاخرة بقوة القبيلة وأعجاده وعزتها وكبرتها ومنعتها وما أشبه ذلك من المعاني المعروفة في أشعار الجاهليين والاسلاميين في هذا الموضوع .

فقوم العجاج ينفقون على الفقراء ، ويقسمون الغنائم ، ويصلحون ذات البين ، ويعطون فيجزلون العطاء (١) :

إننا أناسٌ نحمل الأعيالا      ونقسمُ الثغابَ والأنفالا  
نكفي الناسَ وشُعْظِمُ الإجزالا      ونكثيرُ الإنعامَ والإفضالا

(١) الأرجوزة ٣٨/١٤ - ٤١ .

وهم إلى ذلك يقومون ذا العوج إذا ما مال عن السبق ويؤهبونك الأبطال إذا ما أشرعت السيوف أيام الرقائع والحروب (٢) :

نكثيرُ ذا الذرة إذا ما مالا      في كل يوم شخيرُ الأبطال  
إذا السيوفُ انتخِذتْ ظلالا      وانتسجل الموتُ بها انتسجالا  
ولهم من الجد مايشه قسماً ، فإذا صال هذا القوم خافت منه سائر الفحول ، ورأت فيه خلاً قوياً ضحماً مسناً ، وهذا القوم العظيم يقطعون دابر من يشتد عليهم في الخصومة ، ويدلون من مجاول الحيلاد عليهم (٣) :

إن لنا قسماً إذا ما صالا      هده الصوى وأذرق الفجلا  
يلقبين منه قهيباً مجلالا      نقتصيل اللد به اقتصالا  
به ندوك المتوف الختالا

وعزهم قد ثبت في الأرض كالطود ، وعلا كل عزٍ طويل ، وتعالى أن يدانيه عزٌ آخر ، وهو ملازم لهم ما أقامت الجبال في الأرض (٤) :

إن لنا عزاً رسا وطلالا      حالقنا واقتصرع الطوالا  
ما حالقت أرض بها الجبالا

فهو في هذه الأرجوزة لا يتحدث عن نفسه ، وإنما يتحدث عن قومه ومالهم من صفة أيام الحرب أو أيام السلم ، وهذه الصورة الأخيرة ، ولاسيما ذلك « القوم » الذي يخيف سائر الفحول ، قد أكثر العجاج من ذكرها في أراجيزه المختلفة ، وإذا كان في هذه الأرجوزة يتصف بشيء من الاعتدال في نعت قومه ، فهو في بعض الأراجيز الأخرى ، لا يعرف للاعتدال معنى ،

- (١) الأرجوزة ٤٢/١٤ - ٤٥ .  
(٢) الأرجوزة ٤٦/١٤ - ٥٣ .  
(٣) الأرجوزة ٥٤/١٤ - ٥٦ .

ولما بُور في حديثه عن قومه ، حتى لكانه رجل من صميم الجاهلية .

فالطروب إذا هاجت تضرس الناس خرساً ، وتوقد الرعب في القلوب ،  
وتزوع الهاجيات في الصدور ، ولذا تحول الأمر إلى فتنة عارمة ، الفساد  
فيها يستدعي بالفساد ، واختل أمر الناس ، فمن اختلس شيئاً مضى به دون  
عقاب ، ومن كان ذا دين أو عهد أو تعويذة ، لم ينفعه ذلك ، لأن الحرب  
تدور عليهم جميعاً .. إذا حدث هذا كله وجدت العجاج أعزّ الناس طراً ،  
وأكثرهم عدداً ، ورأيت عزه متعالياً غليظاً شديداً ضخماً ، قد يش الحاسد  
أن يعيه ، أو ينال منه <sup>(١)</sup> :

لِنَا إِذَا هَاجَ الْجُرُوبُ ضَرَسَا      شِيَا وَأَقْبَسْنَ الرُّوَاعَ الْفَيَسَا  
أَوَانِيَا مَرَأً وَمَرَأً عُمَسَا      وَهَاجِيَاتٍ حِدَتَانِ هُجَسَا  
بِالْمَاسِ نَسْتَجِرِي الْأُمُورَ الْمُؤَسَا      وَأَحْرَزَ الْخَلَّاسُ مَا تَخَلَسَا  
وَلَمْ يَبْنِ حُمْنَةً لِأَحْمَسَا      وَلَا أَخَا عَقْدٍ وَلَا مُتَجَسَا

★ ★ ★

وَجَدْتَنِي أَعَزَّ مَن تَفَسَا      عِنْدَ الْكَظَاطِ حَسْبَا وَمِقَسَا  
وَعَدَدًا بَغْيًا وَعِزًّا أَفْعَسَا      غَضَبًا عَقَرَنِي جَنْدَبًا عَجَسَا  
قَدْ نَكَمَ الشَّائِيَةَ حَتَّى اسْتَيْسَسَا      مَن نَحْتِهِ وَذَاذَ مَن تَجَسَسَا  
والرجل من قومه انما هو رجل غليظ ، إن أراد خُلُقًا عسرا أقوّه  
الناس عليه وإن تكبر وتَعَظَّم ، وإذا ما أراد أمورا مُحَسَّنة مادية عن  
قصدنا مظلمة ، أتى بها غير مبین لها ، وهو يحيط من شأن القساة ، وإن  
ريم خسفا أبى وقسا على من يريده بذلك ، وإذا لاقى صعاباً أخذها بعنف

(١) الأرجوزة ٥٠/١١ - ٦٥٥٧ - ٧٠ .

وشدّة وجفاء <sup>(١)</sup> :

فَبِنَا وَجَدْتَ الرَّجْلَ الْكَرُوسَا      إِذَا أَرَادَ خُلُقًا عَفَنَسَا  
أَقْوَهُ النَّاسِ وَإِنْ تَفَجَسَا      وَإِنْ أَرَادَ عُمَسَةً تَعَمَسَا  
أَعْدَاؤُهُ ذَلُّوا وَمَا تَنَاسَا      يَتَنَزَّمُ الْقَسَا وَإِنْ رِيمَ قَسَا  
غَضَبًا وَإِنْ لَاقَى الصِّعَابَ عَتَسَا

وما زال يتحدث عن قوة هذا الرجل من قومه ، حتى جاء إلى ذكر  
أجاده وكثرة قومه ، ثم مزج بين الغض بنفسه والغض بقومه معاً .

وقد لا يكتفي العجاج بالحديث عن عزه المنيع ، وسرعة قومه إلى  
الحرب ، وبلاتهم في القتال ، ولما يذكر بعض الأيام التي كانت لبني سعد ،  
أو لبني تميم عامّة ، فهم قد ضربوا ملوك كندة يوم الكلاب ، وردّوا من  
لأقام بمنعج ، وبالنبايين ، ويوم التقوا بنجع تلك القبيلة اليمنية <sup>(٢)</sup> :

لَحْنُ ضَرْبِنَا الْمَلِكِ الْمُتَوَجِّسَا      يَوْمَ الْكِلَابِ وَرَدَدْنَا مُنْعِجَا  
وَالنَّبَايِينَ وَيَوْمَ مَذْجِجَا

ثم مضى إلى تصوير هذه القبائل ، فقد جاءت إلى تميم وعالها ملك متوجّج ،  
وسادات خيروا القتال ، فأقبلوا يتدافعون في جيش لب مثل الجراد ، أو  
أكثر منه كثافة وعدداً ، فكان أن رأوا من قوم العجاج أشرافاً كثيراً ،  
وفرساناً أشداء في القتال ، ولوعين بتعطيم الرؤوس ، فعفرّوا أن ليس لهم  
خروج حتى تكون الغلبة عليهم <sup>(٣)</sup> :

إِذْ طَوْفُوا أَمْرَهُمُ الْمُهْمَلَجَا      نَقَائِيًا وَمِقُولًا مُتَوَجِّجَا

(١) الأرجوزة ٧١/١١ - ٧٧ .

(٢) الأرجوزة ١٣٠/٣٣ - ١٢٢ .

(٣) الأرجوزة ١٣٣/٣٣ - ١٣٨ و ١٤١ و ١٤٧ .

إِذَا أَقْبَلُوا يَرْجُونَ مِنْهُمْ مَنْ رَجَا  
مَوْجًا إِذَا لَمْ يَسْتَقِمْ تَمَوْجًا  
رَأْسًا يَتَهَضَّضُ الرُّؤُوسُ مُلْهَبًا  
مِنْ خِرَاطِيمٍ وَرَأْسًا عَلَبًا  
يُرَادُّ مِنْ طُولِ النِّظَارِ فَلُجًا  
فَعَرَفُوا أَلَا يَلْقَاوُا تَحْرَجًا  
أَوْ يَبْتَغُوا إِلَى السَّهْلِ دَرَجًا  
حَتَّى يَبْعَجَ لُحْنًا مِنْ عَجَبَجَا  
فَيُؤَدِّيَ الْمُودِي وَيُسْجُو مَنْ نَجَا

وفي هذه الأراجيز وما إليها لاناظر ذكرًا لبني سعد قومه الأذنين ،  
ولما يتحدث بضائر الجمع فقط : « إنا أناس نحمل الأجزاء » ، و « نحن  
ضربنا الملك المتوج » ، و « إن لنا قوما إذا ما صالا » ، و « إنا إذا  
هاج الطروب ضربا » ، و « فينا وجدت الرجل الكروبا » ، وهذا دأبه  
في سائر أراجيز الفخر ، إنه لا يذكر قبيلته بني سعد ، وإن كان يشير إلى  
أيام خاصة بها ، ولكننا بلذكر هذه الأيام أحيانا ، وبلهجه أحيانا أخرى  
ندرك أنه يريد بني سعد بالذات ، ولكنه في الغالب كان يتعداه إلى الفخر  
بتميم ، أو بقبائل مضر كلها ، وذلك لأنه لم يشترك في صراع مع شاعر  
تميمي آخر ، كالذي كان بين جرير والفرزدق ، مما جعل كلا منهما يلوذ  
أحيانا بأطراف من تميم لا ينتمى كلها ، ولذا ما كان العجاج ليفخر بقومه حتى  
يفخر بالقبيلة الكبرى التي ينتسب إليها بنو سعد ، وهي قبيلة تميم ، ثم يوسع  
من إطار هذا الفخر ليشمل القبائل المضرية كلها ، وذلك بدافع عصبي سياسي  
كان يوحد بين هذه القبائل .

فهو يستدعي قبائل تميم ، وخزاعة ، وقيس عيلان ، فيجمع بذلك بين  
الحزب المضرى كله إن صح التعبير ، وفي الأراجوزة السبئية السابقة أطال  
من الافتخار بقومه ، ثم مال إلى جمع القبائل المضرية من حوله ، وإذا به

يدعو سادات تميم ، والراس من خزمية ، وقيس عيلان ومن ينتسب إليها ،  
وبذلك يجد العزّ لديهم قد ثبت وامتنع فبَحَسَ الناسَ حَقَّهُم ظُلْمًا ، وغلب  
العدو حتى سكت ذلا (١) :

وَلِإِنْ دَعَوْنَا مِنْ تَمِيمٍ أَرُوسًا  
وَالرَّاسَ مِنْ مَخْزِيْمَةِ الْعَرَنْدَسَا  
وَقَيْسَ عَيْلَانَ وَمَنْ تَقَبَّسَا  
تَقَاعَسَ الْعَزَّ بِنَا فَاقْعَنْسَا  
فَبَحَسَ النَّاسَ وَأَعْيَا الْبُحْسَا  
وَدَخَذَخَ الْعَدُوَّ حَتَّى اخْرَمَسَا  
ذَلَا وَأَعْطَسَى مِنْ حِمَاةِ الْمَكْسَا

وما هذا من العجاج إلا تعريض لقبائل ربيعة ، التي سخر منها في  
أراجيزه الأخرى ، وثال منها صراحة لاختفاء فيها ولا غموض ، ومن ذلك  
قوله (٢) :

عَسَى دَيْبِيعٌ وَأَقْضَرِي فَيَمُنْ قَصْرٌ  
وَابْكِي عَلَى مُلْكِكَ إِذَا أَمْسَى انْقَعَرُ  
وَانْقَطَعَتْ مِنْهُ الرِّجَاةُ وَانْبَثَرُ

فالعجاج يفخر دائما بالقبائل المضرية كلها ، ليجعل منها حلفا على أعداء  
قومه ، وقد يمزج بين الفخر بقومه بني تميم ، والفخر بالحزب المضرى ، ثم  
يدخل فيه آثارا أخرى من المعاني المستجدة لهذا العصر ، وهي المعاني الدينية ،  
فيذكر أن إجازة الناس في الحج كانت لهم ، ويريد بذلك الفرع القرشي من  
قبائل مضر (٣) :

حَتَّى إِذَا مَاحَانَ فِطْرُ الصُّومِ  
أَجَازَ مِثْلًا جَائِزٌ لَمْ يَوْقُمْ  
لِقَصْفَةِ النَّاسِ مِنَ الْمُحَرِّتِجِمِ

- (١) الأراجوزة ١١/٩٣ - ٩٩ .
- (٢) الأراجوزة ١/١٥٩ - ١٦١ .
- (٣) الأراجوزة ٢٤/٧٤ - ٧٦ .

وقريش تنتمي إلى قبائل خندف ، ولهذا قد لا يذكر قريشاً باسمها ،  
ولمّا يطلق عليها اسم « خندف » على التعميم ، ثم يقف عندها ، إذ يجد  
فيها فخرأً لا تبلغه غير القبائل الحضرية ، إذ أن قريشاً ، منهم نبيّ الله صلى  
الله عليه وسلم ، وفيهم مستقرّ المصحف المرقم<sup>(١)</sup> :

ثم رأى أهل الدِّيَّسَعِ الأعظمِ خِندِفَ والجَدَّ الضَّمَّ المغضَمِ  
وذُرَّةَ النَّاسِ وأهلَ الحَكَمِ ومُسْتَقَرَّ المَصْحَفِ المَرْقَمِ  
عندَ كريمٍ منهم مُكْرِمٍ مُعَلِّمٍ آتَى الْهُدَى مُعَلِّمٍ  
مُبَارَكٍ لِلْأَنْبِيَاءِ خَاتَمٍ فَخِندِفُ هَامَةٌ هذا الْعَالَمِ  
قَوْمٌ لَهُمْ فَضْلُ السَّنَامِ الْأَسْمِ

ثم يعود بعد ذلك إلى جمع القبائل الحضرية على عادته ، فقد مدّهم  
وأعانهم ذلك العدد الكثير من قِمْ ، والسودد القديم غير الأزدل ، والجماعات  
الكثيرة العزيزة من خزعة ، وإذا مادعوا عنهم قيسَ عيلان لم يكن منه  
إبطاء عن نصرتهم والقتال إلى جانبهم<sup>(٢)</sup> :

وَمَدَّنَا فَوْقَ الْبِقَاعِ الْأَحْشَمِ شَتَعُ تَجِيمٍ بِالْحَصَى الْمُتَمِّمِ  
وَالسُّودْدَ الْعَادِيَّ غَيْرَ الْأَفْزَمِ وَالرَّاسَ مِنْ خَزِيمَةِ الْعَرَمِزَمِ  
وَلِنْ دَعَوْنَا عَمَّنَا لَمْ تَسَامِ قَيْسَ بَنَ عَيْلَانَ وَلَمْ يُكْهَمِ  
فِي يَوْمٍ هَجَبًا نَجْدَةً أَوْ مَغْزَمِ

ومن ثم يجد الطريق واسعاً إلى الفخر العريض بعزّه الوليد ، وإيقاع  
قومه ببعض قبائل وائل بن ربيعة .

(١) الأرجوزة ٨١/٢٤ - ٨٩ .

(٢) الأرجوزة ٩١/٢٤ - ٩٧ .

وبذلك نجد الفخر عند العجاج قد امتاز باللون السياسي ، ودخلته بعض  
المعاني الدينية المستجدة ، وكان فردياً حيناً ، قَبَلِيّاً حيناً آخر ، فجمع بذلك  
بين الجدة والتقليد في شكله ومضمونه معاً .

\* \* \*

وفئة ارتباط عند العجاج بين موضوع الفخر وموضوع الهجاء ، لأنّه  
كثيراً ما يحاول الهجاء ثم ينقل الموضوع إلى الفخر ، ذلك لأنّه إن فخر بنفسه  
أو قبيلته أو بالعضية الحضرية ، فكانت ينتقص من منزلة خصمه فرداً كان  
أم قبيلة أو عصية معادية ، إلاّ أن الهجاء تأثر إلى أبعد حدّ بنفسية العجاج  
وأخلاقه وطبعه ، وقد نقل ابن قتيبة أن سلمان بن عبد الملك قال للعجاج :  
« إنّا كنا لاحتسن الهجاء ! فقال : إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظْلِمَ ،  
وأحساباً تمنعنا من أن نُظْلَمَ ، وهل رأيت نابياً لا يحسن أن يهدم<sup>(١)</sup> » .

فالعجاج يرى أنه لم يضرب عن ذلك تقصيراً منه ، ولما أنفة واقتداراً ،  
وقد شاع قوله بين قدامى الرواة والنقاد ، ومنهم من حاول مناقشته ، وجاء  
بأسباب أخرى لما رأوه من عدم وجود الهجاء في رجزه .

فإن قتيبة (٥٧٦) رَدَّ ذلك إلى اختلاف الطبع عند الشعراء فقال :  
« والشعراء أيضاً في الطبع مختلفون : منهم من يسهل عليه المديح . ويعسر

(١) الشعر والشعراء ٥٧٣ . ونقل الثبراني هذا الخبر بصيغة مختلفة ،  
وجعل عبد الملك بن مروان هو الذي سأل العجاج عن ذلك ، انظر زهر الآداب  
للثبراني ٥٣/٣ . وتنقل كلام العجاج بنصه في عيون الأخبار لابن قتيبة  
١٨٥/٢ ، واختلفت عبارته اختلافاً يسيراً في تاريخ ابن عسكراً ٣٩٥/٧ ،  
وشرح شواهد المغني ١٨ ، والتمثيل والمحاضرة للشعالبي ١٨٦ ، وسرد أيضاً  
في مصادر أخرى ناقشت قول العجاج .

عليه الهجاء ، ومنهم من يتيسر له المراتي ويتعذر عليه الغزل .  
وقيل للعجاج : إنك لاتحسن الهجاء ! فقال : إن لنا أحلاماً تمنعنا من  
أن نَنظِّمَ ، وأحساباً تمنعنا من أن نَظْلَمَ ، وهل رأيت بانيأً لايحسن أن  
يهدم ؟ ! .

وليس كما ذكر العجاج ، ولا المثل الذي ضربه للهجاء والمدبح بشكل ،  
لأن المدبح بناء ، والهجاء بناء ، وليس كل بان يضرب بانيأً بغيزه ، ونحن  
نجد هذا بعينه في أشعارهم كثيراً ، فهذا ذو الرمة ، أحسن الناس تشبيهاً ،  
وأجودهم تشبيهاً ، وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء وقمرآد وحية ، فاذا  
صار إلى المدبح والهجاء خانه الطبع ، وذلك أختره عن الفحول ، فقالوا :  
في شعره أبعاد غزلان وثقطن عروس . وكان الفرزدق زير نساء وصاحب  
غزل ، وكان مع ذلك لايحيد التشيب . وكان جرير عفيفاً عزّاهة<sup>(١)</sup> عن  
النساء ، وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيهاً . وكان الفرزدق يقول : ما  
أحوجهم مع عفّته إلى صلابة شعري ، وما أحوجني إلى رقة شعره لما  
تورث<sup>(٢)</sup> .

وعرض الجاحظ ( ٢٥٥ هـ ) لقول العجاج ، ثم قال : « وهذه الطبع  
التي ذكروها عن نصّب والكميت والعجاج ورؤبة ، إنما ذكروها على وجه  
الاحتجاج لهم ، وهذا منهم جهل إن كانت هذه الأخبار صادقة ، وقد يكون  
الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام ، وتكون له طبيعة  
في التجارة ، وليس له طبيعة في الفلاحة ، وتكون له طبيعة في الحداية

(١) الرّجلُ العزّاهة : العازب عن اللهو والنساء .  
(٢) الشعر والشعراء ٤٠ - ٤١ .

والتعبير<sup>(١)</sup> ، أو القراءة أو الألقان ، وليس له طبيعة في الغناء ..<sup>(٢)</sup> .  
فالجاحظ يرى أيضاً أن المسألة ترد إلى طبع العجاج نفسه ، ذلك لأن  
لكل إنسان طبعاً في الأدب وفي سائر الصناعات . إلا أن فقه رايأً ثالثاً  
يكاد يكون أكثر اعتدالاً ، هو رأي ابن رشيق القيرواني ، إذ قال :  
« ومنهم من لا يهجو كسفاً ولا غيرة لما في الهجو من سوء الأثر وقبح السمعة  
كلاني يحكى عن العجاج أنه قيل له : لم لا يهجو ، فقال : ولم أهجو ، إن  
لنا أحساباً تمنعنا من أن نَظْمَ ، وأحلاماً تمنعنا من أن نَظْلَمَ ، وهل رأيت  
بانيأً لايحسن أن يهدم ! ثم قال : أتعلّمون أني أحسن أن أمدح ؟ فقالوا نعم .  
قال : أفلا أحسن أن أجعل مكان أصلحك الله قبحك الله ، ومكان حيّك  
الله أخزأك الله ؟ »<sup>(٣)</sup> .

ولا شك أن في كلام ابن رشيق تردداً على كلام العجاج أشبه مايكون  
بالشرح أو التفسير له ، والمهم أن ابن رشيق قد أشار بعد ذلك إلى ردّ ابن  
قتيبة والجاحظ على ذلك ثم قال : « ومعنى قول الجاحظ وابن قتيبة واحد  
وإن اختلف اللفظان والصواب ما قال ، إلا أن يُعرّف من الشاعر أنّف عن  
قدرة لاندفع ، ويُعدّ تجربة لا تستراب ، فحينئذ<sup>(٤)</sup> » .

فإن رشيق لا يكاد يقرّ للجاحظ وابن قتيبة بما قال ، حتى يعود إلى

(١) نقل ابن منظور عن الأزهري قوله : « وقد سئموا ما يطربون فيه من  
الشعر في ذكر الله تغييراً ، كأنهم إذا تناشده بالألحان طربوا فرتقوا  
وأرهجوا فسوموا متغيّرة لهذا المعنى » . انظر اللسان ( غير ) .

(٢) البيان والتبيين ٢٠٧/١ - ٢٠٨ . وتحدث الباقلاني عن طباع  
الشعر أيضاً دون أن يشير إلى العجاج ، انظر اعجاز القرآن ٢٠ - ٢١ .

(٣) العمدة ٧١/١ .  
(٤) العمدة ٧١/١ .

دقة الرأي ، فيرى أن الشاعر إن عرفت منه الأنفة والاعتدال ، فلا يبعد أن يكون قد تخلل عن الهجاء لما فيه من فحش أو إساءة أو قبح سمعة .  
وتحديد السبب لعدم اتساع الهجاء في موضوع الهجاء صعب جداً ، إذ ربما كان ذلك لطبع منه يباعد عن الهجاء ، وربما كان ذلك أنفة منه تتجاوز به عما عُرِف من افحاش لشعراء عصره ، وسواء كان ذلك لطبع أو لعفة ، فلا بد من وجود أسباب أخرى تخفف وراء « الطبع » أو « العفة » ، ذلك لأننا سوف نرى بعد قليل أن الهجاء لم يضرب عن الهجاء اضرباً كاملاً ، وإنما جاء بأنواع منه لاقتل إرثاً من الهجاء الذي عرفناه لدى شعراء النفاض مثلاً .

والذي يجعلنا نزداد يقيناً بوجود بعض الأسباب والدوافع الخفية لذلك ، هو أن الهجاء لم يكن بعيداً عن مراد البصرة ، وإنما كان ينشد في بعض الأراجيز ، وربما تنابى مع غيره من الرجاز أمثال أبي النجم العجلي ، وفي الأغاني أن الهجاء « وقف بالمرء والناس مجتمعون ، فأنشدهم قوله :  
قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَٰهَ فَجَبَرَ

فذكر فيها ربيعة وهجاء . فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم ، وهو في بيته ، فقال له : أنت جالس ، وهذا الهجاء يهجوننا بالمرء قد اجتمع عليه الناس ! .. فانطلق حتى أتى المرء .. وأنشد :

تَذَكَّرَ الْقَلْبُ وَجَهْلًا مَا ذَكَرَ

.. حتى إذا بلغ إلى قوله :

شَيْطَانُهُ أَسْتَى وَشَيْطَانِي ذَكَرَ

تعلق الناس هذا البيت ، وهرب الهجاء عنه <sup>(١)</sup> .

(١) الأغاني ١٥٢/١ - ١٥٣ ( دار الكتب ) . وانظر الشعر والشعراء ص ٥٨٤ - ٥٨٥ .

ونقل ابن قتيبة في ترجمة أبي غنيم الرجاز أنه : « كان يهاجي العجاج ، فلما تنافوا في شعرهما حضرها الصبيان ، فذهب انسان يطردهم ، فقال العجاج : دعهم فانهم يُغْلَبُونَ وَيُغْلَبُونَ » .

وكان العجاج إلى ذلك يحضر المباحة بين الشعراء والرجاز ، إذ نقل الأصفهاني عن النابغة الجعدي أنه : « هاجى أوس بن مغيرة بحضرة الأخطل ، والعجاج ، وكعب بن جعيل ، فغلبه أوس ، وكان مُغْلَباً » .

فالعجاج كان يحضر بعض مجالس الهجاء في المرء ، وكان يهاجي بعض الرجاز ، ولم يضرب اضرباً كاملاً - كما قلنا - عن الهجاء عاممة ، ولم يكن طبعه بنأى به عن الهجاء جمة ، وإنما كانت هنالك أسباب تدفعه إلى عدم الاخذ بسبل ذلك الهجاء الذي عرف لعصره ، وفيه تَمَرَّقُ الأعراض ، وتُعَفِّدُ المحضات ، ويسوده الكذب والاختلاق ، وهذه الأسباب لا تخرج عن أمرين : الأول هو أخلاق العجاج وما عُرِف به من ورع وتقوى ، والثاني أن الرجز قد نهض للهاجي مع رجز مائله أحياناً ، ولكنه لا يقوى على مصارعة القصيد في هذا الميدان .

أما أخلاق العجاج ، فانه هو نفسه قد أشار إلى أنها تحول بينه وبين شتم الناس ، أو التعرض لأنسان شتمه أو نال منه بهجاء أو تعريض ، فالأرجوزة ( ٢١ ) كان الهجاء هو الغرض الرئيسي منها ، ومع ذلك فالعجاج قد تناول هذا الغرض بأسلوب طريف جداً ، إذ جاء بتقديمه غزلية تحدث فيها عن خيال « نكحتني » وخيال « نكتم » ، ثم لم يلبث أن تذكر

(١) الشعر والشعراء ص ٥٨٣ .

(٢) الأغاني ٨/٥ ( دار الكتب ) ، وانظر تفصيل ذلك في الأغاني ١٣/٥ ( دار الكتب ) .



« لى » وتحدث عن بعض أوصافها ، ثم انتقل الى الحديث عن أخلاقه وما أتم الله عليه من النعم ، فقال (١) :

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ أَنْعَمَنَا عَلَى أَبِي السَّعْنَاءِ نَعْمَى ثُمَّ مَا بَدَّلَنَا إِلَّا بِإِحْسَانٍ كَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ لَا أَشْتَمُ الْمَوْتَ الْكَرِيمَ الْمُسْلِمَ وَلَا أَرَى شَيْئًا الْبَرِيءِ مَغْتَمًا وَلَا ابْنَ عَمِّي أَنْ أَرَاهُ مَفْقَمًا

وما زال يعدد من مكارم أخلاقه ، حتى بلغ غايته من الأرجوزة ، وهي الرد على تعدد أحدهم ، أو قل على هجاء بعضهم إياه (٢) :

وَقَدْ أَتَانِي أَنْ عَبْدًا أَكْثَمًا فِي عَدَدٍ بَعْضٍ وَعَظُمَ أَكْزَمًا يَرْعُدُنِي وَلَوْ رَأَى طَرْسَمًا وَسَدَّ لَحْيَتَيْهِ لِبَاجِمًا مَلْجَمًا تَصْرَعُ الْقَعُودَ لَأَفْتَى الْمَقْرَمًا تَرَى الْجِيَالَ تَحْتَهُ إِذَا سَمًا يَخْفَنُ مِنْهُ تَهْكَةً وَاحْتَمًا إِنَّ شَيْئًا أَنْ تَعْلَمَ أَوْ تَعْلَمًا أَيْ الْحَيَاتِينَ يَكُونُ الْإِبْهَمًا فَوَاعِدَ النَّاسِ أَمَارًا مَعْلَمًا حَيْثُ يَبْذُرُ الْبَابِقُ الْمُرْتَمًا وَيَنْجِي الْكَلْبُوبَ عَجَبًا مَسْلَمًا

وهذه الأبيات لا أثر فيها للشتم أو الهجاء المقدر ، فهو لا يعدو أن يصف خصمه بالعبد تحقيراً له ، وبالأجدع أنفه ، والعدد البيض ، ثم يتعالى عليه ، وإذا به لو رأى العجاج سكت وأطرق كأنما لبجام قد شد فمه ، فهو ضارع له ، متذل إليه ، تضرع القعود (٣) من الإبل ، لفعل

- (١) الأرجوزة ١٧/٢١ - ٢٣ .
- (٢) الأرجوزة ٢٩/٢١ - ٤٢ .
- (٣) وهو الذي يمتنع ويركب .

قوي تخافه سائر الإبل وتخضع له ..

فالعجاج يقف عند هذه المعاني ، ولا يتجاوزها إلى الشتم وقذف المحصنات ، ولم يقدم بالأبيات التي تحدثت عن أخلاقه وإيمانه وخوفه من الله تعالى ، إلا ليقول إني لتلك الأسباب لا أشتم الناس ، ولا أرى مغنياً في التعرض لهم ، فإن كان قد تدعوني ذلك العبد الأكثم ، فحسبه أنني منه بمنزلة الفحل القوي من القعود المذلل .

وبذلك نجد العجاج قد التزم الجانب الخلفي في رده وهجائه ، وكاد يخرج بالهجاء إلى موضوع الغفر بنفسه ، لما في ذلك من انتقاص للخصم ، ووضع له في مكانة دون مكانة العجاج ومنزلة .

وهذا الجانب الأخلاقي نلاحظه بجلاء في هجاء العجاج ، حين يتجرح في عبارته ، ويقدم المعاذير قبل أن يشرع في حديثه عن الإيقاع بإحدى القبائل من وائل بن ربيعة ، فهو يقول قولاً لا إثم فيه ، وقومه وعظماؤا قبل الإيقاع بها ، وذلك اتقاء للائم ، وحذرا من الفحشاء ، ولكن وائلا أبت إلا أن تحرق أنياب الشر ، فكان لابد من حريها والقضاء عليها (٤) :

بَلْ قُلْتُ بَعْضَ الْقَوْلِ غَيْرَ مُؤَثِّرٍ لِيَقْدِرَنَّ خَابِرٌ إِلَى عَمٍ مَسَاكِينِ الْبَيْدِ وَأَرْضِ الدَّيْلِمِ مِنْ عِلْمَانِهِ وَمَنْ لَمْ تَعْلَمْ بِحَضَرِ مَوْتٍ أَوْ بِلَادِ الْأَعْجَمِ يَوْمَ رَدِينَا وَإِلَّا بِالصَّيْلِمِ وَقَدْ وَعَظَنَاهَا أَتَاءَ الْمَأْثَمِ وَحَذَرَ الْفِتْحَاءِ مَا لَمْ تَظْلِمِ تَقَرُّبًا وَالْأَمْرَ لِمَا يَفْقَمِ فَضَعَلُوا الْغَايَةَ حَرَقَ الْأَرْمِ وَاسْتَحْبَبُوا الْحَرْبَ وَلِمَّا تَضَرَّمِ ثَوْبِي لَيْسَ كَيْلَ الْإِلَاهِ الْأَعْظَمِ

- (١) الأرجوزة ١١٣/٢٤ - ١٢٤ .

فاذا كانت الواقعة بين الفريقين ، كاد العجاج يقترب مما عُرفَ  
بالمصفاة في الأدب العربي اذ يجعل الحرب تدور بالموث من سيف كلا  
الفريقين ، ولا تولي قيلة وائل إلا بعد أن يدورع الناس سراويل من  
الدماء (١) :

داوت رحمانا ورحام تترتمي بالموث من حد الصقيع الأختير  
حتى إذا ما فر كل ملتحم واذرغ الناس سراويل الدم  
على الشهور كرشاش العندم ولو أن يطلب بخراب يندم  
كانهم من فائظ مبحر جم أراح بعد القم والتغمم  
خشب نفاها دلظ بحر مغمم

وهذه المعاني كان يتجه دائماً إلى النيل من خصومه ، فهو لا يشتمهم ،  
ولما يصور ما أصابهم من بلاد الحرب ، ومذلة الهزيمة ، ولا ينسى دائماً أن  
يردد أنهم هم الذين أرادوا ذلك ، وهم الذين أعدوا للحرب ، فكانت عليهم  
خزياً وبلاد وشراً هزيمة ، وكثيراً ما يؤول به هذا التعريض أو الهجاء إلى الفض  
بقوة قيم وشجاعتها وجراتها وضربها من يائوتها من القبائل الأخرى . إلا أنه  
يحرص دائماً على الجانب الأخلاقي في تقديم المعاذير ، والادعاء أن هذه القبائل  
هي التي توعدت ، ولا ذنب لثيم في اعداد الحرب لأنها قد فُرضت عليها  
فرضاً ، وما كان لها إلا أن تحارب وتنتصر .

ويبدو هذا الجانب الأخلاقي في خبر أورده الأصفهاني بسنده عن أبي  
عبدة عن روبة قال : « لما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة ، بعث بي  
الحجاج مع أبي لنقاء .. فكان أول من أذن له من الشعراء أبي نم أنا ،  
فأقبل الوليد على جرير ، فقال : وبلك ألا تكون مثل هذا ، تعبد الشفاء عن

(١) الأرجوزة ١٣٠/٢٤ - ١٣٨

أعراض الناس ؟ ! فقال : إني أظلم ! فقال : اصبر . ثم لقينا بعد ذلك  
جرير ، فقال : يا بني أم العجاج ، والله لئن وضعت كلكي عليهما ما أغنت  
عنكما مقطعاتكما . فقلنا : لا والله ما بلغه عنا شيء ، ولكنه حسداً لما  
أذن لنا قبله واستشدنا قبله (٢) .

فالوليد بن عبد الملك يدرك أن العجاج قد كان أخلاقياً في  
ردّه على مناوئيه إذا أراد الهجاء ، حتى إنه عقد الشفاء عن أعراض الناس ،  
فلا شتم لديه ولا قذف ولا اتهام .

وهذا الجانب الأخلاقي هو الذي يفسر خوف العجاج على نفسه أن  
يجهى بأبيات فاحشة يصبها عليه شاعر هجاء أمثال معاصره جرير ، ولذلك  
كان يتبعد عن ذرب هذا الهجاء الخفيف ، فقد نقل صاحب الأغاني بسنده عن  
رجل يدعى روح الكلي ، قال : « كنت عند عبد الملك بن بشر بن  
مروان ، فدخل جرير ، فلما رأى العجاج أقبل عليه ثم قال له : والله لئن  
سهرت لك الليلة لتقلن عنك مقطعاتك هذه ! قال العجاج : يا أبا حذرة ،  
والله ما فعلت ما بلغك ، وجعل يعتذر إليهم ويحلف ويخضع . فلما خرج قال  
رجل : لشد ما اعتذرت لى جرير . قال : والله لو علمت أنه لا ينفعني إلا  
السلام لسلحت (٣) .

ونقل جبير خبراً فيه أن جريراً : « قال للعجاج وهو عند المهاجر  
بالهامة ، وهو يخاض الدهناء امرأته ، فاستشد المهاجر العجاج قوله (٤) :

فأله لولا أن يمش الطيخ

(١) الأغاني ١٢٣/١٨ ، و ٥٩/٢١ ، وتاريخ ابن عساکر ٣٩٥/٧ .

(٢) الأغاني ١٢٤/١٨ ، و ٦٠/٢١ .

(٣) الأرجوزة ١/٤٠ .

فلما بلغ إلى قوله :

ولو رأيته الشعراء دتخوا

أي ذلوا ، وثب جرير ، فقال :

بَابُ كُتِّبِ مَاعِلِنَا مَبْدَعُ قَدْ غَلَبَتْكَ قَبْلَتُكَ تَصْنَعُ  
لَمَّا أَتَتْ بَابَ الْأَمِيرِ تَصْنَعُ يَا أَسْتَ حَبْرِي طَارَ عَنْهَا الْأَفْرُحُ

فاستعاد العجاج بالمهاجر فكفته عنه (١) .

وما خوف العجاج هذا إلا لأن أخلاقه ما كانت لتأذن له بسماع الفاحش في أهل بيته ، وما كانت لتلقي على لسانه أمثال فواحش جرير ، التي كان يصها صبا على أقوانه من الماويين .

وما عُرف عن العجاج من التخلي عن الهجاء الفحش ، عُرف أيضاً عن عبدة بن الطبيب ، إذ نقل صاحب الأغاني بسنده عن أبي عبيدة عن يونس قال : « قال رجل لخالد بن صفوان : كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو . فقال : لا نقل ذلك ، فوالله ما أبى عن عي ، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ، ويراه ضعة ، كما يرى تركه مروءة وشرفاً (٢) » .

وبذلك كان الجانب الاخلاقي من الأسباب البارزة في عزوف العجاج

عن الهجاء الذي عُرف لأكثر شعراء عصره . وفيه سبب آخر لا يقل خطورة وأهمية ، هو أن الرجز لا يقوى على مناصرة القصيد في موضوع الهجاء ، ذلك لأن الغلبة في هذا الفن لاتكون إلا للأبيات التي لها سيورة على ألسنة الناس ، وبقائه في ذاكرتهم ، وهذا لا يتبأ إلا للأبيات التي تمتاز بسهولة في مبنائها ، ولطف مأخذ في معناها ، كالأبيات التي تروى ويقال إنها أهدى أبيات قالتها العرب ، وهذه السهولة تنافي ما أرادته العجاج لمدرسة الرجز من أن تكون أعرابية البلية في ألفاظها ومعانيها ، حتى تنقل ناسم الصحراء إلى أجواء الحضارة الجديدة ، فكان الغريب يثقل من أبياتها على اللسان والذاكرة معاً ، ولهذا كان الإغراب في الرجز يحد من قدرته على الهجوم في لعبة الهجاء ، سواء في جذها أو في هزلها .

وقد لاحظ الحصري شيئاً من هذا حين عرض لرأي العجاج في تخلية عن الهجاء ، ثم قال : « وليس كما قال العجاج ، بل لكثير من الشعراء طباع تنبو عن الهجاء كالطائي وأضرابه ، وأصحاب المطبوع أقدر عليه من أصحاب المصنوع ، إذ كان الهجاء كالناردة ، التي إذا حدثت على سحبة قائلها ، وقربت من يد متاولها ، وكان واسع العطن (١) ، كثير الفطن ، قربت القلب من اللسان ، والتهبت بنار الاحسان (٢) » .

فالحصري يؤكد أن الهجاء أشبه بالناردة ، التي تأتي على سحبة قائلها دون تكلف أو تعمل ، ومعنى هذا أن الهجاء الجيد لا يخلو من سهولة وطرافة ، تحمل الذاكرة على التعلق به ، وروايته بكثرة ، ومتى تم ذلك كان لا بد أن يتحقق الغلبة لصاحبه ، وهذا يمكن أن يتحقق للقصيد بوجه عام ، ولكن

(١) العطن : موطن الأبل ومبركها حول الحوض .

(٢) زهر الاداب ٥٣/٣ .

(١) مشارف الأعاريز ١٨٧ ، والأبيات الثلاثة الأولى من أبيات جرير في جمهرة اللغة ٢٨٧/١ ، ونص أنها لجرير . والاول والثاني من هذه الأبيات في اللسان (كسب) وأشار إلى أنها لجرير ، ورواها « كعب تفضيح » ، ثم علق عليها بقوله : « يعني بالكاتب ليلى الأخيلية ، لأنها هاجت العجاج فغلبته » . وهذا غريب جداً لأننا لم نغف في أي من المصادر على ما يشير إلى مهاجمة بين العجاج وليلى الأخيلية ، وليس من الصحيح أبداً أن تكون هذه الأبيات في ليلى الأخيلية ، لأنها تذكرحادثة طلاق الدهناء بنت مسحل عند المهاجر وإلى اليمامة . وكسب : جد العجاج من قبل أمه .

(٢) الأغاني ١٦٣/١٨ .

من الصعب أن يتحقق الرجز في مدرسة العجاج ، ومن ثم كان القصيد أطوع للهجاء من الرجز في هذه المدرسة ، وأدعى إلى سيوودة أبياته دون الرجز ، ولا سيما أن بيت الرجز قصير لا يتوسع من المعاني ما يتسع له بيت القصيد .

وتقصير الرجز عن القصيد في الهجاء يمكن أن ندركه في خبر نقله ابن سلام بسنده عن المجاجة بين ذي الرمة وهشام التمرّني جاء فيه : « .. وكان ذو الرمة مستعليًا هشامًا ، حتى لقي جرير هشامًا ، فقال : غلبك العبد ، يعني ذا الرمة . قال : فما أصنع بأبا حذرة ، وأنا راجز وهو يقصد ، والرجز لا يقوم للقصيد في الهجاء ؟ ! فلو رفدني ! » (١) ، ثم يعطيه جرير أبياتًا من الشعر لآمن الرجز ، جعلت هشامًا يغلب على ذي الرمة .

وفي أبيات جرير أكثر من وسيلة لجأ فيها إلى الإجهاد على ذي الرمة ، وأهم ما فيها هو ذلك العلم الواسع بأنساب القبائل ومفاخرها وأيامها ، ثم اخراج تلك المعاني بأسلوب طريف سهل يمكن أن يضحك من جانب ، ويمكن أن يُحمل على كلّ لسان من جانب آخر ، إلا أن الذي يتوقفنا أيضًا هو أن ذا الرمة كان يصوغ الهجاء بأبيات من القصيد مع أن في وسعه أن يرجز لو أراد الرجز ، ثم مارد " به هشام المرثي على جرير من أن الرجز لا يقوم للقصيد في الهجاء ، ذلك لأنه كان يدرك أن الرجز ليس في مقدوره أن يجعل المعاني على جناح من السهولة والطرافة واليسر ، على نحو ما يستطيع القصيد أن يحقق ذلك .

فهذه هي الأسباب الرئيسية لعدم اتخاذ العجاج من الهجاء موضوعاً رئيساً في رجزه ، ومن الصواب أن يُنظر إليها بعناية قبل أن يقال إن

(١) طبقات ابن سلام ٤٧١ - ٤٧٥ .

المسألة تترد إلى اختلاف طباع الشعراء ، بل إننا لانفهم طبع العجاج مثلاً إلا " من خلال تفاعل هذه الأسباب المختلفة في نفسه ، ثم إملأنا عليه الهجاء معيناً في رجزه ، إذ ليس الطبع في نظرنا إلا " نتيجة حتمية لتفاعل القوى النفسية والعقلية والأخلاقية لدى الشاعر مع ما يقابلها من قيم واتجاهات مختلفة في بيئته وعصره ، فهذا التفاعل هو الذي يبلي عليه قصداً أو عن غير قصد مانسيه « بالطبع » ، ولا شك أننا قد رجعنا إلى أهم المؤثرات التي تفاعلت فادت إلى مساجم النقاد القدامى باسم « الطبع » .

على أن بعض قدامى النقاد كان يرى أن الشاعر لا يحكم له بالتقدم إلا " إذا تصرف في موضوعات الشعر كلها ، ومن ذلك مقاله ابن رشيق : « يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر ، من جدّ وهزل ، وحلو ومنه في الهجاء ، ولا في الاختصار أبلغ منه في الاعتدال ، ولا في واحد بما ذكرت أبعد منه صوّناً في سائرهما ، فانه متى كان كذلك حكم له بالتقدم ، وحاز قصب السبق ، كما حازها بشار بن برد ، وأبو نواس بعده » (٢) .

ومثل هذا الحكم لا ينطبق إلا " على قلة يسيرة من شعراء الأدب العربي ، ولا سيما العصر الأموي ، إذ وجد في هذا العصر ما يشبه التخصص بين بعض الشعراء في موضوعات الشعر المختلفة (٣) ، ولا نراه من الأحكام النقدية التي ينبغي أن نقاضي بها كل الشعراء ، ذلك لأن الشاعر إن تصرف فيها جميعاً ، فلا شك أنه « حاز قصب السبق » ، ولمن إن تصرف فيها جميعاً ، فليس لنا أن نقول : « يجب عليه أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر » فعبارة « يجب .. » ليس لها مكان رحب في النقد أو الأدب ، بعد ما رأيناه في

(١) العمدة ٨٣/٢ ، وانظر جمهرة أشعار العرب ٧٦ - ٧٧ .

(٢) ارجع الى الدكتور شوقي ضيف في التطور والتجديد ٥٧ وما بعدها .

التمهيد لهذا البحث من اختلاف في البيئات والظروف ، وتباين في معاش الناس وأحوالهم ، وانكاس لما يحدث من صراع سياسي أو عقلي أو نفسي أحياناً .

ومع ذلك فالعجاج قد تصرف في الهجاء على نحو يتفق مع طبيعه وأخلاقه ، وإذا كان قد ابتعد بنفسه عن مهازرات عصره ، بما فيها من جد وهزل ، فقد حقق لأن رشتي مارواه عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : « خير الهجاء ما تشده العذراء في خدرها فلا يقبح بثلمها »<sup>(١)</sup> .

ذلك لأن العجاج قد وجد سبيلاً إلى الهجاء الصريح ، في مدائحه لأن الزبير والأمويين ، إذ كان يجد في ثوبة بعض الأحزاب أو القبائل ، مايور هجاءها ، ولا سيما أن ثوبتها في نظره ، ما كانت إلا تزيقاً لدين الله ، وخروجاً على حماه . وهذا ما يابذن له هجائها ، ليقيم مفارقات فنية رائعة بين معاني المديح لقوم ، ومعاني الهجاء لقوم آخرين ، ولا سيما أنه يتناول في هجائه المعاني السياسية والدينية معاً .

فإذا مدح ابن معمر لتغلبه على الحروب ، وقتله أبا فديك الخارجي ، كان لابد للعجاج أن يوجه سهام هجائه إلى الحروب ليصورها خارجة على الدين ، مذهبة للحق ، كافرة كانوا هي تسعى في ليل مظلم أي ظلام<sup>(٢)</sup> .

فقد علا الماء الزمبي فلا غير . واختار في الدين الحروري البطر . وأزف الحق وأودى من كفر . كانوا كلهم ليل فأنسفر .  
عن مذجليم قاضي الدؤوب والسهر .

وما زالت الحروبية تكذب وتقلب من أمور الدين ، وتسير في أمر

جهنمي بما نحو الهلاك ، حتى تكشف الصبح لناظرها عن جيش ابن معمر<sup>(٣)</sup> :  
في بئر لاخوري سرى وما شعر . بإفكته حتى رأى الصبح جسر .  
عن ذي قداميس لشام لو دسر .

وهؤلاء الخوارج قد بالغوا في أمرهم حتى مرقوا من الدين ، وخالفوا الناس فيما ابتدعوه ، وما زال أمرهم يتسع بهم بغياً وإطاداً ، حتى انتشر عليهم فالحكمهم<sup>(٤)</sup> :

يا عمر بن معمر لا منتظر . بعد الذي عدنا القروص فحزور .  
من أمر قوم خالفوا هذا البشر . واشتغروا في دينهم حتى اشتغروا .  
فإذا ما وفق الله ابن معمر إلى القضاء على أبي فديك وعصبته من الخوارج ، وقف العجاج جزأ بريعة ، ويسخر منها ، فهي ليست للحرب أهلاً ، ولها أن تغيب على رعية الإبل ، وتبكي ملكاً قد انقطع من أصله ، ولم تعد منه رجاء ترجى ، بعد أن غدا شقائق أشبه بسجاجة أخذت في وجهه ، فاعطرت قليلاً ثم ذهبت<sup>(٥)</sup> :

عشي ربيع واقصري فممن قصر . وأبكي على ملكك إذ أمسى انقصر .  
وانقطعت منه الرجاء وانبتز . واشتق مؤروب الشقاق واشفتز .  
وأزلفت لجة الغيت سحر .

فهو لا يجوز الخوارج إلا بالمعاني الدينية والسياسية ، فإذا وقف من بريعة ، وبينها وبين الحزب المضري خصومة أصلاً ، لم يجد إلا تمكماً وسخرية يصبا عليها صباً ، وكذلك الأمر في تعرضه بالغالية من أصحاب المختار بن

(١) الأرجوزة ٤٠/١ - ٤٢ .  
(٢) الأرجوزة ١٢٠/١ - ١٣٣ .  
(٣) الأرجوزة ١٥٩/١ - ١٦٣ .

(١) العمدة ١٣٨/٢ .

(٢) الأرجوزة ٣٢/١ - ٣٧ .

أبي عبيد التقي ، فهو يتمتع بالحشية ، ولعلمهم كانوا يُعرفون بذلك ، ولا  
يعد أن يكون لهذه التسمية وقع ساخر بين عامة الناس آنئذ ، ثم نبعت  
الختار بأنه مُكذَّب فيما يدعيه ، سني من الغلاة ، ومذنب يقبل الرشوة .  
والختار كان والياً لابن الزبير ، ثم آمن بأراءه الغالية <sup>(١)</sup> ، وخرج بهم يحاول  
ملكاً عن طريقهم <sup>(٢)</sup> :

لقد وجدتم مصعباً مستصعباً حين رمى الأحزاب والمخزباً  
وتخشب الأعجم والمخشباً والدرب ذا البنيان والمدرباً  
وابن أبي عبيد المكدباً والسبي والمراش المديناً  
بيحاجبي سبعين ألفاً معرباً

والختار حين جد الأمر قد علم من الذي ماج كما يوج الصيان ، ورضي  
بالصغار والمذلة ، وكان قد حسب أن الله تعالى تاركه بغير عقوبة ، وأنى  
له بذلك <sup>(٣)</sup> :

قد علم المختار إذ جد الجبا وبلغ الماء حلاقيم الزمبي  
من الذي غشي تغشيق الصبا ورعم الخسف الذي كان أبي  
إذ لم يزل يطاوع المستصعباً إذ حسب الرحمن عنه مضرباً  
كهانة وقد رأى مربياً

وهذا لم يفرق المعاني الدينية والسياسية في هجاء الختار وصحبه ، إلا  
إلى شيء مما أحياه من خزي الهزيمة ، ومذلة الانكسار ، ولكن العجاج  
لا يعود بشيء آخر من المعاني المفضحة التي كانت شائعة لعصره .

وإذا كان العجاج في هجائه قد عزم عن فاحش القول ، فقد استعاض  
عن ذلك بما هو أطرف فناً ، وأكثر إزداء ، وأشد إيلاماً ، ذلك هو التهكم  
والسخرية ، ولهذا طرائق عند العجاج ، لا نظير لها إلا في أشعار الخطبة  
وابن الرومي ودعبل الخزازي ومن إليهم من هذه الطبقة التي جعلت من الهجاء  
فنّاً يعتمد على الاضحاك والتهكم والسخرية .

ففي أرجوزة ابن معمر رأينا هجوا الحورية ، وهجاً بريعة ، ثم  
لا يلبث أن يعود إليهم مرة أخرى بشيء من التهكم الموجه والسخرية اللاذعة ،  
فقد جاءوا بخاريون ، وفي ظنهم أن الحرب والغلبة هي مجرد ركض الخيل  
بين الحضرمات وهجر ، وهي مواضع باليامة ، ثم يعطيهم صورة أخرى  
تبعث على الاضحاك والسخرية ، إذ جعلهم يأتون وقد علقوا أطعماهم بكلايب ،  
لاندرى أمهمنا على أكافهم ، أم يعلقونها بالأقارب أو السروج ، فهم  
حريصون عليها ، مع أن الحرب تدعو إلى إبراز الأسنة والسيوف ، لا إلى  
ليراز ما أعدوه من طعام <sup>(١)</sup> :

لإحسبوا أن الجهاد والظفر لبضاع بين الغضرمات وهجر  
معلقين في الكلايب الشفر

وزاد هذا التصوير المضحك ، حين جعلهم يحاولون النجاة وراء الحصون ،  
ولكن وراء أي حصون تحصنوا ، إنها مجرد خندق ، وحائط من الطرقات ،  
ودنان من الحجر ، وهي حصون تبعث على السخرية والضحك ، ولكنه زادهم  
سخرية حين التفت بنا إلى جيش ابن معمر ، وإذا موج من الخيل يحار  
النظر إليه ، فإذا ماجت كتابه كان البصر أن يوج لما فيها من عدد وكثرة <sup>(٢)</sup> :

(١) الأرجوزة ١٧٢/١ - ١٧٤ .  
(٢) الأرجوزة ١٧٦/١ - ١٨٠ .

(١) الكمال للمبرد ١٦٤/٢ - ١٦٥ .  
(٢) الأرجوزة ١/٧ - ٧ .  
(٣) الأرجوزة ٣٦/٧ - ٤٢ .

لَا تَحْسَبَنَّ الْغَنَاقِينَ وَالْجَفَرَةَ وَخَوَسَةَ الْمُحَرَّمِ فِيهِمَا امْتَصَرَ  
وَحَايَ الطَّرْفَايِكَةَ مِنْ حَظَرِ آدِي أَوْرَادٍ يُغَيِّقَنَّ الدَّظَرَ  
مُسَبِّ إِذَا مَا مَسَّجَنَ مَوْجِنَ الْبَصَرِ

فهو ساخر بارع إذا أراد النيل من الحورية ، وهذه السخوية قد بلغت  
غايته في هجائه لأصحاب ابن الأشعث حين أوقع الحجاج بهم . فالإبل من  
عادتها إن أكلت الخلّة أن تشبه الطمّص ، وهذه الصورة البدوية أمكن  
لحال العجاج أن ينقلها بسخوية لاذعة إلى أصحاب ابن الأشعث ، فهم قد  
نقضوا العهد ، وتجمّعوا للحرب ، واشتبوا القتال ، فكانوا كإبل أكلت خلّة  
ثم اشتهت أن تجد حمضاً ، فجاؤا الحجاج ، يظنون به ذلك الحمض المرجى<sup>(١)</sup> ؛  
وترهبوا النقص فلا نقضوا نقضاً فجمعوا منهم قضيضاً قضاً  
جافوا مخليين فلا نقضوا حمضاً .

فإذا وجدوا لدى الحجاج ، أكان حمضاً يشفي ما بهم من خلّة ، لنهم  
وجدوا الحجاج يأبى أن يكسر ، وهو ثبت في الحرب ، لا تزل له قدم إذا  
كان المقام زلقاً ، وكثيراً ما عزم قبلهم من جيوش ، وهو الآن يكرم  
وفادتهم ، ويسقيهم صوباً لا كأي صبح عرفوه ، إنه صبح لاذع ،  
يشربونه بالسيف والرماح لا بالكؤوس والقعاب<sup>(٢)</sup> .

فوجدوا الحجاج يأبى الهضاً لا قابلاً ولا حديناً غَضّاً  
ومن صريع الأكرمين محضاً نبيّاً إذا كان المقام دَحَضّاً  
والجيوش قبلهم مَهَضّاً غداة يسقيهم صَبْحاً مَضّاً  
بالشرفيات وطعننا وخضاً يَمْضِي إِلَى عَائِي الْعُرُقِ النَّحَضّاً

ثم يشتد عليهم سخوية وتهكما ، حين يجعل ماقدومه من سوء ليس أكثر  
من قرض أسلفه للحجاج ، وهو اليوم يجزيهم بدل كل قرض قدّمه له ،  
بقرض يمنهم إياه ، بل ويسلّتهم فوق ذلك فيعطهم هبات أخرى لا ترد ،  
ولكنه لا يقدم دراهم أو نانير في قرضه وهباته ، وإنما يقدم إليهم ضرباً  
يقطّعون قطعياً ، وطعننا يبلغ أجوافهم ، وضرباً آخر إذا أحاب رؤوسهم  
رض ماعلياً من أطباق الخرد<sup>(٣)</sup> :

يَجْزِيهِمْ بِكُلِّ قَرْضٍ قَرَضَا وَقَارَةَ مُسْلِفُونَ قَرَضَا  
حَتَّى تَنْقُضَ الْقَسْدُ الْعَقْصَى ضَرْباً هَذَا ذِيكَ وَطَعْنَا وَخَضَا  
صَفْعاً إِذَا صَابَ الرُّؤُوسَ رَضَا أَعْلَى الطَّرَاقِيْنِ وَطَعْنَا مَضَا

وهذا الأسلوب من السخوية كان شديد الإبلام في هجائه السياسي وغير  
السياسي ، والهجاء عنده كان يعتمد على أمرين بارزين : الأول تصوير ما يؤول  
إليه الخصم من مذلة وجراح على أيدي قبيلته تميم ، أو على أيدي الخليفة أو  
الأمير ، والثاني هو هذا اللون من السخوية اللاذعة والتهكم الموجه ، وبذلك  
كان العجاج يتصرف بالهجاء على نحو يرضي طباعه وأخلاقه ، ولم يكن ممن  
أضرب عن الهجاء لإضراباً كاملاً .

### الشعر الديني والحكمة

لأنك أن الشعر الديني قد عُرِفَ له بعض الآثار في عصر ما قبل  
الاسلام ، وذلك على يد بعض الشعراء ممن عُرِفَ بالتحف والتأله في ذلك  
الحين ، من أمثال أمية بن أبي الصلت ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة

(١) الأرجوزة ٦/٢٨ - ٣٣ .

(١) الأرجوزة ٦/٧ - ٩ .

(٢) الأرجوزة ٦/١٨ - ٢٥ .

ابن نوفل ، حتى قال الأصمعي : « وكل ما قيل في الزهد فقد غلب عليه أمية ابن أبي الصلت (١) » .

إلا أن هذا الموضوع كان محدوداً في الجاهلية ، وأكثر الأشعار التي وصلتنا عن جماعة الحنفاء ، مشكوك في صحتها ، أو منحولة إطلاقاً ، ومع ذلك فمن المؤكد أن الشعر الديني قد عرفت له بعض الآثار في الشعر الجاهلي ، بتأثير بعض الاتجاهات الدينية المعروفة آنثذ ، وبدافع من التحنن وطلب الدين لدى عدد من الأفراد الذين عرّفوا بالحنفاء أو الأخنفاء .

فما كان العصر الأموي بدأ الشعر الديني يتخذ لنفسه طابعاً محدد العالم ، واضح المثل ، وذلك بتأثير ماسب من صراع حزبي يعتمد على حجب يستمدها من الدين الحنيف ، وينادي بها خطباء كل حزب وشعراؤه ، وبسبب مظاهر في هذا العصر من تيارات فكرية وعقلية مختلفة جعلت تبحث في مسائل القدر والايان وما أشبه ذلك ، وبدافع من قيام جماعة من الصحابة والتابعين يوضحون للناس أمور دينهم ، تفسيراً لكتاب الله ، أو رواية لحديث رسوله صلوات الله عليه ، أو تبيناً لأركان الفقه الإسلامي ، وكلوا جميعاً من الزهاد أو المبالغين في الزهد ، وهذا كله قد أثر في الشعر الأموي فدخلت المعاني الدينية إلى موضوعاته كلها تقريباً ، وتقدم موضوع الزهد أو الوعظ عند عدد من الشعراء ، واتخذ لنفسه مكاناً خاصاً إلى جانب الموضوعات الأخرى ، وإن كان ما يزال قاصراً بعض الشيء ، ولا بد له أن يبلغ العصر العباسي ، ليجد ما يبتغيه من اتساع وانتشار .

وفي رجز العجاج كان طبعياً أن نجد للوعظ مكاناً خاصاً به ، ذلك لما

(١) تاريخ ابن عساکر ١٢٢/٣ .

عرف عن العجاج من ورع وتدين وإيمان (١) ، وقد مرّ بنا أنه اتصل بأبي هريرة ، وعرض عليه شيئاً من غزله ، يسأله هل يرى فيه حرجاً (٢) ، ثم عرض عليه شيئاً بما قاله في موضوع الوعظ ، فقال أبو هريرة : « أشهد أنك تؤمن يوم الحساب (٣) » ، وما كان هذا إلا تعلقاً بالدين الحنيف ، وشغفاً بأدابه ، وحرصاً على معتقداته ، وبعداً عما يسيء إليه ، وتقرباً من ثواب الله تعالى إيماناً واحتساباً .

وبهذه الآداب الإسلامية كان العجاج أشبه بالواعظ في بعض أراجيزه ، بل كان الشعر الديني يتقدم في عدد من الأراجيز لا يتنازع فيها موضوع آخر ، فإذا ألمّ الداء بالعجاج في ليلة قاسية ، وكاد الموت ينشب أظفاره فيه ، ثم فرّج الله عنه ، وعافاه بما نزل به من بلاد ، كان ذلك سبباً لإبداع أرجوزة رائعة في الوعظ ، قد امتازت بكثير من التنوع والصور (٤) :

يأذنه السّماء واطمأنّت	الحمد لله الذي استقلّت
وحى لها القتران فاستقرّت	يأذنه الأرض وما تنعت
ربه البلاد والعياد القمّت	وشدّها بالرياسات الثبت
والجامع الناس ليوم المرقّت	والجامع الغيت غايات السنّت
يوم تركى النفوس ما أعدّت	بعد المات وهو يحيى الموت
من سعي دنيا طال ما قدمدّت	من تزلزل إذا الأمور غبت
إلى الآله خلقه إذ طمّت	حتى انقضى فضاؤها فادّت

(١) ارجع الى بحثنا عن عقيدة العجاج وشخصيته .

(٢) انظر شرح الأصمعي للأرجوزة ١٦/٢١ ، وانظر العقد الفريد ٦٣٩/٦ ، واللسان (بخند) و (درم) .

(٣) الأغانى ٥٨/٢١ ، والخزانة ٥٠٩/٣ (بولاق) .

(٤) الأرجوزة ١٨/٢٢ .



غاشية الناس التي تشتت يوم يرى المرتاب: "أن قد حُفَّتْ...  
إذا رأى مَنَ السَّاءِ انْقَدَّتْ" وَحَنَى الإِلَهِ الْبِلَادَةَ رُجَّتْ  
ولا شك أن هذه الآيات تستمد كثيراً من معاني القرآن وأسلوبه ،  
ومن الواضح أن العجاج قد بدأ بلفت الأنظار إلى الطبيعة من سماء وأرض  
وجبال وجذب وأمطار ، ورد ذلك كله إلى قدرة الله تعالى ، وهذا من  
أساليب القرآن نفسه ، ثم اتجه إلى فكرة البعث والحساب ، فالناس  
يُبعثون بعد موتهم ، ويجتمعون ليوم الحساب ، وهناك يرون جزاء ما فعلوه  
في الدنيا من خير أو شر ، ولا تكفي هذه الصور عند العجاج لتمثيل مشاعر  
الناس في ذلك اليوم العظيم ، ولذا يثير جانباً نفسياً وفكرياً آخر ، حين  
يرى أن الحياة الدنيا معها طالت ، فهايتها إلى الموت لا محالة ، ومن ثم إلى  
يوم الحساب ، فيرى المرتاب فيه أنه حقيقة لامرأ فيها ولا شك ، ولا سيما  
حين يقع البصر منه على متن السماء وقد تشقق ، وعلى وجه الأرض وقد  
رُجَّتْ رَجًّا . لَهَا صور متنوعة ، ولكنها تستمد وجودها من معاني القرآن  
وأساليبه .

ولذا بلغ العجاج ذروة التأثير في النفس والفكر معاً ، عرض ما أصابه  
من بلاه في تلك الليلة القاسية ، فالث تعالى قد أنعم على المسلمين أجمع ، ولم  
يغب سبحانه عن العجاج في ليله وقد اشتدت عليه بذلك الداء ، ولولاه  
تعالى لضررت به وأهلكته ، فقد بات لها يقظان وهي جاسية عليه شديدة  
صعبة ، وإذا ما رجحت وتناقلت ظن أنها قد كُتِرَ عليه من طولها ،  
وما كُتِرَ ولكنه كان مريضاً<sup>(١)</sup> :

(١) الأرجوزة ١٩/٢٢ - ٣٢ .

وهو الذي أنعم نَعَمَ نَعَمَتِ على الذين أسلموا وَسَمَتِ  
فلم يَغِبْ عَن لَيْلِي وَلَيْلِي وَاللَّيْلَةُ الْآخَرَى الَّتِي اسْمَهَرَتْ  
وَلَيْلِي مِنَ اللَّيَالِي مَوْتِ بِكَابِدٍ كَادَتْهَا وَجَرَتْ  
كَتْكَلَهَا لَوْلَا الْإِلَهِ ضَرَّتْ فِي مَظْلَمٍ أَزَلَتْهَا فَوَلَّتْ  
عَنِّي وَلَوْلَا اللَّهُ مَا قَجَلْتُ يَتُّ لَهَا يَقْظَانٌ وَأَقْسَأَتْ  
إِذَا رَجَوْتِ أَنْ تُضَيَّيَ اسْوَدَّتْ دُونَ قَدَامِي الصُّبْحُ فَكُنْتُ جَعَلْتُ  
مِنْهَا بَعْسَاءً إِذَا مَا التَّجَّتْ حَسِبْتُهَا لَمْ تَكُ كَرَّتْ

وما زال يفتن بوصف تلك الليلة المثاقفة المطاوله ، حتى عاد إلى وصف  
بلائه ، ثم نجاهه بقدرة الله تعالى ، وجعل يراوح بين هذا المعنى وذاك ،  
وينوِّح في صوره ، ويلون في تناول هذه المعاني والصور ، حتى فرغ  
من أرجوزته وقد بلغت اثنين وسبعين بيتاً ، وليس فيها إلا الحديث الديني ،  
وما رافقه من حكم ، أو وصف لأهوال تلك الليلة .

وفي أرجوزة أخرى خص بها موضوع الشعر الديني ، نجد حديثاً صرفاً  
عن يوم الحساب وما فيه من نهول وأني هول ، وكل ماورد فيها من معان  
كان أشبه بنقل حرفي أحياناً عن آيات الكتاب المبين ، وقد تكررت فيها  
بعض المعاني والصور التي وردت في الأرجوزة السابقة ، ومنها قوله<sup>(٢)</sup> :

أَلَيْسَ يَوْمٌ سَمِيَ الْغُرُوجَا أَعْظَمَ يَوْمَ رَجَّةٍ رَجَوَجَا  
يَوْمًا تَرَى مُرْمُضَةً خَلَّوَجَا وَكُلُّ أَشْيٍ تَحَلَّتْ خَلَّوَجَا  
وَكُلُّ صَاحٍ شَمَلًا مَرَّوَجَا

وهذه الآيات تنقل معانيها من قوله تعالى في يوم القيامة : « ذَلِكَ

(١) الأرجوزة ١/٣١ - ٥٥ .

يوم الخروج<sup>(١)</sup> ، وقوله عز وجل : « إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا<sup>(٢)</sup> » ، وقوله جل وعلا : « يَوْمَ تَرْوِيهَا تَدَأْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ<sup>(٣)</sup> » .

وهذا يدل بوضوح على تشبّع العجاج بروح القرآن ومعانيه وأسلوبه ، ولذا كانت معاني الوظ له غالباً متأنسة بالطابع القرآني الاسلامي بوجه خاص . إلا أنه ربما خرج عن التقيد بإطار الآيات القرآنية إلى الحديث العام عن المعاني الدينية ، وغالباً ما يلجأ إلى أسلوب المناجاة ، فانت يا رب تزق الفقير ، وأنت وهبت لي قطعة من الإبل عظيمة ، فيها أدم وبيض ، وهي من خبان الإبل وغزارها ، وليس في عطائك تكذيب أو نقص أو قطع أو تأخير ، كالذي في عطاء الناس للناس<sup>(٤)</sup> :

يا رب أنت تجبّر الكسيرا وترزق المستزق الفقيرا  
أنت وهبت هبة تجرؤوا أدماً وعيساً معصاً خبؤوا  
لم تعط في عطائك تكديراً خرابة ولم يكن مهبوا  
ولا كراة يقطع الظهورا

ثم انطلق إلى وصف هذه القطعة العظيمة من الإبل ، وما نظن هذه الأرجوزة إلا خاصة بالشعر الديني ، ثم غلب الوصف على العجاج لتمكنه من نفسه في كل أرجوزة من ديوانه .

- (١) سورة ق ٤٢/٥٠ .
- (٢) سورة الواقعة ٤/٥٦ .
- (٣) سورة الحج ٢/٢٢ .
- (٤) الأرجوزة ١/٢٦ - ٧ .

إلا أن الشعر الديني لا يستقل دائماً بأراجيز خاصة به ، وإنما قد يرد مع موضوعات أخرى في بعض الأراجيز ، وربما اتخذ لنفسه مكاناً في المقدمات التقليدية المطوّلة إلى جانب الاطلال والغزل ، على نحو ما نراه في الأرجوزة ( ٢٤ ) ، فما كاد العجاج يدع نفسه إلى نسيان ما فات من وصل « ليلى » وأيامها ، حتى مال إلى الشعر الديني ، لما فيه من غزاء وسأوى ، فراح يحمّد الله تعالى ، ويعدد من صفاته ، وإذا بلهفة في أعماق قلبه ، وحسرة في أعماق نفسه ، تقابل ليجاناً يجعله متعلقاً دائماً بالله العلي العظيم<sup>(١)</sup> :

فأنس الذي فات ولا تندّم  
ذي العيوت والجلال الأفعم  
ورب كل كافر ومسلم  
بشّ السموات بغير ملهم  
والقاطات البيت غير الرّم  
وألفاً مكّة من ورتق الحمي

ثم ينهي إلى بعض القصص الديني ، فيشير إلى ما يقابل من أن امرأة اسماعيل حين غسلت رأس إبراهيم عليها السلام ، وضع رجله على المقام ، فأنثرت في الجحر الصلب ، والعجاج يرى أن هذا الأثر المحسن إن هو إلا تذكرة وتذير لأمر محكم ، وهو الاسلام<sup>(٢)</sup> :

ورب هذا الأثر المقيم  
بعيث ألقى قدماً لم تذّار  
على سرة الحجر المتعلم  
فغادرت منه لمن لم يخسر  
من عهد إبراهيم لما ينظم  
وهو إلى عطف البراق الملمج  
فهرمت بمنّ السلام المبهم  
ذكراً وتذيراً لأمر محكم

- (١) الأرجوزة ٣٨/٢٤ - ٤٧ .
- (٢) الأرجوزة ٤٨/٢٤ - ٥٥ .

وما زال هذا الحديث حتى خرج إلى موضوع الفخر والتعريض ببعض قبائل ربيعة ، ومن هنا كان الشعر الديني في هذه الأرجوزة المطوّلة أشبه بتحضير نفسي لموضوعات الأرجوزة الرئيسية ، ولا يخفى ما في ذلك من جدّة في منهج العلاج وأسلوبه .

وقد يرد الشعر الديني في خاتمة الأرجوزة على نحو ما نراه في الأرجوزة (١٢) ، وفيها جاء بتقديم تقليدية ثم مدح يزيد بن معاوية بعدد من المعاني السياسية والدينية ، ثم ختم الأرجوزة بشيء من معاني الوعظ ، وكأنه يريد القول إنه صادق في مذهبه ، ولا يريد أن يكون كاذباً ، لأنه ملائق يوم الحساب لما قدّم في الحياة الدنيا من أعمال ، ولأنه صائر إلى الموت في يوم من الأيام لامحالة (١) .

فقد تَعلّمتْ لوزنًا من أُملي  
وأنّ لي يومًا إلى مَجْعَلي  
لستُ بِمَغْضُوضٍ ولا مُؤَجَّل  
عُمراً خلا أنّ البلايا تَبْتَلِي  
أني ملائق ذات يومٍ عَمَلِي  
تمّ أجبه أَرَدَ مُرَدّي أو لي  
وراءه عُمراً ولا مُعْجَل  
بِالنائبَاتِ عَقْلَةَ السَّعَلِ

وفى أرجوزة متنازعة بين العلاج وروية ، وقد حلّ الموضوع الديني في المقدمة منها على موضوع الأطلال والغزل في المنهج التقليدي ، فبدت الأرجوزة بقوله (٢) :

باربٍ إن أخطأتُ أو نَسِيتُ  
فانت لا تَنسَى ولا تَمُوتُ  
إنّ المَوْتَى مثل ما وَفَّيتُ  
أَعْتَدَني من خَوفٍ مَن خَشِيتُ  
رَبِّي ولولا دَفْعُهُ تَوَيْتُ

(١) الأرجوزة ١٢/١٥٠ - ١٥٧ .  
(٢) الأرجوزة ١/٤٢ - ٥٠ .

ثم استقل الشعر الديني والمناجاة بأكثر أبياتها ، وغلب على مدح مسلمة ابن عبد الملك ، إذ لم يفارق أبيات المديح ، ولم يلبث أن ظهر عليها في نهاية الأرجوزة ، فانخذ لنفسه أكثر أبيات . وهذه الأرجوزة إن صحّت للعجاج فهي تشير إلى تطوّر في منهج القصيدة جعل الوعظ أو الحكمة يحتل مكان الأطلال والغزل ، وفي هذا سبق على شعراء بني العباس أمثال أبي تمام والمتنبي ومن الهم .

فالشعر الديني في رجز العجاج ربما ورد مستقلاً في بعض الأراجيز ، وربما سلك مع غيره من الموضوعات في بعض الأراجيز الأخرى ، ولم تكن معاني ذات طابع وتنب لا تجد فيه ، وإنما كانت تمتاز بشيء من التنويع ، إذ كان العجاج نارة يقف عند الجوانب الدينية ، وطوراً ينقل من آيات الكتاب ، وأحياناً يناجي ربه في خشوع ، فينطق بأحداث الحياة والموت ، والبعث والحساب ، والنعم والجحيم ..

وهذا الاتجاه الأخير أدخل ما يكون في موضوع الزهد ، إلا أن هذا الموضوع لم يجد من الانتعاش والتخصّص في هذا العصر ، ما وجدته في عصر بني العباس ، إذ أفردت له أبواب واسعة في دواوين بعض الشعراء كآبي نواس وأبي التتائية وأمثالها ، من جعلوا التوبة غاية ما يرجون من الحياة ، بعد أن أخفوا من كلّ مصيبة بطرف ، ثم راحوا يبنون الدنيا رغبة في الآخرة ، ويناجون ربهم طلباً للغفران . ثم تطوّر هذا الفن على أيدي المتصوفة إلى تأكيد الحب الإلهي ، والزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، على نحو ما نجدّه عند رابعة العدوية (١٨٥) ، والحلاج (٣١٠) .

وموضوع الشعر الديني يرتبط به موضوع آخر عند العجاج ، هو موضوع الحكمة ، وذلك لأن أكثر الحكم التي تنازرت في رجزه ، كانت تستمد معانيها من الأفكار الدينية ، والتربية الإسلامية ، التي تأصلت في نفسه ، إلا أن ذلك لم يكن بالصدر الوحيد لحكمة العجاج وإنما كان ثمة تأثير واسع لأحداث عصره ، وادوار حياته ، وتجارب المختلفة .

ومن هنا كانت حكم العجاج تمتاز بالعمق والتأثير والحيوية ، لأنها من نتاج ما انعكس في نفسه من أحداث سياسية واجتماعية خطيرة ، وما كان له من تجارب في أدوار حياته ، وما تأصل في نفسه من ثقافة اسلامية ، حتى كان العجاج لا يكتفي أن يجعل من الحكمة أفواهاً يطلقها بنفسه ، وإنما جعل يلقي هذه الحكمة في بحنة الثور كلما أراد له وصفاً .

فالثور حكيم إذا ما التقى بالكلاب ، مثزن إذا ما أراد النزول ، ولهذا لاتكاد الكلاب تجيد في طلبه حتى يجده بالفوار ، ولكنه لايجهده نفسه كل الجهد ، وإنما يقتصد من ذلك إبقاء على قوته ، اما الكلاب فلا تقتصد من قوتها ، وإنما تجهد نفسها كل الجهد في وثها دون ابطاء (١) :

وَسُمِرَتْ وَأَنْصَاعَ شَمْرِي أَلَى وَمَا فِي صَبْرِهَا أَلَى  
بِالشَّدِّ إِذْ زَوَّزَتْ بِهِ الرَّبِّيَّ

ثم لايثبت الثور أن يكر عليها ، فيلقي بها أشلاء مضرجة بين قتيل وجريح ، وهذا يعني أن الثور حكيم كالعجاج الذي ينظفه ويحدد معالم شخصيته ، وما كان للعجاج أن يرسم للثور هذه الشخصية ، لولا أن الحكمة عميقة الجنود في نفسه ، ولم تكن مجرد معان عامة أو أفكار كتيبة يمكن أن تجتهد في بعض قولاب الألفاظ ، ولهذا كانت مؤثرة ، تنبض بالحياة

(١) الأرجوزة ١٥٢/٢٥ - ١٥٤ .

- ٣٠٤ -

والحركة ، ولا سيما حين يمد لها بأبيات تجعل منها جزءاً طبعياً من الأرجوزة ، إذ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسائر الأبيات .

ومن ذلك مثلاً حديثه عن بعض قبائل وائل بن ربيعة ، إذ يبين أن قومه قد وعظروا هذه القبائل انتقاء للإثم ، وحذروا من الفحشاء ، ولكنها أبت إلا الوعيد والتهديد ، فدارت الحرب بين الفريقين ، حتى إذا ما قرء كل مدرك ، وتسربل الناس بالدم ، وغدا فوق رؤوسهم كرشاش العندم ، ولت قبائل وائل وندمت ، وكذلك كل من طلب الحرب ، فهو تادم للاحالة (١) :

حَتَّى إِذَا مَا قَرَأَ كُلُّ مُنَجِّمٍ وَادَّرَعَ النَّاسُ مَرَابِيلَ الدِّمِّ  
عَلَى النُّجُورِ كَرَشَاشَ الْعَنْدَمِ وَلَوْ أَتَوْنَ يَطْلُبُ يَحْرَبُ يَنْدَمِ

فقد مهد لهذه الحكمة تجربة الحرب كلها ، ثم ألقى بها تجسداً لتلك التجربة ، ونتيجة حتمية لها ، ثم مضى بعد ذلك ليصور ما أصابهم في تلك الحرب ، وكأنه يفض من جانب ، ويهني عن أمثال هذه الحروب من جانب آخر .

ولا شك أن هذه الحكمة في البيت الأخير ، كانت وليدة مارآه العجاج بنفسه من وبيلات الحرب وتجاربها ، وبذلك فقد تعمقت في نفسه قبل أن يطلقها حكماً عاماً في رجزه ، ولكن على الرغم مما نلاحظه من عمق الحكمة وتوقع مصادرها لديه ، فهي لاتمثل جانباً هاماً في موضوعات رجزه ، وإنما نجدها قليلة نسبياً ، ولا سيما إذا ما قورنت بالحكمة عند زهير ومن إليه .

وقد ترد حكمة العجاج في بداية الأرجوزة ، داخل المقدمة التقليدية ، إذ ربا وجدناه يعاتب نفسه بكأته على الأطلال ، وقد أصبح شيخاً طامناً

(١) الأرجوزة ١٣٢/٢٤ - ١٣٥ .

- ٣٠٥ -

العجاج - ٢٠

ليس له أن يطرب أو يحزن لذكر الأجابة أو الوقوف على الديار ، ثم يجد في هذا الحديث دافعاً إلى عدد من الحكم ، يستمدحها من تجاربه في الحياة . فالصبي هو الذي يصبُو فيُندَر لأنه لا سِنَّ له ولا تجربة ، والدهر لا يبقِي الإنسان على حال من الأحوال ، وإنما يتصرف به ويسود من حال إلى حال ، وقد أفنى القرون من الناس وما يزال مُصلَباً شديداً (١) :

بَكَيْتُ وَالْمَحْتَرِنُ الْبَكِيُّ      وَإِنَّمَا يَأْتِي الصَّبَا الصَّبِيُّ  
أَطْرَبَا وَأَنْتَ فَنَسْرِي      وَالْدَهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِي  
أَفْنَى الْقُرُونُ وَهَوَّ قَتَعَسْرِي      وَبِالدَّهَاءِ يُخْتَلُ الْمَدِيُّ  
من أن "شجارك ظلل" عامي

فالحكمة قد وردت هنا في بداية الأرجوزة ، إلا أنها سايرت معاني القلعة التقليدية ، ولم تحل مكانها كالذي تم على أيدي بعض شعراء بني العباس من أمثال أبي تمام والمتني ، ولكن وضع العجاج لها في مقدمة الأرجوزة ربما كان بداية لهذا التطور الشامل في منهج القصيدة الذي تم على أيدي بعض شعراء العصر العباسي ، وإذا كان العجاج لم يتخذ من الحكمة مقدمات خالصة لأرجوزته ، فقد أتى بالمطالع الديني واتخذ منها مقدمات لبعض الأراجيز ، وهي قريبة جداً من موضوع الحكمة الذي جلا إليه المتني وأمثاله واتخذ منه بداية لأكثر قصائده ، وبذلك كان العجاج بمن أسهم في هذا التطوير لعصر بني أمية ، سواء في تقرب الحكمة من المقدمات ، أو الاختصار في المقدمات على المطالع الدينية والانتقال منها مباشرة إلى موضوع الأرجوزة كقوله مثلاً (٢) :

(١) الأرجوزة ١/٢٥ - ٧ .

(٢) الأرجوزة ١/٤١ - ٥٠ .

فله لولا أن تحش الطبع      في الجحيم حيث لا مستصرح  
في دُخُل النار وقد تسلخوا      لتعلم الجبال أي مفتتح  
ليامهم أرعاه وأنقح

وقد لا ترد الحكمة في بداية الأرجوزة ، وإنما ترد في أضعافها على ستة غيره من الشعراء ، وذلك لما يدعوه الموقف أحياناً من إطلاق بعض الأحكام العامة ، التي تشبه أن تكون نتيجة لذلك الموقف أو تفسيراً أو توضيحاً ، فإذا وقف على منازل ليلى ، وقد غت وتغيرت ، بعد أن بعدت وطال العهد بها ، وتقطعت أسباب الوصل دونها ، راح يطلق بعض المعاني الكلية التي تصل بهذه التجربة النفسية ، فالإنسان إذا بعد انقع رجائوه في لقاء من يريد ، إلا أن يحضر حاجته بنفسه فلا ينقطع منه الرجاء ، وإذا عمل في أمر بغير إحكام ، أضواه ذلك وأنقصه ، مادام مُلهوًجا بين يديه غير تضييع (٣) :

مَنَازِلُ هَيْجِنٍ مِّنْ تَهْجَا      مَنَآلُ لَيْلَى قَدْ عَفَوْنَ حَجَبَا  
وَالشَّخْطُ قَطَاعُ رَجَاءٍ مِّنْ رَّجَا      إِلَّا احْتِضَارُ الْحَاجِ مِّنْ تَحَوَّجَا  
وَالأمرُ مَا رَامَقَتْهُ مَلَبُوجَا      يُضَوِّيكَ مَا لَمْ تُحْشِيْ مِنْهُ مُنْضَجَا

وقد توافقت الحكمة أحاديث العجاج عما بلغه من الهرم والضعف والكبر ، فإذا تحدث عما صار إليه من الضعف والهرم ، بعد أن كان قوياً صلب القناة ، نظر إلى تقلب الدهر بالإنسان ، وألقى رأي الشيخ المجرب ، فالدهر لا يستقيم على حال ، وبيننا الفتى يسعى إلى أمانة من أمانيه ، وهو يظن أن الدهر يسير على طريقة واحدة لا تتغير فيها ، إذا بداية تعرض له ، فتعقله

(١) الأرجوزة ٢١/٢٣ - ٢٦ .

وتردّه عن هواه وأمانيه <sup>(١)</sup> :

بَيْنَا الْفَتَى يَسْعَى إِلَى أُمْنِيَةٍ      يَحْسِبُ أَنَّ الدَّهْرَ مُرْجَرِيَّةٌ  
مَرَّتْ لَهُ دَاهِيَةٌ دُهْرِيَّةٌ      فَأَعْتَقَلَتْهُ عَقْلَةٌ سَرَّزِيَّةٌ  
لَفْتَانَةٌ عَنْ هَوَاهُ شَغَرِيَّةٌ

وما تقدم نذكر أن الحكمة عند العجاج ربما وردت في بداية الأرجوزة، وربما وردت في أثناء أبياتها ، ولا سيما إذا ما تحدث عن الهرم وقارنه بما كان عليه أيام الشباب . وهي تعتمد اعتياداً كلياً على ثقافته الإسلامية ، وتجاربه في أدوار حياته ، وما أثر في نفسه من أحداث عصره ، ولكنها مع ذلك قليلة نسبياً ، لا تمثل موضوعاً رئيسياً في رجزه .

### الوصف

إن الموضوعات السابقة بها يكن واحداً من الاتساع في رجز العجاج ، فهو محدود إذا ما قيس بموضوع الوصف ، فهذا الموضوع كان العجاج يسعى إليه سعياً في أكثر الأراجيز ، حتى إننا قد لا نجد في الأرجوزة على طولها أي هدف غير وصف مشاهد الصحراء ، وما فيها من نبات وحيوان ، وما يتم على رمالها من طراد لحمار أو ثور وحشي ، وليس من دافع إلى هذا الوصف الرائع المطول ، إلا حب العجاج للصحراء ، وتآلفه معها ، وحرصه على نقل مشاهدنا <sup>(٢)</sup> ، وربما كان للأرجوزة هدف معين كالمدح أو الفخر ، إلا أن موضوع الوصف كثيراً ما يغلب على أبياتها <sup>(٣)</sup> ، فلا يتوكل للمدح الججاج مثلاً

إلا أقل الأبيات <sup>(١)</sup> ، وأما في سائر رجزه فالوصف يتغلغل في ثنايا كل موضوع مدحياً كان أم تعريضاً أو نسيباً أو فخرأ ، فهو لا يكاد يجد مناسبة للوصف حتى تنقلت من موضوعه ليخرج إلى أوصاف جانبية ، ثم يعود إلى موضوعه من جديد ، ولا يزال هذا دأبه حتى يستقل الوصف بأكثر أبيات الأرجوزة .

وأكثر ما نلاحظه في وصف العجاج ، ليس خاصاً به ، أو مقتصراً عليه ، وإنما هو شائع لدى أكثر شعراء عصره ، ومن تقدم عليهم من شعراء الجاهلية وصدر الاسلام ، ولهذا قال ابن رشيق : « الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ، ولا سبيل إلى حصده واستقصائه » <sup>(٢)</sup> .

إلا أن ما ينفرد به العجاج هو ذلك التخصّص لأوصاف الصحراء ، وجعلها هدفاً وغاية لأكثر أراجيزه المطولة ، ولا يكاد يبدأنه في ذلك إلا بعض شعراء هذيل لشغفهم بوصف مشاهد الصحراء ، وذو الرمة لأنه هو الآخر قد عاش حياة العجاج في الصحراء ، وكان راعياً للإبل ، ولذا اتقن أوصافها ، وجاء بصور رائعة لمشاهد الصحراء أيضاً <sup>(٣)</sup> .

ولهذا عرفت عن العجاج وابنه رؤبة ، أنها أصحّاب إبل في الوصف لا أصحاب خيل ، ومن ذلك ما قاله ابن سلام : « وقال بونس : كنت الجعدي أوصف الناس لفرس ، أنشدت قوله رؤبة :

فَبَانَ صَدَقُوا قَالُوا : جَوَادٌ مُجَرَّبٌ      خَلِيعٌ ، وَمِنْ خَيْرِ الْجِيَادِ خَلِيعُهَا  
قال رؤبة : ما كنت أرى المُرْهَقَ إلا أسرع منها . ولم يكن

(١) في الأرجوزة ٣٤ .

(٢) المصنعة ٢٢٦/٢ .

(٣) أرجع الى التطور والتجديد في الشعر الاموي ٢٠٩ - ٢٣١ .

(١) الأرجوزة ١٢/٤٠ - ١٦ .

(٢) انظر الأراجيز ١٥ ، ٢٠ ، ٢٥ .

(٣) انظر الأراجيز ٣٦ ، ٤٤ .

رؤية والعجاج صاحبي تَخِيلَ ولكن كانا صاحبي إبل ونعنا<sup>(١)</sup> .

ومن المشهور أن رؤية قد أخطأ مرة<sup>(٢)</sup> في وصف الخيل ، فقد نقل الرزباني بسنده عن الأصمعي أن سلم بن قتيبة قال لرؤية : « أخطأت في قولك :

تَمَوْنِ سَتَى وَيَقَعْنَ وَفَقَا

قال الأصمعي : لأن الجياد لا تقع حوافرها معاً ، وإذا وقعتْ وفَقَا ، فكانه يَضِيرُ ليس يَنْبُجُ<sup>(٣)</sup> .

ونقل ابن قتيبة هذا الخبر فقال : « فقال له سلم : أخطأت في هذا بأبأ الجفاف ، جعلته مُقْبِداً . فقال رؤية : أدني من ذنب بعير<sup>(٤)</sup> . »  
يرد أنه وُصِفَ للإبل لا للخيْل . وقيل شيء من هذا حول غلط أبي النجم في بيت وصف فيه الخيل أيضاً<sup>(٥)</sup> ، وهذا قد يشير إلى وتلوع الرجزاز يوصف الصحراء والإبل بوجه خاص ، إلا أن ذلك لم يكن حائلاً دون وصفهم للخيْل ، فقد ورد في رجز العجاج أوصاف رائعة للخيْل ، وليست بالقليلة في ديوانه<sup>(٦)</sup> ، وكذلك كانت أوصاف الخيل كثيرة في رجز رؤية ، وقد أورد ابن قتيبة في باب أوصاف الخيل أمثلة من رجز العجاج<sup>(٧)</sup> ، وأمثلة

أخرى من رجز رؤية<sup>(٨)</sup> ، وثلاثة من رجز أبي النجم<sup>(٩)</sup> ، وثمة أراجيز رائعة لأبي النجم في وصف الخيل ولا سيما داخل الحلبة<sup>(١٠)</sup> .

فالعجاج قد وصف الخيل وأجاد ، وإن كانوا قد أخذوا على ولده رؤية بعض الخطأ في بيت وصف فيه الخيل ، فهذا لا يعني أن العجاج أو رؤية كانا يجهلان أوصاف الخيل ، لأن مجرد الخطأ في صورة أو معنى لا يعني الحكم المطلق في ذلك ، فابو النجم مثلاً وهو أعرابي راجز من وُصِفَ في الإبل ، قد أخذوا عليه أنه أخطأ في بيت وصف فيه الإبل<sup>(١١)</sup> ، ولا شك أن هذا المأخذ لا يحيط مع شأن أبي النجم ، ولا يخرج من وُصَافِي الإبل المجيد .

ومن هنا يمكن أن نعود إلى قول ابن سلام : « ولم يكن رؤية والعجاج صاحبي خيل ، ولكن صاحبي إبل ونعنا » ، ونفهم من هذا القول أن العجاج ورؤية كانا إلى وصف الإبل أكثر اتجاهاً منها إلى وصف الخيل . فالإبل أوثق صلة بالأعرابي ، وأكثر ألفة فوق رمال الصحراء .

إلا أن أوصاف العجاج لم تقف عند وصف الإبل ، ولما انتهت إلى كل ما كانت تقع عليه عينه في يدياته ، فقد وصف حيوان الصحراء ، فجاء بولحات حيّة الأسد ، والآرام ، والوعول ، والطائم ، والجراد ، والنسر ، والبازي ، واليوم ، وبقر الوحش ، والحمار والأتن ، وما يجري من طراد بينها وبين الصياد والكلاب . ثم أتى بولحات مشرقة أيضاً لشاهد الصحراء نفسها في ليها ونهارها ، وبردها وقيظها ، وصجورها وغشها ، فتحدث عن

- (١) طبقات ابن سلام ١٠٧ ، ونقله الجاحظ في كتابه القول في البغال ٢٠ .
- (٢) الموشح ٢١٩ .
- (٣) الشعر والشعراء ٥٧٧ ، ومثله في العقد ١٣١/١ ، والأغاني ١٢٥/٢١ و ٦١/١ .
- (٤) الشعر والشعراء ٥٨٦ ، والأغاني ١٦١/١ ( دار الكتب ) ، والموازنة ٣٨ - ٢٩ ، والوساطة ١٧ ، والمعاني الكبير ٣ - ٣١ ، والعقد الفريد ١٣١/١ و ٢٠٦/٦ .
- (٥) انظر مثلاً الأراجيز ٥٦/١ - ١٤/١٣ ، ٦٢ - ٢٦ ، ١١٧/٣٣ - ١٢٥ ، ١٧/٣٦ - ٢٢ ، ١٣/٣٧ - ٢٠ ، ١٤ - ٨/٢٩ .
- (٦) المعاني الكبير ٢٢/١ - ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٧٥ ، ١٣٤ ، ١٥٦ .

- (١) المعاني الكبير ٣١/١ - ٣٣ ، ٥٣ ، ٨٠ .
- (٢) المعاني الكبير ٦/١ ، ١٠ ، ١٣ - ١٤ ، ٢٠ - ٢١ ، ٤٨ ، ٦٣ ، ٧٥ - ٧٦ ، ٧٨ ، ٩١ .
- (٣) انظر الشعر والشعراء ٥٨٧ - ٥٨٨ ، والعقد الفريد ١٣٥/١ و ١٣ - ١٣١ ، وديوان المعاني ١٠٩/٢ - ١١٠ .
- (٤) الشعر والشعراء ٥٩٠ .

الأجعة ، والكناس ، والسراب ، والمطر ، والبرق ، والرعد ، والسيل ،  
والمسيل ، والمثل ، ثم وصف الليل والنجوم ، وأكثر من وصف المفاوز  
الرائحة المبهلة ، ولم ينس أن يتحدث عن رحلته وما يصادفه فيها من عنت  
ومشقة ، وما يستوفقه من أطلال درست ، فلم يبق فيها إلا مساح  
للذكريات .

ولم تكن عين العجاج لتثقل فقط مآزاه في صحراء نجد ، وإنما كانت  
تثقل أيضاً مآزاه في بيئة البصرة ، وهي تلتقي بأمواج الخليج العربي ، فهذه  
الأمواج تركت في رجزه بعض الصور للبحر والسفينة وما يتناقله الصادون  
من أعاجيب البحر ، وكذلك كان لرحلة العجاج إلى العراق ، وإقامته  
بالبصرة ، أن زينت بعض أوصافه بصور النهر والسفينة أيضاً ، وبغمة صور أخرى  
كانت وليدة الغزل أو الأحداث السياسية ، ومنها أوصافه للمرأة والدموع ،  
أو للحرب وأدوات القتال .

وبذلك كانت موضوعات الوصف عند العجاج لا تقتف عند جانب من  
الطبيعة دون آخر ، فقد صور الطبيعة بعناصرها المتحركة ، وعناصرها  
الصامتة ، ولكن مشاهدته على اختلافها كانت لا تلحظ من الروح والحركة ،  
حتى ولو كانت تصور الجماد الذي لا يتحرك . وهذه الصور على تنوعها صور  
موضوعية تراها عين العجاج ، أو تحس بها أذنه ، إلا أن عنده صوراً أخرى  
لا تلتفت عنها فحساً ، وهي الصور الذاتية ، التي تمثل فيها مشاعر النفس  
الإنسانية ، أو مال من خلالها إلى تجسيم هذه المشاعر في تصوير الحيوانات  
أو الطبيعة .

فالعجاج قد وصف المرأة أوصافاً موضوعية كثيرة ، وأتى بصور لشعرها  
وبياضها وقوامها وجيدها وما أشبه ذلك ، إلا أنه لم يغفل الجانب الذاتي

والنفسى في أوصافه لها ، وإنما صور ما يجتليج في أنفسهم من هواجس أو  
أفكار ، فالיום قد تعبهده الشيب ، ومالت به الأيام إلى ما يشبه الهرم ، فمأذا  
يمكن للنساء أن ينظرن به إليه ، لهن معروضات عنه ، بعد أن كن  
مائلات إليه (١) :

مَالِ الْغَوَانِي مَعْرِضَاتٍ مُصَدِّدَا      وَقَدْ أَرَاهُنَّ إِلَيْنَا مُعْتَصِدَا  
بِالْطَّرْفِ وَاللَّبَاتِ مُخْزَرَاتٍ قَوَدَا      لَمَّا رَأَيْنَ الشَّيْبَ قَدْ تَعَهَّدَا

فهو بهذه المفاخرات بين حاضر الغواني وقد تعبهده الشيب ، وحالهن وقد  
كان في برد الشباب ، لا يفت عند صور موضوعية لهذه المرأة أو تلك ، وإنما  
يدخل إلى ما يجتليج في نفوسهن من عواطف متناقضة بين اليوم والأمس ، ولا  
يكفي بهذه المقابلة المؤثرة ، وإنما يعمد أيضاً إلى وسيلة فنية أخرى ، تكشف  
عن هذا الجانب النفسى ، فليجأ إلى ما يشبه الحوار أو المناجاة ، وإذا بلسانين  
ينطق بها في النفس من تساؤل بعد أن كفت العجاج عن اللهو ، فمن في  
حيرة من أمره ، أترأه أقصر عينين وغدا مسناً كالعود من الإبل ، أم أنه  
تجلد وتصبّر بعد أن تعبهده الشيب والكبر (٢) :

فَتَقَلَّنْ قَدْ أَقْصَرَ أَوْقَدَ عَوْدَا      عَنْ وَصَلِنَا الْعِجَاجَ أَوْ تَجَلَّدَا

وفي هذا تصوير للواقع النفسى الذي حرص العجاج على تصويره ، ليعت  
الحياة في الجوانب الموضوعية من صورته ، ولهذا ربما بدا به في أوصافه للمرأة ،  
إذ كان يحاول دائماً إبراز ما في نفسها من أفكار ، وما يدور في خلدتها من  
هاجسات ، فهي تفرص على العجاج ، وتخشى أن يقطع من دونها الأسباب ،  
فتميل إلى ما يشبه الاغراء أو الاغواء ، والعجاج طبّ بهذا كله ، ولذا ينقله

(١) الأرجوزة ١/٢٧ - ٤ .  
(٢) الأرجوزة ١١/٢٧ - ١٢ .



في أوصافها لها ، قبل أن يعرض لأوصافها الموضوعية (١) :

وَسَبَدَلْتُ لَيْسَ تَهْمَةً وَتَهْمًا قَامَتْ تَهْمُكَ تَهْمَةً أَنْ تَضُرَّمَا  
سَاقًا بِضَنْدَاةٍ وَكَعْبًا أَرْزَمَا وَكَفَلًا وَغَمًا وَكَشْحًا أَهْضَمَا

والغريب أن العجاج في صورته الذاتية ، لم يتحدث عن النساء أو الإنسان فحسب ، وإنما برع في تجسيم هواجس الحيوان ، وغالباً ما يتخذ منه وسيلة لتصوير مافي نفسه هو من أحزان أو أسواق أو احساسات ومشاعر خاصة ، فالقفا قد تَعَبَوْنَا أن نجد في أوصاف الصحراء عند الشعراء ، وكذلك أوردته العجاج في رجزه ، ولكنه لا يصف القفا بالعطش والبعد عن الماء على عادتهم ، ولا يصفه بمجرد السواد ، فيقول إنه « جُوفِي » ويقف ، وإنما يحرك في أبحاثه بعض المشاعر الذاتية ، فيأتي بصور نفسية لهذا القفا ، وإذا بها وحيدة في ذلك الليل الموحش الذي يلف رمال الصحراء ، والوحشة قد أثارت في قلبها الهمم والكآبة ، فإن مرّ العجاج بها وجدت فيه أنيساً يفوّج عنها ذلك الهمم ، ويباعد عنها تلك الكآبة (٢) :

سَوَابِقُ الْجُوفِيِّ بِالْإِتْلَافِ فَرَجَتْ تَهْمُ لَيْلِيَا الْغَدَاةِ

وقد أكثر العجاج من تصوير الثور ومعاركه مع الكلاب ، ونقل من ذلك لوحات حيّة تجعل تلك المشاهد ماثلة للعين ، شاحصة أمام الخيال ، إلا أنه لا يصف الثور أو الكلاب وصفاً خارجياً فقط ، ولا ينتقل مع الثور في رحلته بين الليل والنهار فحسب ، وإنما يصر دائماً على الدخول إلى نفس هذا الثور ليصف هواجسه وخواطره وما يتناجي به نفسه ، حتى لكأنك الثور إنسان كالعجاج ، ولهذا يتعاطف معه ويصور خيلجات نفسه ، فإذا لجأ الثور

في ليلة مطيرة باردة إلى رَبَضِهِ ، بات وهو خائف قد جَمَعَ بعضه إلى بعض ، وذلك حذراً أن يفجأه ما يودي به إلى الموت والملاك ، ولا يكاد يطلب النوم حتى تروعه هاجبات يفكر فيها ، فقهذه وقنع النوم عن أجفانه (٣) :

فَبَاتَ حَيْثُ يَدْخُلُ النَّوِيُّ مُجْرَمًا وَلَيْلَهُ قَسِيْهُ  
خَوْفُ التَّرَدِّيِّ وَالرَّدَى مَغْشِيْهُ إِذَا اسْتَتَامَ رَأَاهُ النَّجِيُّ  
مِنْ عَازِفَاتِ هَوْلِهَا هَوْلِيْ وَمُسْهِدَاتِ رَوْعِهَا تَنْزِيْ  
خَوْفًا كَمَا يُسْهِدُ الرَّقِيْ

فالعجاج قد دخل إلى نفس الثور وراح يحلل مافيا من خيلجات وأحاسيس ، ليجعل من هذه المشاهد الذاتية تمهيداً نفسياً لما سيورده بعد قليل من صراع بين الثور وكلاب الصيد ، بل إنه ينظر إلى الثور على أنه واحد من أعراب البادية ، أو فارس من فرسان بني قيم ، فهو متكبر لا يؤخذ قسراً ، وذو نخوة شديد الجلّة في حربه ، بل يجود بنفسه دفاعاً عن حومته ، وحفاظاً على نخوته الأعرابية (٤) :

لِلْقَسْرِ ذُو أَبْهَمَةٍ عَصِيْهُ ذُو نَخْوَةٍ مَحَارِسُ عَرَضِيْ  
أَلَيْسَ عَنْ حَوْبَائِهِ سَخِيْهُ

ومن الطريف أن يجعل الثور يفكر بطرائق القتال فيراوغ عدوه ويخدعه ، ثم يترى رأيي العجاج في عقيدة القضاء والقدر ، وهذه الصور الذاتية كلها قد أمكن للعجاج أن يصل إليها عن طريق المناجاة ، فالثور يتناجي نفسه ويجدها بأوجه مختلفة من أمور قتاله مع الكلاب ، إذ أن الكلاب قد أفرغت الثور ، فانصاع أمامها يجري ، يربها أنه لا يريد قتالاً ، وقد أضمر

(١) الأرجوزة ١١١/٢٥ - ١١٧ .

(٢) الأرجوزة ١٧٣/٢٥ - ١٧٥ .

(١) الأرجوزة ١١/٢١ - ١٤ .

(٢) الأرجوزة ١٧/٨ - ١٨ .

لها الشر والقتال ، فتارة يضي كافاً رجله قد شدّت بهيجار ، وطوراً يور في جريه معزّداً لا يجتهد ولا يبالغ ولا يجيد<sup>(١)</sup> ، وهو ينظر من طرف ليعطف على الكلاب وينقض ، وما كاد يجري ميلين حتى بدا يهزم أمره على القتال ، ويجدث نفسه : «إني إن كررت اليوم فبر أدنى إلى الحياة ، وإلا فإني أقتل دون أن ألقى يدي ، ولعلي أقتل من يريد هلاكي ، ثم كثر على الكلاب ، صابراً على القتال ، راضياً بما يريد القدر ، حاذقاً في الطعان غير ضجور<sup>(٢)</sup> :

فَرَمَعْنَهُ وَالرَّوْعَ لِلْمَذْمُورِ فَانْصَاعَ وَهُوَ ذَاخِرُ التَّنْكِيرِ  
مِنْ بَغْيِهِ مُقَارِبُ التَّهْجِيرِ وَتَارَةً يَمُورُ كَالْتَعْدِيرِ  
نَسَجَ الشَّالَ حَذَبَ الْغَدِيرِ وَفِيهِ كَالْإِعْوَاضِ لِلْعُكُورِ  
مِلْبِسِينَ ثُمَّ قَالَ فِي التَّنْكِيرِ إِنَّ الْحَيَاةَ الْيَوْمَ فِي الْكُرُورِ  
أَوْ أَرْدَى وَمَعِيَ ثُورِي فَكُرُورٌ وَالتَّصَرُّعُ مَعَ الصُّورِ  
مُعْتَرِفاً لِلْقَدَرِ الْمَقْدُورِ بِوَقْعٍ لَا جَافٍ وَلَا ضَجُورِ

فالثور إذن قد قصص شخصية أعرابي يحسن القتال ويروتي فيه ، وما ذلك إلا لأن العجاج لم يكتف بالأوصاف الموضوعية له أو للقتال ، وإنما كلف دائماً يُعرِّج على الجوانب النفسية ، ويبرزها بمجدق ومهارة ، ويجعل منها وسيلة بارزة من وسائل التأثير وإحياء الصور بالدفء والحركة الواقعية . ومثل هذا التصوير الذاتي للثور يمكن أن تقع على شيء منه عند بعض

شعراء هذيل ، ولكننا لانقع عليه في أشعارهم بهذه الدقة والاتساع الذي نجده في رجز العجاج ، بل إننا لانقع على دقة العجاج في هذا التصوير عند أمثال النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى ، وهما من أبرع وصافي الجاهلية ، ذلك لأن العجاج قد اختص بوصف الصحراء ، وراح يقدم الأراجيز الطوال

(١) الأرجوزة ١٢٥/١٩ - ١٣٦ .

وليس لها غاية أو هدف أحياناً إلا تدقيق النظر في مشاهد الصحراء ، ونقلها في صور رائعة ، ولكن زهيراً أو النابغة كان للقصيد عندهما هدف آخر غير التركيز على مشاهد الصحراء ، ولهذا ضمرت مشاهد الثور في أشعار زهير وكادت تختفي من أشعار النابغة .

فهو يصف الثور في إحدى قصائده ، ونقل صوراً لرحلته مع بقرة ، ثم إقامته في تلك الليلة المطيرة ، ثم سار به مع الصباح إلى الصراع بينه وبين كلاب الصيد ، ولكنه لم يتغلغل إلى نفسية الثور وهو ينتظر الصباح ، ولم يدخل إلى ذاته وهو يصارع الكلاب ، وإنما كان حديثه موجزاً جداً ، حتى إن مشهد القتال نفسه لم يدم أكثر من بيتين<sup>(١)</sup> ، وفي قصيدة أخرى أتى بلجة خاطفة من هذه المشاهد ، حين شبه فرسه بثور رأى كلاب الصيادين بعيد<sup>(٢)</sup> ، وفي قصيدة ثالثة شبه ناقته بثور وحشي ثم جعله ينتقل بسرعة إلى كلاب الصيد ويتصرع عليها ، ولم يعط هذه المشاهد كلها أكثر من خمسة أبيات فقط<sup>(٣)</sup> ، وهذا كل ماورد في ديوانه حول هذا الموضوع ، وإن كان قد تحدث بإيجاز أيضاً عن الجار الوحشي والأذن في موضعين آخرين<sup>(٤)</sup> .

وأما النابغة الذبياني فلم يجد في ديوانه إلا موضعاً واحداً فقط تحدث فيه عن الثور ، فكان حديثاً موجزاً ، لا ينفذ إلى تصوير ذاتي له ، ولا بطل في تحليل هواجسه ، وإنما يجعل يلتقي بكلاب الصيد ثم يتصرع عليها ،

(١) انظر ديوان زهير ٤٢ - ٤٨ .

(٢) ديوانه ٢٦٤ .

(٣) ديوانه ٢٧٩ - ٣٨٠ .

(٤) انظر ديوانه ٦٥ - ٧٢ و ٣٧٢ - ٣٧٨ . وفي موضع آخر تحدث عن بقرة غفلت عن ولدها فأكله الوحش ، ثم لقيها المرأة ، فنجت منهم بسرعة الجري : ديوانه ٢٢٥ - ٢٣٠ .

ولا تمت هذه المشاهد كلها إلا في نطاق ثمانية أبيات فقط <sup>(١)</sup>.

فالعجاج كان مختصاً بأوصاف الصحراء ، بارعاً في نقل مشاهدتها ، حاذقاً في تصويره الذاتي لجوانبها الموضوعية ، من أمثال الثور ، وما يتم من عراق بينه وبين عدوه من كلاب القانص أو الصياد .

ولا يقف التصوير الذاتي لديه عند هذه الجوانب فحسب ، وإنما يمتد أيضاً إلى تعاطف العجاج مع الموصوف ، واندماجه معه في شخصية واحدة ، وذلك حين يصور العجاج ذاته وعواطفه وأشواقه وحبّه للأسفار من خلال وصفه لبعيره « مسخول » .

فالعجاج قد حنّ إلى السفر ، ولكنه لا يقبل ذلك صراحة ، وإنما يجعل لبعيره هو الذي يحنّ إلى ذلك ، فقد أنيخ مسخول مع الإبل المحبوسة عن الرحيل ، فغداً يملّ مكانه كما يملّ الأسير في أسره ، وإذا جاءه الليل قضى إليه كله بالزفير والحزن والدموع ، وذلك شوقاً إلى الأسفار ، وانتظاراً للعجاج أن يركبه ويضي عليه <sup>(٢)</sup> :

أَنِيخَ مَسْخُولٌ مَعَ الصَّبَّارِ مَلَالَةً مَلَأَتْ سَوْدَ الْإِسَارِ  
يَغْنِي تَجَمُّعَ اللَّيْلِ بِالْتَرَفَّارِ وَتَعْبَرَاتِ الشُّوقِ بِالْإِدْرَارِ  
نَظَارُ أَنْ أُرَكِّبَهُ نَظَارِ لَوْ يُقَرُّ كَأَنَّ ذَا قَتَارِ  
صَابِغَةً فِي أَثَرِ السَّفَارِ

فهو لايصف لبعيره كما يراه ، وإنما يصف خواطر هذا البعير ، لجعل منها صورة لما في نفسه هو من هواجس وخواطر وأفكار . ومثل هذا

(١) ديوان النابغة ١٩ - ٢٠ . وفي موضع آخر شبه ناقته بجمار الوحش فوصفه مع الآن في خمسة أبيات ، ولم يتحدث عن القانص أو الصياد : ديوانه ٥٨ - ٥٩ .  
(٢) الأروجة ١/٤ - ٧ .

التصوير نجدّه أيضاً في وصفه لبعيره وقد خرج من دمشق يريد نجداً ، فسجول قد أصبح يعاني ضجراً ومشقة لإقافته بدمشق ، ويقاسي ذباباً أزوق مؤلماً يزيد ملالة على ملالة <sup>(١)</sup> :

أَصْبَحَ مَسْجُولٌ يُوَازِي شَقًّا مَلَالَةً يَمَلُّهَا وَأَزَقًا  
وإِدْبَاتٍ مِنْ ذُبَابٍ زُرْقًا

وهذه الملالة في الواقع لم تكن عند مسجول ، وإنما كانت عند صاحبه العجاج ، يدل على ذلك فرحه وبشره حين أنجده جملته ، وخرج من عَمَقِ دمشق ، ونظر إلى العراق ، فأبصر برقاً يلمع من ناحية سهيل <sup>(٢)</sup> :

أَقُولُ إِذْ أَنْجَدَنِي مِنْ دِمَشْقَا حِينَ رَمَى بِيحَاجِيَّةَ الشَّرْقَا  
وَأَشْتَفَ مِنْ نَحْوِ سَهِيلِ بَرْقًا يَابُشُرًا إِنَّ كَانَ هَذَا حَقًّا  
إِذَا السَّرَابُ الرُّقْرَقَانِ انْتَعَقَا

وفي هذه الصورة التي رسمها لبعيره ، قد توفرت كثير من من العناصر الفنية الموحية ، فقد أطلعنا على خليجات نفسه ، ثم زاد من ملالته بذكر الذباب ، ولم ينس أن يلوّن الذباب لتزداد الصورة وضوحاً وتأثيراً ، ومن ثمّ حرك جملته ، وإذا به يخرج من دمشق ، ثم يتجه إلى بلاده في العراق أو نجد ، وهنا برزت نفس العجاج ، فبدت عليه فرحة وراحة نفسية بقاءه البادية حين رأى برقاً يلمع من قِبَلِ سهيل ، وسراباً يترقق أمام عينيه مؤنناً بعودته إلى صحرائه أو إلى بلدته في البصرة أو البصرة .

والمهم أن العجاج في أوصافه لبعيره ، ربما تعاطف معه ، وصوّر

(١) الأروجة ١/٣ - ٣ .  
(٢) الأروجة ٦/٣ - ١٠ .

من خلاله ما يجده في نفسه هو من عواطف وأفكار خاصة ، وهذا يشير إلى أنه لم يكن وصفاً دائماً ، دون أن يشرك إحساسه وعاطفته في هذا الوصف. ورجز العجاج لم يقف عند التصوير الذاتي فحسب ، وإنما جاء بلوحات رائعة من التصوير الموضوعي ، ولا سيما حياة الصحراء وما فيها من طبيعة وحيوات ، إذ لم يغفل شيئاً يمكن أن تقع عليه العين في جنباتها ، بل كان مصوراً حاذقاً لكل ماوقفت عليه عينه من صور أو مشاهد .

والعجاج لا يتجه إلى الصور بعينه فحسب ، وإنما يتجه إليها بسمعه وكلّ حواسه ، لينقل منها كلّ جانب يوحي بالحياة والحركة فيها ، فإذا وصف الأسد مثلاً أتى بصور متنوعة له ، لا تزال تتكامل حتى تجعل منه حقيقة ماثلة أمام العين تحيا وتتحرك ضمن إطار طبيعي واقعي ، فالعجاج يحدّق النظر إلى الأسد ، وإذا به خضيب الصدر من الدماء ، وجلده مرفّل موسّع فوق جسده ، وأشدّاقه واسعة تنذر بالرعب ، وهذه العناصر كلها توحى بسائر الجزئيات من صور الأسد ، ذلك لأنها تبرز أهمّ الخطوط والألوان في هذه الصور الرهيبة ، فالدم فوق صدره ، والأشدّاق واسعة ، والجلد مرفّل ، ولكن العجاج يتناول جانباً آخر ليؤكد عنصر الرعب والخوف ، فيلوذ بوصف ذاتي له ، حين يراه غليظاً شديداً جريئاً ، يغيّر على الأهلين من الناس ، ويقطع الطريق ويهلك أبناء السبيل ، وهذه الصور المتنوعة توحى بلا ريب إنحاء متكاملة بصورة الأسد الراب ، ولكن الخيال حتى الآن لم يستطع أن يتصرّ إطاراً طبيعياً لهذا الأسد السخوف ، ولذلك تابع العجاج رسم المشهد ، فجعل الأسد بين صفين من الشجر الكثيف المتنوّع داخل أجمة كثيرة الشجر ، ولم ينس أن يبعث الحياة في هذه الأجمة ، إذ أسمع فيها أصواتاً مختلطة من ذلك البعوض والذباب الأحرار<sup>(١)</sup> :

(١) الأروزة ١١٣/١٢ - ١١٩ .

وكلّ رثبال تخضيب الكلنكل  
منهّرت الأشدّاق غصّب مؤكل  
بين سباطي غيظكل وغنظكل  
من لحنّي شجواء ذات أزمكل  
من البعوض والذباب الأشكل

فالصورة في هذه الأبيات ، قد اعتمدت على جوانب فنية متنوعة ، ذلك لأن العجاج لم يكتب بالصور البصرية ، وإنما أتبعها بصور ذاتية ، وأخرى سمعية ، فتكاملت بها تلك العناصر الموجبة ، وأمكن لها أن تبرز أمام العين ذلك المشهد ماثلاً بكل ما فيه من ألوان وخطوط وجزئيات ورعب وحركة ، ثم ماكدت تبرز صورة الأسد ، حتى عادت إلى إبراز الإطار الطبيعي له بكل ما فيه من خطوط وأصوات وجزئيات موجبة ، وإذا بالأسد بين صفين من الأشجار في غابة كثيفة ، وأصوات الذباب والبعوض في جنباتها ، يضيء عليها شيئاً من الحياة والحركة .

ومثل هذا المشهد كثير جداً في رجز العجاج ، بل يمكن القول إن أوصافه كلها كانت تمتاز بهذا التنوع ، وذلك لكلفة الشدب بالألوان والخطوط والأصوات على حدّ سواء ، ومهما تضائل العنصر الصوفي في الصورة ، فأذن العجاج المراهقة تنقّب إليه ، وتجعل منه عنصراً فنياً بارزاً في بعث الحيوية والحركة داخل الصورة ، ولهذا وجدناه لا يفتعل حتى عن صوت الماء في أجواف الإبل ، وقد شرّبه رهي عطاش ، وهنا نجد أنفسنا أمام مشهد فني متكامل أيضاً ، فهو يسائر الإبل بعينه ، فيراها تتراحم وكان بعضها يثب بعضاً ، حتى تبلغ الشقيير من الكديد ، وهو المكان الغليظ من الأرض ، ثم تسرع السير ، وإذا بعينها تلح الماء من بعيد ، ثم تأتية صباحاً لتجد فيه ماء غزيراً صافياً ، لا ركود فيه ولا تغيّر في طعمه أو لونه ، ولكن شدة

العطش جعلتها لاترد بتنهّل ، ولذا تتزاحم نزاحاً يُطير الأوبار من أجسادها ،  
وتجروح الماء جرعاً يُسمع له خير في أجوافها<sup>(١)</sup> :

وَأَحْسَتْ مُحَسَّنَاتُهَا الْعُدُورَا حَتَّى إِذَا مَا عَلَتِ الشَّفِيرَا  
مِنَ الْكَدِيدِ وَتَغَالَتْ زُورَا وَعَیْنَتْ أَعْيُنُهَا فَلَمُورَا  
وَبَاكَرَتْ ذَا جَمْعٍ نَسِيرَا لَا آجِنَ الْمَاءِ وَلَا مَاطُورَا  
جَاهَتْ بِيَزْحَمٍ يَزْحَمُ الْمَدْحُورَا فَطِيرَا عَنْ أَكْثَافِهِ الْقَتِيرَا  
تَسْمَعُ الْمَاءُ إِذَا اسْتَحِيرَا لِلْجَرَجِ فِي أَجْوَاهَا تَخُورَا

فهر هنا ينظر إلى الإبل ثم يأتي بعدد من الصور المتنوعة لها ، ففي  
الطريق يسارها وينقل معها من مكان إلى آخر ، فإذا جاء ورود الماء ،  
نقل صوراً أخرى لكثرة الماء ولونه وجريانه . ثم ينظر إلى الإبل فنقل صورة  
للتزاحم الشديد ، وما ذلك إلا ليجدد مدى العطش المحكم بها ، ثم سلط  
سمعه الموهف لينقل صوت الماء في أجوافها ، وبهذا التنوع أمكن له أن يبعث  
المشهد حياً متحركاً ، وذلك بعد أن اتجه إليه بعينه وأذنه وكل حواسه .

ومثل هذا التنوع نراه أيضاً في مشهد الصراع بين الثور وكلاب الصيد ،  
وهو مشهد مطول لا نجد من السائق أن نقف عنده بأكمله على ما فيه من إثارة  
وتصوير بارع ، إلا أن الوقوف عند بعض جوانبه المثيرة قد يكفي لبيان  
التنوع الحاذق في صور العجاج ، فقد أطلال في وصف القتال بين الثور  
والكلاب ، وقبل أن يبلغ نهاية هذا الصراع الدامي ، جعل يمدق في قرن  
الثور ، لأنه آلة الحرب البارزة في الميدان ، فهذا القرن حاد جداً وكأنه  
رمح من الرماح ، وهذه صورة بصرية ، وقد أتبعها فوراً بصورة صوتية ،

(١) الأرجوزة ٢٦/١٩ - ٢٨ .

تجعلنا ندخل الميدان بأنفسنا لنرى ما يحدث ، وإذا بالقرن يشتبك مع الكلاب ،  
وإذا بها تعوي وتصرّت حين تصاب بجده ، ومن هذه الصورة الصوتية يعود  
إلى الصور البصرية من جديد ، فالثور يطعن فيصّب الكلب في كلبته ،  
والكلب يصرخ فيموت ، ثم يطعن في صدور الكلاب ، فيترك فيها آباراً  
تغلي بالدم ، وأنفاقاً تهدد بسيل من الدم القاني ، يتدفق من أجوافها<sup>(٢)</sup> :

يَنْسَنُ أَنْ تَسْتَه الدُّمِي كَمَا يَمْسُ الْبَيْرُوكُ الْخَطِيءُ  
لَهْنٌ فِي شِبَاهِهِ صَبِيءٌ إِذَا كَتَلَتْ وَأَفْتَشِمَ الْمَكْنِيءُ  
وَفِي الْجَائِشِ لَهَا رَكِيءٌ تَغْلِي وَأَنْفَاقٌ لَهَا مُوْهِيءُ  
لَهَا إِذَا مَا هَدَرَتْ أَفِيءُ وَرَدٌ مِنَ الْجَوْفِ وَبِحَوَائِيءُ

ولو تابعنا هذا المشهد لوجدنا عجاًباً من آيات هذه الدقة في التنوع  
والتصوير ، فقد رأينا قرن الثور ومدى حدته ، ثم سمعنا صوت الكلاب  
الصرعى ، ثم أمكن لنا أن نجد أنواعاً من الصور الفنية تمثل ما عليها من  
جراحات ، فأبار الدم الأحمر في صدورهما ، وأنفاق تهدد بسيل ورد من  
أجوافها ، وطعن كان يسدد إلى كلالها ، ولا شك أننا قد سمعنا غليان  
الدم ، وهدير السيل ، وذلك حين قال « تغلي » و « هدرت » ، فهذه  
الألفاظ صورت ما يراه البصر ، وأوحت بما تسمعه الأذان ، وهيات جواً  
يتمثل جزئيات كثيرة من تلك الصور المتلاحقة . وبهذا التنوع الفني أمكن  
للعجاج أن يهيئ ذلك المشهد المثير أمام أعيننا بكل ما فيه من خطوط وألوان  
وأصوات وحركة .

ومن هنا نلاحظ أن العجاج كان يعي دائماً هذه العناصر الفنية في خلق

(١) الأرجوزة ٢٥/١٨٥ - ١٩٢ .

الصورة الأدبية ، فهو كلف بتحديد الإطار المكاني والزماني للصورة ، ثم التديق بما فيها من ألوان وجزيئات موحية ، ولا يبقى الصورة بلا روح أو حياة ، وإنما يعث فيها الدفء والحركة ، لتكون صورة واقعية لا ترتلب فيها عين أو خيال .

ومن ثم كانت الصورة الفنية في رجزه تطالعنا دائماً بالروعة والجمال والحيوية ، لا فيها من تكامل في أركانها الفنية المختلفة ، ولو اتجهنا مثلاً نحو الإطار الزماني ، لوجدنا الألوان والخطوط وسائر الجزئيات تتغير في الصورة تبعاً له ، فإذا نظر إلى المشهد في الليل ، صورته بشكل يختلف اختلافاً يمتد عن تصويره في وضوح النهار ، وهذا يعني أن العجاج لا ينقل الصورة-نقلاً تقليدياً ، وإنما ينصب على الموصوف عيناً وأذناً وقلباً ونفساً وروحاً ، لنقل ما يراه بعينه ، وما يسمعه بأذنه ، وما يتصوره بخياله ، فيجعل الآيات القليلة لاتعدو أن تكون قطعة من تلك الصحراء ، أو ذلك المنهل ، أو ما أشبه ذلك من تلك المشاهد الزاخرة في رجزه .

فإذا أراد بالحمار والأذن أن ترد المنهل مع الصبح أو في أواخر الليل ، كان لابد أن يدقق النظر في جزئيات هذا المشهد ليلا ، ويختار من اللقطات المناسبة ما يوحى بهذا الواقع الزماني نفسه . فما كاد الصبح يخاط الظلام بشيء من ضيائه ، حتى رأى الحمار شيئاً من الحجرة في الأفق يتصل بصفرة من سواد الليل ، اتسعت السلسلة البيضاء من النجوم بالسَّيَر الأسود الذي يقع على خد الفرس ، ولما أبصر الحمار ذلك ، كان للأذن أن تنزل إلى الماء لتشرب ، وهنا بدأ العجاج يرسم صورة لهذا الماء في ذلك الحين من الليل ، فلما ذو أعراف وخزير يتعالى منه أصوات الصفادع ، والأذن تضربه بقوائمه لتزليل الطحلب وتشرب ، والنجوم ساجحات فيه كأنها السلكى في صفحة

الماء (١) :

حتى إذا ما دقق الأسحارا      أقره يحذو مظلماً قتياراً  
وقد رأى في الأفق اشقيارا      وفي جناحي ليليه اصفرارا  
وتصلكت بالسلسلة العذرا      تعرضت ذا حدب جرجارا  
ألمس إلا الفيدع الشقارا      يركضن من عزميه الطوارا  
تخال فيه الكوكب الزفارا      أولوة في المساء أو مستارا

فهنا عني عبارة بالغة بالألوان والأصوات واختار الجوانب الموحية ، التي تبرز في ذلك الوقت من الليل ، فالليل أسود قتيار ، والصبح أبيض أغر ، وفي الأفق حمرة من الشفق ، وفي سواد الليل صفرة من اختلاطه بالفجر ، والجدول تير-الريح عليه بعض التجاعيد ، وخزيره يتردد كاصوات البعير ، والصفدع تققر فيه وتصوت ، وبهذا رسم ذلك المشهد من الليل وفيه الجدول والحمار والأذن ، فلو أنه بالوان الطبيعة ، ثم حركه وأسمع أصواتاً من أركانه المختلفة ، ثم تناول كل ركن بصور سريعة تبرزه في بخلة السامع على أنواع ما يريد له من تصوير . ولم يكتف بهذه الجوانب ، وإنما دقق النظر في الجدول نفسه ليبرز في الصورة جانب الواقعية والحيوية ، ولهذا أدخل الأذن إلى الماء لتزرب الطحلب بأبدنها تشبده وتشرب ، وجعل النجوم تظهر في صفحة الماء بما فيها من بريق وفلاؤو وتوقد ، وبذلك استكمل هذا الشريط المتحرك من الصور المتلاحقة يرسم مشهد الأذن وهي ترد المساء قبيل الفجر بقليل ، وما نظن شيئاً يمكن أن يضاف إلى هذا المشهد ليكمل ما فيه من روعة وجبال .

ولذا كان في المشهد السابق لم يذكر من دقائق المنهل إلا "حدب المساء" الماء

وأعرافه ، فذلك لأنه وصف ذلك المنهل في الليل ، ولولا بعض النور الخافت من أضواء النجوم ، لا أمكن للعجاج أن يذكر حتى ذلك الحدب من الماء ، إلا أنه إذا ما أراد أن يصف المنهل في النهار ، جعل يصوره على نحو جديد ، يبرز فيه مآثره العين بدقة واستقصاء من صور وجزئيات .

فالعجاج يفخر بمرود المناهل الحالية في البوادي والقفار ، ولذا كانت الإطار العام لصورة المنهل هنا أنه منهل بعيد عن الناس يخلو من الزاردين ، وضمن هذا الإطار المحدد سبّز الجزئيات الموحية بهذا المنهل ، فالخام قد اطمأن ، حتى ألقى قوامه وريشه ، فكان هذا الريش أشبه بنبال ورقاء متشابهة قد سقطت عنها نضالها ، والطجل قد جلى ماؤه الطامي المرتفع ، وغدا لطول الخباس الماء أشبه بما يبقى من الشحم بعد إذابته ، والأغصان قد تدلت حول الماء وعليها من نسج العنكبوت ما يشبه الأبواب الرقيقة من الكتان ، والمنهل نفسه قد اندفنت بعض أجزائه لا سفته عليه الريح من التراب والرمال ، وماؤه قد اصفر لونه ، واختلطت به أبعاد الحر والأكرام وما إليها ، لتفردة وبعده عن السابلة (١) :

وَمَنْهَلٌ وَرَدُّهُ عَيْنٌ مَنْهَلٌ      قَفَرَتَيْنِ هَذَا تَمَّ ذَا لَمْ يُؤْهَلْ  
كَانَ أُرْيَاسُ الْحِمَامِ النَّسْلُ      عَلَيْهِ وَرَقَانِ الْقِرَانِ النَّصْلُ  
فَوَيْقٌ طَامِي مَائِهِ الْجَمْلُ      مُجْفَلَةٌ الْأَجْنِ كَسَمِ الْجَمْلُ  
كَانَ نَسَجُ الْعَنْكَبُوتِ الْمُرْمَلُ      عَلَى دُرِّي قَلَابِهِ الْمُهْدَلُ  
مُسَبُوبٌ كَثَّانٌ بِأَيْدِي الْغُرْلِ      دَفْنٌ وَمُصَفَّرُ الْجِيَامِ مُوَالُ (٢)

فها قد حدد كثيراً من الجزئيات المرئية في هذا المنهل البعيد ، ولعلنا

نلاحظ بسهولة أنه لم يحرك أي صوت في جنباته ، فلا صوت للماء ، ولا حركة للحمام ، ولا خفيف للأغصان ، وما ذلك إلا قدرة فنية من العجاج ، لأنه يريد الصمت والسكون المطلق لهذا المنهل القفر الثاني عن الناس ، وذلك ليضيف إليه شيئاً من الرهبة ، التي لا يشعر بها إلا ذلك الإنسان المتفرد في قفر أو فلاة .

وبذلك نجد العجاج مصوراً خادفاً ، ينقل المشهد بواقعية فنية ، لاتصنع فيها ولا تكتلف ، وهذه الواقعية كانت تدفع به إلى اتخاذ كل عنصر يمكن أن يبرزها في صوره أو مشاهدته القصصية المختلفة ، ومن أوضح هذه العناصر ما نجد من تركيز على الحوار ، فالعجاج لا يكتفي مثلاً برسم ماحدث لوالي اليازمة مع الخليفة ، وإنما ينقل مادار من حوار ، فيجعل الصور تخيا مع الواقع تماماً ، ولا يتعد عنه أبداً (٣) :

فَقَالَ لِلْإِمَامِ هَذَا قِبَلِي      بِذِي غَيٍّ أَهْلِي أَصْفَى مَا كَلِي  
قَالَ الْإِمَامُ : مَا جَمَعْتَ لِي ؟      فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ : عُدْرَتُ الْمُؤْتَلِي  
أَمَا وَعَدَ اللَّهُ إِنْ لَمْ أَغْفَلْ ..

ولا يقتصر الحوار على الإنسان ، وإنما قد تجده بين الصياد والكلاب ، فالصياد مخاطبها ، ويكشف عما في نفسه من قنم إلى الشواء (٤) :

قَالَ لَهَا وَقَوْلُهُ مَرْعِي      وَكُلُّ ذَلِكَ بِفَعْلٍ الرَّحِي  
إِنَّ الشَّوَاءَ خَيْرُهُ الطَّرِي

وقد أكثر العجاج من الحوار والمناجاة ، واتخذ من ذلك وسيلة للكشف عن الصور الذاتية النفسية ، كما لاحظنا منذ قليل ، إلا أن هذا الحوار كان

(١) الأرجوزة ١٢/١٠٢ - ١١١ .

(٢) دفن وموال : صفحة ل « منهل » في البيت الأول .

(١) الأرجوزة ١٧/١٠٤ - ١٠٨ .

(٢) الأرجوزة ٢٥/١٤٩ - ١٥١ .

يساعد على الواقعية أيضاً في صوره ومشاهدته ولا سبأ القصصية منها .

ومن صور الواقعية أيضاً ما نجده من ولع عند العجاج بذكر أسماء البعير أو الناقة أو الكلاب ، ففي بعض الأراجيز يذكر اسم جملة « مسجول » ، وفي أراجيز أخرى يذكر اسم ناقته « الششاء » ، فإذا وصف هذه الناقة أو ذلك الجمل ، أصبح الوصف أقرب ما يكون إلى الواقعية ، ومثل ذلك حديثه عن الصياد والكلاب ، فالثور مثلا يرى صيادا معه كلاب يدعو منها « عِطَافًا » وأخا « عِطَاف » (١) :

حَتَّى رَأَى مِنْ حَالِكِ الْأَسْدَافِ ذَا أَكْثَبِ تَوَاهِرِ خِفَافِ  
يَدْعُو عِطَافًا وَأَخَا عِطَافِ

فهذا جانب من دقة العجاج ، لإضفاء الواقعية على صوره ، إذ كانت يجنح دائما إلى الدقة في صورته ، ويختار لها من الدقائق الفنية ما يجعلها في غاية الجمال والإتقان الفني ، فإذا شبه الجيش بسيل من الجراد ، لم يكنف بأنه جراد يسد الأفق أو تدعوه خضرة فيجد في طلبها ، وإنما دقق في الصورة فأضاف إليها عنصرا جديداً يوحى بتحفيز هذا الجراد واندفاعه في سيره ، فهو غرض بكمانه تحجب منه ينتظر شروق الشمس ليندفع ويتشر (٢) :

سَيْلُ الْجَرَادِ السُّدِّيُّ تَرَاذُ الْخَضَرِ  
أَوَاهُ لَيْلٍ غَرَضًا ثُمَّ ابْتَكُرْ  
وَقَتَاتٍ عَنْهُ ضَحَى الشَّرْقِ الْخَضِرِ  
فَمَدَّ أَعْرَافَ الْعَجَاجِ وَانْتَشَرْ  
وإذا أراد وصف بعيره بالسرعة ، جعله كالثور الوحشي على عادة الشعراء ،

ثم دقق في صورته فاختر للثور أن يكون مطورا ، لأنه إذا مطير اشتد عدوه (٣) :  
بَلْ خِلْتُ أَعْلَاقِي وَجَلْبَ الْكُورِ عَلَى سَرَاةٍ رَائِسِجٍ تَمَطُّورِ  
وإذا ما أراد تشبيه الثور بالبوق في سرعته ، وأنباه يستثني من ذلك « لون البوق » ، وما هذه الدقة إلا لأن الثور الوحشي فيه خطوط سود ، والعجاج لا يريد الهم لصورته ، فظن أنه يريد مجرد التشابه في اللون (٤) :  
عَلَى سَرَاةٍ نَاطِيطِ خَطَّاطِ يُقَلِّبُ الطَّرْفَ بِذِي أَرَاطِ  
كَالْبُرْقِ الْأَلْوَنَةِ مِيطِ

وإذا ما تحدث عن الحرة ، وأشار إلى مزجها بلقاء ، دقق في صورة هذا الماء وأراد أن يكون في غاية الرقة والصفاء ، ولهذا جعل الشراب يمزج بهاء سال من رصف (٥) ، حتى اجتمع في صهاريج من صفا وحجارة ، وذلك لأنه أصفى له وأرق (٦) :

فَشَنُّ فِي الْإِبْرِيقِ مِنْهَا مُزْجَا مِنْ رَصْفٍ تَارَعَ سَيْلَا رَصْفَا  
حَتَّى تَتَاهَى فِي صَهَارِيحِ الصَّفَا

وبذلك لا تخلو صور العجاج من الدقة في تناول الجزئيات الموحية من الموصوف ، ولا سيما أن جل اعاده في وسائل التصوير كان يتجه إلى اختيار هذه الجزئيات الموحية ، وتناول اللقطات الموقفة البارة من المشهد ، فإذا أراد مثلا أن يسكن الأطلال ناعما أو بقرأ وحشا ، لم يندخل بقرة الوحش دون أن يختار لها لفظة توظف الخيال ، وتنبئ الأحاسيس ، لا فيها

(١) الأراجوزة ٨٢/١٩ - ٨٣ ، وانظر الصحاح ١/ ٣٧٠ .

(٢) الأراجوزة ١٩/٢٠ - ٢١ .

(٣) الرصف : حجارة مرصوفة متصلة .

(٤) الأراجوزة ٢١/٤٤ - ٢٣ .

(١) الأراجوزة ٣٣/٨ - ٣٥ .

(٢) الأراجوزة ١٥٤/١ - ١٥٧ .



من ملامح موجية مؤثرة في النفس الانسانية ، فقد اختار لهذه البقرة أن يكون لها ولد صغير تدفعه قليلاً قليلاً وتنهيه للشئ ، ثم زاد من تزيين هذا المشهد حين دقق النظر في هذا الطفل ، ونقل ما يرى في قوائمه عادة من لون السواد ، فجعله كأنه يلبس خفافاً من الأرتديج ، وهو ذلك الجلد الأسود الذي تصنع منه الخفاف (١) :

وَكُلٌّ عَيْنَاهُ مَرْجِي يَخْرُجَا  
كَأَنَّهُ مَسْرُوكٌ أُرْتَدَجَا  
ولا يبق العجاج عند الدقة واختيار اللغات المناسبة ، ولما يعتمد غالباً إلى شيء من المفارقات في رسم صوره ، وذلك لترداد وضوحاً وإشراقاً ، ويتم لها ما يرتضيه من الابداع الفني ، فإذا تحدث مثلاً عن فتيان قريش في جيش عمر بن عبد الله بن معمر ، وأبناه يرسم مفارقة فنية سريعة لفتى قريش ، فهذا القرشي حلو في تساهله ، إلا أنه مرّ في عدائه (٢) :

وَمِنْ قُرَيْشٍ كُلِّ مَشْبُوبٍ اغْتَرَّ  
مُحَلَوِ الْمَسَاهَةِ وَإِنْ عَادَى أَمَرَ  
ولإذا تحدث عن الغواني في رسم مفارقة أيضاً بين حالفين وقد أمسى الشيب في رأسه ، وحالفن أليم كان في بُرْد الشباب ، فبنّ اليوم معرضات عنه ، وقد كنّ بالأمس مائلات إليه بالعين والأعناق (٣) :

مَا لِلْغَوَانِي مَعْرُضَاتٍ مُصَدِّدَا  
وَقَدْ أَرَاهُنَّ إِلَيْنَا عُنْدَا  
بِالْطَّرْفِ وَاللَّبَاتِ خُرُوجُودَا  
لَمْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ قَدْ تَعَهَّدَا  
ولإذا غاب ولده رؤبة لجأ إلى مثل هذه المفارقات في رسم بعض الصور الذاتية المؤثرة ، فالعجاج قد كبر وأرعت أطرافه ، وكان ينبغي أن يراه

(١) الأرجوزة ٢٣/١٠ -

(٢) الأرجوزة ٨٤/١ - ٨٥

(٣) الأرجوزة ٢٧/٤ -

رؤبة على هذه الحال ، فيرق له ويعطف عليه ، ولكن هذا لم يحدث ، ولما حدث شيء بفارقة ، إنه يستعجل الموت لأبيه ، ويرجو أن يكون الخلاص منه سريعاً (٤) :

وَأَسْتَعْجِلُ الْمَوْتَ وَفِيهِ كِتَابٌ  
يَخْتَصِرُ الْإِلَافَ عَنْ الْآلِفِ  
لَمَّا رَأَيْتُ أُرْعِشْتَ أَطْرَافِي

وهذه المفارقة الفنية تبيا في أنفسنا شيء من التعاطف مع العجاج ، ولكنه لم يلبث أن أكد هذا التعاطف بمفارقة فنية أخرى ، إذ عرض لرؤبة أليم كان صغيراً في حاجة إلى حنان أبيه وعطفه وإعلائته ، فكان العجاج يحنو عليه ويعوله ويحسن غذاه ، حتى إذا ماقوي واشتد ، لم يَجْزُ أباه إحساناً بإحسان ، أو عطفاً بعطف ، ولما جعل يتنكر له ، يريد أن يصطفي ماله قسراً (٥) :

سَرَعَتْهُ مَاشَتْ مِنْ سُرْعَافٍ  
حَتَّى إِذَا مَا آخَضَ ذَا أَعْرَافٍ  
كَالْكُوْدُنِ الْمَشْدُودِ بِإِلْكَافٍ  
قَالَ الَّذِي جَمَعَتْ لِي صَوَافٍ  
فالمفارقات الفنية من أبرز وسائل العجاج في تحقيق ما يريد بصورته من تأثير نفسي ، أو كإل فني ، أما وسائله في رسم الصورة نفسها ، فكانت جل اعتاده فيها على معاني الألفاظ وإحجامها ، دون الاعتماد الكلي على التشبيه والاستعارة وما إلى ذلك ، فإذا وصف الجيش وقف يرسم صوراً ومشاهد من واقع الجيش ، وذلك بالألفاظ المعبرة عن تلك الصور والمشاهد ، دون أن يلجأ إلى التشبيه في كل صورة ، كالذي نجد مثلاً في معلقة امرئ القيس أو معلقة طرفة بن العبد ، فالجيش ذو قَتَامَيْس وهي الكتائب المتقدمة ،

(١) الأرجوزة ٥١/٨ - ٥٣

(٢) الأرجوزة ٥٩/٨ - ٦٢

وهو لَهَا مَ لا يَمر بِشيءٍ إلا ابتلعه والتهمه ، وهو قوي كثير لو اندفع فوق جبل لهدمه وقلعه من أصله ، وهو كثير العدد والعدد ، ثقل السير ، لا يَمرى له أثر على الأرض كما يَمرى أثر الجيش القليل السريع ، بل إنه لا يَمر بالغفاف الصعبة من الأرض ، حتى يَدُقَّهَا ويُسْهِّلَهَا ، ولا يَمر بالسهول أو اليد حتى يحفرها حَفْرًا ويؤثر فيها تأثيرًا (١) :

يَافِكِيهِ حَتَّى رَأَى الصُّبْحَ جَسْرَهُ عَن ذِي قَدَامَيْسَ لَهَا مَ لَوَدَّرَ  
يُورِكِيهِ أَرْكَانَ دَمْعٍ لَا تَفْعَرُ أَوْعَنَ جَرٍّ إِذَا جَرَّ الْأَثَرُ  
دَبَّتْ صَعْبَاتُ الْغِفَافِ وَابْتَسَرَتْ بِالسَّهْلِ مَدْعَاً وَبِالْيَدِ الثَّقَرُ

فالجيش هنا قد برزت له صور متعددة لأشأن للتشبيه فيها ، وإنما جاءت كلها عن طريق الألفاظ المعبرة عنها ، والمؤججة بها ، إلا أن التشبيه يظهر بعد ذلك ليكون حلية أو وسيلة لنقل الوصف إلى موضوع جديد مادام العجاج كلفا بنقل كل مافي وسعه من مشاهد الطبيعة أو الصحراء ، ولهذا يرى من المناسب أن يتحدث عن كثرة هذا الجيش فيجعله كالليل ، وعن جلبيته فيجعله كالطر ، وإحقى أنه ما أراد من هذا التشبيه إلا أن يصل به إلى ذكر المطر ، ومن ثم ينهي مهمة التشبيه ، ويبدأ وصفاً للمطر بالألفاظ نفسها ، دون استعانة غالباً بأي وسيلة أخرى (٢) :

كَأَنَّمَا زَهْلَازُهُ لَيْسَ جَهْرٌ لَيْلٌ وَرَزٌّ وَغَرٌّ إِذَا وَغَرَّ  
سَايَ تَرَى مِنْ قَبْلِ الْعَيْنِ قَبْرٌ عِطَ السَّحَابِ وَالْمَرَايِعَ الْكَبْرُ  
وَزَهْرَتْ فِيهِ السَّوَاقي وَزَفَرَتْ بَغْرَةً نَجْمٌ حَاجَ لَيْسَ لَا فَبَعْرُ  
مَاءٌ نَشَاصٌ حَلَبَتْ مِنْهُ قَدَرٌ حَذَاوَةٌ تَحْدُوهُ إِذَا زَوَّلَ الثَّقَرُ

فالألفاظ هنا هي التي تنقل مشاهد المطر والسحاب ، ولا نكاد نغني إلا بعض الاستعارات الطريفة والقليلة ، حين جعل الرياح تحدو السحاب وتسوقه ، ثم تحلب منه الزبيل والمطر .

وما رأيناه في الآيات السابقة يمكن أن نراه أيضاً في وصف العجاج لبعيره ، فقد نقل بعض الصور الذاتية لما يقاسيه بعيره مسجول من ملالة الإقامة والانقطاع عن السفر ، ثم أتى ببعض الصور الموضوعية له ، فكانت الألفاظ بمعانيها وإيحائها هي التي ترسم هذه الصور ، فقد ذاب سناج العجاج كله ، إذ السمين ، وتعرى وسطه من اللحم ، وانضمت خا في الوصف من موضوع إلى آخر وغدا كالجلل المقتول من الغزال ، وإذا سار يوره ، أما جل اعناده فقد كان برأس طويل السخيين يعتمد على السقار ، ر عنها بمعاني الألفاظ وإيحائها ، وأنهم هائموم السدب الواري عن نمر بحاجة إلى مقدرة فنية وانضم كسناه من المضمار وأض مثلثية في صوره ، ذلك يشوه دوح الجوتر والصنار يسكنهم يحطركاها من زمان فالألفاظ بمعانيها وإيحائها ، هي التي نقلت صوراً مختلفة لهذا البعير العربي المتعددة ، ولم يلبث العجاج أن اعتمد على التشبيه لنقل الوصف إلى موضوع آخر ، فشبه بعيره بسفينة تجري في دجلة ، ثم انطلق إلى وصف هذه السفينة ، فعاد إلى الاعتماد على معاني الألفاظ ، لأن دور التشبيه قد انتهى بمجرد انتقال موضوع الوصف من البعير إلى السفينة (٣) :

(١) الأرجوزة ٨/٤ - ١٣ .  
(٢) الأرجوزة ١٤/٤ - ٢٠ .

(١) الأرجوزة ٤١/١ - ٤٦ .  
(٢) الأرجوزة ٤٧/١ - ٥٤ .

كانه إذ ضمه أمراي 'مرفوؤ ساير في دجبل جاري  
مضروطا جاء من الأطوار داناه تضبيب وعش قاري  
من خشب النجار والتجار قوت العراق ضامن السفار  
ولاح خوص من سهيل سار

فهو هنا لا يصور السفينة بغير الألفاظ المعبرة الموحية ، فهي من خشب  
، ونجري في دجلة ، وتسرع قادمة من نواحي البلاد ، وقد صنعتها  
بركة من بعد تضبيب وسر بالمسامير أو الألياف ، وهي تقطع العراق  
دبت صعبات العدا تسمى في دجلة لئلا وقد لاح ضوء من نجم سهيل .  
فالجيش هنا قد برزت له بتركز على الألفاظ نفسها لا على التشبيه ،  
جاءت كلها عن طريق الألفاظ يكون وسيلة للانتقال بالوصف من موضوع  
يظهر بعد ذلك ليكون حلية بعض الصور القليلة لتكون حلية وزينة بين  
العجاج كلها بنقل كل ما في قوله يمدح ابن معمر<sup>(١)</sup> :

من المناسب أن يتجلى الظفر شهادة فيها ظهور من ظهر  
فيجعله كالطير عن الدين القدر أو شرقا من نوراً قد زهر  
كما تسمى لئلا البدن القمر

فالصورة الأخيرة قد اعتمدت على التشبيه ، فكانت أشبه بحيلة ترين  
الصور السابقة لها . ومثل هذا أيضا قوله يتغزل بامرأه بإبريق العشي<sup>(٢)</sup> :

ديار إبريق العشي خوزل غواء لم تلتك يلوح الشكل  
لم تغتد في بوس ولم تشكل ولم تنبت بالجراء المحتل  
ولم تضامر وصبا فستل ركاعة للبريد والمرحله

يقصّب قعر العظام خذل ريان لا عش ولا مهمل  
في صلب لندن ومشي هوجل تدافع الجدول إثر الجدول  
في أنعبان المنجون المرسل ميلة على الحليل المحتل  
فهذه الصور كلها تعتمد على الألفاظ المعبرة ، وأما صورة تدافع الجدول  
إثر الجدول ، فقد جاءت تعتمد على التشبيه ليكون حلية وزينة في الأبيات ،  
ولا شك أن هذه الصورة قد جمّت ما ورد قبلها من صورة المشي المسترخي  
لذلك المرأة .

وما رأينا في هذه الأمثلة يمكن أن يطالعنا في رجز العجاج كله ، إذ  
لا يخرج التشبيه عنده عن أن يكون أداة انتقال في الوصف من موضوع إلى آخر  
أو أن يكون حلية سريعة داخل أوصافه وصوره ، أما جلّ اعتماده فقد كان  
على اختيار اللقطات الموقفة من الوصف ، والتعبير عنها بمعاني الألفاظ وإيجازها ،  
وفي هذا طور هام في التصوير الفني ، لأن الشاعر بحاجة إلى مقدرة فنية  
واسعة ، حتى يمكن له التخلي عن الاعناد الكلي على التشبيه في صوره ، ذلك  
لأن تتبع الجزئيات ورسمها بدقة واستقصاء مع تحديد أركانها من زمان  
ومكان وألوان وما إلى ذلك يحتاج إلى مهارة فنية ، لا يدعوا إليها التشبيه  
في أكثر الأحيان .

وقد تكون الاستعارة طورا متأخرا عن التشبيه ، لما فيها من إيجاز لبعض  
تفصيلاته ، وتخفف من بعض أركانها ، وربما كانت مرحلة فنية جلا إليها الذوق  
الفني قبل أن يتخلى عن الاعناد الكلي على التشبيه في الوصف والتصوير ، ولا  
سبأ أن الاستعارة في وسعها أن تجعل المشهد تجميلا فنيا لا يقوى عليه التشبيه ،  
لأن التشبيه يوزع الخيال بين صورتين متقابلتين ، دون أن يركز الخيال على  
الصورة الموصوفة نفسها .

(١) الأرجوزة ١/ ١٣٩ - ١٤٣ .

(٢) الأرجوزة ١٢/ ٢٩ - ٤٠ .

ومن هنا كان للاستعارة سلطان أوسع من التشبيه في رجز العجاج ،  
فالسيف السريجية تحطف الأغناق ، وتوقد الشر في حديد البئس فوق  
الرووس<sup>(١)</sup> :

وَالسَّرِيجَاتِ يَغْطِفْنَ الْبَصَرَ      وَفِي طَرَاقِ الْبَيْضِ يُوقِدْنَ الشَّرَّ  
وَالشَّقَاقُ سَجَابَةٌ تَنْتَشِرُ وَلَا تَجْرِي عَلَى الْقَصْدِ ، ثُمَّ يَنْعَبُ بِهَا صَوْبُ  
الْمَطَرِ فِيهَا ، وَذَلِكَ حِينَ أَمْطَرَتِ الْأَيَادِي بِالضَرْبِ وَالطَعْنِ ، وَاتَّخَذَتْ  
مِنَ السِّيفِ صَوَاقِعَ تَنْصَبُ بِالْمَوْتِ وَالْهَلَاكِ<sup>(٢)</sup> :

وَاسْتَقْ سُوْرِبُ الشَّقَاقِ وَاسْتَقْتَرْ      وَأَزْلَقْتَهُ لُجَّةُ الْغَيْثِ سَحَرْ  
إِذَا أَمْطَرَتْ فِيهِ الْأَيَادِي وَمَطَرٌ      يَصَاعِقَاتِ الْمَوْتِ يَكْشِفْنَ الْحَيَرْ  
والحرب فلا يمكن أن توقد فتستعر وتأخذ كل شيء بالحر والوهج ،  
ويمكن أن تكون دابة غريبة تلبس مجلأ فيه يابض وخمرة من لطيح الدماء<sup>(٣)</sup> :  
إِنَّا إِذَا مَذَّيْكِي الْحُرُوبِ أَرْجَا      مِنْهَا شِعَارًا وَاسْتَشَاطَتْ وَهَجَا  
وَلَبِستُ لِلْمَوْتِ مُجْلَاءً أَخْرَجَا

وأمثال هذه الصور كثيرة في أوصاف العجاج ، بما يشير إلى أنه قد  
يعتمد على الاستعارة في ترين صورده أكثر منه على التشبيه .

وبذلك فالعجاج في أوصافه يعتمد إلى التصوير بالألفاظ المعبرة الموحية  
ثم بالاستعارة ، ولكنه لا يأتي بالتشبيه إلا حين الانتقال من وصف موضوع  
إلى وصف موضوع آخر ، أو حين يريد منه أن يكون حلية سريعة لبعض  
الجزئيات في صورته الفنية .

(١) الأرجوزة ١/١١٦ - ١١٧ .

(٢) الأرجوزة ١/١٦٢ - ١٦٥ .

(٣) الأرجوزة ٣٣/١٠٢ - ١٠٥ .

وبما تقدم كله ندرك أن الوصف كان من أبرز موضوعات العجاج ، إذ  
غلب على أكثر الموضوعات ، واختص نفسه بأكثر الأراجيز المطوَّلة ،  
ولكن العجاج قد اهتم بأكثر موضوعات الشعر العربي آنثذ ، فتناول في  
رجزه موضوعات النسب ، والمديح ، والغفر ، والتعريض ، والوعظ ،  
والحكمة ، وما يتفرع عن هذه الموضوعات من أغراض ومعان مختلفة .

\* \* \*

رَفَعُ  
عبد الرحمن (الفرجاني)  
أسكنه الفردوس

## الفصل الخامس

### الخصائص الفنية في رجزه

لأنك أنا في دراسة موضوعات العجاج ، قد عرضنا لبعض الخصائص الفنية في رجزه ، ولا سيما حين تناولنا موضوع الوصف ، وبيننا طرائق العجاج الفنية في التصوير . وهنا سنخص هذا الفصل بدراسة الخصائص المعنوية ، ثم الخصائص اللفظية ، وبذلك تكامل لدينا شيئاً فشيئاً صورة جلية للخصائص الفنية في رجز العجاج .

### ١ - الخصائص المعنوية

إن أول ما يبرز لنا في معاني العجاج أنها ترجع بين الوضوح والغموض ، فتارة تبرز المعاني واضحة لا غموض فيها مطلقاً ، وطوراً تبدو جلية لا يشوب إلا بعض الألفاظ الغريبة ، وأحياناً تظهر غامضة لأسباب كثيرة جداً . أما الوضوح المطلق فهو قليل نسبياً في أراجيزه ، وأكثر ما نصادفه في وعظه أو غزله أو بعض القطع القصيرة ، ومثال ذلك قوله في الوعظ<sup>(١)</sup> :  
فاحمداً لله العليّ الأعظم  
ذي الجبروت والجلال الأفخم

وعالم الإعلان والمكتم  
ورب كل كافر ومسلم  
والساكن الأرض بأمر محكم  
تبي السموات بغير مسلم  
وفي هذه الآيات لا إغراب في الألفاظ ، ولا غموض في المعاني ، ذلك لأنها لا تستند المعاني والأخيلة من تفحات الصحراء ، ولأنها تستمدح من الدين الخفيف ، فتأتي سهلة واضحة كأنها تقرب من أساليب النثر الفني .  
ومثل هذه الآيات قل أن نصادفه في أراجيزه ، ذلك لأن من خصائص مدرسة الـ رجز - كما سنرى - الإغراب في ألفاظ اللغة ، ولهذا غالباً ما نجد وضوح المعاني رهناً بفهم الألفاظ اللغوية الغريبة في أبيات العجاج ، وربما قلت هذه الألفاظ فلم نخوج إلى كبير عناء ، كقوله<sup>(٢)</sup> :

بإذ كرت ذكرت ليلى بعدما  
جال الفؤاد جولة واستهزما  
واستبدلت ليلى حماء وحما  
قامت تترك خشية أن تضرما  
ساقاً بهتداء وكعباً أذرمما  
وكفلاً وعناً وكشفاً أهضمما  
وقلة تكثر الألفاظ الغريبة في الآيات ، فلا يفهم المعنى إلا بعد ريث وإبطاء ، وعود إلى معاجم اللغة ، وسؤال عن معاني الألفاظ واحدة بعد أخرى ، ومن ذلك قوله<sup>(٣)</sup> :

وبلدة يائها نطبي  
في تناسها بلاد في  
الخميس والخميس بها مجدي  
نقطعاً وقد وثى المطي  
ركض المداكي واذلي العولي  
ومغندر الأنصار أخدري  
حوم غداً هذب مجشي  
لج كان ثنية مني  
ومهما كثر الغريب في هذه الألفاظ ، فالمعاني واضحة جلية ، إذ لا نجد

(١) الأرجوزة ٢١/٩ - ١٤ .

(٢) الأرجوزة ٢٥/٥١ - ٥٨ .

(١) الأرجوزة ٢٤/٣٩ - ٤٤ .

أزْمانٌ أَيْدَتْ وإِضاحاً مُفْلِحاً ، أَعْرَ بَرَأفاً وَطَرَفاً أَبْرَجِيَا  
وَمُفْلَعَةً وَحَاجِيَا مُزْجَجًا وَفَاحًا وَمَرْبِيًا مُسَرَّجًا  
فَرَوُفُهُ الْمَرْسَن ، وَهُوَ الْأَنْف ، بِأَنَّهُ مُسَرَّجٌ ، غَيْرُ وَاضِحٍ قَلَمًا ،  
لَأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، حَتَّى قَالَ الْخَطْبُ الْقَزْوِينِي : « إِنَّهُ لَمْ  
يُعْرِفْ مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ مُسَرَّجًا ، حَتَّى اخْتَلَفَ فِي تَفْرِيحِهِ ، فَقِيلَ : هُوَ مِنْ  
قَوْلِهِم لِلسُّوْفِ سَرِيحِيَّةٌ مُنْسَوْبَةٌ إِلَى قَبْلِ بَقَالٍ لَه : سَرِيحٌ ، يُرِيدُ أَنَّهُ فِي الْإِسْتَوَاءِ  
وَالدَّقَّةِ كَالسِّيفِ السَّرِيحِيِّ . وَقِيلَ : مِنْ السَّرَاجِ ، يُرِيدُ أَنَّهُ فِي الْبَرِيقِ  
كَالسَّرَاجِ » (١) .

وَمِنْ ثَمَّ كَانَ بَعْضُهُمْ يَجْعَلُ « الْمَسْرُجَ » فِي الْبَيْتِ بِمَعْنَى الْمُحْسِنِ (٢) ،  
وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهُ بِمَعْنَى الْإِسْتَوَاءِ وَالدَّقَّةِ ، أَوْ يُشِيرُ إِلَى الْإِخْتِلَافِ فِي مَعْنَاهُ (٣) .  
وَالْمَهْمُ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ لَمْ يَسْمَعْ هَذَا الْوَصْفَ إِلَّا فِي رَجَزِ الْعِجَاجِ ، وَمَا عَرَفَ  
مَعْنَاهُ إِلَّا بِسُؤَالِهِ أَعْرَابِيًّا عَنْهُ ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : « وَأَنْفَ مَسْرُجٍ : دَقِيقٌ ،  
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : مَا كُنْتُ أَعْرِفُ الْمَسْرُجَ وَلَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا فِي بَيْتِ الْعِجَاجِ :  
( الْبَيْتِ ) ، فَسَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا عَنْهَا ، فَقَالَ : أَتَعْرِفُ السَّرِيحِيَّاتِ ، يَعْنِي  
السُّوْفَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ! قَالَ : ذَاكَ . أَرَادَ أَنَّ الْأَنْفَ دَقِيقُ كَالسِّيفِ  
السَّرِيحِيِّ ، وَهُوَ مُنْسَوْبٌ إِلَى قَبْلِ يَنْسِي سَرِيحًا . وَقَالَ آخَرُونَ : مُسَرَّجًا ،  
أَرَادَ مُنِيرًا كَلَوْنِ السَّرَاجِ » (٤) .

غَوْضًا مَعْنَى وَقَفْنَا عَلَى مَعَانِي الْأَفْظَاءِ الْغَرِيبَةِ ، وَهَذَا مَا نَصَّافُهُ غَالِبًا فِي رَجَزِ  
الْعِجَاجِ ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الرِّجْزَ رَبَّنَا وَجَدْنَا فِيهِ الْغَوْضَ فِي الْمَعْنَى لِأَسْبَابٍ  
كَثِيرَةٍ ، وَأَبْرَزَهَا مَا اخْتَذَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ تَصَرُّفٍ وَاسِعٍ فِي اللُّغَةِ وَالتَّرَاكِبِ وَبَنَاءِ  
الْعِبَارَةِ بِوَجْهِ عَامٍ . فَإِذَا أَجَابَتْ مُعَاجِمُ اللُّغَةِ إِلَى مَعَانِي الْأَفْظَاءِ الْغَرِيبَةِ فِي  
رَجْزِهِ ، فَالْمَعْنَى وَاضِحٌ لَا غَوْضَ فِيهِ وَلَا إِبْهَامَ ، وَلَكِنْ رَبَّنَا أَهْجَمَتْ أَحْيَانًا ،  
فَلَمْ يُجِدْ فِيهَا شَرْحًا لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ أَوْ تِلْكَ ، وَبِذَلِكَ نَجِدُ انْفِسًا أَمَامَ مُشْكَلَةٍ  
غَامِضَةٍ لَا يَتَسَوَّرُ فِيهَا فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ ، وَقَدْ كَانَ هَذَا شَأْنُ الْأَصْمَعِيِّ نَفْسِهِ  
فِي شَرْحِهِ لِلدُّيُونِ ، فَقَدْ أَشَدَّ هَذَا الْبَيْتَ (١) :

هَشْمَكْ حَوْلي الْهَيْدِ أَرَكَا

ثُمَّ قَالَ : « وَيُرِيدُ : الرَّاكَا ... وَالرَّتَكْ أَرْتُ تَقَارِبَ الْخَطْوِ »  
وَتَسْرِعَ الْمَشْيِ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَأَمَّا قَوْلُهُ : الْهَيْدِ الرَّاكَا ، فَإِنَّ هَذَا  
لَا أُدْرِي مَا هُوَ . وَأَنْشَدَهُ ابْنُ قَتِيْبَةَ بِالرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ ،  
فَقَالَ : « وَقَالَ : لَا أُدْرِي مَا الْهَيْدِ الرَّاكَا ، غَيْرَ أَنَّ الرَّتَكَّ مُقَابِلَةُ الْخَطْوِ .  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْخَطْلَ يُؤْخَذُ فَيُلْقَى جِهَةً فِي حَوْضٍ وَيَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ  
مَرَارًا ، ثُمَّ يُوَسَّلُ بِالْأُجْلِ وَبِذَلِكَ ذَلِكًا شَدِيدًا ، فَإِذَا طَابَ الْمَاءُ ،  
أُخْرِجَ وَتُجَفَّفَ ثُمَّ جُسَّ فُطِيخٌ بِهِ وَاتَّخَذَ مِنْهُ السُّوْفُ . يُرِيدُ بِالرَّاكَا  
الْمُرْتَوِّكُ فِيهِ » (٢) .

فَالْمَعْنَى فِي الْبَيْتِ غَامِضٌ لِأَنَّ الْعِجَاجَ أَتَى بِلُغَةٍ غَيْرَ مَعْرُوفَةٍ عَلَى مَا يَبْدُو  
حَتَّى بِاللُّسْبَةِ لِلأَصْمَعِيِّ نَفْسِهِ ، وَهَذَا مَا جَدْتُ أَيْضًا إِذَا مَا أَتَى بِلُغَةٍ يَحْتَمِلُ أَكْثَرَ  
مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَمِنْ أَمْثَلِ ذَلِكَ قَوْلُهُ (٣) :

(١) الْأَرْجُوزَةُ ٧/٥ .

(٢) الْمَعْنَى الْكَبِيرُ ٩٨٦/٢ .

(٣) الْأَرْجُوزَةُ ٢٧/٣٢ - ٤٠ .

(١) شَرْحُ الْإِبْضَاحِ ١١/١ .  
(١) انْظُرِ لِلْمَخْصَصِ ١٥٤/٢ ، وَالْأَزْمَنَةُ وَالْأَمْكَنَةُ ٣٢٥/٢ ، وَاسْرَارُ الْبِلَافَةِ  
٣٠ ، وَالْمُفْرَدَاتُ فِي غَرْبِ الْقُرْآنِ ٢٢٩ ، وَالْمَقَاصِدُ النُّحْوِيَّةُ ٣٥/١ ، وَشَرْحُ  
شَوَاهِدِ الْمَفْنِيِّ ٣٦٩ .  
(٣) انْظُرِ جَهْمَةَ اللُّغَةِ ٣٣٨/٢ ، وَالصَّحَاحُ ٣٢٢/١ ، وَصَحِيحُ الْأَعْمَشِيِّ  
٢٠٥/٢ ، وَمَخْتَصَرُ الْمَعَانِي لِلتُّغْتَارَانِيِّ ٩ ، وَمَتْنُ التَّلْخِصِ ٥ ، وَاللِّسَانُ (سَرَجٌ) .  
(٤) جَهْمَةُ اللُّغَةِ ٧٦/٢ .

فالغموض قد يترتب إذن على لغة العجاج نفسه ، ولكنه لا يقتصر عليها ولذا يتعداها إلى ولوع العجاج بالقلب المعنوي ، ومن أمثلة ذلك ما نقله المرزباني ، فقال : « أخبرني الصولي قال حدثنا القاسم بن اسماعيل قال حدثنا محمد بن سلام قال : سمعت يونس يقول : كان رؤبة عندي ، فقال له رجل ما معنى قول العجاج :

وحسب الناس الأمورَ فحِساباً

فقال له رؤبة : قَلْبَ رَيْلِكَ <sup>(١)</sup> .

فالعنى قد استغلقي في البيت بهذه الرواية لما فيه من قلب معنوي ، وأصله « حسب الأمور الناس » ، وأمثلة هذا القلب كثيرة في رجز العجاج ، وهي غالباً متأثر الغموض في آياته . ومن أسباب الغموض أيضاً طريقة العجاج في بناء بعض التراكيب بناء يكثر فيه الحذف ، أو التقديم والتأخير ، وما أشبه ذلك . فإذا أكثر من الحذف ، أصبح المعنى غامضاً جداً ، لا يفهم إلا بعد كد وعناء في التأويل والتقدير ، ومن ذلك قوله <sup>(٢)</sup> :

وقد نيامي جهنم جي في غيظلات من دجا الدجن  
يمطيط لو أنسي أنسي حيات غضب جش أولو آسي  
في خرعب أسود مستجن

فقد حذف متعلق « في خرعب » في البيت الأخير ، والتقدير : « او لو أني أنفخ في خرعب » ، ولولا هذا التقدير لما فهم البيت ، ولا سيما أن

(١) الموشح ٢١٨ - ٢١٩ ، والبيت من الأرجوزة ٦٤/١١ ، ورواية الديوان « وحسب الناس » وقال الأصمعي في شرحه : « يقول : حبسوها وحسبهم » .

(٢) الأرجوزة ٢٦/١٦ - ٣٠ .

الخرعب لم تشرح من قبل الأصمعي ولا وجود لها في المعاجم ، أضف إلى ذلك أن المعنى في الآيات الأولى جاءت فيه مسحة من التائق بعداً من العجاج عن المعاني الصريحة في مثل هذا الموضوع .

وقد يجتمع الحذف في تراكيبه مع احتمالات أخرى ، فلا يزداد المعنى إلا غموضاً ، ومن ذلك قوله في حمار الوحش والأتن <sup>(١)</sup> :

كأنه لو لم يكن حماراً يهن ظلي النجم حين غارا

فقوله « يهن » أصله « بطردهن » ، فاسقط منه المضاف ، فأدنى إلى شيء من الغموض في المعنى ، وعلى هذا التقدير جاء شرح الأصمعي للبيت ، ولكن المرزوقي رأى فيه شيئاً آخر ، فقال : « ويجوز أن يكون المراد بقوله ( يهن ) - بطردهن فحذف المضاف ، ويجوز أن يريد بإجتماعه معهن ويكون في الباء تقديران : أحدهما أن يكون العامل فيه ما في كان من معنى الفعل أي يشبه العير تطرده الأتن ظلي النجم . والآخر أن تعلقه بكان أي لو لم يكن حماراً بطردهن أو بالإجتماع معهن ، والمعنى أن كونه حماراً ينبع أن يكون كظلي النجم على الحقيقة ولأن كان كونه خلفها ككون الديوان خلف الثريا <sup>(٢)</sup> » . فالحذف في مثل هذه المواضع يجعل في المعاني غموضاً لا يفهم بشيء من اليسر والتسوية ، وكذلك الامر إذا ما عاظم في عبارته قدم على هواء في بنية البيت ، ومن ذلك قوله في وصف الثور <sup>(٣)</sup> :

كأن من سائب الخياط كتائبها أو سند أمشاط  
عليه مجل باقي الساط غير الشوي وموقع العياط  
والخطم عند تحنن الإسطاط

(١) الأرجوزة ٦٢/٣٤ - ٦٣ .

(٢) الأزمعة والامكنة ٣١٩/٢ .

(٣) الأرجوزة ٢٢/٢٠ - ٢٦ .

فهذه الآيات لا تفهم بسهولة قبل إعادة النظر إليها ، بتقديم ما تأسر ، وتأخير ما تقدم ، ذلك لأن تقدير الكلام : « كان عليه جلا من سائب الحياض غير الشوى .. » ، يريد عليه جلا أيضا غير مواضع من جسده يرى فيها سواد .

وهذا الغموض يتوكل في رجز العجاج ، حين يتصرف بالألفاظ ، ويخرج على بنيتها في اللغة ، ويأتي بصبح لم تسمع إلا في رجزه ، ومن السعوبة بكان أن يفتن المرء أحيانا إلى أصولها في اللغة ، ومن ذلك قوله معرضاً بالختار التقفي<sup>(١)</sup> :

قَدْ عَلِمَ الْمُخْتَارُ إِذْ جَدَّ الْجَبَا وَبَلَغَ الْمَاءُ حَلَاقِيمَ الزُّبَى  
مَنْ الَّذِي عَثِقَ تَغْيِقَ الصَّبَا

ومن أين لنا أن ندرك بسهولة أن « الصبا » هنا يريد بها « الصبيان » . وقال الأصمعي في شرحه : « يقول : من الذي ماج كما يوج الصبيان ولم يقر أمره » . ومن ذلك أيضاً قوله يفتخر بالفرد من أبناء قبيلته<sup>(٢)</sup> :

أَعْدَاؤُهُ ذَلُّوا وَمَا تَأَيَّسَا حَيْثُ نَصِمَ الْقَسَا وَلِنْ رَمِ قَسَا  
و « الْقَسَا » لم يشرها الأصمعي ، ولا وجود لها في اللغة ، لأنها نتيجة

تصرف من العجاج أبعد ما عن أصل بنائها اللغوي ، وكف لنا أن نفهم البيت ، قبل أن نكد الذهن لرد الكلمة إلى أقرب أصل يمكن أن تعود إليه ، ولذلك لا بد من الإفعال في التقدير حتى نصل بها إلى « القساة » أو « القساة » جمعاً لـ « قاس »<sup>(٣)</sup> .

وأمثال هذا التصرف في رجزه كثير جداً ، وغالباً ما يبعث على الغموض في معاني الآيات ، ومنه ما أتى الأصمعي بشرح أو تقدير له ، ومنه ما تخفى عنه دون أن يدلي برأى فيه .

وما تقدم ندرك أن الغموض له سلطان لا يخفى في رجز العجاج ، ولا ندري إذا كان للطيعة أثر في إيجاد بعض الأسباب الداعية إليه ، ذلك لأن من الأخبار ما يدل على أن العجاج قد كان ينظم الأرجوزة المطولة أحياناً في ليلة واحدة ، ومن ذلك ما قاله ابن فتيبة : « ولما سُمِّيَ العجاج بقوله :

حَتَّى يَجِيَّ عِنْدَهَا مِنْ عَجَجَجَا<sup>(١)</sup> »

قال : « قلت هذه الأرجوزة في ليلة واحدة وأثالث علي أنشأها »<sup>(٢)</sup> . وقال الجاحظ : « قال العجاج : لقد قلت أرجوزتي التي أولها » :  
بَكَيْتَ وَالْمُحْتَرَنَ الْبَكِيَّ وَإِنَّمَا يَأْتِي الصَّبَا الصَّبِيَّ  
أَطْرَبًا وَأَنْتَ قَشْشَرِي وَالذَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِي  
وأنما بالرمل ، في ليلة واحدة ، وأثالث قوافيا أنشأها ، ولني لأريد اليوم دونها في الأيام الكثيرة فما أقدر عليه<sup>(٣)</sup> » .

وإذا صحت هذه الأقوال ، فذلك يعني أن العجاج ربما نظم بعض أرجوزة المطولة ، دون إبطاء أو روية ، ومن ثم كان لا بد أن تظهر بعض سمات الغموض في المعاني ، أو تبرز بعض ملامح التصرف الواسع في الألفاظ ، ولكن هذا قد يفسر جزءاً من رجز العجاج ، إلا أنه لا يكفي لتفسير

(١) الأرجوزة ١٤٦/٣٣ ، ورواية الديوان : « حتى يبع ثخننا » .

(٢) الشعر والشعراء ٥٧٣ .

(٣) الأرجوزة ١/٢٥ - ٤ .

(٤) البيان والتبيين ٢٠٩/١ ، وأشار إلى ذلك السيوطي في شرح شواهد المغني ١٨ .

(١) الأرجوزة ٣٦/٧ - ٣٨ .

(٢) الأرجوزة ٧٥/١١ - ٧٦ .

(٣) انظر تعليقنا على البيت في شرح الديوان .



الظواهر العامة في رجزه كله ، ولا نعتقد أن الطبع وحده كان وراء تلك الأراجيز الممتنة التي بطلنا بها ديوانه ، وأغلب الظن أن الأسباب الداعية إلى الغموض في رجزه ، لم تكن نتيجة لإرسال الشعر دون تنقيف ، وإنما كانت تصدر عن إيمان العجاج بأنه صاحب اللغة وله أن يتصرف بها كيف أراد ، بل ربما كان يتعمد ذلك ليعرض من صور الاغراب ما وسعه إلى ذلك من سبيل ، وليقلل من نسام الصعواء ما يعجز عنه الشعراء أجمع ولا سيما أرب قصور الخلافة والأمارة ، ويجالس القبال في المريد ، كانت كلها تؤيد هذا اللون الجديد من الشعر ، وتري فيه صورة لما ضيأ ، وأنقاساً لبيدائنا ، ومعرضاً لألفاظ لغاتها أو لهجاتها ، وهذا ادعى إلى الصنعة منه إلى الطبع .

فرجز العجاج لا يتخلو من صنعة وتنقيف ، إلا أن الصنعة لعصر العجاج كانت شبه امتداد لما كانت عليه في عصر ما قبل الإسلام ، وبذلك كانت تختلف اختلافاً جليواً عنها لدى المولدين من شعراء بني العباس ، من أمثال مسلم بن الوليد ، وابن المعتز ، وأبي تمام ، ومن سار على نهجهم من الشعراء . وقد بين ابن رشيق منهج الصنعة لعصر الجاهلية وما تبعه من العصر الاسلامي ، فقال : « ومن الشعر مطبوع ومضوع ، فالطبوع هو الأصل الذي وضع أولاً وعليه المدار ، والمضوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس مكلفاً فكأن أشعار المولدين ، ولكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمّل ، لكن بطباع القوم عفواً ، فاستحسنوه وماوا إلى له بعض الميل بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره ، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتنقيف ، فكان يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من العقاب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو لية ، وربما رصد أوقات نشاطه بقباطا عمله لذلك . والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن

تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة لفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزائله ، وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر وإحكام القوافي وتلاحم الكلام ببعضه بعضاً ، » .

فالصنعة في عصر العجاج كانت تتجه إلى العناية بالألفاظ فصاحة وجزالة ، والعناية بالمعاني بسطاً وإبرازاً ، مع إتقان لبنية الشعر وإحكام لقوافيه ، وبذلك لا تخرج صنعة الشاعر عن التنقيف والتجويد الذي عرف لشعراء الجاهلية ، وهذا ما يوضح من قول الدكتور شوقي صيف : « على كل حال لم ينتقل العصر الاسلامي بالشعر العربي إلى منهج جديد في صنع نماذجيه ، وإنما نرى المذهب القديم ، منهج الصنعة الذي رأيناه في العصر الجاهلي ورعاه خير رعاية ، فقد أقبل صناع الشعر يبالغون في الاهتمام بمجرفتهم ، ويوفرون لها كل ما يمكن من تجويد وتحبير » (١) .

ولهذا كانت المعاني في رجز العجاج لا تتخلو من تجويد أو تحبير ، رغم أن الطبع كان من الخصائص البارزة في رجزه ، ولا شك أن من آثار هذا التجويد ما منسأه من خصائص فنية في رسم صوره ، والتقاط مشاعده ، ومن ذلك ما نلاحظه في معانيه من تأتق وتحبير لما يروق ويعجب ، فإذا وصف الحرة تأتق في وصفها ، وأبتعد عن شيء من أوصاف أصحابها ، فلم ير منها كائناً أو قفاعة أو نشرة ، وإنما وقف عند جوانب أخرى ، فتناولها بأسلوب جديد في عرضه واستقصائه (٢) :

كَأَنَّ ذَا قَدَامَةٍ مَمْطَقًا      قَطِيفٌ مِنْ أَعْنَابِهِ مَا قَطِيفًا  
فَعَمَّهَا حَوْلَتَيْنِ ثُمَّ اسْتَوْدَقَا      صَبَّاهُ خُرُطُومًا عَقَارًا قَرَقَتَقَا

- (١) العمدة ١/ ٨٣ .  
(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٢١ .  
(٣) الأرجوزة ١٧/ ٤٤ - ٢٣ .

فَمِنْ فِي الْإِيرِقِ مِنْهَا مُزَقًا . مِنْ رَصَفٍ نَازِعٍ سَيْلًا رَصَفًا .

جَنَى تَهَوَّى فِي صَبَاحِ بَرَجِ الصَّفَا

إنه تخير من المعاني ما يثير في الخيال صوراً متلاحقة ، تنتقل به من الحقول وقطنير الأعقاب ، إلى حانة الخمار عصراً وتقطيراً وتعتيقاً ، إلى مزج تلك الحجرة بلاء صاف لا كعدر فيه ، وقد تأتت في وصف الحجرة ، فجعلها صباه خطوطاً مرققا ، وتأتت في رسم صفاء الماء ، فجعله من سيل لم يتحدد على رمال أو أثربة ، ولما جرى من رصف إلى رصف حتى اجتمع في حياض من الحجارة ، وهذا أقصى ما يكون له وأرق ، وكان المعري يعجب هذه المعاني عند العجاج<sup>(١)</sup> ، وبما تردد به إعجاباً أنها لاتتافي ما عرف عن العجاج من عزوف عن الحجرة أصلاً ، لما كان عليه من وروع ولطمان إسلامي خالص .

وتخير المعاني لا يقتصر على شاهد فرد في رجز العجاج ، ولما هوسمة يمكن أن تلقانا في كل أرجوزة له ، وما ذلك إلا من آثار الصنعة والتجويد ، ولئن كان كثير تقليد المدرسة الأوسية ، قد عني بأساليب أستاذه زهير بن أبي سلمى ، فكان « يعجب كزهير بالصور البيانية » ، وكان يطلب فيها أن يقع على الغرائب والطرائف حتى يستولي على اذهان الناس وعقولهم<sup>(٢)</sup> ، فقد كان العجاج أيضاً ممن أعجب بهذه الصور ، وانجسه إلى أساليب المدرسة الأوسية ، إذ لم تكن خصائص هذه المدرسة وفقاً على الجاهلية ، ولم تكن كذلك في الإسلام ، وإذا كان الدكتور طه حسين قد صنف هذه الخصائص ورأها تبرز في أشعار جماعة يعينها من شعراء ما قبل الإسلام وبعده<sup>(٣)</sup> ، فهذا

لا يعني أن تلك الخصائص لم تكن في أشعار غيرهم من معاصريهم ، بل نرى أن هذه الخصائص كانت سمة عامة تميز أشعار الفحول جميعاً من شعراء الجاهلية والعصر الإسلامي .

ولهذا كان ابن معمر عند العجاج أشبه بطائر يضم جناحية ، ثم ينقض مسرعاً من الشام إلى الحورية بالهامة<sup>(٤)</sup> :

دانسى جناحيه من الطيورِ قمرٌ      تقصّي البازي إذا البازي كسّر  
وغدا للصبح أعناق تعلو في أعجاز الليل<sup>(٥)</sup> :

حتى ترمى أعناقُ مُصْبِحٍ أُنْبِجَا      تَسْوِرُ في أعجازٍ لَيْلٍ أَدْعِجَا  
كأرأيتَ اللَّيْلَ الْمُؤْجِجَا

وقد أراد بذلك أوائل الصبح وماخير الليل ، فجعل رياض الصبح وجرته يبدو في أواخر الليل المظلم أشبه بالهب المتوقد ، وهي صورة حية لانتحار من روعة وطرافة .

بل إن الصبح ربما أصبح حادياً يجدو ظلام الليل<sup>(٦)</sup> :

حتى إذا مامدقَ الإسهارا      أغره يحو مظلماً قِيَارَا  
وقد رأى في الأفقِ اشقاروا      وفي جناحي لَيْلِهِ أَصْفَارَا

وهذه صورة أخرى ذهبت إلى الطرافة كل منذهب ، فقد جعل ظلام الليل أشبه بالإبل يسوقها ذلك الصبح إلى نهاية لا بد منها ، بل زادها تألقاً حين جعل الليل طائراً أسود ، يبدو على أجنحته صفرة من ضياء الشفق . فالليل ثارة له أعجاز ، وطوراً له أجنحة ، وحيناً له رداء يُلْبِس به

(١) رسالة الفران ٢٤ - ٢٥ .

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٢٢ .

(٣) انظر كتابه الأدب الجاهلي ٢٣٦ .

- ٣٤٨ -

(١) الأرجوزة ١/٧٤ - ٧٥ .

(٢) الأرجوزة ٢٣/٦٤ - ٦٦ .

(٣) الأرجوزة ٢٤/٤٦ - ٤٩ .

كل شيء<sup>(١)</sup> :

وَمَهْمَةً هَالِكٍ مِنْ تَعَرُّجًا هَالِكَةٍ أَهْوَالُهُ مِنْ أَدَلِّجَا  
إِذَا رَدَّاهُ لَيْلُهُ تَدَجَّجَا

وإذا تحدث العجاج عن أيام صباه ، جعل للصبا ثوباً يمكن أن يبلى  
ويتمزق ، وقد لبس وشي هذا الثوب ، وتحسَّن به بين الناس دهرًا من  
شبابه<sup>(٢)</sup> :

فَإِنْ يَكُنْ ثَوْبُ الصَّبَا تَصَرُّجَا فَقَدْ لَيْسْنَا وَشَيْتُهُ الْعُبْرُجَا  
عَصْرًا وَخَضْنَا عَيْشَةَ الْمُعْدَلِّجَا

فالعجاج كان يسعى إلى تجويد معانيه ، وإذا كنا قد رأينا كلفا  
بالصوير عن طريق الألفاظ الموحية المعبرة ، فإنه لم يغفل - كما رأينا - حلية  
الصور البيانية ، التي عرفت في أسلوب زهير وأصحاب مدرسته . وهذه الصور  
في أشعار الجاهلين والاسلاميين ، ولا سيما أصحاب المدرسة الأوسية ، كانت  
تنتزع من البيئة الحسية المادية ، ذلك لأنهم كانوا يستمدون معانيهم من هذه  
البيئة الحسية التي يحيون فيها ، ويتأثرون بها ، ولهذا جاء التشبيه لديهم حسيًا  
ماديا منتزعا من البيئة المادية نفسها<sup>(٣)</sup> .

وكل ما رأينا من أمثلة للصور البيانية عند العجاج ، كان يستمد التشبيه  
من بيئة المادية ، ثم يبنه بناء حسيًا ، يمكن أن يمثل العن أو لأي حساسة  
أخرى ، ولا ينبغي منه أحياناً غير الوضوح وحسن التمثيل لما يطلبه من  
معان أو صور في رجزه ، فإذا أراد مثلاً أن يتحدث عن الحزورية مال إلى

(١) الأرجوزة ٥٨/٣٣ - ٦٠ .

(٢) الأرجوزة ٥٥/٣٣ - ٥٧ .

(٣) انظر العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ٢٢٠ وما بعدها .

التشبيه الحسي ، فجعلهم كالساري في ظلام الليل ، فهم يقاسون دأباً وسهراً  
وظلاماً ، ثم لا يدرون أنهم إلى مهلكة سائرون<sup>(١)</sup> :

كَانُوا كَمَا أَظْلَمَ لَيْلٌ فَانْتَقَرُوا عَنْ مَدْلِجِ قَاسِي الدَّوُوبِ وَالسَّهَرِ  
وَتَحَدَّرَ اللَّيْلُ فَيَجْتَابُ الْغَدَرُ وَغَيْرًا قَسَمًا فَيَجْتَابُ الْغَيْبُ  
فِي بَيْتَرٍ لَمْ يَحْوَ سَرَى وَمَا شَعَرَ

فهذا الظلام لا يريد به العجاج غير ضلالة الحزورية وما اتخذوه لأنفسهم  
من خروج على عامة المسلمين ، إلا أنه جاء بهذا المعنى في إطار حسي مادي ،  
وذلك ليقربه من الأفهام ، ويجعله أمراً مسلماً به ، إذ أن المدلج قد تضل  
به الطريق ، مادام يسري في ظلام دامس .

فالتشبيه الحسي ، على قلته نسبياً في معاني العجاج كانت له أغراض  
لا تخفى في رجزه ، فهو إما أن يكون الوسيلة المفضلة لنقل الوصف من  
موضوع إلى آخر ، وإما أن يتجه إلى توضيح المعاني ، أو تحسين الصور .

وحرص العجاج على توضيح معانيه ، وتقريبها من الأفهام ، وإثباتها في  
الأذهان ، كان دافعاً قوياً إلى الاكتثار من ضرب الأمثال الحسية في معانيه ،  
ذلك لأن الأمثال تجعل المعنى أقرب إلى الفهم ، وأثبت في الذهن ، وأدعى  
إلى الأخذ به ، والاعتناق بما جاء فيه ، وربما أورد من الأمثال ما عرفت العرب  
قبله ، وربما صاغ من المعاني ما يصبح أمثلاً على ألسنة الناس من بعده .

فإذا أراد العجاج أن يتحدث عما أصاب الناس من بلاد الخوارج ،  
أليس معناه ثوباً حسيًا ، وأخرجها في إطار من الأمثال ، فقال<sup>(٢)</sup> :

فَقَدَّعَا الْمَاءَ الرَّبِّيَّ فَلَا غَيْرَ وَاخْتَارَ فِي الدَّيْنِ الْبَرَّوْرِيَّ الْبَطْرَ

(١) الأرجوزة ٣٦/١ - ٤٠ .

(٢) الأرجوزة ٣٣/١ - ٣٤ .

وقد جاء هذا المعنى من قول العرب : « قد علا الماء الزبى » ،  
فضربه مثلاً للأمر إذا تجاوز حده ، وبلغ غايته وأقصاه <sup>(١)</sup> .

ولذا عاد إلى الحواجز ليقول : لهم قد بالغوا في أمرهم ، حتى انتشر  
عليهم ، فضاغوا الناس أجمع ، أخرج هذا المعنى أيضاً في لبوس الأمثال ،  
فقال <sup>(٢)</sup> :

يا عمر بن معمر لا تمتطرن بعد الذي عدا القروص فحزرن  
من أمر قوم خالفوا هذا البشرن

وقد أتى هذا المعنى من قول العرب : « عدا القارص فحزرن » ،  
يضربونه مثلاً للأمر إذا تفاقم <sup>(٣)</sup> .

فهذه الأمثال وما إليها قد استمدتها العجاج من التراث العربي القديم ،  
ولكنه ربما صاغ بعض المعاني في إطار المثل الحسي ، وأطلقها لتكون أمثالاً  
على ألسنة الناس من بعده ، فإن أراد حثاً لابن معمر حتى يوقع بالحرورية  
في هجر حاضرة البصرة ، قال له <sup>(٤)</sup> :

لا فتح إن لم تدر ناراً بيسجر ذات سنأ يوقدها من افستجر

وقد ذهب هذا مثلاً ، فقال الأصمعي في شرح البيت : « ويقال للرجل  
إذا أغضب : ورتبت بك زنادي بيسجر » ، وأنشد المدياني البيت الأول ،  
ثم قال : « هذا للعجاج مخاطب عمر بن معمر ، يقول : إن قدمت في كل

(١) انظر الكامل للمبرد ١/١٨ ، واضداد الأصمعي ٥٥ ، واضداد  
السجستاني ٢٠٦ ، والمقصود والممدود لابن ولاد ٥١ ، والخزانة ٢/٤٩٨  
(بولاق) .

(٢) الأرجوزة ١٣٠/١ - ١٣٢ .  
(٣) انظر مجمع الأمثال ٢/٢١ ، والمعاني الكبير ٢/٨٥٦ ، ١١٣٩ ،  
وجمهرة اللغة ٢/١٢٠ ، واللسان (قرص) . والقابض : اللبث يحدري  
اللسان . والحازر : الحامض جداً .

(٤) الأرجوزة ١٢٧/١ - ١٢٨ .

موضع ، فليس بشيء حتى ثوري بيسجر . يضرب لمن ترك ما يلزمه في  
طلب حاجته <sup>(١)</sup> .

ولذا أراد التهكم بأصحاب ابن الأشعث ، قال عنهم <sup>(٢)</sup> :

جاؤوا مخليين فلاقوا حمضاً طائغين لا يزيجر بعض بعضاً

وقد تحول البيت الأول إلى مثل ، فذكر القاضي أن أبا بكر ابن دريد قال :  
« هذا البيت يضرب مثلاً لكل من أتى متهذفاً فصادف ما يقع تدهده . قال :  
والعرب تقول : أنت مختل فتمض » <sup>(٣)</sup> . وقال البكري : « يعني أن  
الإبل بأكل العلف تشبه المحض ، فضربه مثلاً ، يقول : جاؤوا يشتهون  
القتال فلاقوا من يقاتلهم ويشبههم <sup>(٤)</sup> » .

فالحرص على جعل المعاني قريبة المأخذ ، سهلة المتناول ، هو الذي حدا  
بالعجاج إلى الإكثار من الأمثال في رجزه ، وهذا يتفق تماماً مع الطابع  
الحسي المادي للتشبيه في معانيه ، وهذا الطابع الحسي لم يكن غريباً عن  
العجاج ، لأنه رغم انتقاله إلى بيئة البصرة ، ورحلته إلى بيئات الحجاز والشام ،  
فقد بقي على صلة وثيقة جداً بروح الصحراء ، ولم يستطع أن يتغلب عن تأثير  
البادية في طبعه أو رجزه ، ولم يشمل كل ما وجدته من مظاهر الحضارة الجديدة ،  
أو ما دق عند الفقهاء من المفاهيم حول بعض المعاني في العقيدة الإسلامية .  
ولهذا كان يؤخذ على العجاج بعض المعاني التي تتنافى مع ثقافته البدوية.  
أو طبعه الأعرابي ، ومن ذلك قوله <sup>(٥)</sup> :

(١) مجمع الأمثال ٢/٢٣٠ .

(٢) الأرجوزة ١/٩٦ - ١٠٠ .

(٣) أمالي القاضي ١/١٩١ .

(٤) سمط الآلي ٧٤ .

(٥) الأرجوزة ١٩/٥٢ - ٥٧ .

كَأَنَّ عَيْنَيْهِ مِنَ الْغُورِ بَعْدَ الْإِنْتِ وَتَرَقَّى الْغُورِ  
قَلْبَانِ فِي لَحْظِي صَفَا مَنُورِ أَذَلِكَ أَمْ حَوَّجْنَا قَارُورِ  
غَيْرَتَا بِالنَّضْرِ وَالتَّصْنِيرِ صَلَاصِلِ الزَّيْتِ إِلَى الشُّطُورِ  
فَجَعَلَ الزَّجَاجَ بَضْعَ وَيَرْشُ فَكَانَ هَذَا مِنَ الْمَأْخُذِ عَلَيْهِ عِنْدَ عِدَّةٍ مِنَ  
النَّقَادِ (١)، وَمَا أَخْطَأَ فِيهِ إِلَّا أَنَّ الزَّجَاجَ لَيْسَ مِنَ الْمَظَاهِرِ الَّتِي تَعُودُهَا عَلَيْهِ  
فِي يَدَائِهِ .

وَمَا أَخْذَ عَلَيْهِ أَيْضًا ، قَوْلُهُ يَصِفُ ثَوْرًا (٢) :

كَأَنَّهُ سَبَطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ

وَقَالَ فِيهِ ابْنُ دَرِيدٍ : « وَالسَّبَطُ وَاحِدُ الْأَسْبَاطِ ، وَهِيَ أَوْلَادُ إِسْرَائِيلَ  
اثْنَا عَشَرَ سَبَطًا ، كُلُّ سَبَطٍ قَبِيلَةٌ ، هَكَذَا قُسِّرَ فِي التَّنْزِيلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَغُلِظَ  
الْعَجَاجُ أَوْ رَوْبَةُ فَقَالَ : ( الْبَيْتُ ) ، أَرَادَ رَجُلًا وَهَذَا غُلِظُ (٣) . وَغُلِظُ  
الْعَجَاجِ يَرْتَدُّ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ بِدَقَّةٍ مَعْنَى « الْأَسْبَاطِ » الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ  
الْكَرِيمِ (٤) .

وَقَدْ زِلْتُ قَدِمَ الْعَجَاجِ أَيْضًا فِي مَعَانٍ أُخْرَى ، لَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ جَفَاءِ  
أَعْرَاجِي ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ (٥) :

بَارَبِّ لَا أَدْرِي وَأَنْتَ الدَّارِي

وَقَدْ أَخَذَ هَذَا عَلَى الْعَجَاجِ لَعْدَمَ عِلْمِهِ بِمَا يُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ

- 
- (١) الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٥٧٤ ، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٢٠٤/٦ - ٢٠٥ ، وَكِتَابُ  
الصَّنَاعَتَيْنِ ٦٧ .  
(٢) الْأَرْجُوزَةُ ٣٣/٢٠ .  
(٣) جَهْمُورَةُ اللَّغَةِ ٢٨٤/١ ، وَقَالَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي جَهْمُورَةِ اللَّغَةِ ٥٠٤/٢ ،  
وَالِاشْتِقَاقُ ١٣٣ .  
(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١٣٦/٢ ، ١٤٠ ، وَآلْ عِمْرَانَ ٨٤/٣ ، وَالنِّسَاءُ ١٦٣/٤ ،  
وَالْأَعْرَافُ ١٦٠/٧ .  
(٥) الْأَرْجُوزَةُ ٢٥/٤ .

الصفات ، فَقَالَ أَبُو حَيَّانٍ الْأَنْدَلُسِيُّ : « وَأَسْنَدُ الْعِلْمِ اللَّهُ وَالِدَرَاةُ لِلنَّفْسِ ،  
لَمَّا فِي الدَّرَاةِ مِنْ مَعْنَى الْخَتْلِ وَاحِلَةٍ ، وَلِذَا وَصِفَ اللَّهُ بِالْعَالِمِ وَلَا يَرُوفُ  
بِالدَّارِي ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : ( الْبَيْتُ ) ، فَقَوْلُ عَرَبِيٍّ جَاهِلِيٍّ جَاهِلٍ بِمَا يُطْلَقُ  
عَلَى اللَّهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَمَا يَجُوزُ مِنْهَا وَمَا يَتَّبَعُ (١) . وَقَالَ الرَّائِغُ الْأَصْفَهَانِيُّ :  
« وَالِدَرَاةُ لَا تَسْتَعْمَلُ فِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ : ( الْبَيْتُ ) ، فَهَنْ تَعَجَّرَ  
أَجْلَافُ الْعَرَبِ (٢) . وَجَعَلَ ابْنُ سِيدِهِ هَذَا الْمَعْنَى غَيْرَ جَائِزٍ عَلَى الْعَالَمِ بِنَفْسِهِ ،  
وَذَهَبَ بِالْبَيْتِ إِلَى أَنَّهُ مِنْ غُلِظِ الْأَعْرَابِ (٣) .

وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ أَيْضًا (٤) :

قَارَاتُاجَ رَبِّي وَأَرَادَ رَحْمَتِي

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي شَرْحِهِ : « وَلَا يُقَالُ : اللَّهُ أَرَاتُاجَ ، وَلَكِنَّهُ أَعْرَاجِي بِجَنُودِ  
جَلْفِ جَافٍ » . وَقَالَ ابْنُ سِيدِهِ : « وَزَلَّتْ بِهِ بِلَيْتَةِ قَارَاتُاجَ اللَّهُ لَهُ بِرَحْمَتِهِ فَانْقَذَهُ مِنْهَا ،  
وَقَالَ الْعَجَاجُ : ( الْبَيْتُ ) ، أَيُّ نَظَرٍ لِي وَرَحْمَتِي ، فَأَمَّا الْفَارَسِيُّ فَجَعَلَ هَذَا  
الْبَيْتَ مِنْ جَفَاءِ الْأَعْرَابِ (٥) . وَقَالَ ابْنُ مَنظُورٍ : « قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : قَوْلُ  
رَوْبَةِ (٦) فِي فِعْلِ الْخَائِئِ ، قَالَهُ بِأَعْرَابِيَّتِهِ ، قَالَ : وَنَحْنُ نَسْتَوْشِحُ مِنْ هَذَا  
الْلَفْظِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا يَرُوفُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
ذَكَرَهُ ، هَذَا بَفَضْلِهِ لَتَجَمَّعَ وَحْدَهُ بِصِفَاتِهِ الَّتِي أُنْزِلُهَا فِي كِتَابِهِ ، مَا كُنَّا  
لِنَهْتَدِيَ لَهَا أَوْ نَجْتَزِيءَ عَلَيْهَا (٧) .

- 
- (١) تَفْسِيرُ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ١٩٤/٧ .  
(٢) الْمَفْرَدَاتُ فِي غَرَبِ الْقُرْآنِ ١٦٩ .  
(٣) الْمَخَصَصُ ٣١/٧ .  
(٤) الْأَرْجُوزَةُ ٥٥/٢٢ .  
(٥) الْمَخَصَصُ ٤/٣ ، وَانْظُرْ مَقَابِيسَ اللَّغَةِ ٤٥٧/٣ .  
(٦) لِأَنَّ الْأَزْهَرِيَّ نَسَبَ الْبَيْتَ لِرَوْبَةِ وَهَذَا مِنْهُ .  
(٧) اللَّسَانُ ( رُوحٌ ) .

ومن هذا أيضاً قوله (١) :

لَمَّا أَرَادَ تَوْبَةَ التَّوْحِيدِ مِثْلَ بَيْنِ النَّاسِ أَيْ يَعْتَمِدِي

وقد ورد في شرح الديوان بمجاشية الأصل : « كان أعرابياً جلفاً جافياً » فقال مثل بين الناس ، وكذبت لا يُعْمَلُ الله لأنه خالق كل شيء ، والعالم به قبل أن يخلفه ، وإنما يُعْمَلُ الناس . وما هذا إلا لأن التمثيل بين الشئين يفيد الترجيح بينها ، وإذا مثل الرجل بين هذا وذاك فهو شاك ، ولا يستقيم ذلك مع الله تعالى .

وهذا فالعجاج بقي مشدوداً إلى طباع البادية ، ولم يقو على تمثّل بعض مظاهر الحياة الجديدة فبرزت في أراحيظه بعض المعاني ، التي ما كان لها أن تجد قبولا حسناً عند أنذواق المتأخرين عن عصره بقليل ، ولكن هذا لم يكن واسعاً في معانيه ، ولا تكاد تجد منه إلا أمثلة قليلة في ديوانه ، وهي لا تعدو أن تكون مجرد أعلام ودلائل تشير إلى ارتباط وثيق بينه وبين البادية ، ولا تبلغ بنا أكثر من الأمثلة السابقة إلا قليلاً .

وهذا الارتباط مع البادية ، كان يحمل في أضعافه بعض المعاني الجاهلية ، على ما فيها من تعارض مع الاسلام وتعاليمه . فجزر الطير ، والاستقسام بالأزلام ، أمور أبطلها الاسلام ، وما كان ينبغي لشاعر إسلامي أن يصدر عنها في معانيه ، ومع ذلك فالعجاج لا ينسى تطييره بالبارح من الطير أيام الجاهلية ، ولا تقلب الأزلام من « ممعلت » و « منيح » ، فيجعل من فرسه بارحاً سريعاً سرعة تقلب تلك الأزلام (٢) :

وَنَارَةً يُمِرُّ فِي الْبُرُوجِ عَطَفَ الْمُعَلَّى مَكَّ بِالْمُنِيحِ

(١) الأرجوزة ٧٩/٢٤ - ٨٠ .

(٢) الأرجوزة ٢٥/١٣ - ٢٦ .

والميسر عادة جاهلية أبطلها الاسلام أصلاً ، وجعلها من عمل الشيطان ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأصاب والأزلام نجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (١) ، ومع ذلك فالعجاج لا يتناسى تلك العادة الجاهلية ، وإنما يقول مادحاً معاوية بن أبي سفيان (٢) :

التي ابن حَرْبٍ لَا تَجِدُهُ كَالْبَرِّمِ لَا عَاجِزَ السَّهْوِ وَلَا جَعْدَ الْقَدَمِ  
وقال الأصمعي في شرحه : « والبرم : الذي يضيق فلا يدخل الميسر ، ولا يدخل فيه مع القوم والجمع أنرام » (٣) . فابن حَرْبٍ إذن جواد كريم ، وليس بصاحب مجلّ بنأى به عن الدخول مع القوم في الميسر ، ولا سيما أن الميسر كان من مظاهر الجرد والكرم في الجاهلية ، وهذا لم يروح بخيلة العجاج بعد .

والعطاس كان مما يتطير منه العرب في الجاهلية ، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ، طيبتهم منه ، ومع ذلك بقي معنى التثاؤم ملازماً للعطاس عند العجاج (٤) :

قَالَتْ مُسَلِّمَتِي لِي مَعَ الضَّوَارِسِ يَا أَيُّهَا الرَّاجِمُ رَجِمَ الْحَادِسِ  
بِالنَّفْسِ بَيْنَ الشُّجَرِ الْعَوَاطِسِ

وقال الأصمعي في شرحه : « وقوله : الشُّجَرِ الْعَوَاطِسِ ، هذا مثل . يقول : كلوا في الجاهلية يتطيرون من العطاس ، اذا عطس العاطس قالوا : قد ألجمته ، كأنه يُلجمُه عن حاجته » (٥) .

(١) سورة المائدة ٩٣/٥ ، وانظر المائدة ٩٤/٥ ، والبقرة ٢١٩/٢ .

(٢) الأرجوزة ١٧/٢٣ - ١٨ .

(٣) وانظر اللسان ( برم ) .

(٤) الأرجوزة ١/٢٨ - ٣ ، ومثله أيضاً في الأرجوزة ٣٢/١١ .

(٥) ومثل هذا في المعاني الكبير ٢٧١/١ و ١١٨٥/٣ ، وانظر اللسان

(لجم) ( وعطس ) .

ولذا وصف الحرب جاء بعدد من المعاني الجاهلية الخالصة ، فهم لا يعالجون الأمور الفاسدة إلا بفناء مثلها ، والحرب لا تدع للشئ من قريش أي حرمة ، ولا ترى أخا عبد ، أو إنساناً يعلق على نفسه أشياء منتنة ، يتخذ منها عوذة ، كيلا يصيبه البلاء<sup>(١)</sup> :

بِالْمَاسِ سَتَجَرِي الْأُمُورُ الْمُؤَسَا وَأَحْرَزَ الْخَلَّاسُ مَا تَخَلَّسَا  
وَلَمْ يَهِنِ مَمَّةٌ لَا تَمُتَا وَلَا أَخَا عَهْدٍ وَلَا مُتَقَسَا  
وهذه كلها أمور جاهلية ، فالصُّمَّةُ دين لقريش في الجاهلية ، والتنجيس عادة من عادات بعض العرب في الجاهلية أيضاً<sup>(٢)</sup> ، ومع ذلك فالعجاج ما يزال يلج عليها بخياله ، ويستمد منها بعض معانيه .

ومن هذه العادات أيضاً ما يبرز في قوله<sup>(٣)</sup> :

فَقَدْ أَكُونُ لِلْقُرَاقِي مَصِيدَا مُلَاوَةً كَانَ فَوْقِي جَلِيدَا  
وقال فيه ابن دريد : « والجَلْدُ : جِلْدُ حِوَارٍ مُسْلَخٍ فَيَلْبَسُ حِوَارًا آخَرَ لَتَشْمَهُ أُمُ الْمُلُوكِ فَرَامَهُ .. وهذا شيء كَانَتْ مِنْ فِعْلٍ الْجَاهِلِيَّةِ » .

فالمعاني الجاهلية قد استمرت في أكلة العجاج ومعانيه ، ولكن هذا لا يعني أن الإسلام لم يتدخل شيئاً من التطوير في معاني رجزه ، بل نجد لديه كثيراً من المعاني الإسلامية ، ولا سيما أن عقيدته كانت من العوامل البارزة في تكوين شخصيته وأخلاقه وطباعه ، ولهذا كانت المعاني الإسلامية تبرز

بوضوح في أكثر موضوعات رجزه ، وربما أخذ بعضها بنواحي بعض في أبيات متلاحقة ، أو في أراجيز مستقلة لتؤلف موضوعاً خاصاً بالوعظ ، وإلا فهي تنتشر في موضوعاته المختلفة ، لتتكون دليلاً على ما حدث من تطوير في معاني الشعر وألفاظه في العصر الإسلامي ، وقد رأينا ذلك في حديثنا عن عقيدة العجاج ، ثم في حديثنا عن أغراض رجزه .

فالمعاني بنا اتخذت لنفسها طابعاً إسلامياً ، فيه شيء من الجدية لعصر بني أمية ، ولكن هذا ليس وفقاً على العجاج ، وإنما هو ظاهرة أدبية عرفت في أشعار عصره بتأثير البيئة الإسلامية الجديدة ، أما سائر معانيه فكانت تمتد يداً إلى التراث الأدبي ، فتأخذ منه حيناً ، وتجوّد فيه أحياناً ، وذلك شأن غيره من شعراء الأدب العربي القديم .

ومن أمثلة ذلك أن العرب ربما شبهت حفيف العدو ، إن كان سديداً ، بحفيف النار المتوقدة في السَّعَفِ أو نبات العَرَفَقِجِ أو ما إليه ، ولهذا قال امرؤ القيس يصف فرساً :

وَأَعْدَدْتُ لِلْخَرَبِ وَتَابَةً جَوَادَ الْمَحَنَةِ وَالْمِرْوَدِ  
تَجَمُّوْا مَرْوَحًا وَلِحْضًا مَهَسَا كَمَعْمَعَةِ السَّعَفِ الْمَوْقِدِ

فجرّني هذه الفرس له حفيف من سرعته كحفيف النار المتوقدة في السعف ، ومثل هذا قول أوس بن حجر :

إِذَا اجْتَهَدَا تَدَا حَسِبَتْ عَلَيْهَا عَرَبِيًّا عَلَانَةُ النَّارِ فَبِهِ يُحَرِّقُ

ومثله أيضاً قول طليل الغنوي :

كَانَ عَلَى أَعْرَافِهِ وَجَاهِهِ سَنَا حَرَمِيٍّ مِنْ عَرَفِجٍ مُتَلَهَّبِ

فهذا المعنى متداول بين الشعراء ، وكل منهم يجعل للفرس حقيقاً في جريه يشبه حفيف النار المتوقدة في سعف النخل أو عريشه أو نبات العرفج ،

(١) الأراجوزة ٥٤/١١ - ٥٧ .

(٢) انظر شرح الاصمعي للأبيات ثم انظر اللسان (حمس) و (نجس) .

(٣) الأراجوزة ٩/٢٧ - ١٠ ، وذكر الجدل أيضاً في الأراجوزة ١١٤/١٢ .

(٤) جمهرة اللغة ١٨/٢ .

وقد أخذ العجاج هذا المعنى ، فقال يصف الأنان وجمار الوحش (١) :

سَفَوَاهُ مِنْ خُتَاهُ تَبَارِي مِفْلَجًا      كَأَنَّمَا يَسْتَضَرُّ مَانِ الْعَرَفَجَا  
فهذا المعنى قد استمد من التراث الأدبي لمن تقدمه من الشعراء ، وأمثلة ذلك كثيرة في وزجه ، ومنها ما أخذه من طرفه بن العبد ، إذ قال طرفه (٢) :

كِبَنَاتِ النَّحْرِ يَمَادُنْ كَمَا      أَبَتْ الصَّيْفُ سَالِيحُ الْخَضِرْ  
فشبّه النساء بالصاليج ، وهي ملان واخضر من قضبان الشجر والكرم أول ما بنيت ، وهذا المعنى أخذه العجاج ، فقال (٣) :

وَفَاحًا وَمَرَسًا مَسْرَجًا      وَبَطْنُ آبِيهِ وَقَوْمًا مَسْلُجًا  
فجعل قوام المرأة كالسراج أيضاً .

ومن أمثال هذا ما أخذه من بشر بن أبي خازم ، إذ قال بشر (٤) :

عَطَفْنَا لَهُمُ عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى الْمَلَا      يَشْبَهَانِ لَا يَأْتِي الضَّرَاءُ رَقِيبَهَا  
فهذه الكتيبة من القوة بحيث لا يتوارى رقيبها ، ولا يمشي في الضراء ، وهو ما وارك من شجر ونحوه ، وهذا المعنى أخذه العجاج ، فقال يصف جيش ابن معمر (٥) :

فِي لَامِعِ الْعِقَابَانِ لَا يَأْتِي الْخَمَرُ      يُوجِّهُ الْأَرْضَ وَيَسْتَأْخِذُ الشَّجَرُ  
فجعل الجيش لا يأتي مستوراً ، ولا يسير في الخمر ، وهو ما وارك من شجر ونحوه .

ومن هذه المعاني ما أخذه العجاج عن مُعَقَّر بن حمار الباري ، إذ قال معقر (١) :

تَوَى زَهْدَهُ تَحْتَ الْغُبَارِ طَارِجِي      كَمَا انْقَضَ بَارِي أَقْسَمِ الرِّيشِ كَاسِرْ  
فجعل انقضاء زهدم هذا كانقضاء البازي إذا ضم جناحيه للانقضاء ، وهذا المعنى أخذه العجاج فقال واصفاً سرعة ابن معمر في سيره من الشام إلى البصرة طرب الخوارج (٢) :

دَانَتْ جَنَاحِيهِ مِنَ الطَّوْرِ فَمَرَّ      تَقْصِي الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَّرْ  
وأمثلة هذه المعاني كثيرة جداً ، ومن التعت أن نقف لنستعرض طائفة كبيرة منها ، إلا أن العجاج ربما أخذ المعنى المتداول بين الشعراء فأضاف إليه ما يجتله ويجعل منه معنى خاصاً به دون سواه ، ومن ذلك قول الحارث بن حنظلة (٣) :

وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ      وَمَا لَيْتُ لِلْخَائِبِينَ يَدْمَاءُ  
فلم يفصح عما أوقعوه بقية تغلب من دماء وجراحات ، وذلك ليكون أوقع أثرًا في النفس ، وأبلغ في التعبير عما أراد لما من كثرة واتساع ، فعبّر عن ذلك كله بقوله « كما علم الله » . ومثل هذا قول كعب بن زهير يمدح الرسول عليه السلام (٤) :

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا      بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلْسِي لَيْلَةَ الظُّلْمِ  
وفي عطفائه أو أثناء ربطته . مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمٍ

(١) الأرجوزة ٣٣/٨٩ - ٩٠ .

(٢) ديوان طرفه ٥٣ .

(٣) الأرجوزة ٣٣/٤٠ - ٤١ .

(٤) ديوان بشر ١٥ ، واللسان (ضرا) و (خرس) و (ملا) .

(٥) الأرجوزة ١/٦٨ - ٦٩ .

(١) شرح الأصمعي للأرجوزة ١/٧٥ .

(٢) الأرجوزة ١/٧٤ - ٧٥ .

(٣) شرح المعلقات السبع للزوزني ١٩٨ .

(٤) الممددة ٢/١٠٩ ، وقال ابن رشيقي : « والجهال يروون البيت الأول

لابي دهبل الجمحي » .



فجعل في أنوابه من الدّين والكرم ما يعلم الله ، وذلك تكثريراً وتعظيماً له . وهذا المعنى أخذته العجّاج أيضاً ، ولكنه افتن فيه فقال (١) :

يَحْمِلِينَ كُلُّ سُوْدَدٍ وَتَفْخِرُ بِحِمْلَيْنِ مَانْدَرِي وَمَا لَا تَدْرِي

فجعل الرّكّاب لا يحمل من المكّدم ما يجهد العجّاج ، وإلّا توسّع في المعنى فجعلها تحمل من المكّدم ما أحاط العجّاج به علماً ، وما خرج عن درايته وعلمه ، لأنّها أوسع وأكثر من أن يحيط بها إنسان خبراً . وبهذا فقد دق في المعنى ، وافتن فيه ، وأخرجها في صورة تكاد تبرز شخصيته ، وتخصّص به دون سواه .

فالعجّاج قد استمد بعض المعاني من تقديمه من الشعراء ، وربما وجدنا في ذلك ما يمكن أن يسمى بالسرفات الشعرية ، إلّا أن ذلك في رأيي الآمدي « باب ما يعرى منه أحد من الشعراء إلّا القليل » (٢) ، بل إن هذا الباب لا ينجو منه شاعر ، لأن طبيعة الأدب العربي تدعو الشاعر إلى التزود بثقافة أدبية واسعة وعدم الإخلال إلى الموهبة الطبيعية فحسب ، إذ لا بد له « قبل أن يأخذ في الانبجاء الشعري ، أن يغمس نفسه في حومة الموروث الشعري ، وأن يتعرف مافيه من أهداف ومنازع ، وأن يحكم أساليب فنه حسبما انتقلت من جيل إلى جيل » (٣) .

إلّا أن العجّاج لم يتكئ على المعاني المتداولة بين الشعراء فحسب ، وإلّا كان يأتي بكثير من المعاني التي فيها شيء من الجدة والإبداع ، ولا سيما حين يولد المعنى بصورة تخالف ما تعارف الناس عليه من قبل ، ومن ذلك

(١) العمدة ١٠٩/٢ ، وانظر ملحقات الديوان .

(٢) الموازنة ١١٥ .

(٣) دراسات في الأدب العربي لفؤسّات فون غريناوم ٤٧ .

قوله مثلاً (١) :

عَيْنٌ حَيًّا كَالْعَرَّاجِ نَعَمَةً يَكُونُ أَقْصَى شَيْءٍ مَحْرَجَةً .

وقال أبو علي الغالي في شرحه : « والمعنى أن الناس إذا هوجئوا بالغارة طردوا إبلهم ، وقاموا هم يقاتلون ، فإذا انهزموا كانوا قد نجوا بها ، يقول : هؤلاء من عزم ومنعهم لا يطردها ، ولكن يكون أقصى طردهم أن ينيخوا في مباركتها ثم يقاتلوا عنها » (٢) .

ولا شك أن العجّاج قد خالف سائر الشعراء في تناوله لهذا المعنى ، فجاء جديداً لا يتخلو من طرافة وإبداع ، وهذه الجدة أمثلة كثيرة في رجزه ، إذ كان له أن يستمد من التراث القديم ، والمعاني المتداولة بين الشعراء ، إلّا أنه كثيراً ما يفتن في بعض المعاني فيخرج بشيء من الجدة والإبداع ، ولهذا نجد كثيراً من معانيه قد سارت على ألسنة عدد من الرّجّاز والشعراء ، وما ذلك إلّا لشهرة رجزه ، والجدة في معانيه .

فالشعراء قد وصفوا الثور والفرس ، ودقّقوا في تصوير جريه ، وشبهوا ذلك بالسباحة أحياناً ، ولكن العجّاج قد زاد من الدقة ، حين نظر إلى سرعة الثور ، فلم يقل إنه يسبح سباحة ، وإلّا دقّق فقال : إنه إذا ماعرض له رمل متعقد طفا عليه ، كما يطفو الشيء فوق الماء (٣) ، وذلك لأن قوائمه لا تسبح في الرمل إذا ماعدا (٤) :

كَالْبَرْقِ يَجْتَازُ أَمِيلًا أَعْرَفًا إِذَا تَلَقَّيْتُهُ الْعَقَاقِيلُ طَفًا

(١) الأروزة ١٤/٣٦ - ١٥ .

(٢) الأمالي للقبالي ٦٦/١ .

(٣) قارن بالتبريزي في تهذيب اصلاح المنطق ٦/٢ .

(٤) الأروزة ٧٨/٤٤ - ٧٩ .

فالتور يطفو فوق « العقاقيل » ، أو فوق « الجراثيم » <sup>(١)</sup> ، وكلاهما الرمل المتعقد ، وهذا المعنى فيه جدّة ودقة في التصوير ، ولها أخذته الرمة ، فقال بصف ثوراً <sup>(٢)</sup> :

ذو سَعَفَةٍ كَشِيبَابِ التَّدْفِ مُنْصَلَتْ

بَطْطُو إِذَا مَا تَلَقَّيْتُمُ الْجَرَائِمِ

وقد نَبّه الأصمعي على أخذه هذا المعنى عن بيت العجاج <sup>(٣)</sup> . ونقل الأصفهاني بسنده أن العجاج قد أخذه بدوره من قول علقمة بن عبدة <sup>(٤)</sup> :

يطفو إِذَا مَا تَلَقَّيْتُمُ الْعَقَائِلُ

ولذا صح هذا البيت لعلقمة ، فذلك يعني أن العجاج قد أعجب بهذه الصورة ، ثم نقلها في رجزه ، ومن ثمّ أخذها ذو الرمة ، ولا سيما أن ذا الرمة قد أخذ عدداً من المعاني الأخرى عن العجاج ، ومن ذلك قول العجاج يصف الكناس <sup>(٥)</sup> :

كَأَنَّ رِيحَ جَوْفِهِ الْمَرْبُورِ فِي الْخُشْبِ نَحْتَ الْهَدَبِ يَخْضُورِ

مَشْوَاهُ عَطَّائِرٍ بِالْعُطُورِ أَهْضَامِهَا وَالْمِسْكِ وَالْكَافُورِ

فجعل كناس البقر رائحة زكية أيام الربع تشبه رائحة هذه العطور لدى العطار ، وهذا المعنى أشار الأصمعي إلى أن ذا الرمة قد أخذه عن العجاج ، فقال <sup>(٦)</sup> :

إِذَا اسْتَرَلْتُ عَلَيْهِ عَيْبَةً أُرِجْتُ مَرَابِضُ الْعَيْنِ حَتَّى يَأْرَجَ الْخُشْبُ  
وقال العجاج بصف الثور أيضاً <sup>(٧)</sup> :

حَتَّى غَدَاً وَاقْتَادَهُ الْكَرِيءُ وَشَرَّشَرُ وَقَسَّوَرُ نَضْرِيءُ

فجعل هذه النباتات تستدعي الثور وتقتاده إليها ، فجاء ذو الرمة وأخذ هذا المعنى ، إذ جعل رائحة الثور تستدعي الأسد إليه ليأكله <sup>(٨)</sup> :

أَمْسَى بِبُوعَيْنٍ مُجْتَازًا لَطِيبِ مِنْ ذِي فَوَارِسٍ يَدْعُو أَنْفَهُ الرَّبِيبُ

وقال العجاج في مدح الحجاج يصف أصحاب ابن الأشعث <sup>(٩)</sup> :

وَلِنْ عَلَوًا مِنْ بَعْدِ أَرْضِ أَرْضَا حَسِبْتَهُمْ زَادُوا عَلَيْهَا عَرْضَا

وقال الأصمعي في شرحه : « يقول : إذا علوا من بعد أرض أرضا حسبهم زادوا على الأرض عرضا . والعرض : الحبل تشبه بالجل . قال <sup>(١٠)</sup> :

كُنَّا إِذَا قَدَّمْنَا لِقَوْمِ عَرْضَا لَمْ نُسَبِّحْ مِنْ بَغْيِ الْأَعَادِي عِضَا

والعض : الرجل الشديد اللسان الشديد العارضة . يقال : لأنه لعض .

قال ذو الرمة :

كَأَيَّ تَدَهَّدِي مِنَ الْعَرَضِ الْجَلَامِيدِ

وكلاهما سرق من العجاج <sup>(١١)</sup> .

فالشاعر ذو الرمة قد أعجب بمعاني العجاج ، وأدخل بعضها في أشعاره ، وذلك لطرافة أو إبداع أو جدة كانت تمتاز بها على غيرها من

(١) في رواية أخرى للبيت وردت في الشعر والشعراء ٥١٦ ، والصحاح ٧٥/٢ ، والمخصص ١١٤/٧ ، والمعاني الكبير ٧٣٨/٢ .  
(٢) المعاني الكبير ٧٣٨/٢ .  
(٣) الشعر والشعراء ٥١٦ .  
(٤) الأغاني ١١٢/٢١ .  
(٥) الأرويزة ٩٦/١٩ - ٩٩ .  
(٦) الشعر والشعراء ٥١٧ .

(١) الأرويزة ١٤١/٢٥ - ١٤٢ .  
(٢) المعاني الكبير ٧٥٤/٢ .  
(٣) الأرويزة ١٣/٦ - ١٤ .  
(٤) البيتان لرؤبة في الأماني ١١٨/١ ، والصحاح ١٠٨٣/٣ ، واللسان عرض .  
(٥) شرح الأرويزة ١٣/٦ - ١٤ .

المعاني التي جاء بها الشعراء في أوصاف هذه المروضات ، ولم يكن ذو الرمة بالشاعر الوحيد الذي تأثر بمعاني العجاج ، وإنما كان لهذه المعاني أن وجدت لنفسها كل سبيل إلى عدد من الرجاز والشعراء ، ومنهم أبو النجم العجلي ، فقد أخذ عن العجاج بعض المعاني ، ومن ذلك قول العجاج في والي الهملة (١) :  
تَبْرِي لِمَنْ يَأْمُرُ وَأَسْمَلُ خَوَالِجٍ مِنْ أَسْعَدُ أَنْ أَقْبِلُ  
فيعمل الخوالج تعرض له عن يمين وشمال (٢) ، وهذا المعنى أخذه أبو النجم ، فقال (٣) :

تَبْرِي لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَسْمَلُ ذَوِ خِرْقٍ طُلُسٍ وَسَخَصٍ مَذَلِ  
ومنهم الراعي التميري ، فقد أخذ عن راجز بني سعد بعض المعاني ، ومن ذلك قول العجاج (٤) :

تَسْمَعُ لِلْمَاءِ إِذَا اسْتَحْيَا لِلْجَرَجِ فِي أَجْوَاغِهَا خَرِيرَا  
فيعمل الإبل ترد الماء عطاشاً ، فإذا شربت سمعت للماء صوتاً في أجوافها ، وهذا المعنى أخذه الراعي ، فقال في وصف الإبل أيضاً (٥) :  
فَسَقَرَا صَوَادِي بِسَمْعَوْنَ عَشِيَّةً لِلْمَاءِ فِي أَجْوَاغَيْنِ صَلِيلَا  
ومنهم عبد الله بن قيس الرقيات ، إذ قال العجاج (٦) :

(١) الأرجوزة ٢٧/١٧ - ٢٨ .

(٢) انظر المعنى بدقة في الصحاح ٢٢٢١/٦ ، وتحصيل عين الذهب ١١٣/١ .

(٣) نوادر اللغة لأبي زيد ١٦٥ ، واللسان ( بين ) ، والاول مشهورة نسبته لأبي النجم ، وهو في الكامل للمبرد ١٢٣١٧/٦ ، ومقاييس اللغة ٢١٦/٣ ، والصحاح ٢٢٢١/٦ ، والمخصص ٣/٢ ، ١٩٠/١٧ ، ١٢/١٧ ، والخصائص ١٣٠/٢ ، وكتاب سيبويه ١١٣/١ ، ٤٧/٢ ، ١٩٥/٢ ، والإنصاف ٤٠٦/١ ، وشرح الواحدي على المتنبي ٧١٩/٢ ، والخزانة ١٣٢/٣ ( يولاق ) ، واللسان ( شمل ) .

(٤) الأرجوزة ٢٧/٢٦ - ٢٨ .

(٥) الاقتضاب ٤٥٥ .

(٦) انظر الملحقات ( ٤٥ ) ، والصفاط : الزحام .

- ٣٦٦ -

إِنَّ النَّدَى حَيْثُ تَرَى الضَّغَاطَا وَالْبَهَاءَ وَالْإْفْدَامَا وَالنَّشَاطَا  
فجعل الندى في المكان الذي يكثر فيه الزحام ، فأخذ ابن قيس الرقيات هذا المعنى وافقت فيه ، فقال :

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَشِرُ الْحَبَابُ وَتُعْشَقُ مَنَازِلُ الْكَرَمَاءِ  
وقد نبّه الخاليدان على أنه أخذ هذا المعنى عن العجاج (١) .

ومنهم حكيم بن معية (٢) ، فقد قال العجاج (٣) :

لَقَدْ كَفَى قَرَضِي بَيْتِكَ الْحَسْرَا

وقال ابن قتيبة في شرحه : « أي أن تحسّر عليهم الأيدي بالسياط فضريرا (٤) » ، وهذا المعنى أخذه حكيم بن معية ، فأشار إلى رفع الأيدي عند الخصومة ، فقال (٥) :

إِنِّي إِذَا مَا طَارَتِ الرِّثَابِيرُ وَلَقِجَتْ أَيْدِيهَا عَوَاسِرُ  
ومن أخذ عن العجاج أيضاً القطامي ، إذ قال العجاج في وصف القتال (٦) :

حَتَّى إِذَا مَا مَرَّ جُلُ الْقَرَمِ أَقْرَ بِالْفَلْأَيِ أَحْمَرَةٍ وَأَنْخَبَوَةَ التَّيْرِ  
فيعلمهم يخرجون تارة ويسكنون تارة أخرى عند غليان القتال ، وهذا المعنى أخذه القطامي ، فقال (٧) :

- (١) المختار من شعر بشار ٩٥ .
- (٢) راجز إسلامي كان يناصر العجاج ، انظر الأغاني ٤٤/٧ ، والخزانة ٣١١/٢ .
- (٣) ملحقات الديوان ( ٢٦ ) .
- (٤) المعاني الكبير ٨١٩/٢ .
- (٥) المعاني الكبير ٨١٩/٢ .
- (٦) الأرجوزة ١١٤/١ - ١١٥ .
- (٧) ديوانه ٣٤ ، واللسان ( سوع ) .

- ٣٦٧ -

وكنّا كالحرير أصاب غاباً فيخربو ساعة ويهب ساعاً  
وممن دكين الراجز ، فقد قال العجاج (١) :

شدّ الشظي الجندل المظرباً في رُسغ لا يشكّي الوشّياً  
فجعل الحافر صلباً شديداً لا يشكو ذلك الحوشب ، وهو عظيم في  
باطن الحافر يصل بالرسغ ، وهذا المعنى أخذه دكين ، فقال (٢) :

في حافر لا يشكّي حوشبهُ صلب الصقار فصّ عنه أصلهُ  
وقال العجاج يصف سرعة الفرس (٣) :

يكاد يرمي القيقبان المسرجاً لولا الأيازيم وأنّ المنسجبا  
فأهى عن الذئبة أن تغرجبا لأفجم الفارس عنه زعجبا

فجعله من السرعة حتى لكانه يلقي بالسرّج أو بالفارس عن ظهره لولا  
الأيازيم وما في السرّج من فجوة تمسك بظهر الفرس ، وهذا المعنى أخذه دكين  
أيضاً فقال (٤) :

لولا جزأماؤ ولولا لبببهُ لتجمّ الفارس لولا قيقبهُ  
والسرّج حتى قد وهى مضببهُ

ومن أخذ عن العجاج أيضاً حميد الأرقط ، إذ قال العجاج في وصف  
المفاضة (٥) :

وبلندة بعيدة النياط مجهولة تغتال خطو الخاطي

تألوت حين حية الوطواط تغتال لوت حجمة الملاط  
فجعل المفاضة بعدما كأنها تباط بمفاضة أخرى لا تكاد تنقطع ، وهي بعدما  
وسعتها كأنها تغتال المشي اختلا ، فلا يستبين فيها السير مهما طال وأمدت به  
الأمد ، وهذا المعنى أخذه حميد الأرقط ، فقال (١) :

وبلندة مرهونة النياط تغتال خطو القلص الخواط  
منا مسوب وعشة الوطاط وردت قبل سدفة الغطاط

وأما المعاني التي أخذها رؤبة عن أبيه العجاج فهي كثيرة جداً ، وليس  
لنا إلا أن نعرض منها بعض الأمثلة فحسب ، ومنها قول العجاج (٢) :

نحل حصان نجلها لم يعقم غراء مسقاباً لفحل سرطم  
فجعلها غراء مسقاباً ، أي مذكاراً تلد السقب ، وهو الذكر من

ولد الناقة . وهذا المعنى أخذه رؤبة فقال (٣) :

وكانت العرس التي تسجبا غراء مسقاباً لفحل أسقبا  
وقال العجاج في وصف الجيش (٤) :

سهب إذا ما محين موجن الصرّ بذي ياديين إذا عدّ اعتكّر  
فجعل هذه الكتائب الشهب في جيش إذا ما أراد الإنسان له عدداً ،

رأه يعتكّر ، أي يرجع بعضه على بعض ، يوج وينعطف ، فلا يقدر  
على عدّه ، وهذا المعنى أخذه رؤبة ، فقال (٥) :

- (١) انظر ملحقات الديوان ١٣/٢ - ١٤ .
- (٢) كتاب الخيل لأبي عبيدة ٨٧ .
- (٣) الأروزة ١٢٥/٣٣ - ١٢٨ .
- (٤) اللسان ( قيب ) .
- (٥) الأروزة ١٢٥/٢ - ٨٤ - ٩٠ .

- (١) سبط اللالي ٨٨٦ .
- (٢) الأروزة ١٠٩/٢٤ - ١١٠ .
- (٣) اللسان ( سقب ) .
- (٤) الأروزة ١٨٠/١ - ١٨١ .
- (٥) اللسان ( عكر ) .

إذا أرادوا أن يعدّوه اعتكروا

وقال العجاج في وصف المفازة (١) :

وبلدة تستخبر الأرسلا من القطا وتبهظ الشمالا

فجعلها من البعد والانتاع مايشق على ربح الشمال وبيعزها ، وهذا المعنى أخذه رؤبة في وصف المفازة أيضاً ، فجعل الريح تكل إذا مامرت بها ، وذلك بعد المفازة واتساعها ، فقال (٢) :

وقاتم الأعناق خاري المخترق مشتبّه الأغلام لَماع الغفق  
يكله وقدّ الرّيح من حيث انخرق

وقال العجاج (٣) :

بليت والميسار جون حنتم (٤) تمضي الدواهي حوله ويسلم

فجعل الجبل أسود أخضر . ونقل ابن قتيبة عن الأصمعي (٥) ، أن رؤبة أخذ هذا المعنى عن أبيه العجاج ، فقال :

والسّده مادام شداد أزدّمه حديدته وقطرته ورصمه  
وعاد بعد التّحت جوناً حنتم

وفي شرح ديوان رؤبة جاء في البيت الأخير : « حنتمه : هذا سرقه عن أبيه ، قال : ومعناه عاد أخضر أسود » .

وقال العجاج (١) :

وبلدة بعيدة الشّياط مبهولة تغتال خطو الخطاطي

فجعل المفازة كأنها تغتال الخطو لاتساعها ، إذ لا يستبين فيها المشي ، بل يسير الإنسان فيها وبطل الدّأب ولا يصل منها إلى غاية . ونقل ابن قتيبة عن الأصمعي (٢) أن رؤبة أخذ هذا المعنى عن أبيه العجاج ، فقال :

وبلدة يغتال خطو المختطي يغايّل الغول عريض المبتسط

وفي شرح ديوان رؤبة جاء عن الأصمعي في البيت الأول : « قال أبو سعيد : فسرقها رؤبة عن أبيه العجاج ، قال أبو :

وبلد يغتال خطو الخطاطي (٣)

قال : وحديث مسلمة بن عياش قال : قال رؤبة : الفحول هم الرواة .

قال : يريد أنهم يسرقون (٤) » .

وقال العجاج (٥) :

ورب هذا البلد المحرم والفاطنات البيت غيّر الرّمم

أولاً مكّة من ورق الحبي

فأقسم بالحنام المقيم في مكة أمناً لا يبرحها ، وهذا المعنى أخذه رؤبة .

(١) الأرجوزة ١٨/١٤ - ١٩ .

(٢) الشعر والشعراء ٥٧٨ .

(٣) بهذه الرواية أنشده ابن قتيبة أيضاً ، وهي تختلف قليلاً عن روايته

في الديوان .

(٤) ديوان رؤبة النسخة (٥١٩ أدب) ص ٢١٣ ، والنسخة (٤٩ أدب

ش) ص ٢٢٧ ، وثمة إشارة إلى هذا في النسخة (٥١٦ أدب) الورقة ١٥٤ .

(٥) الأرجوزة ٢٤/٤٥ - ٤٧ .

(١) الأرجوزة ١٨/١٤ - ١٩ .

(٢) ديوانه المخطوط النسخة (٥١٦ أدب) الورقة ١ ، والنسخة (٥١٩ أدب) ص ٦٠ ، والنسخة (٤٩ أدب) ص ٦٦ .

(٣) ملحقات الديوان ١/٦٦ - ٢ .

(٤) المسار : جبل . والجون : الأسود . والحنتم : خضرة قريبة من السواد .

(٥) الشعر والشعراء ٥٧٨ .

(٦) النسخة (٥١٩ أدب) ص ٣٠٨ ، والنسخة (٤٩ أدب) ص ٣٣٦ .

أَيْضاً فَقَالَ (١) :

فَلَا تُرِبْ الْأَحْسَنَاتِ الْقُطُنُ مَا آيِبٌ سِرٌّ إِلَّا سَرِّي  
ولم تنف معاني العجاج عند التأثير في معاصره من رجاز وشعراء ،  
بل امتدت إلى عصور أدبية أخرى ، فكانت تظهر في أشعار بعض الشعراء ،  
أو في كلام بعض الناس ، بما يدل على شيرة هذه المعاني ، وحياة ذلك  
الرجز على ألسنة الناس جيلاً بعد جيل . ومن هذه المعاني قول العجاج في  
عتاب ولده رؤبة (٢) :

وَأَسْتَجِلَّ الْمَوْتَ وَفِيهِ كَفَافٌ (٣)  
لَمَّا رَأَيْتُ أُرْعِشْتُ أَنْطَرَا فِي

فروبة يستعجل موت أبيه ، وفي الموت ما يكفيه مؤونة استعجال ذلك ،  
لأنه قد تعود اختروا الناس ، والعجاج يوشك أن يمضي إليه ، وهذا المعنى  
أخذه أبو دهل في حديثه عن صروف الدهر ، فقال (٤) :

وَلَوْ تَزَكُّونَا لَا هُدَى اللَّهُ أَمْرَهُمْ فَلَمْ يُلْجِمُوا قَوْلًا مِّنَ الشَّرِّ يُنْسَجُ  
لَأَوْشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ تَغْرِيقُ يَمِينِنَا وَهَلْ يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ وَالْدَّهْرُ أَعْوَجُ  
ثم أخذه فيما بعد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، فقال (٥) :

إِلَى كَيْ يَكُونُ الْعُشْبُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَكَيْ لَا تَمْلِكِينَ الْقَطِيعَةَ وَالْهَجْرَا  
رُؤْيَاكَ إِنْ الدَّهْرَ فِيهِ كِفَايَةٌ لِّتَقْرِيْنَ ذَاتَ الْبَيْنِ فَاتَنْظِرِيْ دَهْرَا

- (١) ديوانه المخطوط النسخة ( ٥١٦ أدب ) الورقة ٢٣ ، والنسخة ( ١٥٩ أدب ) ص ٢٥٣ ، والنسخة ( ٤٩ أدب ش ) ص ٢٧١ .  
(٢) الأرجوزة ٥١/٨ - ٥٣ .  
(٣) وجاءت رواية هذا البيت في بعض المصادر : « واستعجل الدهر وفيه كاف » .  
(٤) أمالي المرتضى ٨١/١ .  
(٥) أمالي المرتضى ٨١/١ .

فهذا المعنى قد سار عن العجاج إلى أبي دهل ، ثم إلى ابن طاهر ،  
وشبه به معنى آخر كان العجاج قد أخذه عن معمر بن حمار الباقلي ، ثم  
افتن فيه ، وأخرجه ضمن إطار جديد ، فقال (١) :

دَانَتْ جَنَاحِيهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرُّ تَقْضِي الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرُ  
فالبارقي شبه الانقراض بانقضاء البازي إذا كسر جناحيه ، أما العجاج  
فزاد على هذه الصورة ما وضعه لان معمر من أجنحة بدانها وبضمها في  
انقضاضه السريع من الشام إلى البصرة ، وربما كانت هذه الأجنحة هي الجيش  
الذي أنفضه إلى ما أراد ، كما ينفض العقاب بجناحيه ، وهذا المعنى الأخير  
أخذه أبو الطيب المتنبي ، فقال (٢) :

جَزَّ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ كَمَا انْقَضَتْ جَنَاحِيهَا الْعُقَابُ  
فهذا المعنى قد تأثر فيه المتنبي بالعجاج ، ومثله أيضاً متأثر به القاضي  
التنوخي ، إذ قال العجاج في وصف لية شديدة مرّت به (٣) :

بَتْ لَهَا يَقْطَانٌ وَاقْسَأَتْ إِذَا رَجَوْتُ أَنْ تُضِيءَ أَسْوَدَتْ  
دُونَ قَمَدَاتِي الصُّبْحُ فَارْجَحَيْتِ مِنْهَا عَجَاسَةً إِذَا مَا التَّجَتْ  
حَيْثُهَا وَلَمْ تَكُ كَرَّتْ

فاللية شديدة قد ثقلت عليه وتطاوت ، حتى ظنها قد كرّت ، أي  
تعتطفت وارثت إليها ماضى منها ، وهذا المعنى أخذه القاضي التنوخي ،  
فقال (٤) :

- (١) الأرجوزة ٧٤/١ - ٧٥ .  
(٢) الانقضاب ٤١٣ .  
(٣) الأرجوزة ٢٧/٢٢ - ٣٢ .  
(٤) المختار من شعر بشار ١٧ .

وَكَمْ لَيَالٍ قَدْ لَقِيتُ هَوْلَهَا      بِهَيْمَةٍ فَتَوَقَّ السَّاءَ كَالسَّاءِ  
طَالَتْ دِيَابِجُهَا فُخِلْنَا أَنَهَا      تَعْتَفُطُ مِنْهُنَّ عَلَيْنَا مَا مَضَى

وقد ذكر الخالديان أن البيت الأخير قد أُخِذَ من بيت العجاج السابق<sup>(١)</sup>. ومن أشهر معاني العجاج قوله في مطلع رائيته<sup>(٢)</sup>:

قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهِ فَجَبَّرَ      وَعَوَّرَ الرَّحْمَنُ مَنْ وَلَّى الْعَوَّرَ

فجعل انتصار ابن معمر على الحوارج جبراً للدين مما أَلَمَّ به من تصدع على أيديهم، وهذا المعنى طارت شهرته حتى وجدناه أيام المعتصم يستنقذ روحاً بعد أن وقفت بين السيف والناطع، ففي خبر جميل بن قيس السدوسي أنه خرج على المعتصم، ثم جيء به إلى النطع والسيف لضرب عنقه بين يدي أمير المؤمنين، فلما استنطقه المعتصم، كان بما قاله: «يا أمير المؤمنين! جبر الله بك صدع الدين، ولم يك شعث الإسلام والمسلمين، وأخذ بك شهاب الباطل، وأثار بك سبيل الحق<sup>(٣)</sup>». وهذا كله قد استمده ابن تيم من معاني العجاج في مطلع أرجوزته، وفي عدد من أبياتها.

وهذا إما يشير إلى مدى شهرة رجز العجاج ومعانيه خلال عصورنا الأدبية المختلفة. فالعجاج قد استمد بعض معانيه من التراث الأدبي لمن تقدمه من الشعراء، إلا أنه قد طوّر بعض المعاني، وجدد في معاني أخرى فأمد بها التراث الأدبي لمن عاصره ولمن جاء بعده من الشعراء، وكل ما رأيناه في معانيه من خصائص كان يصدر عن ذلك الارتباط الوثيق بين رجزه والصراخ، وهذا الارتباط هو ما يفسّر كذلك معظم الخصائص اللفظية

(١) المختار من شعر بشار ١٨.

(٢) الأرجوزة ١/١ - ٢.

(٣) المستجاد من فملات الأجواد ١١٧، وانظر حل العقاد ١٠٣. ضمن مجموعة تفريج الملهج بتلويح الفرج.

في رجزه.

## ٢ - الخصائص اللفظية

إن أول ما نقف عليه في الخصائص اللفظية هو شكل الأرجوزة، وما نلاحظه من تجريد في منهج القصيدة القديمة أحياناً، إذ نخلّي العجاج عن تلك المقدمات التقليدية في كثير من أرجوزته، إلا أنه لم يضرب تماماً عن المنهج القديم للقصيدة وإلّا بنى بعض الأراجيز بناء القصيدة القديمة في منهجها وتعاقب موضوعاتها، ومن ذلك مثلاً أرجوزته في عتاب ولده رؤبة<sup>(١)</sup>:

وَبَلَدُ لِسَاعَةِ الْأَكْنَافِ      قُلُوبٌ غَاشِيَا عَلَى انْحِرَافِ

فقدّم العتاب بالحديث عن المفازة، وما فيها من مشاهد، ثم انتقل إلى وصف بعبيره القوي، وما لبث أن شبه بالثور الوحشي، ومن ثم شرع في وصف هذا الثور والتقاءه مع الصياد والكلاب، فأثنى بمشاهد رائعة للصراع بين الكلاب والثور، حتى إذا ما انتصر الثور كانت نهاية هذه المقدمة التقليدية، بعد أن امتدت ستة وأربعين بيتاً، ومن ثم انتقل العجاج إلى عتاب ولده رؤبة.

ومن أمثال ذلك أيضاً أرجوزته في مدح يزيد بن معاوية<sup>(٢)</sup>:

مَالٌ جَارِي دَمْعِيكَ الْمُهْلِكِ      وَالشُّوقُ شَاجِ الْعِيُوثِ الْحَذَلِ

إذ قدّم لمديح يزيد بالوقوف على الأطلال، والتغزل بمن كانت فيها قبل الترحل عنها، ثم انطلق إلى وصف الرحلة إلى يزيد، فأثنى بأوصاف

(١) الأرجوزة ١/٨ - ٢.

(٢) الأرجوزة ١/١٢ - ٢.

للإبل والمقازرة والتفار وما فيها من مشاهد ، ثم انتقل بعد ذلك كله انتقالاً موفقاً إلى موضوع المدح ، بعد أن امتدت تلك المقدمة التقليدية زهاء مائة وعشرين بيتاً ، أفرد بعض أيتها المديح ، خلال حديثه عن غرض الرحلة ، وهو الوصول إلى يزيد بن معاوية طلباً لنواله وكرمه .

فالمقدمات التقليدية ربما طالت في بعض الأراجيز ، وذلك لتنفل كل ما اعتادت المقدمات الجاهلية أن تنقله من أوصاف أو موضوعات ، لأن العجاج في تقصيد الرجز كان لابد له أن يسائر المنهج القديم للقائد ، ولهذا كانت بعض الأراجيز تمتد فيها المقدمات وتطول ، فنذكر الأطلال والغزل وأوصاف البعير والصحراء خلال تلك الرحلة الطويلة ، ولا سيما أن مثل هذه الموضوعات كان للعجاج بها ولوع خاص ، باعتبار أنها وليدة البادية ، وكل ما كان له بالبادية اتصال ، كان للعجاج به شغف وميل إلى نقله وتصويره . إلا أن هذه المقدمات ربما جاءت سريعة جداً ، حتى ليدوا واضحاً أنها ماوردت إلا تقليداً لسنة متبعة ومنهج موسوم في القصيدة التقليدية ، ومن ذلك أرجوزته في مدح عبد العزيز بن مروان (١) :

قلت لعن قد وئت طليح عوجاه من تتابع التطويح

فالمقدمة هنا لم تتجاوز ثمانية أبيات ، تحدث فيها عن فاقته ، وطلب إليها أن تصبر على ما أصابها من دأب وجهد في الطريق إلى الممدوح ، ولا ندرى إذا كان ضمير المقدمة يترد إلى قصر الأرجوزة نسبياً ، إذ لا يترد الأرجوزة كلها عن سبعة وعشرين بيتاً .

والهم أن العجاج قد ألزم المنهج التقليدي في بعض الأراجيز ، ولكنه

(١) الأرجوزة ١٣/٢ - ٢

أغفل هذا المنهج في بعض الأراجيز الأخرى ، فأهمل المقدمات التقليدية ، وجأ إلى منهج جديد للقصيدة ، فبدلاً من تلك المقدمات التقليدية أصبح العجاج يبدأ الأرجوزة بالموضوعات الدينية ، أو بشيء من الحكمة التي تتناسب وموضوع الأرجوزة ، ومن ذلك أرجوزته في مدح عمر بن عبد الله ابن معمر (٢) :

قد جبر الدين الإله فجبز وعور الرحمن من ولئ العور  
فالمعتمد بالله الذي أعطى الصبر موالى الحق إن المولى سكر

ففي هذه الأرجوزة لم يبدأ بمقدمات تقليدية ، بل قدم المديح بالحديث عن جبر الدين بعد أن صعدته الحرورية ، وتحمده الله على ماتم من انتصار عليهم ، ثم عرض لعدد من المعاني الإسلامية ، فأشار إلى موقف الرسول عليه السلام وأصحابه بالحديث ، وعرض لبيعة الرضوان ، وما أراده الله لنيته من إظهار الدين الخفيف على يديه ، ومهد بكل هذه المقدمة الدينية التي امتدت ستة عشر بيتاً ، ليقول : لقد ظهر الدين على يد محمد صلوات الله عليه ، فجاه هؤلاء الحرورية لطمسوا معالمه بأهوائهم ، فكان هذا الوقت بالذات هو أوان الجد لابن معمر ، للقضاء عليهم وإفقاد الدين من إضادهم .

وبذلك كانت مقدمة هذه الأرجوزة لانتسب معانيها وأسلوبها من المناهج التقليدية ، ولما تشتملها من الجانب الفكري والسياسي لعصر العجاج ، وهذا أبلغ وأشد تأثيراً من المقدمات القديمة .

ومثل ذلك أيضاً ما قدم به لموضوع الغفر في قوله (٣) :

(١) الأرجوزة ١/٤ - ٤  
(٢) الأرجوزة ١/٦ - ٦



يُارَبُ رَبِّ البيتِ والمَشْرِقِ  
إِنَّا كَ ادْعُو فَتَقْبَلُ مَلَقِي  
إِنَّا إِذَا حُرِبْ غَدَتْ لَا تَنْقِي  
ففي هذه الأرجوزة لم يقدم إلّا بأربعة أبيات من المعاني  
الدينية الإسلامية ، ثم انتقل بعدها إلى موضوع الفخر بقبيلته وماله من ألبم  
على القبائل الأخرى أمثال قبائل بكر بن وائل ، وقبائل عامر بن صعصعة  
من قبائل كنانة .

وربما تخلى العجاج حتى عن أمثال هذه المقدمات ، وفضل عليها اختيار  
المطالع القوية ، والدخول مباشرة إلى الموضوع ، فإذا مدح مروان بن الحكم  
راجياً أن يفك أصفاد سجنائه « غاصم ومُحَيِّ » ، بدأ بالمدح مباشرة ،  
واختار قوة الاستهلال وتأثيره ، فقال (١) :

مَا إِنْ عَلِمْنَا وَاغِيَاً مِنَ الْبَشَرِ  
وَلَا عَلَيَّ عِدَانٍ مَلِكٍ مُخْتَصِرٍ  
وَعَاصِيَا سَلَمَةٍ مِنَ الْعَدَدِ  
وَلَوْ أَنَّ مَدْحَ الْحِجَاجِ لَافْتَاهُ بَابُ الْأَشْثِ ، لَمْ يَبْدَأْ بِالْمَقَدِّمَاتِ التَّقْلِيدِيَّةِ أَوْ  
بغيرها ، ولذا بدأ بالمدح مباشرة ، واختار الدخول إليه باستفهام يثير الانتباه  
ويوجه الأسماع إليه ، وينشر من حوله شيئاً من الرهبة والقوة (٢) :

أَلَمْ يَكُنْ أَشَدَّ قَوْمٍ رَحْفَاً  
إِذْ رَكَضُوا وَالْأَعْيُنُ قَبَضَا  
سِرَّاهُمْ وَالْأَخْبِيْنُ رَكْضَا  
حِينَ أَطَالُوا فِي الْأُمُورِ الْمَخْضَا

(١) الأرجوزة ١/٢ - ٦ .

(٢) الأرجوزة ١/٦ - ٤ .

وليس من السائغ أن نذهب إلى احتفال ضياع المقدمات من هذه الأراجيز  
وأمثالها ، ذلك لأن هذا الاحتمال قد يصدق في الأراجيز التي نجد أحياناً العجاج  
بأوزانها وقوافيها في مصادرنا المختلفة ، ولا وجود لها في الديوان ، فهذا يوحى  
باحتمال أن تكون هذه الأبيات جزءاً منها في الأصل ، كان مقدمة لها ثم  
سقط من رواية الديوان لسبب من الأسباب ، وذلك مثل أرجوزته في مدح مصعب  
ابن الزبير (٣) :

لَقَدْ وَجَدْتُمْ مُصْعَبًا مُسْتَضْعَبًا  
إِنْ رَمَى الْأَحْزَابَ وَالْمُحَرَّبَا  
إلا أن الأراجيز الأخرى لا نجد فيها موعواً مثل ذلك الاحتمال ، ولا  
سياً أن هنالك أراجيز كاملة بمقدماتها ، وهي تشير إلى عدم التزام العجاج بالمنهج  
التقليدي القصيدة ، ولذا قد بلغنا إلى مقدمات أخرى يستمد منها من يشه وعصره ،  
وإذا كان قد طوّر في المنهج التقليدي نفسه ، فليس مانع أن يكون قد  
أحدث تطويراً أبعد ، فأسقط المقدمات كلها في بعض الأراجيز ، واعتد بها  
اعتاداً كلياً على براعة الاستهلال وقوة المطالع ، وهذا ما عمد إليه بعض الشعراء  
لعهد بني العباس ، فأسقطوا المقدمات التقليدية ، وجعلوا من الحكمة فائحة  
لقصائدهم ، ومن المطالع القوية البارة بدايات لها .

ولم ينف هذا التجديد فحسب ، بل أسهم أيضاً في تطوير شكل القصيدة ،  
وجعلها تختص بموضوع واحد أحياناً ، فإذا كان شعراء الحجاز قد خصصوا  
قصائدهم للغزل ، وشعراء الخوارج قد أفردوا قصائدهم للنضال السياسي ، فكذلك  
نجد العجاج قد أسهم في هذه الظاهرة الجديدة للعصر الأموي ، إذ أفرد بعض  
أراجيزه لأوصاف الصحراء فقط ، أمثال أرجوزته المطولة (٤) :

(١) الأرجوزة ١/٧ - ٢ .

(٢) الأرجوزة ١/١٩ - ٢ .

جاري لا تستنكر عذري سيري وإشفاقي على بعيري  
وأفرد المواظ بعض الأراجيز أيضاً ، مثل أرجوزته <sup>(١)</sup> :  
الحمد في الذي استقلت بيذنه السكاه وأطمأنت  
وخص الفخر بأراجيز مستقلة أيضاً ، ومنها أرجوزته <sup>(٢)</sup> :  
يارب رب البيت والمشرق والمشرقات كل تهيب تملق  
ولديه أرجوزة خاصة بالغزل ، أولها <sup>(٣)</sup> :

إن الغواني قد غنين عني وقتلن لي عليك بالتغني  
فالتخصص في موضوع القصيدة عند بعض الشعراء في العصر الأموي ،  
ولا سيما شعراء الحجاز ونجد وشعراء بعض الأحزاب السياسية كالحواري ، قد  
وجد في رجز العجاج بعض الأصداء ، مما يشير إلى أن العجاج لم يكن يتمسك  
بالمناهج القديمة دون التأثر بالأساليب الجديدة .

ومن هنا نجد قد أسهم أيضاً في تطوير آخر بالنسبة إلى شكل القصيدة ،  
إذ أكثر نسياً من نظم الأراجيز القصيرة التي تعنى بموضوع مستقل غالباً .  
وانتشار المقطعة يرتد إلى العصر الإسلامي الأول وما جده فيه من أحداث متسارعة ،  
كانت تستدعي قول الشعر تبعاً دون إبطاء أو روية ، ثم أتبعها العصر الأموي ،  
إما لتخصص الشعراء أحياناً بنوع واحد من الشعر ، ولما بسبب الأحداث  
السياسية المتزايدة ، والصراع السياسي الذي ماكنت لتهدأ لثامة خلال حكم بني  
أمية كله .

وهذه الظاهرة الجديدة في الشعر الإسلامي والأموي ظهرت لها بعض

- (١) الأرجوزة ١/٢٢ - ٢ .  
(٢) الأرجوزة ١/١٠ - ٢ .  
(٣) الأرجوزة ١/١٦ - ٢ .

- ٣٨٠ -

الآثار في رجز العجاج ، فرأيناه ينظم المقطعات في موضوعات مختلفة . فثمة  
مقطعات وصف فيها بعيره ، وتحدث عن شوقه إلى الرحيل والسفر ، ومنها  
أرجوزته <sup>(١)</sup> :

أصبح مسحول يوازي شعثاً ملالة يملكها وأزقاً  
ومنها أيضاً أرجوزته <sup>(٢)</sup> :

أنيخ مسحول مع الصبار ملالة المسحور للإسار  
وأفرد بعض المقطعات لوصف الإبل ، كالأرجوزة <sup>(٣)</sup> :

ما كان من ريث ولا أين أن وراء سد لجيم وأبدان  
وخص بعض المقطعات بالفخر أو الوظ أو الغزل أو التعريض ، ومن  
مقطعات الفخر أرجوزته <sup>(٤)</sup> :

إننا مجعلنا لقيم جبالاً ومعقلاً إذا أرادوا معقلاً  
ومن مقطعات الوظ أرجوزته <sup>(٥)</sup> :

أليس يوم سمي الشروجا أعظم يوم رجعة رجوجا  
ومن مقطعات الغزل أرجوزته <sup>(٦)</sup> :

ماللتواني معراضات ممدداً وقد أراهنّ إلينا عندا  
ومن مقطعات التعريض أرجوزته <sup>(٧)</sup> :

- (١) الأرجوزة ١/٣ - ٢ .  
(٢) الأرجوزة ١/٤ - ٢ .  
(٣) الأرجوزة (٢٢) وتنالف من (٩) أبيات .  
(٤) الأرجوزة (٢٨) وتنالف من (٧) أبيات .  
(٥) الأرجوزة (٣١) وتنالف من (١٧) بيتاً .  
(٦) الأرجوزة (٢٧) وتنالف من (٢١) بيتاً .  
(٧) الأرجوزة (٣٠) وتنالف من (٩) أبيات .

لَمْ تَرْهَبِ الشَّعْوَءَ أَنْ تَنْصَا تَدْعُو مُحَرِّثًا وَابْنَةً وَقَاصًا  
وما تقدم نذكر أن العجاج لم يتخلف عن التطوير العام للقصيدة الأموية ،  
فقد ألمّ بمنهج القصيدة وشكلها في العصر الأموي ، وكان لديه الأساس أحياناً  
لما ظهر من تطور في شكل القصيدة بألم دولة بني العباس ، إذ حاول أن  
يتخفف أحياناً من المقدمات التقليدية ، وعمد أحياناً أخرى إلى تخصص  
الأرجوزة لموضوع واحد فحسب ، أو قصرها على أبيات قليلة لا تخرج عن  
حدود ما عرف بالقطعات .

ولم يقف تجويد العجاج عند الإسهام في تطوير شكل القصيدة فحسب ،  
بل رأيناه يطوّر شكل الرجز نفسه ، إذ كان له الحظ الأوفى في تقصيده  
وطائلته بعد الأغلب العجلي ، ولهذا كان الرجز يكاد يكون الوزن الوحيد  
الذي أنشأ عليه قصائده ، "لأنه ما كان يخرج إليه أحياناً من بعض أوزان  
مشطور السريع ، وهي مما يختلط بأوزان الرجز ، أو يمكن أن تعتبر من  
أوزانه نفسها" (١) ، ولهذا عُرِفَ ديوانه بأنه « ليس فيه سوى الأراجيز » (٢) ،  
ولا نجاد نجل العجاج أوزاناً أخرى ، غير خمسة أبيات نُسبت إليه في بعض  
المصادر ، إذ نَسَبَ إليه الراغب الأصفهاني بيتين من الطويل ، وهما (٣) :  
تَبْرِي رَاحَةً فِي كَثْرَةِ الْمَالِ رَبِّهِ وَكَثْرَةَ مَالِ الْمَرْءِ لَمَرُومُتْغَيْبِ  
إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّتْ مَحْمُومُهُ وَتَشَعَّبَ الْأَمْوَالُ حِينَ تَشَعَّبَ  
ونسب إليه الدميري بيتاً من الكامل ، وهو (٤) :

- (١) انظر الخزانة ٥١٢/٤ (بولاق) ، والمقاصد التحوية ٥١٤/٤ ، ومن ذلك  
الأرجوزة (٢٥) من الديوان .
- (٢) وفيات الأعيان ٦٣/٢ ، وكشف الظنون ٧٩٠/١ ، والمقاصد التحوية  
٢٦/١ .
- (٣) محاضرات الأدباء ٢٤٧/١ .
- (٤) حياة الحيوان ١٨٥/١ ، وأنشده ابن منظور في اللسان ( صفر ) عن  
ابن الأعرابي دون نسبة .

أَلِفَ الصُّفُونِ فَلَا تَزَالُ كَانَهُ يَمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيرًا  
ونسب إليه ابن منظور بيتين من الكامل أيضاً ، وهما (١) :  
اللَّهُ يَعْلَمُ بِأَمْفِيَّةٍ أَنِّي قَدَّمْتُهَا وَتَسَاحُطُ الْحَيَانَ الْمُرْسَلِ  
وَأَخَذْتُهَا أَخَذَ الْمُقَصِّبُ شَاتِي عَجَلَانِ يَذْهَبُهَا لِقَوْمٍ نَزَلِ  
وهذه الأبيات وإن صح الشك في الثلاثة الأولى منها ، فاحتمال الشك  
ضعيف في البيتين الآخرين ، وذلك لارتباطها بمجادة معينة من حياة العجاج ،  
وهي ما رأيناه من طلاق لزوجته عقرب ، ولذا يمكن أن يكونا دليلًا على  
خروج العجاج أحياناً بسيرة إلى غير الرجز من الأوزان الشعرية الأخرى ،  
"لأنه مع ذلك لم يُعَرَفْ بغير الرجز ، ولم يُنْقَلْ إلينا في ديوانه غير  
الأراجيز ، وهذا مادفع به إلى شيء من الرثوب وعدم التنوع في الجرس  
الموسيقي للأرجوزة ، وذلك لأن الشطر الواحد كان يؤلف يتأمتقلاً بعروضه  
وضربه" (٢) ، ولا يسمح بامتداد الأمواج الموسيقية كالذي يحدث في أبيات  
القصيد ، ولهذا ربما وجدنا أوصاف ذي الرمة أكثر حيوية من أوصاف  
العجاج ، لا تمتاز به من إبداع موسيقي ، وجرس تصويري ، لا يمكن للرجز  
أن يعوض منه ، ولا سيما أن الرجز قد اتخذ لنفسه خصائص الإغراب في  
اللفظ والأبنية والصنع من نحو وصف .  
ومع ذلك فقد عني العجاج بالجانب الموسيقي ، وحاول أن يُخْرِجَ

- (١) اللسان (فتح) ، وأنشدهما الجاحظ دون نسبة في البيان ٣٥١/٢ ،  
والحيوان ٥٦/٣ .
- (٢) ولهذا كانوا يعدون أبيات الأرجوزة باعتبار الاضطراب ، وهذا ما فعلناه  
في شرح الديوان ، انظر حديث المعري عن ذلك في رسالة الملائكة ١٦٥ - ١٩٦ ،  
وانظر أيضاً العمدة ٥٦/١ ، والأغاني ١٢٤/١٨ ، و٦٠/٢١ ، والمزهري ٤٨٤/٢ ،  
والخزانة ٣٩/٤ .

الرجز إلى شيء من الحوية ، فعمد إلى تكرار الألفاظ بكثرة داخل الأبيات ،  
ليخلق شيئاً من التجاوب الموسيقي بين أمواج البيت الواحد ، ومن أمثلة  
ذلك قوله <sup>(١)</sup> :

وَزَفَرْتُ فِيهِ السَّوَابِي وَزَفَرْتُ بَغْرَةً نَجْمِي هَاجَ لَيْلًا فَبَغَرْتُ  
مَاءَ تَحَاوِي حَلَبَتِ مِنْهُ فَذَرْتُ حَذَوَاهُ تَحْدُوهُ إِذَا الْوَبْلُ انْتَفَرْتُ  
وَلِنْ أَصَابَ كَذَرًا مَدَّ الْكَذَرُ

فقد كرر بعض الأفعال والأسماء داخل الأبيات ، لينشأ عنها تجاوب  
موسيقي في الأمواج الداخلية للبيت . ومن أمثال هذا أيضاً قوله في عاصم  
وحيمي <sup>(٢)</sup> :

فَأَصْبَحَا يَتَجَوَّهُ بَعْدَ ضَرَرٍ مُسَلِّمِينَ مِنْ إِسْكَارٍ وَأَسْرٍ  
وَمِنْهُ أَيْضاً قَوْلُهُ فِي الْحِجَابِ <sup>(٣)</sup> :

فَانْقَضَ بِالنَّجُوسِ حِينَ انْقَضَا وَرَهَبُوا النِّقْصَ فَلَاقُوا نَقْضَا  
فَجَمَعُوا مِنْهُمْ قَضِيضًا قَضَا جَاءُوا مُخَالِينَ فَلَاقُوا حَضَا  
طَائِفِينَ لَا يَزْجُرُ بَعْضُ بَعْضَا  
وَمِنْهُ أَيْضاً قَوْلُهُ فِي مَصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ <sup>(٤)</sup> :

لَقَدْ وَجَدْتُهُمْ مُصْعَبًا مُسْتَصْعَبًا حِينَ رَمَى الْأَحْزَابَ وَالْمُحْزَبَا  
وَحَشَبَى الْأَعْجَمِ وَالْمُشَبَّابَا وَالذَّرْبَ ذَا الْبُشَيَّانِ وَالْمُدْرَبَا  
وَأَمثال هذا كثير جداً في رجز العجاج ، حتى يمكن أن نعتبره  
إحدى الخصائص البارزة في أسلوبه ، ولم يكن يجري على لسانه مصادفة أو

دون وعي منه ، وإنما كان يقصد إليه قصداً ، ويجري إليه جرياناً ، بل كان  
يطلق عليه اسماً بعينه ، فيسميه بـ « عطف الرجز » ، وقد مرّ بنا أن ابن رشيق  
قال في باب التجنيس : « ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب ، أعني التجنيس ،  
يدلك على ذلك ما حكى عن رؤبة بن العجاج وأبيه ، وذلك أنه قال له يوماً :  
أنا أشعر منك . قال : وكيف تكون أشعر مني ، وأنا علستك عطف الرجز ؟  
قال : وما عطف الرجز ؟ قال :

عَاصِمٌ بِعَاصِمٍ لَوْ اعْتَصَمَ <sup>(١)</sup>

قال : يا أبيت أنا شاعر ، وأنت شاعر ابن معجم ، فقلبه . فأنت ترى  
كيف سماه عطفًا ، ولم يسمه تجانسًا ، اللهم إلا بأن يذهب بالعطف إلى معنى  
الالتفات فنعلم <sup>(٢)</sup> » .

وسواء أراد به معنى « التجنيس » أو « الالتفات » ، فالهم أنه كان يعي  
هذا الجانب الموسيقي في رجزه ويسعى جهده إلى تجويده والإكثار منه ،  
حتى يخرج بالرجز من الثبات إلى التنوع الموسيقي ، وربما زاد على ذلك شيئاً  
من التناقض في تقسيم البيت إلى أمواج موسيقية تشبه أن تكون فواصل ثابتة  
داخل البيت الواحد ، فينشأ عن ذلك ترنم رائع لا يخلو من التنوع والحوية  
داخل كل بيت ، ومن ذلك قوله <sup>(٣)</sup> :

وَأَحْتَضِرُ الْبَاسَ إِذَا الْبَاسُ حَضَرَ يَجْمَعُ الرُّوحَ إِذَا الْعَاصِمِي انْتَهَرَ  
يُسْكِنُ السِّيفَ إِذَا الرُّمْحُ انْطَاطَرَ فِي هَامَةِ الْبَيْتِ إِذَا مَا الْبَيْتُ هَرُ  
كَتَجَمَّلَ الْبَحْرُ إِذَا خَاضَ جَسْرُ غَوَارِبِ الْيَمِّ إِذَا الْيَمُّ هَدَرَ

(١) الأرجوزة ٣٩/٢٣ ، ورواية الديوان : « وعاصم ما عاصم لو اعتصم » .  
(٢) العمدة ٢٢٧/١ - ٢٢٨ .  
(٣) الأرجوزة ٩٤/١ - ٩٩ .

(١) الأرجوزة ٥١/١ - ٥٥ .  
(٢) الأرجوزة ١١/٢ - ١٢ .  
(٣) الأرجوزة ٦/٦ - ١٠ .  
(٤) الأرجوزة ١/٧ - ٤ .

فكل بيت ينقسم إلى موجتين من الموسيقى ، تنتهي الأولى قبل « إذا » ، وتبدأ الثانية بها ، وبهذا يتحول البيت إلى ما يشبه القوافي والجواب في الموسيقى ، ثم لاثبت بعض هذه الأمواج المتجاوبة أن تتلون بتكرار بعض الألفاظ بين الأولى والثانية ، فتعطي بذلك جرساً وأمواجاً جانبية ، ومن تعاقبت هذه الأمواج وتلك في أبيات متوالية ، تتحول الأبيات إلى ما يشبه اللحن الأخاذ ، وهذا اللحن قد لا يفسد من روعته إلا بعض الألفاظ الغريبة ، وحتى غرابة هذه الألفاظ قد لا تمنع الآذان من التوهم بتلك الأبيات لما فيها من تلوين موسيقي ، وتنوع في الأمواج الموسيقية المتعددة .

وعناية العجاج بالجانب الموسيقي في رجزه ، ربما حملته على شيء من الالتزام في قوافيه ، وذلك حرصاً منه على دقة الإيقاع الموسيقي ، وإنجمام الجرس من بيت لآخر ، ولهذا أزم نفسه بالفتح أبداً قبل الراء المقيدة في أرجوزته<sup>(١)</sup> :

قَدْ جَبَّرَ الدِّينَ الإلهَ فَجَبَّرَ عَوْرَ الرَّحْمَنِ مِنْ وَلَّى الْعَوْرَ

وكان لهذا الالتزام وقع مستحب لدى قدامى النقاد ، فابن جني يقول في هذه الرائية : « .. وذلك أنه التزم الفتح قبل رويها البتة . ولعمري إن هذا مشروط في القوافي ، غير أنك قلما تجد قافية مقيدة إلا وأنت الحركات قبل رويها مختلفة ، وإنما المستحسن من هذه الرائية سلامتها بما لا يكاد يسلم منه غيرها<sup>(٢)</sup> » .

وكأولاً بطلقون على اختلاف الحركات قبل الروي المقيد اسم « التوجيه » أشار إليه العسكري وأثنى على العجاج لاحتراسه منه ، فقال : « والتوجيه في المقيد ان يكون ما قبل حرف الروي مختلف الحركات . ومن أهمل

القوافي من يميزه على قبح ، وهو الأخفش ، ويقول : قد كثر من فصحاء العرب . والحليل يميز الضمة مع الكسرة ، ثم قالوا : ألا يكون مع الفتحة غيرها ، فإن كان مع الفتحة ضمة أو كسرة فهو « سناد » . . . ، ولم يظن للاحتراس من هذا أحد من الشعراء كما فطن إليه العجاج في قصيدته :

قَدْ جَبَّرَ الدِّينَ الإلهَ فَجَبَّرَ

فَلَمْ يُخَيَّلْ بَيْتَ وَاحِدَ ، وَلَمْ يَلْزَمْ التَّوْجِيهَ فِيهَا<sup>(٣)</sup> . . » .

ومثل هذا الالتزام لتجويد الجانب الموسيقي في الشعر كان ثموراً للذهب الصنعة في عصر العجاج إذ نجد التزاماً آخر عند معاصريه من أمثال كثير ، وفي هذا يقول الدكتور شوقي ضيف : « وكثير يصور لنا ثموراً منذهب الصنعة عنده من جانب آخر هو الجانب الموسيقي ، فقد كان يصعب على نفسه ، إذ يضيق على نفسه الممرات التي يسلكها إلى شعره ، كما صنع في قصيدته :

خَلِيلِي هَذَا رَسَمَ عَزَّةً فَاعْتَلَا فَتَوَسَّيْتُكُمْ أَنْمَ إِيكَا حَيْثُ حَلَّتْ

فقد التزم الهمم المشددة في القصيدة كلها ، وبذلك كان من أوائل من وضعوا أسس الطريقة التي طبقها أبو العلاء في لزومياته<sup>(٤)</sup> . » .

وعلى الرغم من غناية العجاج بالجانب الموسيقي ، فإين طبيعة الرجز تدعو إلى شيء من الثبات أو الجمود لا يجده غالباً في أبيات القصيد ، ولهذا ربما فضلنا أبياتاً من شعر ذي الرمة في وصف الصجراء ، على أبيات في الموضوع

(١) شرح مابقي فيه التصحيح ٢٨٦ - ٢٨٧ .  
(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٢٢ .

(١) الأرجوزة ١/١ - ٢ .  
(٢) الخصائص ٢/٢٠٠ .

نفسه من أراجيز العجاج ، رغم كل ما رأيناه في هذا الرجز من روعة في التصوير ، ودقة في المعاني .

ولم يعن العجاج بشكل الأرجوزة أو بالجانب الموسيقي فحسب ، وإنما أراد لمدرسته خصائص أخرى ، يمكن أن تندرج ضمن الخصائص اللفظية ، ولكننا أفردناها في فصل خاص بها ، ليكون من السهل تبويبها وبسط شيء من أمرها ، وهي الخصائص اللغوية والنحوية .

## الفصل السادس

### الخصائص اللغوية والنحوية

عن أبي العباس  
الرياحي

إن الخصائص اللغوية والنحوية جدد متشعبة في رجز العجاج ، ذلك أنها يمكن أن ترتد إلى عدد من الظواهر العامة في رجزه ، وهي لأغراب العجاج في ألفاظ اللغة ، وحفاظه على كثير من نوادر الألفاظ والأبنية ، ثم توليده في أبنية اللغة وألفاظها ، وتصرفه الواسع في هذه الابنية ، ثم تصرفه في القواعد المألوفة للغة . وهذه الظواهر يمكن من خلالها أن نحدد السهات اللغوية والنحوية العامة في رجزه .

★ ★ ★

#### ١ - الإغراب في اللغة

لا شك أن الإغراب في ألفاظ اللغة ، كان من أبرز ما أرادته العجاج لمدرسة الرجز من خصائص ، وهذا الإغراب ينهب عند قدامى النقاد إلى ضربين اثنين ، الأول منها ما يحتاج فهمه إلى بحث وتنقيب وكشف في كتب اللغة ، والثاني ما يحتاج إلى تدقيق النظر وتخريج اللفظ على وجه بعيد لاحتجاله عدة وجوه في المعنى مع أن الكلمة مألوفة وليست بوحشية ، قال الخطيب القزويني : « والغرابية أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها ، فيحتاج في معرفته إلى أن يُتَقَرَّ عنها في كتب اللغة المبسطة ، كما رُوي عن عيسى بن عمر

النحوي أنه سقط عن حمار ، فاجتمع عليه الناس فقال : ما لكم تكلموا كما  
علي تكلمواكم على ذي جثة ، افرقعوا عني . اي اجتمعتم تنحوا . أو  
يُخْرِجُ لها معنى بعيد كما في قول العجاج (١) :

وفاحماً ومرسناً مرسجاً

فإنه لم يُعرَف ما أراد بقوله « مرسجاً » ، حتى اختلف في تخريجه ،  
فقل : هو من قولهم للسيف مُرْسِجٌ ، منسوبة إلى قين يقال له مُرْسِجٌ ،  
يريد أنه في البرق كالسراج ، وهذا يقرب من قولهم : مُرْسِجٌ وجهه بكسر  
الراء ، أي حُسنه ، وُسْرَجٌ الله وجهه أي بهجه وحسنه (٢) .

وقال القاسمي : « ثم الغريب على ضربين : الضرب الأول ما يعاب  
استعماله مطلقاً ، وهو ما يحتاج في فهمه إلى بحث وتنقيب ، وكشف في كتب  
اللغة ، كقول ابن جندر :

حلقت بما أرقلت حولته همرجلة خلقتها سيطم  
وما شبرقت من تنويفية بها من وحى الجن ريزيم (٣)

ثم قال بعد شرح الغريب في هذه الآيات : « الضرب الثاني : ما يحتاج  
إلى تدقيق النظر في التصريف وتخريج اللفظ على وجه بعيد كلفظ « مرسج »  
في قول العجاج :

ومقله وحاجباً مزججاً وفاحماً ومرسناً مرسجاً

- (١) الأرجوزة ٤٠/٣٣ .  
(٢) الأيضاح ٩/١ - ١٢ ، ونقله السيوطي في الزهر ١٨٦/١ ، وانظر متن  
التلخيص للخطيب القزويني ٤ - ٥ ، ومختصر المعاني للفتاوي ٩ .  
(٣) صبح الأعشى ٢/٢٠٤ .

فالقمة شمة العين ، والحاجب معروف ، والمزجج الموقس مع  
طول ودقة في طرفه ، والفاحم الشعر الأسود الذي لونه كالون الفخم ، والموسن  
الانف ، ووصفه بكونه مرسجاً ، إما أنه كالسيف السريجي في الدقة  
والاستواء ، والسريجي نسبة إلى قين يسمى سريجاً تنسب إليه السيف ،  
ولمّا أنه كالسراج في البرق والمعان ، أو من قولهم سرج الله وجهه إذا  
بهجه وحسنه ، فهذا ومثله ما لا ينف على معناه إلا من عرف التصريف  
واقفه (١) .

والنوع الأول من الغريب قد رأيناه بكثرة في كل ما مر  
بنا من رجزه ، ذلك لأنه لا يكاد يفارق موضوعاً من الموضوعات ، فالعجاج  
يعرب في ألفاظه حتى في موضوعات الغزل نفسها ، مع أنها أحوج ما تكون  
إلى اللفظ المألوف ، حتى لا يتلشى وراء الإغراب ما فيها من توقد العواطف ،  
أو رقة المعاني ، فإذا عدنا إلى بعض آياته في الغزل كان لابد أن نشغل  
بالتنقيب عن معاني الألفاظ أولاً ، ثم نخفي إلى فهم الآيات وما فيها من  
تصوير لعواطف ومشاعره ، ومن أمثلة ذلك قوله في لبي (٢) :

فهي كبر عبد الكتيب الأقيم مرسولة الملاح في مستعظم  
في كفل ينحبه مملكم وعث كادركن النقا المجزئ  
إلى سواء قطن موكم رب العظام فعمة المخدم  
في تلبي مثل العنان المؤدبر ليس ببغشوش ولا ببغشم  
تجلو يعود الإحليل المضم غروب لاساس ولا مثلهم

فالعجاج في هذه الآيات يرمس عدداً من الصور الحسية لتلك المرأة التي

- (١) صبح الأعشى ٢/٢٠٥ .  
(٢) الأرجوزة ٢٤/٢٥ - ٢٤ .

يتغزل بها ، ولكن صورة « ليلي » لا تكاد تظهر امام نواظرنا ، إلاّ بعد لأي وعاء في التعقيب عن معاني الألفاظ الغربية ، التي تتزاحم داخل الآيات . ومثل هذا نجد أيضاً في قوله يتغزل بامرأة أخرى<sup>(١)</sup> :

فقد سبّني غير ما تعذير مرملة مثل الشفا المرمور  
براقه كظبية البرير تمشي كمشي الوحل المبهور  
على خبثي قصب مكمور كعقورات الحائر المسكور  
غراء تسبي نظري الظفور بفاحم يعكف أو منشور  
كالكرم إذ نادى من الكافور في خشتاوى حرور التحرير

ولا تكاد تسبين شيئاً من أوصاف هذه الرمارة ، وهي المرأة الشابة الناعمة ، إلاّ بعد الوقوف طويلاً على معاجم اللغة ، نسألها عن جمرة من الألفاظ الغربية التي استعملها العجّاج في آياته .

ومثل هذا أيضاً قوله يتغزل بامرأة أخرى<sup>(٢)</sup> :

كلما عظامها بردي سقاء ريتاً حائر روي  
بالمسأ حتى هو يمزودي في أبكي فلا هو الضحي  
ولا يلوح تبته الشبي لاث به الأشاء والعبري  
قم من قوامها قومي قعم تباة قصب قعمي  
معدلج بيض قفانيري وكفل يرتج رجراجي  
كلأعصر أعلى ثريه ميري

فهذه آيات في الغزل ، وكان ينبغي ألاّ يزحم فيها هذا الحشد من الغريب ، إلاّ أن مذهب العجّاج هو الإغراب في اللغة ، ولا فرق عنده بين الغزل

(١) الأرجوزة ١٩/١٦ - ٢٨  
(٢) الأرجوزة ٢٥/٢٧ - ٣٧

أو غيره من الموضوعات ، وكأنما يتخذ من رجزه ميداناً لعرض هذه الألفاظ الغربية ، يستمدّها من حياته في البداية ، ثم يعرضها على الناس في الحواضر الجديدة ، في البصرة أو في واسط أو في دمشق .

ولم يقتصر على هذا الضرب من الإغراب ، ولما اتجه إلى النوع الثاني ، وهو ما يحتاج إلى تدقيق النظر في الألفاظ لاحتلالها عدّة وجوه في المعنى ، ومن هنا كان الخلاف واسعاً في شرح بعض آياته ، ومن أمثلة ذلك ما رأيناه منذ حين في قوله<sup>(٣)</sup> :

ومقلّة حاجباً مزججاً وفاحاً ومرسناً مسرجاً

فوصّفه لأنف بأنه « مسرج » ليس بالكلام الغريب الوحشي ، ولكن فهمه يحتاج إلى دقّة وبُعْد في تحريج الكلمة وردّها إلى الأصل الذي اشتقت منه ، فربما شبه الأنف بالسيف السريجي في دقته واستوائه ، وربما ذهب به إلى معنى يريق السراج ولعانه فأراد بالمرسج معنى المحسن أو المنير ، ومن ثم اختلف الناس في تفسيره ، بعضهم أشار إلى هذا المعنى وذاك ولم يجزم بواحد منها<sup>(٤)</sup> ، وبعضهم ذهب إلى المعنى الأول دون إشارة إلى غيره<sup>(٥)</sup> ، وجماعة وقفت عند المعنى الثاني ولم تشر إلى الأول مطلقاً<sup>(٦)</sup> .

ومن هذا قوله في مطلع الرائية<sup>(٧)</sup> :

(١) الأرجوزة ٣٩/٣٣ - ٤٠ . والمترسبين : الأنف .  
(٢) جمهرة اللغة ٧٦/٢ ، ٣٣٨ ، والمزهر ١٨٦/١ ، وصبح الأعشى ٢٠٥/٢ ، ومختصر المائي ٩ ، والإيضاح ١٢/١ ، ومثن التليخيص ٥ .  
(٣) أمالي القالي ٢٢٨/٢ ، والصحاح ٣٢٢/١ .  
(٤) مقاييس اللغة ١٥٦/٣ ، والمخصص ١٥٤/٢ ، ومختصر تهذيب الألفاظ ١٢٧ ، وكنز الحفاظ ٢٠٧ ، والأزمنة والأمكنة ٢٢٥/٢ ، والفردات في غريب القرآن ٢٢٦ ، وأسرار البلاغة ٣٠ ، والمقاصد النحوية ٣٥/١ ، وشرح شواهد المفني ٢٦٩ .  
(٥) الأرجوزة ١/١ - ٢ .



قد تجبر الدين الاله فجبّر وعور الرحمن من ولى العور

فالعور من الكلام المأوف ، إلا أن الإغراب فيه يبرز في تحصيل المعنى الذي أرادته العجاجة بدقة ، ومن ثم كان الخلاف حول تفسير البيت ، فالأصمعي قال في شرحه : « يقول : أفسد الرحمن من ولادة العور ، أي جعله ولياً للعور . والعور : قبح الأمر وفساده » ، وتابع الأصمعي على هذا الرأي كثيرون<sup>(١)</sup> ، إلا أن البيت لم يقف عند هذا التفسير ، ولما كان هدفاً لكثير من التأويل والخلاف ، فجاءه جعلت « العور » هنا بمعنى « الحق » ، وفسره بقوله : « أي وحقق الله قول من ولادة الحق<sup>(٢)</sup> » . وآخرون جعلوه بمعنى « ترك الحق » ، فقال أبو عبيدة « والأعور : الذي قد عور فلم يقض حاجته ولم يصب ما طلب » ، قال العجاجة : ( البيت ) ، وليس هو من عور العين<sup>(٣)</sup> . ورد ابن فارس ذلك كله ، فجعل « العور » هنا من عور العين نفسه ، فقال : « قوله : إن العور ترك الحق ، ولما شادم قول العجاجة ( البيت ) ، فالقياس غير مقتض للفظ الذي ذكر من ترك الحق ، ولما أراد العور الذي هو عور العين ، يضربه مثلاً لمن عمي عن الحق فلم يهتد إليه<sup>(٤)</sup> » .

وما هذا الاختلاف إلا لأن الكلمة تحتاج إلى تلمظ وبعد نظر في تأويلها وتخرج معناها ، ومن ذلك أيضاً قوله يذكر تقدم السن به<sup>(٥)</sup> :

- (١) ابن قتيبة في المعاني الكبير ٧٦٩/٢ ، ٨٦٥ ، والجواليقي في شرح ادب الكاتب ٣١٧ ، والجوهري في الصحاح ٧٦٢/٢ ، وابن القطاع في الأفعال ٣٨٨/٢ ، والبندادي في الخزانة ٤٠/٤ .
- (٢) نقل ذلك ابن القطاع في الأفعال ٣٨٨/٢ ، وقال به ابن الأنباري في في الأضداد ٢٨ .
- (٣) مجاز القرآن ٢٠٥/٢ ، وانظر اللسان ( عور ) .
- (٤) مقاييس اللغة ١٨٦/٤ .
- (٥) اللحق ١/١٧ .

إثما تتريني أصل القعاد

ف قوله « القعاد » ليس بالوحشي الغريب ، ولكنه مع ذلك آثار خلافاً حول شرح البيت ، فالحسري نقل أن الأصمعي أنشد هذه الأبيات « فقال له ابن الأعرابي : ما القعاد ؟ فقال : يصح أن يكون من تقدم من الرجال عن طلب الغزل للكبير ، أو من النساء مثل ذلك . فقال ابن الأعرابي : هذا للرجال أما النساء فيجعلن قواعد ، كما قال عز وجل<sup>(١)</sup> ، فضحك الأصمعي ، وأنشد لقاطمي :

أبصارهن عن الشبان مائلة وقد أراهن عني غير صداد  
فسكت ابن الأعرابي ، فلم يحرج جواباً<sup>(٢)</sup> .

فالأصمعي لم يقطع في شرح البيت ، ولم يجد إن كان المعنى خاصاً بالرجال أو النساء ، ولهذا وجدنا ابن قتيبة يخضع بالنساء ، فيشرح البيت بقوله : « القعاد جمع قاعد من النساء ، وهي التي قعدت عن الحيض والولد ، يقول : صرت شيخاً لا أزور الشواب من أجل أن تبدلت<sup>(٣)</sup> » ، ثم نجد التبريزي يخضع بالرجال على ما يبدو من قوله : « قعاد جمع قاعد ، ولما يصلهم ويكون معهم لكبره وضعفه ، ولا يكون مع من يصرف<sup>(٤)</sup> » .

ومثل هذا قول العجاجة يصف النور<sup>(٥)</sup> :

يَبِينُ ذِيلاً مُوسَى حَبْرَجَا

وقال الأصمعي في شرحه : « واليهج : الذي يخط في مشيته ، يتجتر .

- (١) في قوله تعالى : « والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً » ، سورة النور ٦٠/٢٤ .
- (٢) شرح مايف فيه التصحيح ١٥٤ .
- (٣) المعاني الكبير ١٢٢٤/٣ .
- (٤) تهذيب إصلاح المنطق ١٦٤/١ .
- (٥) الأرجوزة ١٣/٣٣ .

قال ولم أسمعه إلا في هذا البيت . ومثل ذلك ما أورده صاحب اللسان في شرح البيت ، فقال : « قال أبو نصر : سألت الأصمعي مرة : أي شيء هجر ؟ قال : يخلط في مشيه . الأصمعي أيضاً : الهجر الخيال »<sup>(١)</sup> ، فالأصمعي لم يحدد المعنى ، وإنما تركه بين أمرين : الذي يخلط في مشيته ، أو الذي يخلط ويتبخر . واقتصر ابن قتيبة على المعنى الأخير فقال في شرح البيت : « هجر : يتبخر »<sup>(٢)</sup> ، وقال ابن السيد في شرحه أيضاً : « والهجر : التبخر في مشيه »<sup>(٣)</sup> . إلا أن ابن دريد لم يذهب في شرح البيت إلى هذا المعنى أو ذاك ، وإنما قال : « يعني ثوراً طويلاً الذنب ، والهجر : السريع ، ويقال : المسن »<sup>(٤)</sup> ، وما هذا الخلاف إلا لأن العجاج قد تفرد في وصف الثور بـ « الهجر » ، ولما معان متعددة ، ومن ثم كان لابد من دقة وبعد نظر في تحديد معناها داخل البيت .

ومن هذا أيضاً قوله في وصف المنهل :

يَكْشِفُ عَنْ جَمَاهِ دَلْوُ الدَّالِ

فكلمة « الدالي » ليست بوحشية ولا غريبة ، ولكن استعمالها في بيت العجاج يحتاج فهمه إلى تدقيق النظر ، والبعد في تخريج المعنى المراد ، ففي اللغة يقال : دلا الدلو إذا جنبها وأخرجها من البئر ، فهو دال ، وأدلى الدلو إذا ألقاها في البئر ليستقي ، فهو مُدَلٍّ . ومن هنا ذهب ابن قتيبة إلى أن الدالي في البيت يعني المدلي فقال : « فإن الدالي هو الجاذب للدلو ليخرجها ، يقال دلا دلو ، والمدلي هو المستقي ، يقال أدلى دلوه إذا ألقاها

في الماء ليستقي ، ولو قال العجاج « المدلي » لكان أشبه بما أراد ، ولكنه أراد القافية ، وعلم أن الدالي والمدلي يجوز أن يوصف بهما المستقي بالدلو ، قال : فأراد : يكشف عن الماء دلو المستقي<sup>(١)</sup> . وانجبه الجوهرى إلى هذا الرأي ، فقال : « وقد جاء في الشعر الدالي بمعنى المدلي ، وهو في قول العجاج يصف ماء : ( البيت ) ، يعني المدلي »<sup>(٢)</sup> .

ورده علي بن حمزة على هذا الرأي ، ورآه غلطاً من ذهب إليه في تفسير بيت العجاج ، ثم قال : « وإنما المعنى فيه أنه لما كانت المدلي إذا أدلى دلوه عاد فدلاها أي أخرجها قال دلو الدال ، كما قال النابغة :

مِثْلُ إِمَاءِ الْغَوَادِي بِتَحْمِيلِ الْحُزْمَا

وإنما تجعلها عند الرواح ، فلما كنن إذا غدوتن رحنن . قال : مثل الإمام الغواضي<sup>(٣)</sup> .

ولم يقف الخلاف عند رأي ابن حمزة ، وإنما امتد إلى رأي ثالث جاء به أبو منصور الجواليقي ، إذ حملها على النسب ، فقال في شرح البيت : « والدالي : الجاذب للدلو ليخرجها ، ويقال : الدالي صاحب الدلو كاللأبن والتسامر »<sup>(٤)</sup> .

ولا شك أن الكلمة لو أفردت عن بيت العجاج لما كان فيها شيء من الاشكال أو الغرابة ، ولكنها في بيت العجاج أوجت إلى بعد في التأويل ، واختلاف في الرأي ، لأن استعمالها على هذا النحو لا يفهم إلا بتدقيق النظر ، والبعد في تخريج المعنى المراد .

(١) أدب الكاتب ٦٣٦ .

(٢) الصحاح ٢٣٣٩/٦ .

(٣) اللسان (دلا) .

(٤) شرح أدب الكاتب ٤١٠ .

(١) اللسان (هجر) .

(٢) المعاني الكبير ٧٧٧/٢ .

(٣) الاقتضاب ٤٢١ .

(٤) جمهرة اللغة ١٨٠/١ .

(٥) ملحقات الديوان ٢٦/٦٤ .

وهذا النوع من الأغراب يُوجد كذلك عند رؤبة ، ومن أمثله قوله<sup>(١)</sup> :  
أو مُجَبَّنٌ عَنْهُ عَرَبَتْ أَغْرَابُهُ

وقال فيه ابن جني : « فيجوز أن يكون جمع غراء ، ويجوز أن يكون جمع عُرْبِي ، ويجوز أن يكون جمع عَرَا ، من قولهم : نزل بغيراء أي ناهيته<sup>(٢)</sup> » .

وأمثال هذا نصادفها بكثرة في رجز العجاج ، لأن الإغراب هو المذهب الذي أرادته لرجزه ، سواء كان هذا الإغراب في استعمال ألفاظ وحشية غير مألوفة ، أو في استعمال ألفاظ مألوفة ولكنها غير واضحة الدلالة بدقة وتحديد ، وربما اتجه إلى نوع ثالث من الإغراب وهو استعمال الألفاظ الأعجمية ، وقد قنّبهُ القدماء إلى هذه الظاهرة من الأغراب عند الشعراء ، ورواها في شئنا من التظرف فقال ابن رشيّ : « ولشعراء ألفاظ معروفة ، وأمثلة مألوفة ، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها .. إلا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي ، فيستعمل في السدرة وعلى سبيل الخطرة كما فعل الأعشى قديماً وأبو نواس حديثاً ، فلا بأس بذلك<sup>(٣)</sup> » .

وأشار الجرجاني إلى مثل ذلك ، فقال : « وقد استعمل العجاج في قوافي جيمته ألفاظاً منه ، فقال ( كما رأيت في الملاء البردجا ) يريد الرقيق ، وهو بالفارسية ( بَرْدَه ) ، وقال ( كالخشي التَّشَّ أو تَسْبِجاً ) يريد لبس القميص ، وإنما هو بالفارسية ( سَبِي ) فعرّبهُ بسبجية ثم صرف منه فعلاً في أبيات غيرها ، فليس بمحظور على الشاعر الاقتداء بهم في أمثال ذلك

(١) من الأرجوزة في ديوانه المخطوط : النسخة (٥١٦ أدب) الورقة ١٥٧ ، والنسخة (٥١٩ أدب) ٢١٦ ، والنسخة (٤٩ أدب) ٣٢١ .  
(٢) الخصائص ٢/٢٢٢ ، ونقله ابن منظور في اللسان (عرا) ، وانظر الخصائص ٢/٢١١ .  
(٣) العمدة ٨٣/١ .

إذا احتاج إليه<sup>(١)</sup> » .

فاستعمال العجاج لبعض الألفاظ الأعجمية كان حجة عند بعض النقاد لتسويغ نظائرها عند غيره من الشعراء ، إلا أن دخولها في رجزه ، لم يكن مجرد الحاجة والضرورة دائماً ، وإنما كان ، على ما يبدو ، لما فيها من ظرف وإغراب ، كان العجاج حريصاً عليه في أرجوزته ، ولا سيما أن العرب قد تحدثت بها ، ولم يكن هو أول من أدخلها إلى اللغة .

وأكثر ما وردت هذه الألفاظ في أرجوزته الجيمية ، ومنها قوله<sup>(٢)</sup> :

كَالْحَبَشِيِّ التَّشَّ أَوْ تَسْبِجًا

والتَّسْبِجُ أَوْ التَّسْبِجَةُ تَمَيِّضٌ لَيْسَ لَهُ كُفْمَانٌ ، وهو بالفارسية ( سَبِي ) ، واستق العجاج منه فعل « تَسْبِج » بمعنى لَبَسَ القميص<sup>(٣)</sup> .  
ومنها قوله أيضاً<sup>(٤)</sup> :

كَأَنَّهُ مَمْسُورٌ أَوْ تَنْدَجًا

والتَّوَدَّجَ والتَّوَدَّجَ أصله بالفارسية ( تَرْدَه ) ، وهو جلد أسود تُعْمَلُ منه الخفاف<sup>(٥)</sup> .

ومنها قوله<sup>(٦)</sup> :

كَمَا رَأَيْتُ فِي الْمَلَأَةِ الْبَرْدَجَا

(١) الوساطة ٣٤٨ .

(٢) الأرجوزة ٧/٢٢٣ .

(٣) انظر شرح الأصمعي للبيت ، وجمهرة اللغة ٢١٠/١ ، ٤٩٩/٣ ، والمعاني الكبير ٣٣٠/١ ، وأدب الكاتب ٥٢٩ ، وشرح أدب الكاتب ٣٤٠ ، والمغرب ١٨٢ ، والخصص ٤٢/١٤ ، والمزهر ٢٨٩/١ .

(٤) الأرجوزة ١٠/٢٢٣ .

(٥) انظر شرح الأصمعي للبيت ، ثم جمهرة اللغة ٥٠٠/٣ ، والمعاني الكبير ٧٣٦/٢ ، والمغرب ١٦ .

(٦) الأرجوزة ١٢/٢٢٢ .

والبرّذج أصله بالفارسية (برّذَه) ، وهو السَّيِّئُ<sup>(١)</sup> .

ومنها قوله<sup>(٢)</sup> :

عَكَفَ التَّسَيِّطُ يَلْعَبُونَ الْفَنَزَجَا بِوَمَ تَخَارِجُ يُخْرِجُ السَّمَوَجَا  
وَالْفَنَزَجُ رَقْصٌ لِلْفَرَسِ يَأْخُذُ بَعْضُهُمْ فِيهِ يَدَ بَعْضٍ وَيَرْقُصُونَ ، ويعرف  
بِالْبَنْجَكَانِ أَوْ الدَّسْتَبَنْدِ<sup>(٣)</sup> . والسَّمَرَجُ هو الخراج ، وأصله بالفارسية  
(سَهْمَرَه) أي ثلاث مرات يؤدي ، وهذا أصله عند الفرس ، وقد استعملته  
العرب في الخراج كله<sup>(٤)</sup> .

ومنها قوله<sup>(٥)</sup> :

مَيْلَحَةٌ تَمِجُ مَشْيًا رَهْوَجًا

والرَّهْوَجُ أصله بالفارسية (رَهَوَان) ، وهو المشي اللين السهل<sup>(٦)</sup> .

ومنها قوله<sup>(٧)</sup> :

وَكُنْ مَا أَهْتَضَ الْجِيْفَ بِهَرَجًا

(١) انظر جهمرة اللغة ٥٠٠/٣ ، وأدب الكاتب ٥٢٩ ، والمعاني الكبير  
٧٢٦/٢ ، والافتضاب ٤٢١ ، والمغرب ١٠ ، ٤٨ ، والصحاح ٢٩٩/١ ،  
واللسان (برج) .

(٢) الأروزة ١٦٢/٣ - ١٧ .

(٣) انظر جهمرة اللغة ٥٠٠/٣ ، ٣٥٤/٣ ، ومقاييس اللغة ٥١٥/٤ ،  
وأدب الكاتب ٥٢٩ ، وشرح أدب الكاتب ٣٤١ ، والمغرب ٢٣٧ ، والصحاح  
٣٣٦/١ ، والمخصص ٤٢/١٤ ، واللسان (فنزج) .

(٤) انظر جهمرة اللغة ٥٠٠/٣ ، وأدب الكاتب ٥٢٩ ، والافتضاب ٤٢١ ،  
والمغرب ١٨٤ ، والصحاح ٣٢٢/١ ، والمخصص ٤٢/١٤ ، واللسان (سمرج)  
(و شمرج) .

(٥) الأروزة ٤٥/٣٣ .

(٦) انظر جهمرة اللغة ٥٠٠/٣ ، وأدب الكاتب ٥٢٩ ، والمغرب ١٥٧ ،  
والصحاح ٣١٨/١ ، والمخصص ٤٢/١٤ ، واللسان (رهج) ، وفي المخصص  
٩٩/٣ ورد أن أصله في الفارسية (رهوه) .

(٧) الأروزة ١١١/٣٣ .

والبَهْرَجُ أصله بالفارسية (نَبَهْرَه) ، وهو الباطل ، يقال : درهم  
بَهْرَجَ ، إذا كان يرده ولا يؤخذ<sup>(١)</sup> .

ومنه ألفاظ أعجبية أخرى وردت في غير هذه الأروزة ، ومنها ما ورد  
في قوله<sup>(٢)</sup> :

كَالْخَصِّ إِذَا جَلَّتْهُ الْبَارِي

والبَّارِي بالفارسية (بُورِيَاء) ، وهو الحَصِيرُ<sup>(٣)</sup> .

ومنها أيضاً قوله<sup>(٤)</sup> :

كَمِيرَجَلِ الصَّبَاغِ جَاشَ بَقْمُهُ

والبَقْمُ صِبْغٌ أَحْمَرٌ ، وهو فارسي معرب<sup>(٥)</sup> .

ومنها قوله<sup>(٦)</sup> :

وَلَوْ نَقُولُ دَرَبِيخُوا لَدَرَبِيخُوا

وَدَرَبِيخَ كلمة فارسية أو سريانية ، بمعنى التذلل والإصغاء إلى الأمر<sup>(٧)</sup> .

ومنها قوله أيضاً<sup>(٨)</sup> :

(١) انظر جهمرة اللغة ٥٠٠/٣ ، وأدب الكاتب ٥٢٩ ، والمخصص ٤٢/١٤ ،  
والمغرب ٤٨ ، والمزهر ٢٩٠/١ ، واللسان (بهرج) .

(٢) الأروزة ١٣٠/٢٥ .

(٣) انظر جهمرة اللغة ٥٠٢/٣ ، والصحاح ٥٨٨/٢ ، والمخصص ٧٩/١٦ ،  
والمغرب ٤٦ ، وأمالى القالي ١٢٤/٢ ، وأدب الكاتب ٤٠٢ ، ٥٢٩ ، وشرح  
أدب الكاتب ٣٤٠ .

(٤) الأروزة ٣٦/٣٠ .

(٥) انظر جهمرة اللغة ٣٢٢/١ ، ٣٥٣/٣ ، والمغرب ٥٩ ، ومقاييس  
اللغة ٢٧٦/١ ، والصحاح ١٨٧٣/٥ ، واللسان والقاموس ، مادة (بقم) .

(٦) الأروزة ٤١/٢١ .

(٧) انظر شرح الأصمعي للبيت ، وجهمرة اللغة ٣٠١/٣ ، والصحاح  
٤٢٠/١ .

(٨) الأروزة ٢٥/٤١ .

ولو أقول بَرَّخُوا لَبَرَّخُوا

والْبَرَّخُ من أصل عراقي أو سرياني ، وهو البركة والهاء <sup>(١)</sup> .  
والألفاظ الأعجمية وجدت طريقها إلى رجز رؤبة بن العجاج <sup>(٢)</sup> ، وأبي  
النجم العجلي <sup>(٣)</sup> ، وفيه أروجة متنازعة بين رؤبة والعجاج <sup>(٤)</sup> ، فإن صحت لرؤبة ،  
فهذا يعني أنه كان كاتبه لا يدخل الأعجمي في رجزه فحسب ، وإنما يشتق  
منه لإجراء له مجرى اللفظ العربي الأصل ، فقد تحدث ابن جني عن الأسماء  
الأعجمية التي استعملها العرب استعمال أهلها العربية ، ثم قال : « ويدل  
على أنهم أجروها مجرى العربي ، أنهم اشتقوا منها كما يشتقون من العربي ،  
قال رؤبة <sup>(٥)</sup> :

هَلْ يُنَجِّسُنِي حَلِيفٌ سَخِيتٌ أَوْ فِضَّةٌ أَوْ ذَهَبٌ كِبِيرٌ  
قال : فسخت من السخت ، وهو الشديد ، بمنزلة زحليل من  
زحل <sup>(٦)</sup> .

والألفاظ الأعجمية لم يأت بها العجاج لمجرد الحاجة فقط ، وإنما لضرب

- (١) جمهرة اللغة ٢٢٢/١ ، والمغرب ٨١ ، واللسان (برخ) .
- (٢) انظر جمهرة اللغة ٩٢/١ ، ١٦/٢ ، ٢٩٥/٣ ، ٣٧٤ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ،  
ومقاييس اللغة ٣٦٢/٢ ، وأدب الكاتب ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، والمغرب ١٠٤ ،  
١٤٢ ، ٢٩٠ .
- (٣) انظر الأغانى ١٣٥/٢١ ، والمغرب ١١٥ ، والمخصص ١٦٥/١١ - ١٩٦ .
- (٤) هي الأروجة (٤٢) من ديوان العجاج ، انظر بحث الاضطراب في  
رجل العجاج .
- (٥) الأروجة ٥٦/٤٢ - ٥٧ من ديوان العجاج .
- (٦) شرح تصريف المازني ١٢٢/١ - ١٣٣ ، وأنشد ابن جني بيت رؤبة  
ونقل شبيبا بكلامه هذا عن أبي علي الفارسي في الخصائص ٣٥٨/١ ، وقال  
السكاكي ما يشبه ذلك أيضا في مفتاح العلوم ٧٩ ، وابن سيده في المخصص  
٩/٥ ، والجواليقي في العرب ١٧٩ - ١٨٠ . وانظر مختصر تهذيب الألفاظ  
لابن السكيت ١٦٠ ، وكثر الحفاظ للتبريزي ٢٦٠ ، والمخصص ٨٨/٣ ،  
والصاحح ٢٥٢/١ ، واللسان (سخت) .

من التظرف ، أو لا فيها من إغراب قد أصر عليه في رجزه ، سواء كان  
باستعمال الألفاظ غير المألوفة ، أو باستعمال ألفاظ تخرج إلى التدقيق وتقليب  
أوجه الرأي لمعرفة المعاني المقصودة منها ، أو باستعمال شيء من الألفاظ  
الأعجمية التي تكلم بها العرب ، وهي من أصل فارسي أو عراقي أو سرياني أو  
ما إلى ذلك .

فالعجاج قد اتخذ من الرجز وسيلة لنقل أجواء الصحراء إلى الحياة الجديدة  
في بعض الأمصار ، ولهذا كان لا بد أن يأتي بغرائب الألفاظ يعرضها  
غرضاً في أبيات الرجز ، لما فيها من نفحات صحراوية بدوية ، حتى لكان  
أراجيزه قد تحولت إلى لوحات من الغرب في اللغة والألفاظ ، ولعل منا  
ؤيته على هذا الاتجاه ، هو ما كان يلقاه من إقبال الخلفاء والأمراء وسائر  
الناس على أراجيزه ، وتقديمه في الإنشاد على أمثال جرير وغيره <sup>(١)</sup> ، لأن  
أراجيزه على ما يبدو ، كانت تلقى عند حنين النفوس إلى حياتها الفطرية الأولى  
فوق رمال الصحارى في جزيرة العرب .

ومن هنا كانت أراجيز العجاج تجمع تلقائياً غرائب اللغة ونوادرها ،  
ونبىء منها مادة وفيرة لعصر التدوين في القرن الهجري الثاني ، فلما كان هذا  
العصر ونشط العلماء في تدوين متن اللغة بدقة واستقصاء ، كان رؤبة بن  
العجاج يقدم لهم ما يطلبون ، بل ربما كان رؤبة قد صنع كثير من رجزه  
ليعمد حاجة علماء عصره من الغرب والنواد ، حتى كان رجزه أشبه بتون  
لغوية <sup>(٢)</sup> ، تطوي على غرائب الألفاظ والأبيات والأساليب .

والهم أن العجاج كان يأتي بهذا الغرب عن طبع دون تكلف أو

- (١) الأغانى ١٢٣/١٨ ، ٥٩/٢١ ، وتاريخ ابن عساکر ٣٩٥/٧ .
- (٢) أرجع إلى الفصل الذي كتبه الدكتور شوقي ضيف بعنوان « متون  
رؤبة » في التطور والتجديد ٢٧٥ - ٢٨٧ .

تعمل ، فتقع الألفاظ في مواضعها ، وتعبّر بدقة عن معانيها ، ولا تتناثر فيما بينها ، وذلك لأنها قد عاشت في نفسه ، وأحس بها في صحرائه ، قبل أن يبرزها في معارض رجزه ، ولهذا قصر عنه من حاول أن يجاريه في الغريب من معاصره أو غير معاصره .

فقد حاول الكميت والطرماح أن يجارياه في الغريب ، فأخفقا دون ذلك ، وسبب هذا الاخفاق قد يبينه العجاج نفسه ، فقال : « كنا يسألاني عن الغريب فأخبرهما به ، ثم أراه في شعرهما وقد وضعا في غير مواضعه . فقلت له : ولم ذاك ؟ قال : لأنها قرويان يصفان ما لم يريا ، فيضعانه في غير موضعه ، وأنا بدوي أصف ما رأيت فأضعه في موضعه (١) » .

وقد اشتهر هذا العمل من الكميت ، فقال الأمدي : « وأما الكميت ابن زيد فهو أكثر جدّاً ، كان يعمل لإدخال الغريب في شعره (٢) ، وهذا يعني أن مدرسة العجاج في الإغراب قد أحدثت أصداء في أشعار معاصريها ، ومن جاء بعدهم ، إذ أصبح بعض الشعراء يعتمد إدخال الغريب إلى أشعاره ، ليثبت أن له قدماً وسابقة ، حتى كان بعضهم يدخل الغريب إلى شعره ، وهو لا يعرف معناه فتقع الألفاظ في غير مواضعها ، كالذي كان من أمر الكميت والطرماح .

ومثل ذلك أيضاً ما نقله صاحب اللسان ، فقال : « قيل لِنَصِيب : ما التَّكْشَلُ ؟ في بيت قاله . فقال : لا أدري سمعته يقال ، فقالت (٣) » ، ومثله أيضاً ما نقله صاحب الأغاني بسنده ، فقال : « قال أبو الغيث لآبِ

(١) الأغاني ١٩٧/٢ (دار الكتب) ، وفي الشعر والشعراء ٥٦٧ ، والموشح ١٩٢ ، و ٢٠٩ ، أن الكميت والطرماح كانا يسألان رؤبة عن الغريب ثم يجده في أشعارهما .  
(٢) المؤلف والمختلف ١٧٠ .  
(٣) اللسان ( شل ) .

مناذر : شعرك مهجن لا يلحق بالفحول وأنت خارج عن طبقة المحدثين ، فإن كنت تشبهت بالعجاج ورؤبة فما لحقتها ولا أنت في طريقتها ، وإن كنت تنزه مذهب المحدثين فما صنعت شيئاً ، أخبرني عن قولك :

وَمَنْ عَادَكَ لَأَقْسَى الْمَرْمَرِ بَسًا

أخبرني عن المرمريس ماهو ؟ قال : ففضل ابن مناذر وما راجعه حرفاً (١) .

فإن مناذر ونصيب والكميت والطرماح يتكفون جميعاً لإدخال الغريب في أشعارهم جرباً وراء العجاج وتقليداً لمنه ، مع أنهم ربما ضلوا فهم بعض الألفاظ الغريبة ، فأنزلوها في غير مواضعها ، وبذلك كانت الغلبة للعجاج ورؤبة في هذا الميدان ، وخوفاً من هذه الغلبة وجدنا ذا الرمة يتخلى عن الرجز إلى القصيد ، إذ نقل الموزاني بسنده عن ابن سلام ، قال : « أخبرني عبد الملك الباهلي قال : قال ذو الرمة قلت الرجز ، فلما رأيتي لا أفق من الرجلين أخذت في القصيد وتركته . يعني العجاج ورؤبة (٢) » . ونقل الموزاني هذا الحديث أيضاً بسنده عن أبي عبيدة (٣) .

فالعجاج قد أوجد مذهباً خاصاً هو الإغراب في الشعر ، ولهذا جعل الرواة يصفون أصحاب الغريب على درجات ، ومن ذلك ما نقله أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٣٨٢ هـ) بسنده عن الأصمعي أنه قال : « تقول الرواة والعلماء : من أراد الغريب فعليه بشعر هذيل ورجز رؤبة والعجاج ، وهؤلاء يجتمع في شعرهم الغريب والعاني . ومن أراد الغريب في

(١) الأغاني ٩٠/٤ - ٩١ (دار الكتب) ، وانظر أيضاً الموازنة ٣٤٥ ، والموشح ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٣٦٩ .  
(٢) الموشح ١٧٣ - ١٧٤ .  
(٣) الموشح ١٧٤ .

الشعر الحدث ففي أشعار ذي الرمة ، ومن أراد الغرب الشديد الثقة ففي شعر ابن مقبل ، وابن جرير ، وحيد بن ثور الحلالي ، والراعي ، ومزاحم العجلي (١) .

وهذا المنهج اشهر إلى ما بعد القرن الهجري الثاني ، فأولع به أبو تمام الطائي ، ولكن النقاد كالأصمدي والمزنياني ، كلوا بمقتون ذلك منه ، ويرون فيه تكلفاً وتضعافاً (٢) خلافاً للغريب عند العجاج ، وذلك لأن الغريب في رجزه كان يلي رغبة الناس فيه ، وحسبهم على ما يثله من ماض قريب ، وهو في ذلك لا ينبو عن طباع عصره ، ولا سيما بعد أن أفرد له لون خاص من الشعر في اراجيز العجاج وبعض معاصريه من أمثال رؤبة وأبي النجم .

## ٢ - الحفاظ على اللغة

ولم يقف العجاج بالخصائص اللفظية للرجز عند الإغراب ، وإنما كلف للرجز عنده خصائص لغوية أخرى ، منها المحافظة على بعض الصيغ النادرة ، أو توليد اللغة ، أو التصرف في أبنية الألفاظ دون أي قاعدة منطقية في ذلك .

وسبب هذا كله يرتد إلى قدرة العجاج في اللغة ، وهذه القدرة تبدو لنا مثلاً في رائته المشهورة :

قد جَبَرَ الدِّينَ إِلَهَ فَجَبَرٌ وَعَوَرَ الرَّحْمَنُ مَنْ وَلَّى الْعَوَرَ  
فَهِ مَوْقُوفَةٌ مَقِيدَةٌ ، وَلَوْ أَطْلَقَتْ قَوَافِيهَا وَسَاعَدَ فِيهَا الْوِزْنَ لَكَانَتْ

(١) المصون في الأدب للعسكري ١٧٣ .

(٢) انظر الموزنة للأصمدي ٢٤٥ ، والموضح للمزنياني ٣١٠ ، ٣١٩ .

كلها منصوبة ، وهذا ما جعل القدماء أمثال يونس النحوي ، يعاون من قدرة العجاج في اللغة (٣) ، لأنه دون هذه القدرة لا يقوى على التزام أمرين في هذه الأرجوزة المطولة ، وهما التزام الفتح قبل الزوي المقيد ، ثم التزام الفتح في حال اطلاق الروي .

وبهذه القدرة أمكن أن يحافظ على أبنية اللغة حيناً ، ويولد فيها طورا ، ويتصرف بها أحياناً ، فهو مقتدر على ذلك كله ، شاعر أنه أبو اللغة ، يتصرف بها كيف أراد ، ومن هنا كانت رجزه يحافظ على أصول كثيرة لبعض الصيغ العربية ، وربما كان بعضها لا وجود له في غير أراجيزه ، ومن أمثلة ذلك محافظته على وزن « فَعُول » ، في قوله (٤) :

مِنْ آلِ صَعْفُوقٍ وَأَنْبَاعٍ أُخَرَ

ولم يرد في العربية على وزن « فَعُول » بفتح الفاء إلا « صَعْفُوق » في بيت العجاج ، وإنما يرد نظائره في العربية على وزن « فَعُول » بضم الفاء ، قال ابن قتيبة « وقال سيبويه : وليس في الكلام فَعُول ، بفتح الفاء وتسكين العين ، وإنما يجيء على فَعُول ، نحو هَذُلُولُ وَزُنْبُورٍ وَعَصْفُورٌ ، وفي الصفة حَمَكُوكٌ (٥) » ، أو على وزن فَعُول بفتح العين ، نحو بَلَسُوصٌ وَبَعَكُوكٌ (٦) . وقال غيره : قد جاء فَعُول في حرف واحد نادر ، قالوا : بنو صَعْفُوقٍ حَمُولٌ بِالْمَاءِ ، قال العجاج :

(١) انظر العمدة ٥٦/١ ، والأغاني ١٢٤/١٨ ، ٦٠/٢١ ، والمزهري ٤٨٤/٢ ، وشرح التبريزي على ديوان أبي تمام ٧٨٢/٢ .

(٢) الأرجوزة ٢١/١ .

(٣) الحالك والبلوك بمعنى ، وهو الشديد السواد .

(٤) البلصوص : طائر . والبمكوك : يفتحان ، لم يزد في اللسان والقاموس ، وإنما ورد في اللسان « بمكوك » بضم الباء وسكون العين ، وهو شدة الحر .

ومنه من ذهب إلى أنه اسم أعجمي ورد في قول العجاج كان درستويه ،  
إذ قال السيوطي : « ليس في كلامهم » **«تَعْلُولُ»** بفتح الفاء الـ **«صَعْفُوقُ»**  
يلا خلاف ، وهو من موالى بني عامر ، و **«زَرْزُوقُ»** بخلاف ، وذلك في لغة  
حكاها أبو زيد والحياتي في نوادره ، والشافي المشهور فيه الضم <sup>(١)</sup> ،  
و **«الزَرْزُوقَاتُ»** : العمودان يُنصَّب عليهما البكرة .. وقال ابن درستويه في  
شرح الفصح : .. إن «تَعْلُولًا» ليس من أبنية كلام العرب ، ولا في  
المعرب كلمة إلا واحدة أعجمية معربة في قول العجاج : ( البيت ) وهو  
اسم معروفة بمنزلة إبراهيم وإسماعيل ونحوهما من الأسماء الأعجمية التي ليست  
على أبنية العربية <sup>(٢)</sup> .

ولكن أكثرهم على أن «صَعْفُوقُ» عربي الأصل ، ومن نوادر الأبنية  
في العربية ، ولم يسمع إلا في بيت العجاج ، ومن ذلك قول ابن دريد :  
« والصَعْفُوقَةُ تضالُّ الجسم ومنه اشتقاق صَعْفُوقُ اسم ، وليس في كلامهم  
تَعْلُولُ بفتح الفاء إلا صَعْفُوقُ » ، قال الراجز العجاج : ( البيت ) ، وم  
قوم من أهل البصرة <sup>(٣)</sup> .

فالعجاج قد حافظ في رجزه على هذا البناء النادر في العربية ، ومن  
هذا أيضاً محافظته على صيغة «بَخْ» بالتشديد ، في قوله <sup>(٤)</sup> :

- (١) أدب الكاتب ٦١٤ - ٦١٥ ، وانظر الانصاف ٨٠٠/٢ ، ومعجم  
ما استمع ٨٣٣/٣ واللسان (بعك) و (صفق) .
- (٢) الكوفيون يقولون «زَرْزُوقُ» بالفتح ، والبصريون على الضم ، انظر  
المزهر ٥٨/٢ ، واللسان (زَرْزُوقُ) .
- (٣) المزهر ٥٧/٢ - ٥٨ ، وذكر الجواليقي أن «صَعْفُوقُ» أعجمي تكلمت  
به العرب انظر المغرب ٢١٩ .
- (٤) جوهرة اللغة ٣٤٥/٢ ، وانظر أدب الكاتب ٦١٥ ، والمزهر ٥٧/٢ ،  
وشرح شواهد شرح الشافية للبغدادى ٤ .
- (٥) الأروزة ٦٧/١١ .

## وَعَدَدًا تَبَعًا وَعِزًّا أَفْعَا

وكلمة «بَخْ» بالتخفيف والتون ، أو بالتخفيف وتسكين آخرها ، كلمة  
تقال عند تعظيم الإنسان ، أو عند التعجب من الشيء ، أو عند المدح والرضا  
به ، وتكرر للبالغة . وبيت العجاج دليل عند سيبويه وابن جني على أن  
أصلها هو التشديد ، إذ قال سيبويه : « وكذلك بَخْ الحقيقَة يدلُّك على ذلك  
قول العجاج ( البيت ) ، فردة إلى أصله حيث اضطر <sup>(١)</sup> » ، وعقب عليه الأعم  
بقوله : « الشاهد فيه تشديد بَخْ ، والاستدلال على أن بَخْ المخففة مخنوقة  
من المضاعفة المشددة ، فإذا سمي بها وحقرتْ مُدْرِتْ لأمنا المخنوقة ، فقال :  
بَخْ بَخْ » <sup>(٢)</sup> ، وقال ابن جني : « قالوا : بَخْ بَخْ . وبدل على أن أصل التثنية  
قول العجاج : ( البيت ) <sup>(٣)</sup> » .

ولا شك أن بيت العجاج قد حافظ على أصل البناء في اللغة ، وبذلك أمكن  
لسيبويه وابن جني أن يبقا على حقيقة صيغة «بَخْ» الثنائية في ظاهرها ،  
المخففة عن أصل ثلاثي في واقع أمرها .  
ومن هذا أيضاً قوله <sup>(٤)</sup> :

حتى إذا ما أُنْسَجَتْ وَأُنْسَجَا

يريد : أُنْسَجَتْ وَأُنْسِ ، فأبدل الياء جيماً كما سرى في موضع لاحق ،  
إلا أن قوله «أُنْسَجَتْ» إذا رُدَّتْ الجيم إلى الياء أصبح «أُنْسِجَتْ» ،  
ولهذا أنشد ابن جني بيت العجاج دليلاً على ما يراه من أصل قولهم : رَمَتْ  
وَعَرَّتْ وما إليها فقال : « وهذا أحد ما يدل على ما ندعيه من أن أصل

- (١) كتاب سيبويه ١٢٣/٢ .
- (٢) تحصيل عين الذهب ١٢٣/٢ .
- (٣) التصريف اللوحي لابن جني ٤٥ .
- (٤) ملحقات الديوان ٢/١٣ .



رَمَتْ : رَمَيْتَ ، وَغَزَتْ : غَزَوْتَ ، وَأَطَلَتْ : أَعْطَيْتَ ،  
وَأَسْقَطَتْ : اسْتَقْصَيْتَ ، وَأَمْسَتْ : أَمْسَيْتَ ، أَلَا تَرَى أَنَّ لِمَا  
أَبْدَلَ الْهَاءَ مِنْ أَمْسَيْتَ جِئًا ، وَالْجِئَ حَرْفٌ صَحِيحٌ يَحْتَمِلُ الْحُرُكَاتَ ، وَلَا  
يَنْتَقِى الْإِتْقَالَ الَّذِي يَلْتَقِ الْيَاءُ وَالْوَاوُ ، صَحِيحًا كَمَا يَجِبُ فِي الْجِئِ ، فَذَلِ  
« أَمْسَجَتْ » عَلَى أَنَّ أَصْلَ أَمْسَتْ : أَمْسَيْتَ ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَيْضًا :  
أَمْسَجًا ، فَذَلِ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ أَصْلَ أَمْسَى : أَمْسَيْ ، وَأَنَّ أَصْلَ رَمَى :  
رَمَيْ ، وَأَصْلُ غَزَا : غَزَوَ ، وَأَصْلُ دَعَا : دَعَوَ ، وَذَلِ ذَلِكَ أَيْضًا عَلَى  
أَنَّ أَصْلَ عَصَا : عَصَوَ ، وَأَصْلُ قَطَا وَقَفَا وَحَصَى وَفَى : قَطَّعُوْهُ ، وَقَفَّوْهُ ،  
وَحَصَّوْهُ ، وَفَتَّوْهُ <sup>(١)</sup> ، فِعْلٌ ابْنُ جَنِي يَبْتَ الْعَجَاجَ ذَلِيلًا عَلَى أَصُولِ نَظَائِرِهِ  
فِي الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَعْمَالٍ وَأَسْمَاءٍ ، ثُمَّ تَابِعَ يَقُولُ : « فَبِهَذَا وَغَوَّهُ اسْتَدَلَّ أَهْلُ  
التَّصْرِيفِ عَلَى أَصُولِ الْأَشْيَاءِ الْمَغْوَةِ ، كَمَا اسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ عَزَّ اسْمُهُ « اسْتَجُودَ  
عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ » <sup>(٢)</sup> عَلَى أَنَّ أَصْلَ اسْتَقَامَ : اسْتَقَوَّ ، وَأَصْلُ اسْتَبَاحَ : اسْتَبَّحَ ،  
وَلَوْلَا مَا ظَهَرَ مِنْ هَذَا وَغَوَّهُ لَمَا أَقْدَمُوا عَلَى الْقَضَاءِ بِأَصُولِ الْأَشْيَاءِ وَلَمَّا جَازَ ادِّعَاؤُهُمْ  
إِلَيْهَا <sup>(٣)</sup> .

وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْعَجَاجَ قَدْ حَافِظٌ عَلَى بِنَاءِ هَامٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، إِذْ  
كَانَ ذَلِيلًا يَرْشِدُ إِلَى أَصْلِ بِنَاءِ ذَوَاتِ الْيَاءِ أَوِ الْوَاوِ الْمَطْرُفَةِ مِنْ أَعْمَالٍ وَأَسْمَاءٍ ،  
وَلَوْلَا هَذَا الْبَيْتُ وَنَظَائِرُهُ مَا اسْتَدَلَّ عُلَمَاءُ الصَّرْفِ عَلَى أَصُولِ الْأَبْنِيَةِ الْمُتَغَيِّرَةِ  
فِي الْعَرَبِيَّةِ .

وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرٌ فِي رَجَزِ الْعَجَاجِ ، وَكَذَلِكَ فِي رَجَزِ رُؤْيَةِ ، وَمِنْ  
أَمْثَلِهِ عِنْدَ رُؤْيَةِ حَافِظَتِهِ عَلَى وَزْنِ « فِعْلٌ » فِي الْمَعْلَى ، قَالَ الْبُيُوطِيُّ :

- (١) سر صناعة الاعراب ١٩٤ - ١٩٥ .  
(٢) سورة المجادلة ١٩/٥٨ .  
(٣) سر الصناعة ١٩٥ .

« قَالَ سَيُوبَةُ : وَلَمْ يَأْتِ (فِعْلٌ) إِلَّا فِي الْمَعْلَى ، نَحْوُ سَيِّدٍ وَتَمِيَّتَ غَيْرُ  
حَرْفٍ وَاحِدٍ جَاءَ نَادِرًا قَالَ رُؤْيَةُ <sup>(١)</sup> :

مَا بَالُ عَيْنِي كَالشَّعِيبِ الْعَيْنِ .  
فَجَاءَ بِهِ عَلَى (فِعْلٌ) ، وَهَذَا فِي الْمَعْلَى شاذٌّ <sup>(٢)</sup> .

وَعَلَى الْأَعْلَمِ عَلَى الْبَيْتِ بِقَوْلِهِ : « الشَّاهِدُ فِيهِ بِنَاءُ « الْعَيْنِ » عَلَى  
« فِعْلٌ » بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ شَازٌ فِي الْمَعْلَى لَمْ يُسَمَّ إِلَّا فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ ،  
وَكَانَ قِيَاسُهُ أَنَّ تَكْسَرَ الْعَيْنُ فَيَقَالُ « عَيْنٌ » ، كَمَا قِيلَ سَيِّدٌ وَهِنَّ وَلَيِّنٌ  
وَنَحْوُ ذَلِكَ وَهُوَ بِنَاءٌ يَخْتَصُّ بِهِ الْمَعْلَى وَلَا يَكُونُ فِي الصَّحِيحِ ، كَمَا يَخْتَصُّ  
الصَّحِيحُ بِـ « فِعْلٌ » مَفْتُوحَةِ الْعَيْنِ ، نَحْوُ صَيَّرَ وَخَيَّرَ وَهُوَ كَثِيرٌ .  
وَالشَّعِيبُ : الْقَرِيبَةُ ، وَالْعَيْنُ : الْخَلْقُ الْبَالِيَةُ . شَبَّ عَنْهُ لَيْلَانٌ دَمْعًا بِالْقَرِيبَةِ  
الْخَلْقُ فِي سَيْلَانٍ مَائًا مِنْ بَيْنِ خُرْجَتِهَا لِبَلَاهَا وَقَدَمَهَا <sup>(٣)</sup> .

وَلَمْ يَحْفَظْ الْعَجَاجُ فِي رَجَزِهِ عَلَى بَعْضِ الْأَبْنِيَةِ فَجَبَّ ، وَلِئِنْ حَافِظٌ  
أَيْضًا عَلَى جَهْرَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، مَا كَانَ لَهَا أَنْ تَعْرِفَ لَوْلَا اسْتِعَالَهُ إِيَّاهَا  
وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ لَمْ تَنْدَرِجْ فِي بَابِ الْغَرِيبِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْهُ ، وَلِئِنْ هِيَ مِنْ  
بَابِ النُّوَادِرِ ، ذَلِكَ لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ إِلَّا فِي رَجَزِ الْعَجَاجِ ، وَلِذَا فَهِيَ أَدْخُلَ  
فِي نَطاقِ حَافِظَتِهِ عَلَى أَصُولِ الْفِعْلِ مِنْهَا فِي نَطاقِ الْإِغْرَابِ الَّذِي رَأَيْنَاهُ مِنْهُ  
حِينَ ، وَمِنْ أَمْثَلِ ذَلِكَ كَلِمَةُ « هَبْرَجَا » فِي قَوْلِهِ <sup>(٤)</sup> :

يَتَّبَعْنَ ذَيْلًا مَوْسَى هَبْرَجَا

- (١) مِنْ أَرْجُوَّةٍ فِي دِيْوَانِ رُؤْيَةِ الْمَخْطُوطِ : النِّسْخَةُ (٥١٦) - أَدَبُ الْوَرَقَةِ  
٢٣ ، وَالنِّسْخَةُ (٥١٩) (أَدَبُ) ٢٥٣ ، وَالنِّسْخَةُ (٤٩) (أَدَبُ) ٢٧١ .  
(٢) الْمَرْهَر ٥٦/٢ ، وَانْظُرْ كِتَابَ سَيُوبَةَ ٣٧٢/٢ ، وَأَدَبُ الْكُتَّابِ ٦٢٢ ،  
وَشَرَحَ شَوَاهِدَ شَرْحِ الشَّافِعِيِّ لِلْبِدَادِيِّ ٦١ - ٦٢ وَ ٥٠٥ .  
(٣) تَحْصِيلُ عَيْنِ الذَّهَبِ ٣٧٢/٢ .  
(٤) الْأَرْجُوزَةُ ١٢/٢٣ .

وقال الأصمعي في شرحه : « والتبَّزَج : الذي يخطط في بشيته ، يتبَّزَج ، قال : ولم أسمع إلا في هذا البيت » .  
ومن هذا أيضاً كلمة « مُسَرَّجاً » ، في قوله (١) :

وفاحماً ومُرسِئاً مُسَرَّجاً

وقد رأينا في هذه الكلمة ضرباً من الاغراب عند العجاج ، وقال ابن دريد : « قال الأصمعي : ما كنت أعرف المَرَّج ، ولم أسمع إلا في بيت العجاج : ( البيت ) ، فسألت أعرابياً عنها ... » (٢) .  
ومنه أيضاً كلمة « تَبَرَّجاً » ، في قوله (٣) :

فَوَاحٍ يَحْدُوها وَرَاحَتٌ تَبَرَّجاً

وقال الأصمعي في شرحه : « والتَبَرَّج : الريح الخفيفة . قال : ولم أسمع به في غير هذا » .

ومنه أيضاً كلمة « تَبَّجَّ » ، في قوله (٤) :

دَحْ ذَا وَبَهَجٌ حَسْباً مُبَهَّجاً

وقال ابن منظور في شرحه : « قال ابن سيده : لم أسمع تَبَّجَّ إلا ههنا ومعناه حَسَنٌ وَجَمَلٌ (٥) » .

وأمثال هذا كثير في رجز العجاج ، وله نظائر كثيرة أيضاً في رجز رؤبة ، ومن أمثله في رجز رؤبة ما جاء في قول ابن دريد : « الظَّبْطَاب :

- (١) الأرجوزة ٣٣/٤٠ .
- (٢) جمهرة اللغة ٢/٧٦ .
- (٣) الأرجوزة ٢٣/٨٨ .
- (٤) الأرجوزة ٢٣/١٠١ .
- (٥) اللسان ( بهج ) .

(١) ٢٢٨٧٦

هو من قولهم رجل ليس به ظَبْطَاب ، أي ليس به داء . وسألت أبا حاتم عن الظطاب ، فلم يعرف فيه حجة جارية ، إلا أنه قال فيه بيت بشار ، وليس بحجة ، وأنشد :

بَيْتِي لَيْسَ بِـ ظَبْطَابٍ

قال أبو بكر ( أي ابن دريد ) : ثم وقع لي بعد ذلك بيت لرؤبة ابن العجاج (١) :

كَانَ فِي سَلاَةٍ وَمَا مِنْ ظَبْطَابٍ فِي الْيَلَى أَنْكَرُ نِكَ الْأَوْصَابِ (٢) ،  
وبذلك كان رجز رؤبة حافظاً لهذا اللفظ النادر ، وما أكثر نظائره لديه ، وقد أنشد ابن دريد عدداً من أبياته في أبواب نوادر الألفاظ (٣) ،  
ومن هذا أيضاً قول رؤبة (٤) :

فَنَعَم دَاعِي الْوَالِجِ الْمَسَانِدُنْ أَيْ إِذَا اسْتَعْلَقَ بَابَ الصِّدْنِ

وقد أنشده ابن قتيبة ، ثم قال في شرحه : « الصِّدْن : المَلِكُ . قال الأصمعي : لم أسمع الصيدن الملك ، إلا في هذا البيت (٥) » .  
ومن صور الحفاظ على اللغة ، ما مجده في رجز العجاج من آثار لهجة قومه بني تميم ، إذ حافظ على شيء من خصائصها في أبنية الألفاظ ومعانيها ،

- (١) من أرجوزة وردت في ديوانه المخطوط : النسخة ( ٥١٦ أدب ) الورقة ٢٨٦ ، ولم ترد في النسخ الأخرى .
- (٢) جمهرة اللغة ١/١٢٧ .
- (٣) انظر جمهرة اللغة ٣/٤٥٧ ، ٤٦١ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ .
- (٤) من أرجوزة في ديوانه المخطوط : النسخة ( ٥١٦ أدب ) الورقة ٢٣ ، والنسخة ( ٥١٩ أدب ) ٢٥٣ ، والنسخة ( ٤٩ أدب ) ٢٧١ .
- (٥) المأني الكبير ١/٤٧٨ .

ومن ذلك قوله (١) :

فَضْنَفُ هَامَةَ هَذَا الْعَالَمِ

ومنه من أنشد « العالم » دون همز ، وجعله من مأخذ العلماء على العجاج ، لا فيه من تأسيس يخالف سائر أبيات الأرجوزة (٢) ، ومنهم من رواه بالهمز ، ونص على أن في لغة تميم « العالم » و « الحاتم » و « الباز » بدلا من العالم والحاتم والباز (٣) ، فقال ابن رشي : « ويقال لب لغته الهمز ، فإذا همز لم يكن تأسيسا » (٤) ، ونقل المزياني بسنده عن أبي زيد أنه قال : « سمعت رؤبة يقول : أنا أشعر أم أبي ؟ قلنا له : أنت أشعر من أبيك ، أبوك الذي يقول :

يَا دَارَ سَلَى يَا سَلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي

ثم قال :

فَضْنَفُ هَامَةَ هَذَا الْعَالَمِ

قال : أنه كان في لغة أبي العالم والحاتم مهموزان (٥) ، وقال ابن جني :

« فاما قول العجاج :

يَا دَارَ سَلَى يَا سَلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي

ثم قال :

فَضْنَفُ هَامَةَ هَذَا الْعَالَمِ

فقد روي أن العجاج كان يمز « العالم » و « الحاتم » ، فهمزة « العالم » و « الحاتم » من قلب الألف همزة . وحكي اللحياني عنهم « باز » بالهمز ، وهذا أيضا من ذلك الباب (١) .

فالعجاج في هذا البيت قد حافظ على تحقيق الهمز في لهجة قومه بني تميم ، وكما نود أن نعرف على شواهد أخرى في رجزه ، ذلك لأن تحقيق الهمز صفة تميز لهجة بني تميم عن اللهجة القرشية (٢) ، وقد وردت في لغة رؤبة بن العجاج أيضا ، فقال ابن منظور : « الأصمعي : سِيَةِ الْقَوْسِ : ماعطف من طرفيها .. وكان رؤبة بن العجاج يمز سِيَةِ الْقَوْسِ وسائر العرب لا يمزونها » (٣) . ولكننا مع ذلك لم نظفر عند العجاج بغير قوله أيضا قبل البيت السابق (٤) :

مُبَارَكُ الْأَنْبِيَاءِ تَخَاتَمِ

وهو شبه باليت المتقدم .

ولعل من أسباب هذه الظاهرة أن الشاعر لم يكن يلتزم عادة بلهجة قومه ، وإنما يخلد إلى اللغة الأدبية المثالية ، ولهذا رأينا العجاج ، لا يبالي بتسهيل الهمز أحيانا حين تلجئه الغافية إلى ذلك ، ولو أدى الأمر إلى شيء

- (١) سر صناعة الأعراب ١٠١ - ١٠٢ ، ونقله أبو الطيب عن ابن جني في الإبدال ٥٤٧/٢ ، وقال بذلك أيضا ابن جني في شرح تصريف المازني ١٠٦/١ - ١٤٩/١ - ١٥٠ ، والزمخشري في الفصل ٣٦١ ، وابن يعيش في شرح المفصل ١٣٦٠/٣ ، والرومي في شرح الشافعية ٢٢٨/١ ، ٢٠٤/٣ ، والبغدادى في شرح شواهد شرح الشافعية ٤٢٨ ، وابن منظور في اللسان ( علم ) .
- (٢) انظر دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ٧١ .
- (٣) اللسان ( سيات ) .
- (٤) الأرجوزة ٨٧/٢٤ .

(١) الأرجوزة ٨٨/٢٤ .

(٢) انظر جهمرة اللغة ٢٦٦/٢ ، وطبقات ابن سلام ٦٤ ، والموشح ١٦ - ٣١٧ ، والعمدة ١١١/١ .

(٣) انظر الموشح ٢١٨ ، والإبدال لأبي الطيب اللقي في ٥٤٧/٢ ، والعمدة ١١١/١ ، والفصل ٣٦١ ، وشرح المفصل ١٣٦٠/٣ ، وشرح الشافعية ٢٢٨/١ ، ٢٠٤/٣ ، وشرح شواهد شرح الشافعية للبغدادى ٤٢٨ ، واللسان ( علم ) .

(٤) العمدة ١١١/١ .

(٥) الموشح ٢١٨ .

من اللبس أو الغموض ، ومن هذا ما نقله العسكري فقال : « وأخبرنا علي ابن سليمان ، حدثنا أحمد بن يحيى ، حدثنا سلمة بن عاصم قال : قال الفراء : الجبى ما حول البئر ، والجبى ما جمعه من الماء وأنشد (١) :

حتى إذا أشرف في جوف جباً

أنشده بإضافة جوف إلى جباً ، وقد عاب عليه بإضافة جوف إلى « جباً » جماعة من العلماء منهم الفضل بن سلمة وغيره ، وظن الفراء أن « جباً » الذي في البيت هو ما ذكر من حول البئر ، وأنه اسم ، وإنما هو :

حتى إذا أشرف في جوف جباً

وهو فعل من جباً بفتح الجيم ، فترك الهمز ، أي جبن ورجع ، يعني الحمار ، ومنه يقال : رجل جبى ، أي جبان .

وأخبرني أحمد بن الحسن التميمي الحيطي ، حدثنا محمد بن سلام ، سمعت يونس يقول : جباً من تخوف الأسد ، أي جبن ، وأنشد للعجاج :

حتى إذا أشرف في جوف جباً

وقال : ترك الهمز (٢) .

فالعجاج لا يلتزم التزاماً مطلقاً بخصوص الهمزة التميمية ، بل ربما اضطر إلى استعمال لغات أخرى ، ومن ذلك قوله (٣) :

وربّ تمدي كالحبي مؤدّم

وقال ابن منظور : « قال ثعلب : البدي بالتخفيف ، لغة أهل الحجاز ، والبدي ، بالثقل على فاعيل لغة بني تميم وسفلى قيس (١) » .

إلا أنه رغم ذلك قد حفظ لنا شيئاً من سمات اللهجة التميمية سواء في أبنية الألفاظ أو معانيها ، وقد رأينا يحافظ على تحقيق الهمز في بعض أياته ، وهو من خصائص لهجة بني تميم .

وبما حافظ فيه على بعض خصائص هذه اللهجة قوله (٢) :

ومهمّة هالك من تعرّجاً

فالأصمعي جعل تقدير البيت « هالك المتعرّجين فيه » ، من أهلكه الله أهلاً ، كقولك : هذا رجل حسن الوجه ، فوضع ( من ) في البيت موضع الألف واللام (٣) . « إلا أن جماعة كابي عبيدة جعلوا « هالك » في البيت بمعنى « مهلك » من هلكه يهلكه هلكاً ، فقال ابن قتيبة : « هلكت الشيء وأهلكته ، قال العجاج : ( البيت ) ، بمعنى مهلك ، هذا قول أبي عبيدة ، وقال غيره : أي هالك المتعرّجين ، أي من تعرّج فيه واحتبس هلك (٤) » ، واكتفى ابن دريد بما قاله أبو عبيدة فأنشد البيت ثم قال : « أراد مهلك من تعرّجاً (٥) » ، وقال ابن جني : « وهلك الشيء وهلكته ، قال العجاج : ( البيت ) ، فيه قولان : أحدهما أن « هالكا » بمعنى مهلك ، أي مهلك من تعرّج فيه . والآخر : ومهه هالك المتعرّجين فيه ، كقولك : هذا رجل حسن الوجه ، فوضع ( من ) موضع

(١) اللسان ( هدى ) .

(٢) الأرجوزة ٥٨/٢٣ .

(٣) انظر شرح الأصمعي للبيت .

(٤) أدب الكاتب ٤٦٧ ، وانظر شرح أدب الكاتب ٣١٠ - ٣١١ ،

والاقتضاب ٤٠٣ .

(٥) جهمرة اللغة ١٧١/٣ .

(١) مملحات الديوان ٤٩/٢ .

(٢) شرح مايقع فيه التصحيح ١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) الأرجوزة ٦٥/٢٤ .

الألف واللام<sup>(١)</sup> .

ومهم من ذكر أن « هلكه » لغة بني تميم ، فقال الجوهري :  
« وقال أبو عبيد : تميم تقول هلكه يهلكه هلكا ، بمعنى أهلكه .  
وأشد للعجاج : ( البيت ) ، يريد تهليك ، كما يقال ليل غاض بمعنى مغمض .  
ويقال : أراد هالك المعرجين ، أي من نرج فيه هلك<sup>(٢)</sup> » ، وقال ابن  
سيدة : « غير واحد : أهلكه القدر . أبو عبيد : وهلكه ، وأشد :  
( البيت ) ، أي مهلك ، لغة بني تميم<sup>(٣)</sup> » ، وأورد الميداني هذا المثل :  
« أهلكك من ثرقات البساسيس » ثم قال في شرحه : « فذكر أبو  
عبيد أنه مثل من أمثال بني تميم ، وذلك أن لغتهم أرت يقولوا : هلكت  
الشيء ، بمعنى أهلكته ، بدل على ذلك قول العجاج وهو تميمي : ( البيت ) ،  
أي مهلك من تعرج<sup>(٤)</sup> » .

ولا شك أن وجود « هلك » في لغة بني تميم ، يرجح أن يكون  
العجاج قد حافظ عليها واشتق منها « هالك » بزنة « فاعل » ، وبذلك تكون  
من السمات التي حافظ عليها العجاج من لهجة قومه بني تميم .  
ومن هذا قوله أيضاً<sup>(٥)</sup> :

بَالَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا تَوَاجِعَا

فصب بـ « ليت » المبتدأ والخبر معاً ، وقال ابن سلام : « وهي  
الغة لهم . سمعت أبا العون الحرمازي يقول : ليت أباك منطلقاً ، وليت

- (١) الخصائص ٢١٠/٢ - ٢١١ .
- (٢) الصحاح ١٦١٦/٤ .
- (٣) الخصص ١١٧/٦ .
- (٤) مجمع الأمثال ٤٠٨/٢ .
- (٥) ملحقات الديوان ٤٩ .

تبدأ قاعداً . وأخبرني أبو يعلى أن منشأ بلاد العجاج فأخذها عنهم<sup>(١)</sup> .  
وبعض النواة أقوال في هذا البيت لا يثبتنا أن نعرض لها الآن<sup>(٢)</sup> ، والمهم  
منقلبه ابن سلام من أنها لغة لبني تميم ، وقد حافظ عليها العجاج في هذا البيت .  
ومن هذا أيضاً قوله - إن صح له هذا البيت<sup>(٣)</sup> :

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا مِثْلَ السَّعَالِي حَسَنًا

لأن بعض بني تميم يعربون « أس » ويضعونها من الصرف ، خلافاً  
لأهل الحجاز فهي عندهم مبنية على الكسر مطلقاً<sup>(٤)</sup> ، فإذا صح البيت للعجاج ،  
فهذا يعني أنه حافظ على لهجة بعض بني تميم .  
ومن هذا قوله<sup>(٥)</sup> :

فَأَصْبَحْتَ عَنْ وَصْلِهَا كَأَنَّ لَسْمَ تَعْلَمَ بِهِ آوْنَةً وَتَعْلَمَ

فقد ضبط البيت في أصل الديوان « تَعْلَمَ » بفتح تاء المضارعة وكسرها  
في الموضعين ، وكسر حرف المضارعة حكاه ابن جني في تكتلته بهراء ،  
فقال : « وأما ثلاثة بهراء ، فلاهم يقولون : تَعْلَمُونَ ، وتَفْعَلُونَ ،

- (١) طبقات ابن سلام ٦٤ - ٦٥ ، ونقله عن ابن سلام المرزباني في الموشح ٢١٧ ، والسبوطي في شرح شواهد الغني ٢٣٦ .
- (٢) انظر الصحاح ٢٦٥/١ ، والمفصل ٢٨ ، ٣٠٢ ، وشرح المفصل ١١٢٩/٣ ، وجمع الوماع ١٣٤/١ ، ومغني اللبيب ٢٢٢/١ ، ولغ الأذلة في أصول النحو للأبازي ٨٢ ، وتوجيه الرماني ٩٧ ، والخزانة ٢٩٠/٤ ( بولاق ) ، وحاشية الخفزي ١٥٥/١ .
- (٣) ملحقات الديوان ١/٣٤ - ٢ .
- (٤) انظر كتاب سيبويه ٤٤/٢ ، والمفصل ١٧٢ ، وشرح المفصل ٥٥٧/٢ ، وشرح شعور الذهب ٩٩ ، وأسرار العربية ٣٢ ، والخزانة ٢١٩/٣ - ٢٢٢ ( بولاق ) ، والمقاصد النحوية ٣٥٧/٤ - ٣٥٨ ، وجاء البيت فيها جميعاً شاعداً على إعراب « أس » ومنعها من الصرف على لغة بعض بني تميم .
- (٥) الأرجوزة ٣٦/٢٤ - ٣٧ .

وتصنعون ، بكسر أوائل الحروف<sup>(١)</sup> ، ولكن كسر حرف المضارعة لا يقتصر على ذلك ، وإنما هو لغة لأكثر العرب من غير أهل الحجاز ، يدل على هذا قول ابن منظور : « وتعلّم ، بالكسر : لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب ، وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض ذليل فيقولون تعلّم ، والقرآن عليها ، قال : وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلاّ تعلّم ، بالكسر ، قال : نقلته من نوادير أبي زيد<sup>(٢)</sup> » .

وإذا صحّ البيت عن العجاج بكسر حرف المضارعة ، فهو بما حافظ فيه العجاج على لغة قومه ، وإذا كنا لا نظفر بشواهد أخرى حول الكسر في أوائل « أفعال المضارعة » فذلك لأن اللغة الأدبية لم تكن تكسر هذه الحروف ، وإنما تساوٍ فيها لهجة قريش ، ولا يبعد أن يكون الرواة أو النساخ قد تصرفوا في ضبط هذه الحروف إن ورد بعضها عن العجاج بالكسر . وفي الأمثلة السابقة رأينا صورة لحافظة العجاج على شيء من خصائص اللهجة التميمية صرفاً أو نمحراً ، ولكنه ربما حافظ أيضاً على معاني الألفاظ في لهجة التميمية ، ومن ذلك قوله<sup>(٣)</sup> :

وأطعنُ الليلَ إذا ما أصدقا

وأصدّق هنا بمعنى أظلم ، وقال ابن السكيت : « أبو زيد : السدّة في لغة بني تميم الظلمة ، وفي لغة قيس الضوء<sup>(٤)</sup> » ، وكلام أبي زيد نقله

جماعة غير ابن السكيت<sup>(١)</sup> ، بما يشير إلى محافظة العجاج على معنى الكلمة في لهجة بني تميم .

ومن هذا أيضاً قوله<sup>(٢)</sup> :

تمعنُ المطالي جفجفاً فجفجفاً

ونقل ابن منظور عن الفراء أنه قال : « لغة أهل الحجاز عميق ، وبني تميم يقولون عميق<sup>(٣)</sup> » ، ولهذا فالعجاج قد حافظ على معنى الكلمة في لغة قومه ، وأمثال هذا كثير في رجزه ، ذلك لأن العجاج قد حفظ لنا في أراجيزه كثيراً من الصيغ العربية سواه كانت هذه الصيغ من لغة بني تميم أو من لغات العرب الأخرى .

### ٣ - توليد اللغة

وإذا كان رجز العجاج قد تفرّد بكثير من الصيغ أو الألفاظ ، فلا يبعد أن يكون هو نفسه قد ولّد بعض هذه الصيغ ، وأضافها إلى العربية ، ما دام يؤمن بأنه أبو اللغة يصنع فيها ما يشاء ، ويضيف إليها ما يريد ، وقد تتبّه ابن جني إلى هذه الظاهرة في باب سماء « باب في الشيء يسمع من العربي الفصح لا يسمع من غيره » ، فقال : « وذلك ما جاء به ابن أحر في تلك الحروف المحفوظة عنه . قال أحمد بن يحيى : حدثني بعض أصحابي عن الأصمعي أنه ذكر حروفاً من الغريب ، فقال : لا أعلم أحداً أتى بها

(١) الخصائص ١١/٢ ، وسر صناعة الإعراب ٢٣٥ .

(٢) اللسان ( وقي ) .

(٣) الأرجوزة ٣١/٤٤ .

(٤) أزداد ابن السكيت ١٨٩ .

(١) القالي في أماليه ١٢٢/٢ ، وابن سيده في المختص ٤١/٩ ، وابن منظور في اللسان ( سد ) ، إلا أن ابن سيده وهم إذ جعل السدّة في لغة تميم الضوء ، وفي لغة قيس الظلمة . وانظر أزداد الأصمعي ٣٥ ، وكثر الحفاظ ٤٠٩ ، ومختصر تهذيب الألفاظ ٢٤٤ والصحاح ١٢٣٢/٤ .

(٢) الأرجوزة ٤١/٤٤ .

(٣) اللسان ( معق ) .

« لا » ابن أحر الباهلي<sup>(١)</sup> .

ثم أورد ابن جني هذه الألفاظ التي تفرّد بها ابن أحر مع أبياتها ، ثم قال : « والقول في هذه الكلم المتقدم ذكرها وجوب قبولها ، وذلك لما ثبتت به المشاهدة من فصاحة ابن أحر . وإما أن يكون شيئاً أخذته عن ينطق بلغة قديمة لم يشارك في سماع ذلك منه ، على حد ما قلناه فيمن خالف الجماعة وهو فضيح ، كقوله في الذرخرح : الذرخرح ، ونحو ذلك ، وإما أن يكون شيئاً ارتجله ابن أحر ، فإن الاعرابي إذا قويت فصاحته ، وسبحت طبيعته ، تصرف والرجل ما لم يسبقه أحد قبله به ، فقد حكى عن رؤبة وأبيه أنها كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعها ولا سبقا إليها . وعلى هذا النحو قال أبو عثمان<sup>(٢)</sup> : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب<sup>(٣)</sup> » .

فإن جني يلاحظ أن ما تفرّد به ابن أحر من الأبنية والألفاظ يمكن أن يرتد إلى تفرّده في سماع بعضها ، أو ارتجاله وتوليده لبعضها الآخر ، ولا يرى ابن جني خيراً في ارتجال ابن أحر ما دام على فصاحة مشهود بها ، ولا سباً أن العجاج ورؤبة قد كانا يرتجلان في اللغة ، وهما قدوة لابن أحر في هذا الارتجال .

وما قاله ابن جني حول تفرّد ابن أحر ، نجده طبعاً عند العجاج ، فتمه صيغ وألفاظ حافظ عليها رجزه ، أو رجز ابنه رؤبة ، وقد رأينا أمثلة لها في بحث سابق ، وفيه صيغ وألفاظ قد ارتجها العجاج ارتجالاً ، وأضافها إلى اللغة إضافة ، وبذلك لم تسمع إلا في رجزه ، ومن ذلك كلمة الأصقل ، في قوله<sup>(٤)</sup> :

(١) الخصائص ٢١/٢ .

(٢) يريد أبا عثمان المازني .

(٣) الخصائص ٢٤/٢ - ٢٥ .

(٤) الأرجوزة ٢٨/١٢ .

قد أقرت غير الظليم الأصقل .

وقال الأصمعي في شرحه : « والأصل : الخفيف الرأس والعنق .. قال أبو سعيد : ولم أسمع ( الأصقل ) إلا هنا ، و ( الصقل ) هو الكلام » .

ومن ذلك أيضاً كلمة « القشيري » ، في قوله<sup>(١)</sup> :

أطرباً وأنت قشيري

وقال ابن سيده : « والقشيري : الكبير السن . قال أبو علي : ولم أسمع بالقشيري إلا في شعر العجاج »<sup>(٢)</sup> ، وقال الأعمى الشنمري : « والقشيري : الشيخ ، وهو غير معروف في اللغة ، ولم يسمع إلا في هذا البيت وحده »<sup>(٣)</sup> ، وقال ابن منظور في القشيري : « وقيل : لم يسمع إلا في بيت العجاج »<sup>(٤)</sup> .

وعدم معرفة القشيري إلا في بيت العجاج ربما كانت بسبب توليد العجاج نفسه لبناء هذه الكلمة ، فقد زاد الياء توكيداً للمبالغة في نسبة « القشيري » إلى نفسه كما قالوا في الأعجم أعجمي ، والأحر أحري ، والياء فيها جميعاً قد زيدت لتوكيد المبالغة في الرصية ، ومن هنا سار بيت العجاج شاهداً في كتب اللغة والنحو على زيادة الياء توكيداً للمبالغة في الرصية<sup>(٥)</sup> .

ولم يقتصر الأمر على بيت أو أبيات قليلة أورد فيها مثل هذه البنية ،

(١) الأرجوزة ٣/٢٥ .

(٢) المخصص ٤٥/١ .

(٣) تحصيل عين الذهب ١٧٠/١ ، ونقل البندادي قوله في الخزائن ٥١١/٤ ( بولاق ) .

(٤) اللسان ( قسر ) .

(٥) انظر شرح الحاشية للتبريزي ١٥٥/٤ ، وشرح المفضل ٤٥٦/١ ، وغريب القرآن للسجستاني ١٩ ، وخزانة بولاق ١٤٧/٢ ، والوالي بالوفيات ٣١/١ .

ولما أكثر منها ولا سيما في الأرجوزة (٢٥) ، حتى كالت الأحمعي بشير  
إليها أحياناً ، وجعل النص عليها أحياناً أخرى إما لكثرتها ، وإما لجلاء  
أصلها ، ومن ذلك مثلاً قوله (١) :

والدهر بالانسان دَوَّارِي

فنسب « دَوَّار » إلى نفسه (٢) . وقال فيه ابن جني : « ولما معناه  
( دَوَّار ) فالحق يابغي الإضافة (٣) » . وقال ابن جني أيضاً : « أي دوار ،  
خُزاد يله الإضافة تركيذاً لمعنى الصفة (٤) » .  
ومنه أيضاً قوله (٥) :

مع الشباب فهو قَضْفَضِي نَعْمَهُ فهو حَبْرَنَجِي  
والأصل « قَضْفَض » و « حَبْرَنَج » وهو الناعم الحسن التام .  
ومثله أيضاً (٦) :

بالمعاد حتى هو يَمُودِي

وأصله « يَمُود » ثم نسب إلى نفسه بزيادة الياء .  
ومثله أيضاً (٧) :

غَضُفاً طواها الأمن كَلَّيِي

ورجل كَلِبٌ و كَلَّابٌ : صاحب كلاب ، مثل تأيم ولابين ، وأما

« كَلَّابِي » فزاد العجاج الياء لتوكيد الوصفية . وقد تحدث ابن جني عن  
بيت مشابه ، فقال : « الحقه يابغي الإضافة تركيذاً لمعنى الصفة كقول  
العجاج : ( البيت ) ، وقد تقدم القول فيه (١) » .

ونقل ابن جني أن أبا علي الفارسي قال : « وهذا كثير في كلامهم (٢) » ،  
وكذلك فهو كثير في رجز العجاج ، لأنه لا ينفك عند الأبنية المعروفة  
للألفاظ ، ولما قد يولد أبنية جديدة حسب حاجته ، وما يكلف به من  
ولوع بالإغراب في الألفاظ والأبنية على حد سواء ، ولعل من أوضح صور  
الترييد في الأبنية قوله (٣) :

لأباً يثانيها عن الجؤور

وقال الأحمعي في شرحه : « والجؤور : يريد الجؤور » ، وفي هذا  
إشارة إلى أن « الجؤور » لم يُسمع في اللغة ، ولما هو بناء جديد للعجاج ،  
ولم يرد كذلك في اللسان أو القاموس ، وقال البغدادي في شرح البيت :  
« والجؤور : مصدر جار إذا عدل عن القصد ، وهو مصدر سماعي جاء على  
فُعُول بالضم ، لكن هُزِ عنهُ على مقتضى القاعدة ، ولم أر من نسب على هذا  
المصدر غير ابن السيرافي في شرح شواهد اصلاح المنطق وابن السيد البطليوسي  
في شرح شواهد أدب الكاتب ، وكلاهما نها عليه في هذا البيت ، وكذلك  
الجواليقي في شرح أدب الكاتب أيضاً (٤) » .  
ومن هذا أيضاً قوله (٥) :

مُنْتَشِعراً خَوْفاً على وقُور

- (١) التمام في تفسير اشعار هذيل ٢٢١ .
- (٢) شرح نصريف المازني ١٧٩/٢ .
- (٣) الأرجوزة ٧٢/١٩ .
- (٤) الخزائن ١٥٩/١ .
- (٥) الأرجوزة ١٠٦/١٩ .

(١) الأرجوزة ٤/٢٥ .

(٢) انظر الخزائن ٥١٢/٤ .

(٣) شرح نصريف المازني ١٧٩/٢ .

(٤) التمام في تفسير اشعار هذيل لابن جني ١٢١ .

(٥) الأرجوزة ٢٤/٢٥ - ٢٥ .

(٦) الأرجوزة ٢٩/٢٥ .

(٧) الأرجوزة ١٤٥/٢٥ .



وقال الأصمعي في شرحه : « وَفُتُورٌ » وَفُتَارٌ ، ولم يرد الوُفُورُ مصدراً مرادفاً للوفار في كتب اللغة ، ذلك لأن العجاج جاء به قياساً على أفعال أخرى من باب فَعَلَ مثل قولهم : وَب يَثِب وَثَباً ، وَوَجِد يَجِد وَجُوداً ، فُقِاس على هذه الأفعال وأمثالها قوله : وَفُتِرَ تَفِيرٌ وَفُتُوراً ، والأصل في اللغة أن يقال : وَفُتِرَ تَفِيرٌ وَفُتَاراً .  
ومثل هذا قوله (١) :

فَقَدَرْتُ كَفَيْتُ اللَّهَ غِيَالَ الْفُتُولِ

والذي في اللغة « غَالَهُ يَفُتِلُهُ غُتُولاً » ، إلا أن العجاج بن منته مصدراً على وزن « فَعَال » فقال « غِيَال » ، وذلك قياساً على قولهم : قام قياماً وصام صياماً ، وأصله « غِيرَال » بالواو ، ثم قلبت الواو ياء لوقعها حشواً بين كسرة وألف في مصدر أجوف قد أعلست عين فعله .  
ومنه أيضاً كلمة « ابن أجلي » في قوله (٢) :

لَا قُتَوَاهِ الْحِجَابَ وَالْإِصْحَارَ بِرَأْسِ ابْنِ أَجْلَسِي وَاقِفَ الْإِسْفَارِ

والعرب تقول « ابن أجلسي » بمعنى الصَّبْح ، ولم يسمع « ابن أجلي » إلا في هذا البيت ، إذ قال ابن دريد : « وقال الأصمعي : لم أسمع بابن أجلي إلا في هذا البيت ، يعني الصبح (٣) » ، وثقل كلام الأصمعي هذا في عدد من المصادر (٤) .

فالعجاج يتراءى لنا وكأنه أبو اللغة ، يغرب فيها حيناً ، ويرتد فيها

- (١) الأروادة ٣٨/١٧  
(٢) الأروادة ٨١/٢٤ - ٨٢ .  
(٣) جيمرة اللغة ٢٢٨/٣  
(٤) الاشتقاق لابن دريد ٣١٤ ، والأمازي ٢٤٤/١ ، والمزهر ٢٥٢/١ ، والخزانة ٢٣٤/١

أحياناً ، وما ذلك إلا لأنه قد ملك ناصيتها ، وأقن إقنائاً طبعياً طرائقها في الخلق والاستباق ، ولهذا كانت ألفاظه لا تنبؤ عن الذوق الغوي في بنائها ، أو التناسب الصوتي بين حروفها ، وذلك لأنها تصدر عن طبع وأصالة لغوية لا تشك فيها ولا مراء ، فإن فقدت هذه الأصالة كان لا بد من الإخلال بكل ذلك ، ومن هنا يمكن أن ندرِك سبباً رئيسياً لإخفاق من حاول القياس على أبنية العجاج من المولدين ، ومن أمثلة هذا الإخفاق ما نقله الأصمعي عن الخليل من أن رجلاً أنشده :

تَوَاقَعَ الْعِزْرُ بِنَا فَارَقَتُنَا

فقال الخليل : هذا لا يجوز . فقال الرجل : كيف جاز للعجاج أن يقول :

تَوَاقَعَ الْعِزْرُ بِنَا فَارَقَتُنَا (١)

ولا يجوز لي (٢) ؟

وقد رد على ذلك أبو الفتح عثمان بن جني ، بأن الخليل لم يمنع القياس على لغة العجاج مطلقاً ، وإنما أنكر ذلك لأن الرجل « بناه بما لاهه حرف حقيقي ، والعرب لم تبن هذا المثال بما لاهه أحد أحرف الحلق ، إما هو بما لاهه حرف فوي ، وذلك مثل أقفسس .. فلما قال الرجل لل خليل ( فارقعنا ) أنكر ذلك من حيث أربنا (٣) » .

فالطبع والأصالة لم تنهيا لهذا المولد ، كما تنهت للعجاج ، ولهذا أخفق في القياس على أبنيتة ولغته ، وهذه الأصالة جعلت رؤية بن الصباج ،

- (١) الأروادة ٩٦/١١  
(٢) الشعير والشعراء ٢٢ - ٢٣ ، والموشح ٣٧٠ ، والخصائص ٣٦٦ - ٣٦٢/١  
(٣) الخصائص ٣٦٢/١

لا يقصر عن أبيه في احتمال بعض الأبنية أو الألفاظ ، ومن أمثلة ذلك عند رؤية ما قاله ابن دريد : « وأما الحكم فلا أصل له ، فأما قول الرليج رؤية (١) :

ولم يزل عزه تسيم مدمعما كالبحر يدعو هيقما وهيقما  
فأنا هو حكاية صوت البحر (٢) .

فاشتق رؤية « هيقما » من صوت البحر ، ومثله قول ابن سيده : « والبريت في شعر رؤية (٣) :

يششق عنه الخرق والبريت

اسم اشتقه من البرية ، فكأنما سكن الباء فصارت الهاء تاء ، وجعله اسماً للبرية والصحراء ، وصارت التاء كأنها أصلية في التصريف (٤) .

فالعجاج وابنه رؤية قد أضافا إلى اللغة ألفاظاً مرتجلة لم تسمع إلا في أراجيزهما ، واشتقا أبنية لم يسبقا إليها ، وما ذلك إلا « لأننا عليه من أصالة لغوية ، وفصاحة أعرابية ، وطبع لا تكلف فيه ولا تعمل .

#### ٤ - التصريف في أبنية اللغة

والأصالة اللغوية عند العجاج دفعت به إلى أمور أخرى تميزت بها الخصائص اللغوية لرجزه ، وأبرزها التصريف في أبنية اللغة ، دون مبدأ ثابت

(١) من أروجوة في ديوانه المخطوط : النسخة ( ٥١٩ أدب ) ص ٢٨٩ ، والنسخة ( ٤٩٩ أدب ) ص ٣١٣ ، ولم ترد في النسخة الثالثة . ورواية الديوان : « للناس يدعو هيقما » .

(٢) جمهرة اللغة ١٦٧/٣ .

(٣) من أروجوة متنازعة بين رؤية والمعاج ، وهي الأروجوة ( ٤٢ ) من ديوان المعاج ، ورواية الديوان : « عني العز والبريت » .

(٤) المخصص ١١٦/١٠ .

أو قاعدة محددة ، وكان إحساسه البدوي الأعرابي بأنه صاحب اللغة ، قد جعله يتصرف فيها كيف أراد ، بل ربما كان إيمانه يبدأ الاغراب هو أحد الدوافع الرئيسية إلى هذا التصرف الواسع في اللغة ، يضاف إلى ذلك ما كان يريد لرجزه من عمل نغفات الصحراء بكل ما فيها من جفاء وخشونة ، وهذا يمكن أن توحى به كلمة شاردة عن مألوف مبتها ، أو صيغة تتجافى عن مألوف اللغة وقواعدها .

وأيسر هذه التصرفات ما يقف عند حدود معروفة في قواعد الصرف أو العروض ، من أمثال القلب ، أو الابدال ، أو فك الادغام ، أو تحريك الساكن ، أو تسكين المتحرك ، أو استعمال الجمع بدل المفرد ، أو الجمع بدل المثنى ، أو المثنى بدل المفرد . فلهذه كلها يمكن أن نصادفها في أشعار القدماء ، ولكنها تميز في رجز العجاج بالكثرة والوضوح ، وكأنها ترد عن قصد وتعمد ، لا يريد العجاج من اغراب في اللفظ ، أو ندرة في الأبنية .

ومن أمثلة القلب قوله في وصف الجيش (١) :

بات يقاسي أمره أمبرمه أعصمه أمر السجيل أعصمه

ف « يقاسي » أراد العجاج بها « يقاس » بمعنى يميز ، فأحدث قلباً بين العين واللام . وقال ابن جني : « وأما قيس ، فنقول من قاس الشيء بالشيء يقسه قيساً . وأما قول العجاج : ( البيت ) ، فانه أراد « يقاسي » أي يميز ، فقلب (٢) » .

ومن ذلك أيضاً قوله في وصف أيك كثير الشجر (٣) :

(١) الأروجوة ١١/٣٦ - ١٢ .

(٢) البهج لابن جني ١٦ ، ونقله التبريزي في شرح الحماسة ٣١/١ ، ٨٨/٣ .

(٣) الأروجوة ٣٢/٢٥ .

لاش به الأشاء والعبري

وهذا البيت أشده سبويه شاهداً على القلب ، فقال : « إفا أراد لاش ، ولكنه آخر الراو وقدّم الثاء<sup>(١)</sup> » . وقال المازني : « وكان الخليل يقول : هو مقلوب ، كما قالوا : شاك<sup>(٢)</sup> ، و :

لاش به الأشاء والعبري

يريد : شاكاً ولائاً<sup>(٣)</sup> » .

ونذهب إلى رأي الخليل وسبويه جماعة من اللغويين والنحاة<sup>(٤)</sup> ، إلا أن أبا عبيدة لم يذهب بالكلمة إلى القلب ، وإفا جعلها محذوفة العين ، فقال : « وهار : مجازة هائر ، والعرب تترع هذه الياء من فاعل ، قال العجاج : ( البيت ) ، أي لاش ، ويقال : كَيْدٌ خابٍ ، أي خائب<sup>(٥)</sup> » ، وتبعه ابن جني على هذا الرأي ، فأشدد البيت في باب غلبة الزائد للأصلي ، ثم قال : « حذفت عين فاعل وأقورت ألفه ، إذ كانت دليلاً على اسم الفاعل<sup>(٥)</sup> » .

وقال ابن جني أيضاً : « وحكي أنهم يقولون « شاك<sup>(٦)</sup> ، ولاش<sup>(٧)</sup> ، يجذف العين أصلاً وأشد :

لاش به الأشاء والعبري

وجه هذا : أنهم لما قالوا في الماضي « شاك<sup>(٨)</sup> ، ولاش<sup>(٩)</sup> وسكنت العين بانقلابها ألفاً ، وجاءت ألف فاعل ، التقت ألفان ، فحذف الثانية جذفاً ، ولم يجر كها حتى تقلب همزة ، كما فعل من يقول : قائم ، وبائع<sup>(١٠)</sup> » . فالبيت حمل عند سبويه والخليل ومن رأى رأياً على القلب ، وذهب عند أبي عبيدة وابن جني إلى الحذف ، وفي الحالين لا يخرج فيه التصرف عن وجه معروف في العربية ، وله نظائر عند غير العجاج .

ومن أمثلة القلب أيضاً قوله في وصف القوس<sup>(١١)</sup> :

تُرْنَه في الكَفْ إذا ما أنْضَبَا لِرُتْنانٍ مَحْزُونٍ إذا تَحَوَّبا

و « أنضب » ، أراد بها العجاج « أنْبَضَ » بمعنى جذب وتر القوس لتصوت ، ولعل هذا القلب هو الذي دفع إلى اعتبار « أنضب » لغة في « أنْبَضَ » عند من أشدد بيت العجاج شاهداً على ذلك<sup>(١٢)</sup> .

فالقلب ظاهرة واضحة في أبلية العجاج ، وله نظائر في أشعار غيره ، ومن أمثله عند القطامي ، ما قاله ابن جني : « ومن المقابو بيت القطامي : ما اعتاد حبّ مَليْسَمي حَبْ مَعْتادٍ ولا تَقْضَى بِوَائِ دَيْنِها الطَّيَّادِي هو مقابو عن الواطد ، وهو الفاعل من وَطَدَ يَطْطِدُ ، أي ثبت ، فقلب عن ( فاعل ) إلى ( عائف )<sup>(١٣)</sup> » .

وقال ابن منظور في بيت القطامي أيضاً : « والطادي : الشابت من وَطَدَ يَطْطِدُ فقلب من فاعل إلى عائف ، قال القطامي : ( البيت ) ، قال

(١) شرح تصريف المازني ٥٤/٢ .

(٢) ملحقات الديوان ٥٨/٢ - ٥٩ .

(٣) انظر جمهرة اللغة ٤٣١/٣ ، ومقاييس اللغة ٢٨٠/٢ ، واللسان (نضب) .

(٤) الخصائص ٧٨/٢ .

(١) كتاب سبويه ١٢٩/٢ ، وقال بمثل ذلك في الكتاب أيضاً ٣٧٨/٢ .

(٢) شرح تصريف المازني ٥٢/٢ ، وانظر أيضاً ٦٦/٣ .

(٣) كابن سيده في المخصص ٢٢٢/١ ، وابن السيد في الاقتضاب ٢٣٨ ، وابن القوطية في كتاب الأفعال ٩٥ ، والرضي في شرح الشافية ١٢٩/٣ ، والبغدادي في شرح شواهد شرح الشافية ٣٦٩ .

(٤) مجاز القرآن ٢٦٩/١ .

(٥) الخصائص ٤٧٧/٢ ، ومثله في الخصائص ١٢٩/٢ ، ٢٨٩ .

أبو عبيد : يراد به الواطد ، فأخر الواو وقبلها ألفاً<sup>(١)</sup> .

ومثل ظاهرة القلب ، ما نجد في أبنية العجاج من ظاهرة الإبدال ، والإبدال معروف في العربية ، وله نظائر عند غيره من الشعراء . ومن أمثلة الإبدال عند العجاج قوله - إن صح له هذا البيت<sup>(٢)</sup> :

حتى إذا ما أمسجت وأمسجا

فالجم ربما أبدلت من الياء المشددة في الوقف ، وربما أبدلوها في أحوال نادرة من الياء غير المشددة في الوقف أيضاً ، إلا أن العجاج قد أبدل الجيم من الياء الخفيفة في غير الوقف ، وقال شارح الشافية بعد البيت : « أي أُمسِجَتْ وأُمسَى ، فلما أبدلت الياء جيماً لم تنقلب ألفاً ، ولم يسقط الساكنين ، كالياء في أُمست وأُمسى<sup>(٣)</sup> » ، وقال ابن منظور : « أراد إذا أُمست وأُمسى ، فأبدل مكان الياء حرفاً جليداً شيئاً بها لتصح القافية والوزن<sup>(٤)</sup> » .

ولابد الجيم من الياء في الوقف ذكر سيبويه أنه لغة لبني سعد ، فقال : « وأما ناس من بني سعد فلم يدلو أن الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفية ، فأبدلوا من موضعها أين الحروف ، وذلك قولهم : هذا تميمي ، يريدون تميمي ، وهذا عليّ ، يريدون عليّ » ، وسعت بعضهم يقول : عرتانيّ ، يريد عرتاني ، وحدثنني من سمعهم يقولون :

خالي عوتن وأبو عليّ المطعنان الشحّم بالعشيج  
وبالغداة فلتن البرّيج

(١) اللسان ( وطلد ) .

(٢) ملحقات الديوان ٢/١٣ .

(٣) شرح الشافية ٢٣٠/٣ ، وانظر شرح شواهد شرح الشافية للبغدادي ٤٨٧ - ٤٨٦ ، وشرح صناعة الاعراب ١٩٤ .

(٤) اللسان ( مسأ ) .

يريد : بالعشيج ، والبرّيج ، فزعم أنهم أنشدوه هكذا<sup>(١)</sup> .

وأنشد أبو علي القالي أبيات سيبويه عن الأصمعي عن خلف الأحمر أن رجلاً من أهل البادية أنشده إيتالها<sup>(٢)</sup> ، ثم قال أبو علي : « وقال أبو عمرو ابن العلاء : قلت لرجل من بني حنظلة : من أنت ؟ فقال : فقيميّ . قال : قلت : من أهم ؟ قال : مُرّج . يريد : فقيميّ ومُرّي . وأنشد لحيان بن قحافة السعدي :

يطير عنها الوتر الصهايج

يريد : الصهايّ ، من الصهبة<sup>(٣)</sup> .

وهذا يعني أن إبدال الجيم من الياء في لغة فقيم من قبائل مرة ، أو في لغة بعض بني سعد ، لا تكون إلا في الوقف ، ولكن العجاج جاء بها في غير الوقف ، كما قال أبو النجم :

كأن في أدنابهم الشؤل من عبس الصيف قرون الإجل

وقد أنشدوا بيت أبي النجم بهذه الرواية شاهداً على إبدال الجيم من الياء المشددة في غير الوقف ، لإجاء لها في الرسل مجرى الوقف ، وهو إبدال غير مطرد<sup>(٤)</sup> ، وعليه بيت العجاج ، ولهذا فهو لا يمثل فيه لغة مطردة في

(١) كتاب سيبويه ٢٨٨/٢ ، ونقله البغدادي عن سيبويه في شرح شواهد شرح الشافية ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) أمالي القالي ٧٥/٢ ، ونقلها ابن جني بسنده عن الأصمعي عن خلف الأحمر في سر صناعة الاعراب ١٩٢ ، وشرح تصريف المازني ٧٨/٢ ، وأنشدها دون سند أو عزو إلى أحد في شرح تصريف المازني ١٧٨/٢ ، والرواية فيها جميعاً بزيادة بيت رابع على أبيات سيبويه .

(٣) أمالي القالي ٧٥/٢ ، ونقله عنه ابن جني في سر صناعة الاعراب ١٩٢ - ١٩٣ .

(٤) انظر أمالي القالي ٧٥/٢ ، وشرح صناعة الاعراب ١٩٣ ، والتصريف اللوحي لابن جني ٣٢ ، والإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢٥٩/١ ، والفصل ٣٧٢ ،

لمحة بعض بني سعد ، ولما أقرب ما يكون الى باب الضرورة والحاجة ، ولهذا لم تنف في رجزه على شاهد آخر يدل فيه الجيم من الياء المشددة على لغة بعض قومه ، ولا سيما أنها لغة لا يشترك فيها قومه جميعاً ، ولما هي خاصة بناس منهم كما ذكر سيويه .  
ومن أمثلة الإبدال قوله (١) :

فَإِنْ يَكُنْ أَمْسَى الْبِلْسَى تَيْقُورِي

و « تَيْقُور » هنا أصله « وَيَقُور » ، فأبدل فيه من الواو تاء ، فهو فَيْقُور من الوقار ، وقال سيويه : « وربما أبدلوا التاء مكان الواو في نحو ما ذكرت لك إذا كانت أولاً مضمومة ، لأن التاء من حروف الزيادة والبديل كما أن الهزمة كذلك .. وقد دخلت على المفتوحة كما دخلت الهزمة عليها وذلك في قولهم تيقور ، وزعم الخليل أنها من الوقار كأنه حيث قال العجاج : ( البيت ) ، أراد فإن يكن أَمْسَى الْبِلَى وقاري ، وهو فيقول (٢) .  
وتحدث اللمازي عن قلب الواو تاء أول الكلمة في « تَوَلَّج » ، كيلا يجتمع واوان في أولها ، ثم قال : « وقال الخليل : ومثل ذلك قوله :  
فَإِنْ يَكُنْ أَمْسَى الْبِلْسَى تَيْقُورِي

لأنها هو « فَيْقُور » من الوقار ، وسألت الأصمعي عن ذلك فقال :

كذلك قول الأشياخ . وجعلوا التاء تابعة للواو في هذا ليكون ذلك عوضاً للواو في كثرة دخول التاء عليها (٣) .

ونذهب إلى رأي الخليل وسيويه كل من ابن قتيبة (٤) ، وابن يعيش (٥) ، وأبي الطيب اللغوي (٦) ، والجوهري (٧) ، وأضاف ابن سيده : « وبعضهم يجعل وزنه تَفْعُول (٨) » . ولكن أكثرهم على أن العجاج قد أبدل فيه التاء من الواو .

ومن هذا أيضاً قوله (٩) :

بَعْدَ الْإِنْسَى وَعَرَقَ الْغُرُورِ

وقال الأصمعي في شرحه : « ويقال الإنسى ههنا : الاعياء » . والإنسى : لإدراك الشيء وبلوغه غايته ، أما إذا كان بمعنى الاعياء في بيت العجاج ، فهو مبذل عنده من الونى . والونى : الضعف والفتور والهلاك والإعفاء (١٠) ، وهذا يكون العجاج قد أبدل من الواو همزة دون ضرورة أو حاجة إلى ذلك .

ومن هذا أيضاً قوله (١١) :

غَيْرِ ثَلَاثٍ فِي الْمَحَلِّ مُصَيَّرٍ

- (١) شرح تصريف اللمازي (٢٢٧/١) ، وانظر أيضاً ٣٩/٣ .
- (٢) المعاني الكبير ١٢٢٣/٣ .
- (٣) شرح الفصيح ١٣٨١/٣ .
- (٤) الإبدال ١٥٠/١ .
- (٥) الصحاح ٨٤٩/٢ .
- (٦) الخصص ١٩٣/١٢ .
- (٧) الأجزاء ٥٣/١٩ .
- (٨) انظر اللسان ، والقاموس ( أنى ) و ( ونى ) .
- (٩) الأجزاء ٨/٢٤ .

- وشرح الفصل ١٢٩/٣ ، وشرح شواهد شرح الشافية للبغدادي ٤٨٥ ، والصحاح ١٦٢١/٤ ، واللسان ( أجل ) .
- وجاء البيت برواية « قرون الإبل » على الأصل في جمهرة اللغة ٧١/٣ ، وتهذيب إصلاح النطق ١٤٨/١ ، ومقاييس اللغة ١٥٩/١ ، و ٢١١/٤ ، والمخصص ١٢٥/١٦ ، و تفسير البحر المحيط ٣٦٨/٨ ، واللسان ( أول ) .
- (١) الأجزاء ٢٩/١٩ .
- (٢) كتاب سيويه ٣٥٥/٢ - ٣٥٦ .

وقال المرزباني : « أخبرنا أبو بكر الجرجاني قال حدثنا أبو العيلاء ، قال سئل الأصمعي عن بيت العجاج : ( البيت ) وأصله الواو ، قال حدثني عيسى بن عمر قال : سألت رؤبة عن هذا فقال : تبه به في المصنوعين ، هو مصوم<sup>(١)</sup> » .

فروبة رده إلى الواو ، أما صاحب القاموس فأورد جمعه بالواو والياء « مصوم ومصيم » ، إلا أن قول المرزباني بسنده القوي يكاد يقطع بأن الواو هي الأصل ، وأن الياء قد أبدلتها العجاج لإبدالاً من الواو<sup>(٢)</sup> . ومن ذلك أيضاً قوله - إن صح له هذا البيت<sup>(٣)</sup> -

يحبه الجاهل مالم يعلم

وقال ثعلب : « الأصل : لم يعلم » ، فلما أطلق الميم ردها إلى فتحة اللام ، وأهل البصرة يقولون : أراد يعلمن ، فجعل موضع النون الحفيفة ألفاً<sup>(٤)</sup> ، وإذا أخذنا برأي البصريين ، وجدنا العجاج قد أبدل من النون الحفيفة ألفاً لتصح له قافية البيت .

وظاهرة الإبدال عند العجاج لها نظائر أيضاً في رجز رؤبة ، بل إن رؤبة قد تجاوز الإبدال المعتاد إلى مالا يبدل عادة من الحروف ، إذ قال ابن جني : « ولا تكون الهاء بدلاً ولا زائدة أبداً إلا فيما شئت عنهم<sup>(٥)</sup> » . ثم أنشد شاعداً على هذا الشذوذ قول رؤبة :

غمر الأجارى كريم السبح أبلسج لم يولد بسبح السبح

(١) اللوح ٢١٨ .  
(٢) انظر شرح تصريف المازني ٢/٢ - ٣ .  
(٣) المحذات ١٣/٧٠ .

(٤) مجالس ثعلب ٦٢٠ ، وانظر المقاصد النحوية ٣٢٩/٤ ، وشرح شواهد الفنى ٢٢٦ .

(٥) سر صناعة الإعراب ١٦٦ .

ثم قال : « يريد : السينخ » بالخاء المعجمة<sup>(١)</sup> . والقافية حملت العجاج على الإكثار من فك الإدغام في رجزه ، ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup> .

زحفن الدبا إثر الدبا منذلعييا

وقال الأصمعي في شرحه : « مذلييا : أراد مذليعا ، وهو المتتابع ، فأظهر الباء المدخلة للحاجة » . ومن هذا قوله<sup>(٣)</sup> :

تسكو الوجى من أظلل وأظلل وطول لإملال وتظهر ممئل

وقال الأصمعي في شرح الأول : « والأظلل : ماتحت المتسيم . والوجى : الصفى . وإنما هو « الأظلل » ولكنه أظهر التضعيف<sup>(٤)</sup> » ، ومثل ذلك « ظهر ممئل » فاصلة « مل » ولكنه فك الإدغام للحاجة<sup>(٥)</sup> . ومن ذلك أيضاً قول العجاج<sup>(٦)</sup> :

ولأمير معنين غلغل من حرمرات الله مالم يخلخل

و « يخلخل » أصله « يجل » ولكنه فك الإدغام للضرورة .

ومن هذا أيضاً قوله<sup>(٧)</sup> :

فإن يوضح بالصبير الأقل يرضوا وينسوا خقر التزول

(١) سر صناعة الإعراب ١٩٧ .

(٢) الأرجوزة ٣٢/٧ .

(٣) الأرجوزة ٨٨/١٢ - ٨٩ .

(٤) ومثل ذلك في الخصائص ١/١٦١ ، وشرح تصريف المازني ١/٣٣٩ ، وكتاب الصناعتين ١١٣ ، ومقاييس اللغة ٤٦٢/٣ ، والصحاح ١٧٥٦/٥ ، واللسان ( ظلل ) .

(٥) انظر اللسان ( ملل ) .

(٦) الأرجوزة ١١٨/١٧ - ١١٩ .

(٧) الأرجوزة ١٢١/١٧ - ١٢٢ .

فهـ « الأقل » أصله « الأقل » ، ولكنه فك الادغام للضرورة .  
ومثله أيضاً قوله (١) :

فَوَقَّ الْجَلَّادِي إِذَا مَا أَمَجَّجَا

وجاء في شرحه : « قال أبو حاتم : كان الوجه أن يقول : آمججاً ،  
ولكنه أراد الوزن فحرك الجيم » .

وما هذه إلا « أمثلة يسيرة جداً من فك الادغام في رجز العجاج ، حتى  
إن الأصمعي لم يأخذ نفسه بالتنبية عليها دائماً ، وذلك لكونتها ، أو لجلاء  
أصلها في بعض الأحيان .

وقد حمل ابن جني فكّ الادغام على الضرورة والحاجة (٢) ، ومن أمثله  
عند غير العجاج ، قول قَعْنَبَ الغطفاني :

مَهْلًا أَعَادِلَ قَدَّرْتُ مِنْ تَخْلُفِي أَنِّي أُجُودُ لِأَقْوَامٍ وَإِنْ تَصْنَعُوا

يريد « تصنّوا » فأظهر التضعيف للحاجة (٣) .

ومنه أيضاً قول أبي النجم :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ

يريد « الأجل » فأظهر التضعيف للحاجة (٤) .

ولم يقف العجاج بالضرر عند فك الادغام ، وإنما اتجه إلى تحريك

الساكن ، أو تسكين المتحرك ، ومن أمثلة الأول قوله (١) :

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَى الْحَبِيرَ

ومنه من جعل « الحَبِير » لغة في « الحَبَر » ، وهو السرور (٢) ،  
ومنه من جعل تحريك الأول ضرورة عند العجاج (٣) ، وأما من رواه « الذي  
أعطى الشَّيْر » ، فالكوهم ذهب إلى أن أصله « الشَّيْر » ، ولكن العجاج  
حركه لإقامة الشعر (٤) .

ومن هذا أيضاً قوله (٥) :

فَأَصْبَحَا بِنَجْوَةٍ بَعْدَ ضَرْزٍ مُسَلَّمِينَ مِنْ إِسَارٍ وَأَسْرٍ

وقال الأصمعي في شرحه : « ولما يقال : إِسَارٌ وَأَسْرٌ ، فاحتاج  
إليه فحركه » .

ومن هذا أيضاً قوله (٦) :

وَيَسِّرُ لَنَا دُرُوثَ اللَّيْمِ

وقال ابن قتيبة في شرحه : « وَيَسِّرُ مَسْكَنَةَ الدِّينِ ، فحركه  
ضرورة (٧) » :

ومن هذا أيضاً قوله (٨) :

(١) الأرجوزة ٣/١ .

(٢) المخصص ١٣/١٢ ، واللسان ( حبر ) .

(٣) الصحاح ٦٢١/٢ ، ٦٩٢ .

(٤) تهذيب اصلاح المنطق ١٦٦/١ ، واماني الغالي ١٣٤/١ ، وجمهرة  
اللغة ٢٥٧/١ ، ومجالس ثعلب ٥٢٣ ، والمخصص ٨٠/١٥ ، وانظر اللسان  
( شير ) .

(٥) الأرجوزة ١١-١٢ .

(٦) الأرجوزة ١٩/١٤٢ .

(٧) المعاني الكبير ٧٦٩/٢ ، وانظر اللسان ( يسر ) .

(٨) الأرجوزة ٦٠/٤٤ .

(١) الأرجوزة ٣٣/٩١ .

(٢) انظر شرح تصنيف المازني ٣٣٨/١ ، والخصائص ٣٧٤/٢ .

(٣) انظر كتاب سيبويه ١١/١ ، وشرح تصنيف المازني ٣٣٩/١ ، و٦٩/٢ ،  
٢٠٣ ، والخصائص ١٦٠/١ ، ٢٥٧ ، واللسان ( ضن ) .

(٤) انظر شرح تصنيف المازني ٣٣٩/١ ، والخصائص ٣٤٧/٢ ، وشرح  
ابن عقيل ٣٥٢/٣ ، وجميع الهوامع ١٥٧/٢ ، والايضاح ١٢/١ - ١٤ ، ومتن  
التلخيص ٥ ، ومختصر المعاني ٩ ، والصحاح ١٦٦٠/٤ ، وحسن التوسل ١٧ ،  
وشرح شواهد شرح الشافعية للبغدادي ٣١٢ ، ٤٩١ .

مِنْهُ عَتَايَيْنَ تَرَامِي خَدَفَا

والخَدَفُ : بالتسكين ومعك بحصة تأخذها بين السبابة والإبهام ،  
وحركة للحاجة <sup>(١)</sup> .

ومن هنا أيضاً قوله <sup>(٢)</sup> :

يَشْرَبْنَ بَرْدَ الْمَاءِ شَرْبًا ذَاتِجَا لَا يَتَعَفَّنُ الْأَجْسَاجُ الْمَآجَا  
وَالْمَآجُ : بالتسكين الماء المائع أو المر ، وحركة العجاج للحاجة <sup>(٣)</sup> .  
ومثل هذا أيضاً قوله <sup>(٤)</sup> :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ كِلَابٍ تَهْتَرِشُ هَانِجٌ يُولُّوَالِ وَلَجَتْ فِي حَرَشِ  
وَحَرَشُهُ حَرَشًا : خَدَشَهُ ، وحركة العجاج للحاجة <sup>(٥)</sup> .

وتحرك الساكن في هذه الأمثلة وما إليها لما جاء على سبيل الضرورة  
والحاجة ، ولم يُسَمَّعْ في اللغة بالتحريك ، ولكن هنالك ألفاظاً في اللغة  
وردت بالطالين ، مثل « نَشَرٌ وَنَشَرٌ ، وَشَبَحٌ وَشَبَحٌ ، وَمَعَزٌ وَمَعَزٌ ،  
وَسَعَرٌ وَسَعَرٌ ، وَشَمَعٌ وَشَمَعٌ » ، وهذه الألفاظ صمعت ساكنة  
ومتحركة ، وهي عند البصريين لغات مختلفة لا يقاس عليها ، وأما الكوفيون  
فيقيسون بعضاً منها دون بعض ، وقد لخص ابن جني آراءهم ، فقال : « وأما  
الكوفيون فيصلون ، فيسلكون ما جاء وليس ثابته حرفاً حلقياً كما سمع ،  
ولا يقيسون فيه شيئاً ، نحو « نَشَرٌ وَنَشَرٌ » ، فأما ما كان ثابته حرفاً  
من حروف الحلق ، فإنهم يقيسونه ، ويقولون : إن شئت فحرك ، وإن

(١) انظر اللسان ، والقاموس ( خذف ) .

(٢) ملحقات الديوان ٣/١٣ - ٤ .

(٣) ملحقات الديوان ٣/١٣ - ٤ .

(٤) الملحقات ١/٢٧ - ٢ .

(٥) انظر اللسان ، والقاموس ( حرش ) .

شئت فسكن ، ويجعلون الامر في ذلك مردوداً إلى المتكلم .. وقالوا الربة  
سَجَرٌ وَسَجَرٌ ، وَتَهَرٌ وَتَهَرٌ ، وَصَخَرٌ وَصَخَرٌ ، وَفَحَمٌ وَفَحَمٌ ، وَبَعَرٌ  
وَبَعَرٌ ، وهذه كلها لغات عند أصحابتنا <sup>(١)</sup> ، كذلك قال أبو عمر <sup>(٢)</sup> ،  
والقياس يوجب ما قال ، لأنها سمعت ساكنة ومتحركة ، كما سمع غيرها بما  
لا حرف حلق في ساكناً ومتحركاً ، ويحتاج من فضل بينها إلى دليل <sup>(٣)</sup> .  
والخلاف بين البصريين والكوفيين لا يقدم إلا حول الألفاظ التي سمعت  
بالتحريك والتسكين ، وإن قاس الكوفيون بعضها ، فحجة البصريين واضحة  
في رد ذلك . وأما ما ورد من ألفاظ غيرها ، فهو من باب الضرورات <sup>(٤)</sup> ،  
كأن وردت في أمثلة العجاج المقدمة ، ولها نظائر في أشعار غيره ، كقول  
أبي النجم :

إِنْ يَكْرَهُ عَدَدًا لَا يُحْتَقَرُ وَجِبَلَاتٍ مَعْدَةً فَاشْتَقَرُ  
أَشْمُ لَا يَسْطِيعُهُ النَّاسُ الدَّهَرُ

يريد : الدهر ، فحرك الماء للضرورة <sup>(٥)</sup> .

ومنها أيضاً قول رؤبة :

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِي الْمُحْتَرَقِ مُمْتَنِبِ الْأَعْلَامِ لِمَاعِ الْخَفَقِ  
وقال فيه ابن جني : « فحرك الخَفَقَ ، وهو يريد الخَفَقَ ، للضرورة <sup>(٦)</sup> » .

(١) يريد البصريين .

(٢) يريد أبا عمر الجرمي ، وهو من اساندة أبي عثمان المازني .

(٣) شرح تصريف المازني ٣٠٦/٢ ، وانظر الخصائص ٩/٢ - ١٠ .

(٤) انظر شرح تصريف المازني ٣٠٧/٢ ، والخصائص ٢٢٢/٢ - ٢٢٩ ،

وسر صناعة الاعراب ١٢٨ .

(٥) انظر شرح تصريف المازني ٣٠٦/٢ ، والخصائص ٩/٢ - ١٠ .

(٦) شرح تصريف المازني ٣٠٨/٢ ، والخصائص ٢٢٢/٢ .



ومنها أيضاً قول رؤبة :

«لَمْ يُضِعْهَا بَيْنَ يَرْكٍ وَعَشْقٍ»

وقال فيه المازني : « ولما هو عشق ، فاحتاج فبناه على فَعَل (١) » .

ومنها قول رؤبة أيضاً :

«هَاجِكُ مَنْ أَرَوَى كَمَنْهَاضِ الْفَسَكِ»

يريد « الفك » ، فسهل الادغام وحرك الساكن ، وقال فيه المازني :

« فإنما احتاج إلى تحريكه فبناه على فَعَل (٢) » .

فتحريك الساكن في رجز العجاج ضرب من الضرورات ، ومثله تسكين المتحرك ، ومن أمثلته قوله (٣) :

«فَالْأَسَدُ بَيْنَ مُغْلَضٍ وَخَرَسٍ»

وخرس : مصدر وصف به وسكن ثانياً للحاجة ، فكانه قال : الأسد

بعضهم مُغْلَضٌ ، وبعضهم خَرَسٌ ، أي أخرس ، يقال : خَرَسَ يَخْرَسُ خَرَساً (٤) .

ومن هذا قوله أيضاً (٥) :

«فَاتٍ مُنْتَصَبٌ وَمَا تَكَرَّرَ سَا»

وجاءت رواية البيت في كتب اللغة « فبناه مُنْتَصَباً » ، وقال ابن

(١) شرح تصريف المازني ٢/٣٠٧ ، وانظر أيضاً ٣/٩١ .

(٢) شرح تصريف المازني ٢/٣٠٧ ، وانظر ٣/٩١ . ولتحريك الساكن صور أخرى في أرقامهم لا تخرج عن باب الضرورات ، انظر شرح تصريف المازني ٢/٣٠٦ ، ٣/٣٠٩ ، والخصائص ١/٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢/٩٠٤ ، ٢٥٤ ، ٢٢٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٣) الأرجوزة ٤٣/٥٧ .

(٤) انظر اللسان ، والقاموس (خرس) .

(٥) الأرجوزة ١١/٤٤ .

جني في هذه الرواية : « وما أجري فيه بعض الحرف مجرى جميعه قوله :

( البيت ) ، فأجري « مُنْتَصَباً » مجرى « فَعَل » ، فأسكن ثانياً ، وعليه

حكاية الكتاب : أراك مُنْتَفِئاً (١) » . وقال ابن منظور : « أراد مُنْتَصَباً ،

فلما رأى نصيباً من منتصب ، كَفَفَ ، خَفَفَهُ تخفيف فَعَيْد ، فقال :

« مُنْتَصَباً » (٢) .

ومثل هذا أيضاً ما أنشده ابن جني للعجاج (٣) :

«بِسَبِيلِ الدَّقِينِ يَسْجُورُ»

وقال فيه ابن جني : « وقالوا في قول العجاج : ( البيت ) : أراد

يَسْبِغِل ، فأسكن الباء وحرك الهاء وغير حركة السين (٤) » .

ومن هذا أيضاً قوله في وصف الليل (٥) :

«حَوْمٌ عَدَا فَيُذَبِّحُ حَبِشِي»

وقال الأصمعي في شرحه : « والحبشي : الأسود ، منسوب إلى

الحبش » . ولم يرد « الحبش » بضم فسكون في اللسان أو القاموس (٦) ،

ولما ورد الحبش ، والحبشان ، والأحبش ، والحبيش ، وكان العجاج

قد بناء من « الحبش » بفتحتين ، فضم أوله بعد إسكان ثانياً للحاجة ،

ثم نسب إلى نفسه بإضافة الياء زيادة في تأكيد وصفه بالسواد .

ومن أمثلة التسكين عند غير العجاج قول ابن جني : « فاما قول

(١) الخصائص ٢/٢٥٤ ، ومثله في الخصائص ٢/٣٣٨ ، وشرح الشافية

٥/١٠ .

(٢) اللسان (نصب) ، ورواه « منتصباً » أيضاً في (نصص) و(كردس) .

(٣) الملحقات ٣٢ .

(٤) الخصائص ٢/٣٣٩ .

(٥) الأرجوزة ٢٥/٥٧ .

(٦) اللسان ، والقاموس (حبش) .

القطامي :

وَنُفِخُوا عَنْ مَدَائِنِهِمْ فَنَقَطُوا

وقول أبي النجم :

لَوْ عُصِرَ مِنْهُ الْبَانُ وَالْمَيْسُكَ انْعَصَرَ

فإنما أريد به « نُفِخُوا » ، وعَصِرَ » ، ولكنه خفف بحذف الكسرة (١) .

وذكر سيويه في باب « ما يسكن استغفاً وهو في الأصل عندهم متحرك » ، أن بكر بن وائل وأثأ كثيراً من بني تميم يكرهون الكسرة أو الضمة بعد الفتح ، فيقولون « فَخَذَ وَكَبَدَ وَعَضَدَ » بدلاً من « فَخَذَ وَكَبَدَ وَعَضَدَ » ، ويكرهون الكسرة بعد الضمة ، فيقولون « فُصَدَ وَعُصِرَ » بدلاً من « فُصَدَ وَعُصِرَ » ، ويكرهون نواي الضمتين ، فيقولون « رُسِلَ وَطُنِبَ وَعُشِقَ » بدلاً من « رُسِلَ وَطُنِبَ وَعُشِقَ » ، وكذلك نواي الكسرتين ، فيقولون « إِبِلَ » بدلاً من « إِبِلَ » ، وأما ما تواتر فيه الفتحان فأنهم لا يسكنون منه لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر (٢) .

وكلام سيويه يمكن أن يفسر ما ورد في قول القطامي « نُفِخُوا » ، وقول أبي النجم « عُصِرَ » على أساس لهجة قبائل بكر بن وائل وكثير من بني تميم ، ولكن إذا عدنا إلى ما أورده سيويه لتعارضه بالأمثلة السابقة من رجز العجاج ، وجدنا أن العجاج يسكن في نواي الفتحتين مع أن هذا ليس

من لهجة بكر أو تميم ، ويسكن كذلك مع تصرف في أبنية الألفاظ ، وهذا لأقاعدة له في لهجة قومه ، أو في اللغة بوجه عام ، وإنما هو تصرف خاص به ، لا يخضع لقاعدة ثابتة ، أو لأسس محددة .

وإذا فالعجاج يتصرف بالألفاظ حسب حاجته ، وما تقتضيه الضرائر ، فله أن يقاب في أصوات الكلمة ، أو يبدلها بغيرها ، أو يتركب اللفظ منها ، أو يسكن المتحرك ، أو يحرك الساكن ، وذلك لأنه قد اتخذ لنفسه مبدأ التصرف في اللغة دون أن يجد في ذلك أدنى حرج .

وهذا المبدأ دفع العجاج إلى تصرف آخر في أبنية اللغة ، إذ نجده يستعمل المثنى بدلاً من المفرد ، أو المفرد بدلاً من المثنى ، وربما جاوز ذلك فاستعمل الجمع بدلاً من المفرد ، أو الجمع بدلاً من المثنى ، وهذا ما يجعل الايات بحاجة إلى الدقة والحذر أحياناً لفهم المعاني دون وهم أو ذلل .

ومن أمثلة المثنى بدل الواحد قوله (٣) :

لَا تَحْسَبَنَّ الْخَنَدَقَيْنِ وَالْحَقْرَ

وقد أنشده ابن سلام شاعداً لهذا الاستعمال ، ثم قال : « وهو خندق

واحد (٣) » .

ومن أمثلة المفرد بدل المثنى قوله (٤) :

حَسَىٰ إِذَا الصَّبْحَ لَهُ تَنَقَّسَا غَدَاً بِأَعْلَىٰ سَحَرٍ وَأَجْرَسَا

وقال ابن سيده : « .. وَلَقِيَتْهُ بِسُحْرَةٍ وَسُحْرَةٍ وَسُحْرَةٍ وَبِأَعْلَىٰ سَحَرَيْنِ وَأَعْلَىٰ السَّحَرَيْنِ » ، فأما قول العجاج : ( البيت ) ، فهو خطأ ،

(١) شرح تصنيف المازني ٢٤/١ ، وانظر المخصص ٢٢٠/١٤ .

(٢) كتاب سيويه ٢٥٧/٢ - ٢٥٨ . وانظر صوراً لتسكين المتحرك في الخصال ١٢٨/١ - ١٢٩ ، ٣١٧-٣١٦/٢ ، ٣٢٨-٣٢٧/٢ ، ٣٣٨-٣٣٧/٢ ، والتمام في تفسير أشعار هذيل ٤٢ - ٤٣ ، ١٨٠ . وشرح تصنيف المازني ١٢٤/٢ .

(١) الأروحة ١٧٦/١ .

(٢) طبقات ابن سلام ١٥٠ .

(٣) الأروحة ٤٦/١ - ٤٧ .

كان ينبغي له أن يقول : بأعلى سَحْرَيْنِ ، لأنه أول تنفُس الصبح ، ثم الصبح ، كقوله :

مَوْتٌ بِأَعْلَى سَحْرَيْنِ تَنْدَالُ

أي تسرع <sup>(١)</sup> .

ومن أمثلة الجمع بدل المفرد قوله <sup>(٢)</sup> :

كَأَنَّ فِي فَيْهِ إِذَا مَا سَجَّجَا مَعْدَا دَوَيْنَ الشَّهَوَاتِ مَوْلَجَا  
فَجَعَلَ لِلْحَارِ الْوَحْشِي «لَهَوَات» ، وَلِذَا لَهُ لِهَاءٌ وَاحِدَةٌ <sup>(٣)</sup> .

ومن هذا قوله <sup>(٤)</sup> :

تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ إِذَا مَا وَسَّوَسَا وَالتَّجَّ فِي أَجْيَادِهَا وَأَجْرَسَا  
فَجَعَلَ لِلرَّاءِ «أَجْيَاد» ، وَلِذَا لَهَا جِيدٌ وَاحِدٌ .

ومن هذا أيضاً قوله <sup>(٥)</sup> :

أَوْحَيْتُ كَانَ الْوَلَجَاتُ وَلَجَجَا

وَالْوَلَجَةُ بِالْأَفْرَادِ مَوْضِعٌ بِالرَّمْلِ مِنْ سَقِّ بَنِي تَيْمٍ ، وَقَدْ جَعَلَهُ الْعَجَاجُ  
بِأَحْوَالِهِ ، فَقَالَ : الْوَلَجَاتُ <sup>(٦)</sup> .

ومن هذا أيضاً قوله <sup>(٧)</sup> :

بِيَمْتَلِئُ مَحَلُّهُ الْمَتَاطِرِ مُصْفَرُ الصَّرَى ثَاوٍ عَنِ الْفَرَّاطِ

وَالصَّرَى : الْمَاءُ الَّذِي قَدْ أُطِيلَ حَبْسُهُ فَتَغَيَّرَ ، وَأَرَادَ أَنْ الْمَتَلِ «أَصْفَرُ  
الصَّرَى ثَاوٍ عَنِ الْفَرَّاطِ» فَاسْتَعْمَلَ الْجَمْعَ «صُفْرٌ» بَدَلًا مِنَ الْمَفْرَدِ  
«أَصْفَرُ» <sup>(١)</sup> .

ومن هذا أيضاً قوله <sup>(٢)</sup> :

وَالْحُجُورِ وَتَنَّى الْوَلِيَّ

وَقَدْ أَنْشَدَهُ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ ، وَابْنُ سِيدِهِ ، شَاهِدًا عَلَى اسْتِخْدَامِ  
الْجَمْعِ بَدَلَ الْمَفْرَدِ ، فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ : «وَالْحُجُورُ مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ مُجَبَّرٌ  
بُجْبَرٌ ، فَجَمَعَهُ بِأَحْوَالِهِ» <sup>(٣)</sup> ، وَقَالَ ابْنُ سِيدِهِ : «الْحُجُورُ مَوْضِعٌ يُقَالُ  
لَهُ مُجَبَّرٌ بِجَبْرٍ» <sup>(٤)</sup> .

ومن هذا أيضاً قوله <sup>(٥)</sup> :

يَمْعَجُنَ بِالْأَوْثِيَةِ الْأُمَالِسِ

وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ ، بِالْأَوْثِيَةِ الْمَلَسِ ، عَلَى مَعْنَى الْقَتْفِ لِأَنَّ  
الْمَلَسَ مَذْكَرٌ ، أَوْ بِالْأَوْثِيَةِ الْمَاءِ عَلَى حَقِيقَةِ لَفْظِهَا ، وَلَكِنَّهُ وَصَفَ بِالْجَمْعِ  
بَدَلَ الْمَفْرَدِ ، فَاسْتَعْمَلَ «الْأُمَالِسِ» بَدَلَ الْمَلَسِ أَوْ الْمَاءِ <sup>(٦)</sup> .

ومن أمثلة الجمع بدل المثنى قوله <sup>(٧)</sup> :

جَادَ لَهُ بِالْأَبْلَرِ الْوَسِيمِي مِنْ بَاكِرِ الْإِفْرَاطِ إِشْرَاطِي  
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي شَرْحِهِ : «وَبَاكِرُ الْأَمْطَرَاتِ : يَرِيدُ نَوَاهِ الشَّرْطِطِينَ» .

(١) انظر شرح الأصمعي للبيت .

(٢) الأرجوزة ٦٢/٢٥ .

(٣) المثنى لأبي الطيب ٧٢ .

(٤) المخصص ٢٣٥/١٣ ، وانظر معجم ما استعجم ٥٤٢/٢ ، واللسان  
(حجر) ، وشرح البيت في حاشية الديوان .

(٥) الأرجوزة ١٢/٢٨ .

(٦) انظر شرح الأصمعي للبيت ، وتعلقنا عليه .

(٧) الأرجوزة ٨٧/٢٥ - ٨٨ .

(١) المخصص ٤٧/٩ ، ومثله في اللسان (سحر) .

(٢) الأرجوزة ٨٠/٢٣ - ٨١ .

(٣) المخصص ٢٣٤/١٢ .

(٤) الأرجوزة ٢٠/١١ - ٢١ .

(٥) الأرجوزة ٢٩/٢٣ .

(٦) معجم ما استعجم ١٠٨٢/٣ - ١٣٨٢ ، وانظر شرح الأصمعي للبيت .

(٧) الأرجوزة ١٥/٢٠ - ١٦ .

فجعل الأشراف جمعاً أريد به المثنى ، ومثل هذا ما نجد عند ابن سيدة ،  
والسيوطي ، إذ أنشدا البيت شاهداً لما جاء مجزوعاً وإلنا هو اثنان في الأصل<sup>(١)</sup> .  
وخالف الجوهري فقال : « التَّزْرُطُ : تَجَبُّانٍ مِنَ التَّحَمُّلِ ، وهما قرناه ،  
وللى جانب الشهابي منها كوكب صغير ، ومن العرب من يعده معها ،  
فيقول : هو ثلاثة كواكب يسميها الأشراف<sup>(٢)</sup> » .  
ومن هذا أيضاً قوله<sup>(٣)</sup> :

على كراسيهم ومرفقته

والكرسوع : رأس وحشي الذراع بما يلي الحصر ، فقال « كراسيهم »  
وإلنا له كرسوعان . ولهذا أنشد ابن سيدة ، والسيوطي ، وأبو الطيب اللغوي ،  
هذا البيت شاهداً للألفاظ التي وردت بصيغة الجمع والمعنى بها واحد أو  
اثنان<sup>(٤)</sup> .

وهذا الخروج على أئمة الألفاظ من حيث الأفراد والتثنية والجمع ، له  
نظائر في أشعار العرب ، حلت على أفراد فصول خاصة بها في بعض المصادر<sup>(٥)</sup> .  
ومن أمثلة استعمال الجمع بدل الفرد ، قول عبيد :

أفقرت من أهلي مالمحوب فالقطبيات فالجسوب

وقال ابن جني فيه : « وإنما القطبيات ماء واحد معروف<sup>(٦)</sup> » ، وقال  
ابن منظور : « والقطبيات : ماء بعينه ، فأما قول عبيد : ( البيت ) ،

إلنا أراد القطبيات هذا الماء ، فجمعه بما حوله<sup>(١)</sup> » .  
ومنه أيضاً قول الفرزدق :

وإذا ذكرت أباك أو أبلمه أخراك حيث تقبل الأحجار

وقال فيه ابن جني : « يريد العتجر ، فإنه جعل كل ناحية حجراً ،  
ألا ترى أنك لو مسكت كل ناحية منه ، لجاز أن تقول : مسكت الحجر ..  
وهذا عندي سبب إلقاء لفظ الجماعة على معنى الواحد<sup>(٢)</sup> » .

ومن أمثلة استعمال المفرد بدل الجمع ، ما قاله ابن جني : « وقال شاعر  
بني قريظم :

تأبطت سواة وتحملت شرأ لعلمك أن تكون من المصاب

أي الذين يصايون ، ذهب بالمصاب إلى الجنس ، كقوله أنشدناه أبو  
علي ، وقرأته على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى :

إن تتخلى بامي أو تتعلى أو تضيحي في الظان عن العولي

يريد : في الظانين المولتين . وأنشد ابن الأعرابي :

باحبذا تضحكك بالشفاير وبالعتانين وبالعتاير

على رؤوس كرمؤوس الطائر

يريد : الطير<sup>(٣)</sup> » .

ومن أمثلة المثنى بدل المفرد قول جرير :

بأن القليل يراحتين فتودعوا أو كلما طلعوا لبين أخرج

(١) اللسان ( قطب ) .

(٢) الخصائص ٢/٤٢٢ ، وانظر أمثلة أخرى في التمام لابن جني ١٦٥ .

(٣) التمام لابن جني ١٣٧ ، وانظر سر صناعة الاعراب ٢/٤٩٠ .

(١) المزهري ٢/١٩٢ ، والمخصص ١٣/٢٣٥ .

(٢) الصحاح ٣/١١٣٦ ، وانظر اللسان ( شرط ) .

(٣) الأرجوزة ٤٠/٦ .

(٤) المخصص ١٣/٢٣٥ ، والمزهري ٢/١٩٢ ، وكتاب المثنى لأبي الطيب ٦٩ .

(٥) انظر « باب ما جاء مجموعاً وإنما هو اثنان أو واحد في الأصل » في  
الجزء ١٣ من المخصص ، والجزء الثاني من المزهري .

(٦) الخصائص ٢/٤٢٠ .

وقال ابن جني : « ولما أراد رامة ، أرض واحدة معروفة <sup>(١)</sup> » .

فالخروج عند العجاج على أبنية الألفاظ من حيث الافراد والتثنية والجمع ، له نظائر في أشعار العرب ، وكذلك الأمر في كل ما رأيناه من صور التصرف في أبنية اللغة لديه ، إلا أننا ربما وجدنا شاعداً عند هذا ، وآخر عند ذلك ، ولكننا لانوقف إلى وجود هذه الأنواع جميعاً لدى واحد منهم بعينه ، ومن هنا يمكن أن نحدد الفوارق بين العجاج وغيره من نجد لديه بعض التصرف اللغوي ، فالعجاج قد ركّز على هذا الاتجاه ، وجعله مبدأ له في رجزه ، واتخذ منه ما يشبه الحلية في إغرابه ، وإذا أراد هذه « الحلية » فلا عليه إذا ما عمد إلى تجزئ الألفاظ على هواه ، فأسقط من هذه الكلمة ما أراد ، وبني تلك الكلمة على ما شاء ، لأن ذلك كله قد يعث على الغموض والإبهام في فهم معناها ، ولكنه مع ذلك يحقق الإغراب في اللغة ، والتندرة في الأبنية ، وهذا ما يتغنيه العجاج لالفاظ رجزه .

فالسبيل يقتلع أشجار الزيتون ، ولكن العجاج يختصر هذه الكلمة فلا يبقى منها إلا « الزيت » ، فيقول <sup>(٢)</sup> :

وَبَقِلْعُ النَخْلِ الرُّطَابُ المُرْطَبَا والزَّيْتُ لَمْ يَرُطْ طَبْ وَزَيْتًا أَرُطْلَبَا .  
وقال الأصمعي في شرحه : « يريد بالزيت الزيتون ، أي يقلع الزيتون » .

و « الصييان » جمع معروف لـ « صبي » ، إلا أن العجاج يسقط منه النون والياء ، فلا يبقى منه على غير « الصيا » ، فيقول <sup>(٣)</sup> :

قَدْ عَلِمَ الْمُخْتَارُ إِذْ جَدَّ الحَيَا وَبَلَغَ المَاءُ حِلَاقِمَ الرِّبَا  
مَنْ الَّذِي غَيَّقَ تَغْيِيقَ الصَّبَا

وقال الأصمعي في شرحه : « يقول : من الذي ماج كما يوج الصبيان ولم يقر أمره » .

وجمع « تارة » تارات ، ولكن العجاج حذف التاء ، فصار الجمع « تارا » ، فقال <sup>(٤)</sup> :

وَرِثَسِي تَارًا وَمَا يُجَافِي عَنْ الكَلْسَى وَمَوْضِعِ الحُجَافِ  
ومثل هذا تماماً تصرفه في كلمة « المرارات » جمع « المرأة » ، إذ أسقط منها التاء ، فقال <sup>(٥)</sup> :

وَقَدْ عَلِمْنَا مَعْتَرَاً أَعْتَارَا فَقَتَا أَكْبَادَهُمُ المَرَارَا  
وقال الأصمعي في شرحه : « يقول : أحرق أكبادهم من الغيط ، وفقتات مراراتهم ، انشقت بما احتشت به من الغيط » .  
و « القساة » يحذف العجاج منها التاء ويعوض منها بالتشديد ، فصبح « القسا » فيقول <sup>(٦)</sup> :

أَعْدَاؤُهُ ذَلُّوا وَمَا تَلَّيَسَا يَهْتَضُمُ القَسَا وَلَنْ رِيمَ قَسَا  
وقد تكون « القسا » في البيت أصلاً « القساء » جمع قاس على فُعَال ، ثم قصر الممدود ضرورة ، وبذلك يكون قد جاء بجمع نادر ، لأن « فُعَال » أصله أن يكون جمعاً لصفة صحيحة اللام على زنة « فاعل »

(١) الخصائص ٤٢/٢ ، وانظر اللسان ( روم ) .  
(٢) الأرجوزة ٢٠/٧ - ٢١ .  
(٣) الأرجوزة ٣٦/٧ - ٣٨ .

(١) الأرجوزة ٤٠/٨ - ٤١ .  
(٢) الأرجوزة ٧٣/٣٤ - ٧٤ .  
(٣) الأرجوزة ٧٥/١١ - ٧٦ .

مثل : صائمٌ ومُصَوِّمٌ ، وكاتبٌ وكُتِّابٌ ، ونذرٌ مجيئه من معتل اللام مثل : غايٌ وغَزَّاهُ . ثم تصرف تصرفاً آخر بهذا الجمع النادر ، إذ قصره ففعض أصله ، وأحوج إلى تعدد أوجه التأويل في فهمه .

و « التَّزَانِي » تصبح عند العجاج « التَّوْتِي » ، إذ احتاج إلى تشديد النون ضرورة ، فحذف الألف كيلا يجتمع ساكنان ، فقال (١) :

وَبُرْهَةٌ مِنْ دَهْرِكَ الْمُغْتَنِي مَعَ الْهَوَى وَفَلَّهِ التَّوْتِي  
وتصرف العجاج بكلمة « الحِصَان » ، فشد النون ثم حذف الألف كيلا يجتمع ساكنان فأصبحت « الحِصَن » ، وتصرف كذلك بكلمة « المِثْنَاء » وهي الحَبْل من الصوف أو الشعر ، فأسقط منها بعض الأحرف وغيَّر في حركات الأحرف الأخرى ، فغدت « المِثْن » ، فقال (٢) :  
مِنْ قَدْ قَنَدَ الْفَرَسَ الْحِصْنَ جَارِيَةً لَيْسَتْ مِنَ الْوَحْشَنِ  
لَا تَلْبَسُ الْمِنْطِقَ بِالْمِثْنِ

وتصرف أيضاً بكلمة « الذهب » ، فسكتن ثانيه ثم أضاف النون الثقلية ، فأصبحت « الذَّهْبَيْن » ، وتصرف تصرفاً واسعاً في كلمة « المؤنن » لغة في « المودن » وهو القصير ، فتحوَّلت على يده إلى « الأَدَن » ، فقال (٣) :

كَأَنَّ قَسْرَ طَيْبِهَا مِنَ الذَّهْبَيْنِ نَيْطًا بِجَبِيدٍ لَيْسَ بِالْأَدَنِ  
ويقال رجل أرْمَلٌ وامرأة أرْمَلَةٌ محتاجة ، والجمع أرْمَلَةٌ

- (١) الأرجوزة ١٦/١٥ - ١٦ .  
(٢) الأرجوزة ١٦/٣٦ - ٣٨ .  
(٣) الأرجوزة ١٦/٤٢ - ٤٣ .

وأرامل ، وإسكن العجاج تصرف في هذا الجمع فأسقط التاء من الأولى ، أو أسقط الألف من الثانية ، فقال يمدح والي البصرة (١) :

مُسْتَجْتَمِعُ الْأَمْرِ جَمِيعُ الْأَرْمَلِ

وأراد بـ « الأَرْمَل » : الأرْمَلَة أو الأَرَامِل ، وهم جماعة المحتاجين من رجال أو نساء ، وقوله « جميع الأَرْمَل » ، يريد أنه يجتمع إليه أصحاب الحاجات والمعذون .

وتصرف أيضاً في كلمة « السَّارَة » وهي الظهر ، فأسقط التاء للحاجة فغدت « السَّارَا » ، فقال (٢) :

تَرَى لَصِيرَانِ الْمَهَا الْمَسْرُولِ وَفِي تَسْوَى تَحْتَهُ سَرَاً مَجْلُولاً  
 واحتاج في كلمة « السَّرَاوِيل » إلى حذف الياء فأبقاها على « سَرَاوِل » ، فقال في وصف الثور (٣) :

يَعْمِشِي كَمَشِي الْمَرْحِ الْفَيْخِرِ سُرُولٌ فِي سَرَاوِلِ الصُّفُورِ  
و « المَائِطُ » البعيد ، وتصرف العجاج فيها فأسقط المعزة للحاجة ، فقال (٤) :

حَتَّى تَنْتَاحَ بَعْدَ خَمْسِ مَائِطٍ

وقال الأصمعي في شرحه : « المائط : البعيد ، ولما يريد المائط » . وتصرف كذلك في كلمة « هَمَّأ » لغة في « هَمَّأ » ظرف المكان ، فقلب الألف هاء للوقف ، فأصبحت « هَمَّه » ، ثم قلب الهاء تاء حين أجرى

- (١) الأرجوزة ١٧/٢٦ .  
(٢) الأرجوزة ١٧/٦٢ - ٦٣ .  
(٣) الأرجوزة ١٦/١١٤ - ١١٥ .  
(٤) الأرجوزة ٢/١٤ .

الغافية فقال « هُنْتُ » ، لأن الهاء تصير تاء في الوصل ، ثم عاملها في القطع معاملة إياها في الوصل ، فقال <sup>(١)</sup> :

وكانت الحياة حين حُببتْ      وذكرها هُنْتُ ولات هُنْتُ  
وتصرف أيضاً في كلمة « الحَمام » فأسقط منها ، وبغير في بنائها ، فأصبحت « الحَيمي » ، فقال <sup>(٢)</sup> :

والقاطنات البيت غَيْرَ الرِّيمِ      أوالفيا مكة من وُوقِرَ الحَيمي  
وقد ثابنت الآراء في تعليل هذا التصرف ، وسار البيت شاهداً في كتب اللغة <sup>(٣)</sup> ، وذلك لكثرة ما أوجدوا حوله من أوجه للتأويل ، ولعل أيسرها قول الأعرابي : « يريد الحَمام ، فغيرها إلى الحَيمي ، وفي ذلك أوجه أحسنها عندي وأشبهها بالمستعمل من كلام العرب ، أن يكون اقتطع بعض الكلمة للضرورة ، وأبقى بعضها لدلالة المبتقى على المحذوف منها ، وبنائها بناء يدي ودم ، وجبرها بالإضافة ، وألفها الباء في اللفظ لوصل القافية <sup>(٤)</sup> .. » .

وتصرف أيضاً في « الأُنثى » ، واحدة الأُنثى ، وهي الحجرة توضع عليه القدر ، فأسقط منها التاء للحاجة ، أو تصرف تصرفاً واسعاً في جمعها ، فقال <sup>(٥)</sup> :

رَوائِهمْ لو تَرَأَمَ الأُنثى

ومثل هذا تصرف في كلمة « القُومِيَّة » ، إذ قال <sup>(١)</sup> :

قَتَمَ مِنْ قَوائِمِ قُومِيٍّ

وقوام الرجل : قامته وحسن طوله ، والقومية مثله ، إلا أنه حذف التاء للحاجة ، فقال « قُومِي » أراد قَتَمَ لها من قَوائِمِ قَوامٍ حَسَن . ومثل هذا أيضاً إسقاطه التاء من « رُوبِيَّة » ، وتحويلها إلى « رُوي » في قوله <sup>(٢)</sup> :

حَتَّى نَهَاها حِينَ لا رُوي

وهذه الأمثلة وما إليها تشير إلى أن تصرف العجاج في أبنية اللغة ليس له حدود ، فهو يَسْقِطُ من الكلمة ، أو يزيد عليها ، أو يغيّر من بنائها . وربما وجدنا في أشعار العرب نظائر لبعض هذه التصرفات اللغوية <sup>(٣)</sup> ، كقول رُوبِيَّة مثلاً في الحذف :

حَتَّى إِذَا بَلَّغْتَ حَلَاقِمَ الحُلُقِ

أراد « الحُلُقُ » ، فأسقط الواو للحاجة <sup>(٤)</sup> .

ومنه أيضاً قول رُوبِيَّة :

وَصَارَنِي العَجَّاجُ فَيَا وَصِنِي

(١) الأرجوزة ٣٣/٢٥ .

(٢) الأرجوزة ١٨١/٢٥ .

(٣) انظر الخصائص ٨٠/١ - ٨١ ، ١٦٥ ، ٢٨٢ ، ٢٩٢/٢ - ٢٩٣ ، ٣١٦ - ٣١٧ ، ٤٢٦ - ٤٢٨ ، ٤٣٨ ، وشرح تصريف المازني ٣٤٨/١ - ٣٤٩ ، ٤٩/٢ - ٥٠ ، وشرح صناعة الاعراب ٢٩ - ٣٠ ، ١٢٨ ، ١٦٣ - ١٦٤ ، وتأويل مشكل القرآن ٣٢٨ ، ولياب التأويل ٢٠/١ ، وأنوار التنزيل ٣٧/١ ، وتفسير البحر المحيط ٣٥/١ ، واللسان : ( سب ) ، ( صهب ) ، ( هضب ) ، ( رذذ ) ، ( بيض ) ، ( انف ) ، ( صرف ) ، ( الل ) ، ( آدم ) ، ( اجن ) ، ( شان ) ، ( مني ) .

(٤) شرح تصريف المازني ٣٤٨/١ ، والعمدة ٢١٠/٢ .

(١) الأرجوزة ٦٤/٢٢ - ٦٥ .

(٢) الأرجوزة ٤٦/٢٤ - ٤٧ .

(٣) انظر كتاب سيبويه ٨/١ ، والخصائص ٤٧٣/٢ ، والعمدة ٢٠٨/٢ ، وتأويل مشكل القرآن ٣٢٧ ، والمقاصد النحوية ٥٥٦/٣ ، ٢٨٥/٤ ، وجمع الهوامع ١٨١/١ ، وحاشية الخفزي ٢٢/٢ ، والصاح ١٩٠٦/٥ ، والمختص ١٧/١٠٧ ، واللسان ( الف ) و ( حم ) .

(٤) تحصيل مئين الذهب ٨/١ .

(٥) الأرجوزة ١٤/٢٥ .

أراد « فيا وَصَّاني » ، فأسقط الألف للحاجة (١) .

ومنه أيضاً قول جندل بن المثنى الطبري :

وَكَحَلَّ الْعَيْنَيْنِ بِالْعَوَاوِرِ

أراد « العَوَاوِر » جمع عَوَّار ، فحذف الباء للحاجة ، ولم يميز الواو لأنها دلالة على الياء المحذوفة ، وتثنية للمعنى المواد مع الياء (٢) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً مقالة ابن جني : « وقد يحذفون بعض الكلام استغفافاً ، حذفاً بخلٍ بالبقية ، ويعرض لها الشبه ، ألا ترى إلى قول علقمة :  
كَأَن لِّبَرِيقِهِمْ ظِلِّي عَلَى شَرْفٍ مُّغْدَمٌ بِسَبَابِ الْكَتَّانِ مَلْسُومٌ

أراد : بسباب . وقول لبيد :

دَرَسَ الْمَتَا بِمَتَالَعٍ فَأَبْتَانِ

أراد : المنازل . وقول الآخر (٣) :

حِينَ أَلْفَتْ بَقَاءَ بَرَكَةٍ وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلَ فِي عَبْدِ الْأَشْلِ

يريد : عبد الأشهل من الأنصار . وقول أبي ذؤاد :

يَذَرِينَ جَنْدَلَ حَائِرٍ لِّجُنُوبِهَا فَكَأَنَّمَا قَدْنِي سَنَابِكُهَا الْعَبَا

أي تصب بالحصى في جريها جنوبها ، وأراد : الحياجب . وقال الأخطل :

أَمَسَتْ مَنَاخًا بِأَرْضٍ مَا يَبْلَغُا بِصَاحِبِ الْهَمِّ إِلَّا الْجَسْرَةَ الْأَجْدُ

(١) الخصائص ٢/٢٩٣ ، ٣١٦ .

(٢) كتاب سيبويه ٢/٣٧٤ ، والخصائص ١/١٩٥ ، وشرح تصريف المازني

٤٩٦/٢ ، و٥٠/٢ .

(٣) هو عبد الله بن الزبيري كما في اللسان ( برك ) ، ورواية اللسان :  
« حين حككت » .

قالوا : يريد منازلها ، ويجوز أن يكون منالها : قصدها (١) .

فهذه الأمثلة وما إليها تشير إلى وجود نظائر لبعض تصرفات العجاج في أبنية اللغة ، ولكنها محدودة في أشعار غيره ، إذ لا نجد عند شاعر واحد هذا الحشد الزاخر من التصرف الجريء في ألفاظ اللغة وأبنيته ، كالذي رأيناه عند العجاج ، فشاعرهم قد يخرج على الأبنية المألوفة في بيت أو أبيات قليلة ، ولكنه لا يجعل من ذلك منبعا يلتزمه في أشعاره ، أما العجاج فقد اتخذ من ذلك مبدأ عمل به ، و التزم جانبه ، لما وفر في نفسه من شغف الناس بغرائب الألفاظ ونوادر الأبنية .

#### ٥ - التصرف في قواعد النحو

ولم يقف العجاج عند التصرف في بنية الألفاظ أو معانيها ، وإنما تجاوز ذلك إلى بعض الروابط النحوية المألوفة في اللغة ، بما جعل من رجزه أحيانا مادة للخلاف الواسع بين النحاة ، ولا سيما بين مدرستي الكوفة والبصرة ، فالبصريون لا يلتفتون إلى كل مسموع ، ولا يقسون على الشاذ ، وإذا ما عرض لهم ذهبوا به إلى تأويلات بعيدة حتى لا يخالف الأصول ، أما الكوفيون فيقفون على الشاذ أو النادر ، ولو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وتبرؤوا عليه ، وهذا كله مخالف للبصريين (٢) ، ومن هنا كان خروج العجاج على ما ألف القواعد النحوية أحيانا يؤدي إلى الخلاف بين المدرستين واتساع التأويل في أبيات رجزه .

(١) الخصائص ١/٨٠ ، ٨١ ، وانظر فصلا لابن جني سماه « فصل في التحريف » أورد فيه بعض هذه الأمثلة أيضا : الخصائص ٢/٤٣٦ - ٤٣٨ .  
(٢) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ١٠٠ ، ١٠٢ .



ومن أمثلة خروجه على مألوف القواعد النحوية ، إدخاله « الكاف »  
على الضمير في قوله <sup>(١)</sup> :

خَلَسَ الذَّمَّاتِ شِمَالًا كَتَبًا وَأُمُّ أَوْعَالٍ كَنَّا أَوْ أَقْرَبًا  
ودخول الكاف على الضمير شاذ في الاستعمال لا في القياس ، إذ القياس  
أن تدخل على الاسم ظاهراً أو مضمراً ، ولكنهم استغنوا عنها بـ « مثل »  
في الدخول على الضمير ، فقالوا « مثلاً » بدلاً من « كها » ، ولهذا جعل  
النحاة بيت العجاج شاذاً ، وحملوه على الضرورة <sup>(٢)</sup> .

وشبه بهذا إدخاله « عن » على الكاف في قوله <sup>(٣)</sup> :

يَضْحَكُنَّ عَنْ كَالْبَرِّ الْمُتَنَبِّه

ونذهب النحاة في هذا البيت إلى أن الكاف اسمية بمعنى « مثل » ،  
ولولا ذلك لم يدخل عليها حرف الجر « عن » ، ثم اختلفوا فيه ، ففهم من  
أجاز اسمية الكاف في الكلام والشعر ، ومنهم من خصص ذلك بالشعر حملاً  
على الضرورة <sup>(٤)</sup> .

ومن ذلك أيضاً تقديمه جزءاً من صلة « أن » عليها ، في قوله <sup>(٥)</sup> :

(١) اللحقات ٤٢/٢ - ٤٣ .

(٢) انظر كتاب سيبويه ٣٩٢/١ ، والمفصل ٢٨٩ ، وشرح المفصل  
١١٠١/٣ ، وأوضح المسالك ١٢٤/٢ ، وشرح الشافية ٣٤٥/٤ ، وشرح ابن  
عقيل ٩/٢ ، والخزانة ٢٧٧/٤ ( بولاق ) ، والمقاصد ٢٥٢/٣ ، وشرح المقامات  
للشربسي ١٤٥/٢ ، ومفتاح العلوم ٥٢ .

(٣) اللحقات ٤/٦٩ .

(٤) انظر أسرار العربية ٢٥٨ ، والمفصل ٢٨٩ ، وأوضح المسالك ١٤٧/٢ ،  
ومغني اللبيب ١٥٤/١ ، وشرح شواهد المغني ١٧١ ، والمقاصد النحوية  
٢٩٥/٣ ، وخزانة بولاق ٢٦٢/٤ .

(٥) اللحقات ١/١٦ - ٣ .

رَبْنَهُ حَتَّى إِذَا تَمَعْنَدَدَا وَأَضَّ تَهْدَا كَالْحِصَانِ أَجْرَدَا  
كَانَ جَزَائِي بِالْعَصَا أَنْ أَجْلَدَا

فالقراء جعل البيت الأخير شاهداً على جواز تقديم معمول « أت »  
المصدرية عليها ، لأن قوله « بالعصا » متعلق بـ « أجلدا » و « أجلد »  
معمول « أن » . وأنكر البصريون ذلك ورواوا أن معمول الصلة من مقام  
الصلة ، وإذا كان لا يجوز تقديم الصلة على « أن » ، فكذلك لا يجوز أن يتقدم  
عليها جزء من الصلة ، وأجابوا عن بيت العجاج بأنه نادر ، وأن قوله « بالعصا »  
متعلق بأجلد مقدراً ، أي « كان جزائي أت أجلد بالعصا أن أجلد » ثم  
اختصر <sup>(١)</sup> . ولهذا فقد شجر الخلاف بين علماء الكوفة والبصرة حول هذا  
البيت ، ومن ثم كثرت التأويلات حوله عند النحاة <sup>(٢)</sup> .

ومن هذا أيضاً حذفه حرف النداء من النكرة ، في قوله <sup>(٣)</sup> :

جَارِي لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي

أراد « بإجابة » ، فوخم يلسقاط الناء ، وحذف حرف النداء مع أن  
« جارية » نكرة لا تعرف إلا بالنداء ، وإلغا يطرد الحذف من المعارف ،  
ولهذا حملا بيت العجاج على التثنية والضرورة <sup>(٤)</sup> .

ومن ذلك أيضاً ردّه كلمة « الفم » إلى الأصل من غير إضافة ، في

قوله <sup>(٥)</sup> :

خَالَطَ مَنْ سَلَّمَ خِيَا سِمَ وَفَا

(١) خزانة الأدب ٥٦٢/٣ ( بولاق ) .

(٢) انظر الخزانة ٥٦٣/٣ - ٥٦٤ ( بولاق ) .

(٣) الأرجوزة ١/١٩ .

(٤) انظر كتاب سيبويه ٣٢٥/١ ، والمفصل ٤٤ - ٤٥ ، وشرح المفصل  
١٨٠/١ ، والوساطة ٣٥١ ، والمقاصد النحوية ٢٧٩/٤ ، والخزانة ١٠٨/٢ .

(٥) الأرجوزة ٢٤/٤٤ .

فأصل الفم « فَنَوَة » ، فحذف منه الهاء وأبدل من الواو ميماً ليصح تحريكها في الإعراب ، فإذا أضفناه رددته إلى الأصل فقلت : فاه ، وفوه ، وفيه ، حسب موقعه من الكلام ، وأما قول العجاج « وفا » دون إضافة ، فقد اختلفت فيه الآراء ، من النجاة من قال : إنه شاذ وفيه ضرورة ، ومنهم من قال : إنه حذف المضاف للعلم به ، ومنهم من قال أيضاً : إبت ألف « فا » هي عين الفعل ، ومنهم من جعل حكمها أن تكون بدلاً من التنوين والمنقلة من العين سقطت لاتقاء الساكنين لأنها هي الساكن الأول (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً تقديمه المستثنى أول الكلام ، في قوله (٢) :

وَحَفَقَتْ لَيْسَ بِهَا طُورِيْهُ وَلَا خَلَا الْجِنُّ بِهَا لَيْسِيْهِ

وهذا البيت قد احتج به الكوفيون على جواز تقديم المستثنى أول الكلام ، ونص على جواز ذلك الكسائي ، وأبو إسحق الزجاج في بعض المواضع ، ونذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز ، وقالوا في تقدير هذا البيت : وبداة ليس بها طوري ولا لئسي خلا الجن ، فحذف « لئسي » وأضمر المستثنى منه ، وما أظهره تفسير لا أخره (٣) .

ومن ذلك إتباعه الحرف حركة الحرف المجاور ، في قوله يسدح والي اليملة (٤) :

- (١) انظر الصحاح ٢٢٤٤/٦ ، والمخصص ١٣٦/١ - ١٣٨ ، ٩٦/١٤ ، وأوضح المسالك ٢٨/١ ، والمفاهيس ١٥٢/١ - ١٥٤ ، والخزانة ٤٠٥/٣ - ٤٠٦ ، ٣٢٢/٤ - ٣٢٤ ، وخزانة بولاق ١٣٥/٣ ، واللسان (فهم) و (فوه) .
- (٢) الأرجوزة ٦٥/٢٥ - ٦٦ .
- (٣) انظر الانصاف ٢٧٣/١ ، وهمع البواهر ٢٢٦/١ ، والخزانة ٢٨٤/٣ .
- (٤) الأرجوزة ٤٤/١٧ - ٤٦ .

سَامٍ إِلَى الْمَعْلَاةِ غَيْرُ حَبْلٍ . كَثَرٌ وَلَا مُزَلٌّ كَوْنُ أَلَدٍ  
وَصَالٌ لِإِخْوَانِ النَّدَى مُوَصَّلٌ

فقوله « وصال » بالكسر ، كان حقه أن يقال « وصال » بالضم ، لأنه خبر ثلث على تقدير : « هو سامٌ غيرُ حَبْلٍ » وصالٌ لِإِخْوَانِ » ، أو خبر عن محذوف على تقدير : « هو وصالٌ » ، ولا يجوز أن يتبع حركة الصفات السابقة عليه لأنها واقعة في حيز النفي ، والنفي لا يجوز عليه من حيث المعنى ، ولهذا كان لابد أن يكون « وصالٌ » بالضم ، إلا أن العجاج أتبع اللام حركة المفعلة بعدها ، ثم أتبع « موصلٌ » لفظ « وصال » ، وبذلك استقام له العروض ، وإلا فالبيت كان ينبغي أن يكون :

وَصَالٌ لِإِخْوَانِ النَّدَى مُوَصَّلٌ

على الأقوال .

ومن هذا أيضاً استعماله المبتدأ مكان المنفي في قوله (١) :

وَالشَّدَائِنَاتِ بُسَاطِنُ النَّعْرِ

وقال الأصمعي في شرحه : « ليس أحد يقول : بُسَاطِنُ النَّعْرِ ، ولا طَرَحَتِ نَعْرَةٌ » ، إنما يقال : ناقة ما حملت نَعْرَةً قط ، وما قرأت سَلَى قط ، ولم يكن في بطنها ذلك » . وقال ابن سبويه : « قال ابن السكيت : ما حملت الناقة نَعْرَةً » ، أي مَلَقُوها ، حكاه في النفي ، قال : واستعمله العجاج في غير المجد فقال : ( البيت ) (٢) . فالعجاج لم يلزم نفسه بالنفي المؤلف مع هذه العبارة ، وإنما استعملها دون نفي ، ولهذا قال الأصمعي في شرحه أيضاً : « وقد علم أن الناس يعملون ما أراد العجاج

- (١) الأرجوزة ٦٣/١ .
- (٢) المخصص ١٩/٧ ، وانظر الصحاح ٨٣٢/٢ ، واللسان (نمر) .

بهذا ، فجعله على المعنى ، فقال : يساقطن الشعر .

ومن هذا أيضاً وصفه بجملة إنشائية - إن صحّ له هذا البيت (١) :

جاءوا يمدّني هل رأيت الذئب قطّ

والجملة التي تقع نعتاً ، شرطها أن تكون خبرية ، ولهذا جعلوا جملة « هل رأيت الذئب قط » الاستفهامية ، نعتاً لـ « مدّني » على تقدير القول ، أى جاءوا بمدّني يقول من رآه : هل رأيت الذئب قط (٢) .

وهذه الأثلة وما إليها ، إن صحّ التأويل فيها صناعة ، فهي لا تخرج عن الضرورة الشعرية ، ولئن كان بعض قدامى النقاد يأخذون على الشعراء خروجهم على قواعد اللغة (٣) ، فهذا حكم لا يمكن أن يجري على العجاج ، ذلك لأن مبدأه في التصرف اللغوي ، جعله يتساهل في بعض الروابط النحوية ، فيخرج عن قواعدها المألوفة ، وبذلك ترك النجاة في خلاف واسع حول مشكلاتها .

والاشتكال في رجز العجاج قد لا يتأتى عن مخالفته بعض قواعد اللغة ، ولنا لاعتاده أساليب الحذف ، أو الحل على المعنى ، أو القلب المعنوي ، أو التصرف في الضمائر ، أو التصرف في الجموع ، وهذا مايجوز إلى تأويل البيت أو الخلاف بين النحاة أحياناً .

ومن أمثلة الحذف قوله (١) :

تحت الذي اختار له الله الشجر

يرد « من الشجر » ، فحذف حرف الجر (٢) .

ومن هذا أيضاً حذفه الفاعل من فعلين متتاليين دون قربة واضحة ، في قوله (٣) :

واستعرت سموق الضراب واستعرت منه همأذي إذا حرّت وحرّ

وقال الأصمعي في شرحه : « وقوله ( حرّت وحرّ ) ، يقول : حرّت المهاضي وحرّ القتال » ، اشتد حرها واستعرت .

ومن هذا أيضاً حذفه صلة في قوله (٤) :

بعد اللثي واللثي والثبي إذا علّتها أنفُسُ تردّت

فقد أنشد سيبويه البيت الأول شاهداً على حذف صلة التي (٥) ، وعلّق الأعلام عليه بقوله : « الشاهد فيه حذف صلة التي اختصاراً لعلم السامع بما أراد ، هذا تقدير سيبويه ، وبعده :

إذا علّتها أنفُسُ تردّت

وهذا يكون صلة التي ، فلما أن يكون سيبويه لم يرو هذا بعده ، ولما أن يكون قد رواه فجعله صلة للتي وحدها ، وحذف صلة اللثيا فيكون الشاهد في ذلك ، وحسن حذف صلة « اللثيا » لتضغيرها الدال على شاعيتها ،

(١) الأروحة ١٢/١ .

(٢) انظر مجاز القرآن ٢٢٩/١ ، وتاويل مشكل القرآن ١٧٧ ، وكتاب الصناعتين ١٣٩ ، واللسان ( خير ) .

(٣) الأروحة ١١٢/١ - ١١٣ .

(٤) الأروحة ٥٣/٢٢ - ٥٤ .

(٥) كتاب سيبويه ٣٧٦/١ .

(١) ملحقات الديوان ٦/٤٦ .

(٢) انظر الانصاف ١١٥/١ ، وأوضح المسالك ٨/٣ ، والمغني ١٩٩/١ ،

وشرح شواهد المغني ٢١٤ ، والكشاف ٣٧٣/١ ، والخزانة ٩٣/٢ - ٩٦ ،

٢٦/٣ ، وخزانة بولاق ٤٨٢/٢ ، ٢٩٥/٤ ، والمقاصد النحوية ٦١/٤ .

(٣) انظر ذم الخطأ في الشعر لابن فارس ٣٠ - ٣١ ، والموازنة ٢٧ ،

واعلام الكلام ٣٧ - ٣٨ .

بَنَهَبْنَ فِي تَجَدُّ وَغَوْرًا غَاثًا  
فقد نصب « غَوْرًا » حملا على موضع « تَجَدُّ » ، لأن معنى  
« ينهبون في نجد » و « يسكنون نجدًا » واحد ، فكأنه قال : يسكنون  
نجدًا وغورًا غاثرًا<sup>(١)</sup> .

ومن هذا أيضاً قوله<sup>(٢)</sup> :  
كشعاً طوى من بلدٍ مُخْتَارَا مِنْ يَأْسَةِ الْيَائِسِ أَوْ حَذَارَا  
فقد نصب « حذارا » حملا على موضع « يَأْسَةِ » ، لأن قوله « طوى  
كشعاً من يأسِ اليائس » بمعنى « طواه يأسَ اليائس » ، فكأنه قال :  
طوى كشعاً يأسَ اليائس أَوْ حذارَا<sup>(٣)</sup> . والمفعول لأجله يجوز جرّه بحرف  
جرّ دال على التعليل ولو استوفى شروط النصب .

ومن أمثلة القلب المعنوي قوله<sup>(٤)</sup> :  
مُحْتَمَلِينَ فِي الْأَزِمَاتِ السَّخَرُ  
وَالْأَزِمَاتُ : جَمْعُ الْإِزْمَةِ ، وَالْأَخِيرَةُ جَمْعُ زِمَامٍ . وقال الأصمعي  
في شرحه : « وقوله ( في الأزِمَاتِ السَّخَرُ ) ، والسخرة : غرة الأنثى ،  
وهي طرف الأنثى ، فجعل الأزمة فيها » ، ثم قال : يقول : فهم معلقون  
في الأزِمَاتِ السَّخَرُ ، جعلوا أزمّة الإبل في مناخرها وسافروا ، وهذا يعني  
أن في البيت قلباً معنوياً ، لأنه أراد : محتملين الأزمّة في الأنوف ، لأن

لأنهم قد بصغرون الشيء على معنى التعظيم والتشنع<sup>(١)</sup> .  
ومن ذلك أيضاً حذفه الموصوف بشكل غامض ، في قوله<sup>(٢)</sup> :  
يَوْمُونَ حَذَّ الْيَوْمِ ذِي التَّاجِرِ وَلُجْبَةُ الظِّلْمِ بِالْجَبْرِ  
بِأَعْيُنٍ سَاهِمَةٍ وَهُمْ

فقوله « سَهَمَ » ليس من نعت « أَعْيُنَ » ، وإنما هو نعت لحذوف ،  
فكأنه قال : « بِأَعْيُنٍ سَاهِمَةٍ وَلِبِلٍ سَهَمٍ » . وحذف الموصوف على هذا  
النحو يقع في شيء من الغعوض واللّبس ، لأنه ليس من قرينة تشير إليه  
في الكلام .

ومن هذا أيضاً حذف ( قد ) ، في قوله<sup>(٣)</sup> :  
لَمْ يَكْ يَنْدُ فَأَمْسَى انْسَادَا  
وقال الجوهري : « أي قد أناد ، فجعل الماضي حالاً باختمار ( قد ) ،  
كقوله تعالى<sup>(٤)</sup> : أَوْ جَاؤَكُمْ حَصِيرٌ صَدُورُهُمْ<sup>(٥)</sup> » . وهذا رأى البصريين  
ماعدا الأخفش ، فهم يرون أن « قد » يجب دخولها على الماضي الواقع حالاً  
إما ظاهرة أو مقدرة ، وخالفهم الكوفيون والأخفش فقالوا : لا تحتاج لذلك  
لكثرة وقوعه حالاً دون « قد » والأصل عدم التقدير ولاسيا في ما كثر  
استعماله<sup>(٦)</sup> .

ومن أمثلة الحذف على المعنى لاعلى اللفظ قوله<sup>(٧)</sup> :  
(١) تحصيل عين الذهب ٣٧٦/١ ، وانظر كتاب سيبويه ١٤٠/٢ ،  
والغني ١٦٦/٢ .  
(٢) الأرجوزة ٥٩/٢٤ - ٦١ .  
(٣) ملحقات الديوان ٤/١٧ .  
(٤) سورة النساء ٨٩/٤ .  
(٥) الصحاح ٤٣٩/١ .  
(٦) انظر مقني اللبيب ١٤٩/١ .  
(٧) ملحقات الديوان ٦/٢٥ .

(١) تحصيل عين الذهب ٤٩/١ ، وانظر كتاب سيبويه ٤٩/١ ،  
والخصائص ٤٣٢/٢ ، وشرح شذور الذهب ٣٣٢ .  
(٢) الأرجوزة ٣٤/٣ - ٤ .  
(٣) انظر كتاب سيبويه ٣٣/١ - ٣٥ ، وتحصيل عين الذهب ٣٥/١ ،  
والانصاف ٣٣٣/١ .  
(٤) الأرجوزة ٨٢/١ .

الأَنُوف هي التي تحمل الأَزمة ، وقد ضَمِنَ « محمِلين » معنى « واضعين » ،  
ولذلك عدّها بـ « في » .

ومن هذا أيضاً قوله (١) :

تَعْمَأُ بِكُلِّ مَشْرِفٍ مِخْفَقٍ مَطْرِدٍ الْقِدْرِ قَوَاقِرُ الرُّتُونِ  
يَشْقَى بِأَمِّ الرَّأْسِ وَالْمُطَوَّقِ

وقال الأَصمعي في شرحه : « ومطرّد : يعني السيف ، إذا هَزَّ أَطْرَدَ  
هَزَّهُ ، لا يَهْتَزُّ بعض دون بعض ، وأَمُّ الرأس : جلدة رقيقة على الدماغ .  
والمُطَوَّق : العنق ، وإلما أراد موضع الطوق ، وإذا مقلوب ، والمعنى أن  
الرأس والعنق يشقيان بالسيف » .

ومن هذا قوله أيضاً (٢) :

وَحَابَسَ النَّاسُ الْأُمُورَ الْحَبَسَا

وأنشده المازني رواية قوية السند : « وَحَبَسَ النَّاسُ » ، فقال :  
« أخبرني الصولي قال حدثنا القاسم بن إسماعيل قال حدثنا محمد بن سلام قال  
سمعت يونس ، يقول : كان رُؤْيَا عِنْدِي ، فقال رجل مامعني قول العجاج :  
وَحَبَسَ النَّاسُ الْأُمُورَ الْحَبَسَا

فقال له رُؤْيَا : قَلَسَ وَبَلَكَ (٣) » .

ومن هذا أيضاً قوله (٤) :

فَإِنْ يَكُنْ نَاهِي الصَّبَا مِنْ سَيْي

وقال الأَصمعي في شرحه : « قوله ( فإِنْ يَكُنْ نَاهِي ) ، يقول :  
كَفَّ سَيْيَ مِنْ الصَّبَا » . ومن الواضح أن الأَصمعي يشير إلى ما فيه من قلب  
معنوي ، لأن تقدّم السنّ هو الذي يكفّ من الصبا والشباب .

ومن أمثلة التصرف في الضائر قوله (١) :

غَرَاءُ مِسْقَابٍ لِفَحْلٍ سَرَطِيمٍ قِرَاسِيَاتٍ شَأْنُهُنَّ ضَيْغَمٍ  
مَنْهَرَتِ الْأَشْدَاقُ غَضَبٌ خَمَضَمٍ

والقِرَاسِيَات : الضخام الهام . والشؤون : قبائل الرأس ، وهي أربع ،  
كلّ قِيْلَةٍ شَأْنٌ . وقوله « قِرَاسِيَاتٍ شَأْنُهُنَّ » ، أراد « قِرَاسِيَاتٍ شُؤْنُهُنَّ » ،  
فجعل الشأْنَ بمعنى الجنس لاجتماع المفرد ، ثم ردّ ضمير « شَأْنُهُنَّ » إلى « غَرَاءُ »  
و « فحل » ، فنعتهما بضخامة الرأس ، ثم عاد إلى نعت الفحل بمفرده ،  
فقال : « ضَيْغَمٌ .. مَنْهَرَتِ » ، وبذلك تصرف بضائر البيت حسب حاجته ،  
ثلاثة يردّها إلى الجمع وطوراً إلى المفرد ، وهذا يوقع في إيهام وغوض ،  
ويجوز إلى دقة ودروية في التأويل .

ومن هذا أيضاً قوله في وصف الأثافي (٢) :

رَوَايِمٌ لَوْ تَسْرَأُمُ الْأَنْثَى كَذَّائِمٌ أَوْ يَرَأَمُ الْحَرَى  
طَلَسَى الرَّمَادُ اسْتَرَيِمَ الطَّلَسَى

شَبَّ تَعَطَّطَ الْأَثَافِي عَلَى الرَّمَادِ تَعَطَّطَ عَلَى الْبَرِّ . وقد  
سبق القول إلى أن « الأثافي » هنا أصله « الأثفية » فأسقط العجاج التاء  
للحاجة ، وقد عامل الأثفية بالتأنيث على حقيقة معناها فقال « لَوْ تَرَأَمَ » ،

(١) الأرجوزة ١١٠/٢٤ - ١١٢ .

(٢) الأرجوزة ١٤/٢٥ - ١٦ .

(١) الأرجوزة ١٤/١٠ - ١٦ .

(٢) الأرجوزة ٦٤/١١ .

(٣) الموضح ٢١٨ - ٢١٩ .

(٤) الأرجوزة ١٧/١٦ .

ثم عاملها بالتذكير على معنى الحجر فقال « كذّانه » فردّه إليها ضمير الغائب بدلاً من ضمير غائبة مفردة ، ولا شك أن هذا يحتاج إلى آفة وتبصر حتى يفهم المعنى بدقة ، ولا سيما أنه لا ضرورة في البيت ، إذ يمكن أن يقول « كذّانها » ، ولكن منعه في الأغواب جعله يتبع كل وسيلة تؤدي به إلى هذا الغرض الذي أرادته لرجزه .

ومن أمثلة التصرف في الجمع ، قوله في وصف الصيد <sup>(١)</sup> :

ذِي نَبَعَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَرْمَلٍ وَسَلْجَمَاتٍ ذَرِبَاتِ الْأَنْصُلِ  
وَالسَّلْجَمُ : السهم الطويل العريض ، وجمعُه سَلَاجِمٌ <sup>(٢)</sup> ، إلا أن العجاج خرج على مألوف جمعه في اللغة ، فجمعه جمع سلامة المؤنث .

ومن هذا أيضاً قوله في وصف كلاب الصيد <sup>(٣)</sup> :

وَشَمْنٍ فِي الْغُبَارِ كَالْأَخْطَاطِ

أراد أن الكلاب دخلن في الغبار كأنهن خطوط ، وقال ابن منظور : « الخطُّ الطريقة المستقيمة في الشيء ، والجمع خطوط ، وقد جمعه العجاج على أخطاط فقال : ( البيت ) <sup>(٤)</sup> » : وهذا يشير إلى تفرّد العجاج في هذا الجمع ، ولعله من تصرفاته في اللغة ، وقد يكون هو السبب لادخال هذا الجمع إلى بعض المحاجم ، إذ قال صاحب القاموس : « الخطُّ الطريقة المستقيمة في الشيء أو الطريق الخفيف في السهل جمع خطوط وأخطاط <sup>(٥)</sup> » .

ومن هذا قوله في وصف القرقور ، وهو السفينة <sup>(٦)</sup> :

(١) الأرجوزة ٢٧/١٥ - ٢٨ .

(٢) انظر اللسان ، والقاموس ( سلجم ) .

(٣) الأرجوزة ٤٥/٢٠ .

(٤) اللسان ( خطط ) .

(٥) القاموس المحيط ( خطط ) .

(٦) الأرجوزة ٧٦/٢٥ .

رَفَعَ مِنْ جِلَالِهِ الدَّارِيَّ

وأراد بـ « جلاله » جمع الجَلّ وهو الشراع ، والجَلّ بمعنى الشراع وإنما يجمع على مجلّول وأجلال ، إلا أن العجاج جمعه على « جلال » جمع الجَلّ الذي يلبس للدابّة لصان به ، وهذا يجمع على جلال وأجلال <sup>(١)</sup> . ومن هذا أيضاً قوله <sup>(٢)</sup> :

إِذَا أَنَا قَتَانٌ أَنَاغِي الْكُتْعَبَا

والكُتْعَبُ : الجارية إذا نَهَدَ نَدَيْهَا ، والجمع كَوَاعِبُ وكِعَابٌ <sup>(٣)</sup> ، وهو القياس لأنها صفة للمؤنث على وزن « فاعل » ، ولكن العجاج جمعها جمعاً قياسياً آخر على كُتْعَب ، مثل صائِمٌ وُصُومٌ ، وراكِيعٌ وركُوعٌ ، ولم ينظر إلى صفة التأنيث فيها . ومن هذا أيضاً قوله <sup>(٤)</sup> :

مِنْ مَنَزَلَاتٍ أَصْبَحَتْ دَعَاثِرَا

وَدَعَاثِرٌ كُلُّ شَيْءٍ : مخفّفته ، والدَعَاثِرُ : الحوض المُهْدَمُ ، والجمع دَعَاثِيرٌ . وقال ابن منظور بعد البيت : « أراد دعائيراً خُذِفَ للضرورة <sup>(٥)</sup> » . فهذا الأسلوب من الحذف أو الحمل على المعنى أو القلب المعنوي أو التصرف في الضمائر أو المجموع ، كان له أن زاد من الإشكال النحوي في رجز العجاج ، ودعا إلى شيء من التاويل والغموض أحياناً ، وبذلك كانت العجاج لا يخرج على القواعد النحوية المألوفة فقط ، وإنما يلجأ إلى بعض الأساليب الأخرى ، ليأتي بما يحقق له نوعاً من الإغراب لا يفتقد عند معاني الألفاظ أو

(١) انظر اللسان ، والقاموس ( جلال ) .

(٢) ملحقات الديوان ١٢/٢ .

(٣) انظر اللسان ، والقاموس ( كعب ) .

(٤) ملحقات الديوان ١/٢٥ .

(٥) اللسان ( دعثر ) .

أبنيها ، ولما يتجاوز ذلك إلى أساليب العبارة وما فيها من روابط نحوية خاصة .

وثة مواضع من رجزه قد أثارت إشكالا وخلافا بين النحاة ، لأنها خرجت على قواعد اللغة ، أو اعتمدت على أساليب الحذف أو الحمل على المعنى أو ما إلى ذلك ، ولما لأنها فهمت بوجود متباعدة ، ومن ذلك مثلا قوله (١) :

في بئرٍ لاجورٍ سرى وما ستمرّ

فاكثر علماء اللغة والنحو جعلوا « لا » زائدة في البيت ، وذلك لأنهم ذهبوا بكلمة « حور » إلى نقصان أو الهلاك ، فأصبح المعنى لديهم : في نقصان أو هلاك سرى الحروري وما شعر (٢) ، وخالف القراء وابن الأعرابي ذلك ، فذهب القراء « إلى أن ( لا ) في البيت نافية وليست بزيادة ، لأن المعنى في بئر ماء لايجري عليه شيئا ، كأنك قلت إلى غير رشد توجه وما درى ، ووقع على مالا يتبين فيه عمله ، فهو جحد محض (٣) » ، وقال ابن الأعرابي : « أراد : حوّر ، أي بئر لاجور » ، لارجوع ، قال : فأسكنت الأولى وحذفت لسكونها وسكون الثانية بعدها (٤) .

فخلافهم حول زيادة « لا » أو عدم زائدتها ، لما نشأ بسبب خلافهم حول المعنى المراد من كلمة « حور » في البيت ، فلما من الوجوه مايؤيد

زيادة « لا » ، ولما من الوجوه أيضاً مايؤيد عدم الزيادة .

وقريب من هذا مايجده من خلاف حول قوله (١) :

تأج طواه الأئين بيا وجفا طي الليالي زلنقا فزلفنا  
سماوة الهلال حتى اشقووقنا

فقد ذكر الرماني أن نصب « سماوة » فيه وجهان ، وأسند الوجه الأول لسيبويه ، فقال : « أما سيبويه فإنه ينصب بفعل دل عليه الكلام ، وهو أنه لا قال : ( تأج طواه الأئين ) ، دل على ( آخره ) ، فكانه قال : أضمره حتى صار مثل سماوة الهلال (٢) » .

ثم أسند الوجه الثاني للمازني ، فقال : « وقال أبو عبيد المازني : ينتصب سماوة الهلال لأنه عندي مفعول . قال : لأن المعنى طواه الأئين طي الليالي (٣) » ، فصب سماوة بهذا الظاهر الذي في البيت ، كما تقول : ضربت زيد حرا . فعلى هذا يكون طي مصدرا ، والليالي فاعلا ، وسماوة الهلال مفعول ، وهو قول أبي علي والجرمي (٤) .

ومن ثم جعل الرماني يدافع عن رأي سيبويه بكلام نحوي كأنه لايجري بضروب المجاز عند العرب ، مع أن رأي المازني قد ذهب إليه أيضا كل من المبرد ، والأعلم الششتري (٥) .

وليس يعني أن نقاض الآن بين آراء النحاة ، ولما حسبنا تباين ماينهم من خلاف حول رجز العجاج ، وهو خلاف قد تنوعت أسبابه ،

(١) الأرجوزة ٣٨/٤٤ - ٤٠ .

(٢) توجيه اعراب أبيات ملفزة الاعراب ٢٠٩ ، وقارن بكتاب سيبويه ١٨٠/١ .

(٣) أراد : طواه الأئين طي الليالي سماوة الهلال . ف « سماوة » مفعول ب « طي » المصدر .

(٤) توجيه الرماني ٢٠٩ ، وانظر التمام لابن جني ١٤٥ .

(٥) انظر الكامل للمبرد ١٣٠ ، وتحصيل عين الذهب للأعلام ١٨٠/١ .

(١) الأرجوزة ٤٠/١ .

(٢) انظر شرح الأسمعي البيت ، ومجاز القرآن ٢٥/١ ، وجمهرة اللغة ١٤٦/٢ ، وتاويل مشكل القرآن ١٩١ ، والوساطة ٣٥٨ ، والمفصل ٣١٢ ، والصاح ٦٣٩/٢ ، ٢٥٥٣/٦ ، والمجل ٢٤٠/١ ، والصحابي ١٣٨ ، وشرح التبيان ١٥٢/٢ .

(٣) خزائن بولاق ٤٩٠/٤ ، وانظر طبعة السلفية ٣٨/٤ - ٣٩ .

(٤) الخصائص ٤٧٧/٢ ، وانظر مجمع الأمثال ١٦٥/١ ، واللسان (حور) .

فكان منها مجرد الخلاف حول فهم هذا الرجز ، وكان منها أيضاً خروج العجاج أحياناً على مألوف قواعد اللغة مما حل أكثر النحاة على البعد في التقدير ، والاختلاف في وجوه التأويل ، والمعارضة تبعاً لمذهب كلٍّ منهم في بناء القواعد النحوية في اللغة .

وما رأيناه من شذوذ نحوي في رجز العجاج ، يمكن أن تصادف له نظائر في أشعار غيره ، مما يقتضي في كتب النحو والصرف ، وإذا كنا لم نأت بأمثلة لها ، فذلك لأن كل قاعدة تقريباً لا تخلو من أبيات تشذ عنها قليلاً أو كثيراً ، ولكن هذه الأبيات الشاذة لا نجد منها جمهرة غفيرة لدى شاعر بعينه كالذي نجد في رجز العجاج ، ولنا يمكن أن نجد جملة مجتمعة في كتاب سيبويه مثلاً ، شاهداً لهذا الشاعر ، وآخر لذلك ، أما هذا الإصرار من العجاج على التصرف في قواعد النحو واللغة ، فهو ظاهرة واضحة في كل ما مرّ بنا من خصائص لغوية أو نحوية ، سواء في ذلك الإغراب في ألفاظ اللغة ، أو التصرف في أبياتها ، أو الخروج على قواعدها النحوية المألوفة ، وهذه الظاهرة تثير بوضوح إلى ما أراده العجاج من سمات لمدرسة الرجز ، تتركز حول الإغراب في ألفاظ اللغة وأبياتها ودوابطها النحوية ، ولا نكاد نجد هذه السمات إلا في مدرسة العجاج نفسها ، ولا سيما في رجزه ورجز ولده رؤبة .

## ٦ - موقف أبي العلاء من الرجز

وما تقدّم كله خلال الفصلين الخامس والسادس ، أصبح جلياً أن العجاج قد عبّئ بالجوانب اللفظية لرجزه عنائه بالجوانب المعنوية ، وكانت عنائه اللفظية تصرف إلى شكل الأرزوجة ، وجوهاً موسيقي ، وألفاظها اللغوية ، ولعل

ابرز هذه الخصائص الممتانة من تعدّد وإصرار على الإغراب في اللغة ، حتى كان لهذا الإغراب في رجزه ضروب وألوان مختلفة ، تارة يغرب في معنى الكلمة ، وطوراً في استعمالها ، وحياناً في بنيتها ، ثم لا يغفل شيئاً من شوارد الأبيات أو نوادرها ، وما ذلك كله إلا لشغف الناس بما يعرض عليهم ، إذ كان بعضهم يسعى وراء الكلمة الشرود ، وبعضهم كان يتراسل إلى هذه التفحات الصراوية التي تحيي في نفسه ذكريات الأملس القريب .

وهذه الخصائص على تنوعها ، تجعل من الراجب أن يُنظر إلى هذا الرجز من زاوية خاصة ، وألا يطرح المقارنة بينه وبين القصيد<sup>(١)</sup> ، إذ أن لكل منها هدفاً وغاية ربما كانت تختلف اختلافاً جوهرياً في بعض الاتجاهات ، ولهذا لا نجد مسوغاً لأبي العلاء المعري في اعتبار الرجز من «سفساف القريض» ، وجعل منازل أصحابه في الجنة أقل ارتفاعاً من منازل غيرهم ، إذ يقول : «ويمر بابيات ليس لها مسموق أبيات الجنة ، فيسأل عنها ، فيقال : هذه جنة الرجز» ، يكون فيها أغلب بني عجل ، والعجاج ، ورؤبة ، وأبو النجم ، وحيد الأرقط ، وعذافر بن أوس ، وأبو نخيلة ، وكل من غفر له من الرجز ، فيقول : تبارك العزيز الوهاب ، لقد صدق الحديث المروي : «إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاهها» ، وإن الرجز لمن سفساف القريض ، قصّرت أيتها النفر فقصّرت بكم<sup>(٢)</sup> .

فمثل هذا الموقف من الرجز يغفل الهدف الرئيسي منه خلال القرون المجري الأولى ، إذ كان الراجب لا يريد مجرد التنظيم ونقل المعاني ، ولكنه بالإضافة إلى ذلك كان يُعنى بعدد من الخصائص اللفظية ، التي تجعله يتعاطف

(١) كالذي نجلده عند ابن رشيقي في الصمدة ١٢٣/١ - ١٢٤ .  
(٢) رسالة الغفران ٢٩٧ .



مع أبناء عصره ، وبإني رغبة الحنين إلى الماضي القريب ، وما لبث الأمر أن تحول على يد رؤية ، فعدت بعض أراجيزه أشبه بعقود تنظم ألفاظ اللغة وغرائبها ، لتقدم في القرن الثاني مادة وفيرة لأبناء عصره من علماء اللغة والنحو . وهذه الخصائص لم تستمر إلى ما بعد رؤية بن العجاج ، لأن النوافع التي أوجدتها في القرن الأول ، بدأت تخبو رويدا رويدا ، ولأن الأراجيز بدأ يتعد عن الأصالة التي عرفت مثلاً للعجاج وابنه رؤية ، وقد أدرك أبو عمرو ابن العلام هذه الحقيقة ، فبعض وفاة رؤية ( ١٤٥ هـ ) نهاية لمدرسة العجاج ، فقال : « ختم الشعر ببني الرمة ، والأرجز برؤية بن العجاج » .

فأبو عمرو لم ينظر إلى رجز من جاء بعد رؤية ، لأن هذا الرجز بدأ يختلف اختلافاً جذوياً عن مدرسة العجاج ، ولم يعد أكثر من نظم على هذا الوزن ، وقد حاول بعض أصحابه أن يقرّبوه من هذه المدرسة بشيء من الغريب أحياناً ، وبعض منهم لم يفتن إلى هذا مطلقاً ، وإنما كان يكفيهم أن يرسل أبياته على شكل أشطار من الرجز أو ما يقاربه ، فكان ذلك كله أبعد ما يكون عن الخصائص التي أرادها العجاج للرجز ، وبكفي أن نقارن أبياتاً من أراجيزه بشار الدالية المشهورة (١) ، أو أبياتاً من الرجز لأبي نواس (٢) ، أو أبي تمام (٣) ، أو ابن المعتز (٤) ، أو ابن الرومي (٥) ، أو المتني (٦) .. ، بآيات لرؤية وللعجاج مثلاً ، حتى ندرك اللون الشاسع بين هذه وتلك .

فالعجاج قد بنى الرجز بخصائص معنوية ولفظية خاصة . وأسهم معه في ذلك بعض معاصريه من أمثال أبي النجم ورؤية ، وكان لهذه الخصائص أن تنتهي بوفاة رؤية ، لأن تلك الأراجيز التي كثرت من بعده ، لم يكن لها من الرجز إلاّ الوزن والشكل فحسب ، ولعلها هي المسؤولة عما آل إليه الرجز من ضعة فبا بعد ، ولا سيما حين تحول إلى ماعرف بالمزدوج ، فعاد شعراً لأروح فيه ولا حياة (٧) ، وخاصة بعد أن غدا وسيلة لنظم التاريخ أو ما صعب من العلم (٨) .

وهذا كله يمكن أن يدرس في بحث خاص بتاريخ الرجز ، ولا مجال هنا إلى بحثه واستقصائه ، والذي يهنا أن أبا العلام المعري لم ينصف هذه الطبقة من الرجاز ، ولو نظر إلى مدرسة الرجز التي انتهت بوفاة رؤية ، وما فيها من خصائص تفرد بها عن سائر الشعراء ، وتتميّز بها عن أراجيز ما بعد القرن المجري الثاني ، لكانت منازلها لا تقل عن منازل أهل الجنت في رسالة الغفران .

- (١) انظر بعض المزدوجات لابن المعتز في كتاب اللطائف والظرائف للشعالبي ٨٢ ، ومزدوجة لأبي فراس في بئمة الدهر ٥٨/١ - ٦١ ، وقمة مزدوجات كثيرة متناثرة في هذا الكتاب .
- (٢) من أمثلة ذلك مزدوجات أبيان اللاحقي في التاريخ أو في ترجمة كليله ودمنة ، انظر الأوراق للصولي ٢٦ - ٥٢ ، ومزدوجة حمدان بن أبيان في وصف الحب وأهله ، انظر الأوراق ٥٧ - ٦٢ ، ومزدوجات البهاء العاملي في المواعظ ، انظر التشكيل ٣٨ ، ٧١ . ومزدوجات المتن مشهورة كثيرة ، وأشهرها مزدوجة ابن مالك في النحو المعروفة بالالفية ، وله مزدوجة أخرى تعرف باسم « الاعلام بمثلث الكلام » ، نظم فيها مثلث الكلام في العربية .

- (١) العمدة ٥٦/١ ، والمزهر ٤٨٤/٢ ، والمقاصد النحوية ٢٦/١ .
- (٢) ديوان بشار بن برد ٢١٨/٢ - ٢٤٢ .
- (٣) انظر باب الطرد في ديوانه ٦٢٥ - ٦٧٢ ، وانظر بعض أراجيزه في نقد الشعر ٨٣ ، والموازنة ٧٩ ، ومجموعة الماني ٢٠٣ - ٢٠٥ .
- (٤) انظر كتاب الصناعتين ٣٣ ، ومجموعة الماني ١٨٦ .
- (٥) انظر نثار الأزهار ٦٦ .
- (٦) انظر زهر الآداب ٩/٢ - ١٠ ، وكتاب الأوراق ٨٥ .
- (٧) انظر ديوانه بشرح الواحدي ٢٠١/١ .

إذ وُلد في الجاهلية ، وتوفي أيام الوليد بن عبد الملك ، وخلافة الوليد امتدت بين ( ٨٦ - ٨٩٦ ) ، ورجعنا أنه لم يبق حتى خلافة سليمان ، ولكن هذا الترجيح يحتاج إلى مناقشة أخرى في الطبعة القادمة لهذا الكتاب إن شاء الله ، ذلك لأننا تنبأنا إلى بيت كان قد سقط من الأصول حين إعداد هذه الدراسة ، وهو البيت ( ١٤٤ ) من الأرجوزة ( ١٧ ) ، وفيه يقول : « د إلى سليمان العَقُولِ المَعْقِلِ » ، وهذا قد يرجح أنه بقي إلى أوائل خلافة سليمان ، إن ثبت أنه يريد سليمان بن عبد الملك بالذات ، ولكنه مع ذلك لا يؤيد أن يكون العجاج قد ارتحل إليه وهو خليفة كما تزعم بعض الأخبار التي وقفنا عندها ، لأنه على الأرجح كان قد كبر وأقعد في هذه الفترة من حياته . وفي حديثنا عن نشأة العجاج ، رأينا أنه نشأ في حاضرة اليمامة ، وبها كانت إقامته أيضاً ، ولكنه جعل يتردد بينها وبين البصرة ، ويرتحل فترة إلى الشام ، وطوراً إلى الحجاز ، وبذلك تأثر بالجوانب المختلفة في بيئته وعصره ، وكانت الصلة وثيقة بينه وبين من عاصروهم من خلفاء وأمرأه أو شعراء ورجل ، ولا سيما أنه قد أمهم في حياة المرید الأدبية ، ولكن على نحو يتلاءم مع طبعه وأخلاقه .

ثم وقفنا عند عقيدة العجاج ، لنناقش الأب لويس شيخو ، حول رأيه في تسلك العجاج بين شعراء النصرانية ، فلم نجد من راجعنا إلا "تقياً ووعاً" ، قد تعمق الإيمان الإسلامي في نفسه ، حتى كان له أثر واضح في بناء شخصيته وأخلاقه ومعاييره وأساليبه .

ثم عملنا على تحديد شيء من معالم شخصية العجاج ، فرأيناه رجلاً أعرابياً قد تبدت أعرابيته في ألفاظه ومعاينه ، ولئن تحدث أحياناً عن شيء من لهو الشباب ، فهو لا يصرح بالهجران السافر ، ولا يقص أخباراً مع هذه أو تلك ،

## خاتمة

أردت هذه الدراسة أن تكون مرآة تشرقنا العجاج ، حياته ودويانه وخصائص رجزه ، وبما أن العجاج قد تأثر بواقعه ، وغدت بعض الجوانب من حياته أو أدبه ، لا تفهم إلا من خلال ما عاصره من أحداث سياسية أو ظواهر اجتماعية أو اتجاهات فكرية ، فذلك كان لابد من تمهيد حول الإطار السياسي والاجتماعي والفكري لعصره ، فبدأنا الحديث عن المشكلات السياسية التي عاصرها وامتدت منذ حروب الردة بوجه خاص حتى أواخر القرن الهجري الأول ، ثم تحدثنا عن الظواهر الاجتماعية المختلفة ، التي برزت لعصره وأثرت في رجزه أو في أشعار معاصريه ، ومن ثم تحدثنا عن الاتجاهات الفكرية والعقلية وما أثرت به في أشعار تلك الفترة ، ولا سيما تلك الفرق المتباينة كالجبورية والقدونية والمرجئة وبنو فرقة المعتزلة .

ولما تَمَّ لنا رسم هذه الاتجاهات المختلفة ، التي أثرت في شخصية العجاج أو في أدبه ، كان لنا أن نبدأ الحديث عن العجاج نفسه ، فبدأنا الفصل الأول خاصاً بدراسة حياته ، وبدأناه بالحديث عن نسبه وعشيرته ، فرأيناه ينتمي إلى بني سعد من قِسم ، وهي قبيلة عُرِفَتْ بقول الرجز ، وإذا كنا لم نظفر بأخبار مفصلة حول أسرته ، فقد أمكن التعرف بعدد من أفرادها ولا سيما بعض أولاده وأحفاده ، وكان منهم من حمل لواء الرجز من بعده أمثال ولده رؤبة ، وحفيده عقبة بن رؤبة .

ثم انتقل بنا الحديث إلى نشأته وعمره ورحلاته ، فرأيناه من المعمرين ،

وما ذلك إلا لأن الجانب الديني كان هو الغالب على أخلاقه ، ولهذا طبعت أخلاقه على الخير ، وابتعدت عن الشر أو الإفساد بين الناس ، وكان ثمة عناصر متعددة قد تضافرت لتكون الإطار العام لشخصيته ، منها بيته وأسرته وعشيرته ، ومنها رحلاته إلى بعض أنحاء الجزيرة وإلى الشام والعراق ، ومنها الحياة الاجتماعية والسياسية التي عاصرها ، ولكن الحضارة الجديدة في العراق والشام والحجاز ، لم تغترب كثيراً من ثقافته الأعرابية ، ولهذا ربما أخطأ التعبير أحياناً عن بعض مظاهر هذه الحضارة ، التي لا تمت بصلة إلى حياة الأعراب ، ومن هنا كانت ثقافته شديدة الصلة بالصحرى ، منها يستمد فصاحته لتكون مضرب الأمثال ، ومنها يستمد معارفه بأمورها وأحوالها وما تقتضيه الحياة فيها ، ولكن هذه الثقافة الأعرابية قد تأثرت إلى حد ما بما عاصرها من تيارات سياسية أو فكرية أو دينية .

وبعد أن رسمنا هذه الصورة للعجاج ، حاولنا أن ننقل صورة أخرى لديوانه ومصادر رجزه ، فأوردنا لذلك الفصل الثاني ، ورأينا أن الديوان قد صنعه كل من الأصمعي وأبي عمرو الشيباني ، ولكنه لم يبق لنا غير ديوانه برواية الأصمعي وشرحه ، وقد ترددت الإشادات إليه في عدد من المصادر ، وحفظ لنا ابن خبير سنداً متصلاً لروايته عن الأصمعي ، وأهم ما في هذا السند أن الديوان روي عن أبي علي البغدادي عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم الجبستاني عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن روبة ابن العجاج عن أبيه العجاج ، وهذا السند يعوض مانحده من نقص في نسخة الأصل ، لأن الناسخ صرح بأنها من رواية الأصمعي ولكنه أغفل سبب روايتها عنه ، ولكن في النسخة من العبارات ما يؤكد أنها من رواية أحد تلامذته أبي حاتم الجبستاني عن أبي حاتم عن الأصمعي .

ثم لاحظنا أن رجز العجاج لم يُنقل عن الأصمعي من طريق أبي حاتم

فحسب ، ولما نُقل عنه من طرق أخرى أيضاً ، منها رواية عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي ، وأبي إسحق إبراهيم ابن سفيان الزياتي ، وقد حفظت لنا بعض رواياتهم فيها ورد من إضافات على حواشي نسخة الأصل من قبل مجهول حاول أن يقابل بين هذه النسخة وبين نسخ أخرى من رواية هؤلاء ، ولا سيما النسخة التي جاءت برواية عبد الرحمن عن عمه ، وكالت يمكن أن تضاف هذه الزادات إلى الأصل باعتبارها منقولات عن الأصمعي نفسه ، لولا أن هذا المقابل خلط بها بعض الحواشي من كتب اللغة ، وليس من الميسر دائماً التمييز بين هذه وتلك .

وبعد هذا التحقيق كان لابد من دراسة موجزة للأصمعي رواية الديوان وشرحه ، فرأينا شيئاً من ملامح ثقافته وعلمه وأخلاقه ، لتكون عوناً على فهم خصائص شرحه ، وكان أبرز ما أردنا أن نصل إليه ، هو الصلة الوثيقة بينه وبين الرجز ، والثقة الكاملة التي عرفت بها روايته .

ومن ثم انتقلنا إلى الحديث عن « شرح ديوان العجاج » ، فأكدنا نسبة هذا الشرح للأصمعي ، ثم فصلنا بين العبارات التي أضافها أبو حاتم إلى شرح أستاذه وبين أصل الشرح نفسه ، وبذلك نقينا كل شك يمكن أن يساور الباحث حول نسبة هذا الشرح ، ومن هنا مضينا إلى البحث عن خصائص شرح الأصمعي ، وكان أول ما لاحظناه هو ذلك الاهتمام بالشرح اللغوي والاستطراد فيه ، واعتاده في ذلك على شواهد من القرآن والشعر القديم ، بل ربما شرح هذه الشواهد فزاد من ظاهرة الاستطراد في شرحه ، ولكنه في رجز العجاج قد لا يقف عند شرح الألفاظ فقط ، ولما قد يشرح بعض معاني الأبيات بلهجات ، وربما عرض للكشف عما فيها من أسرار ، ولكن الأمور النحوية لا تزد في حديثه إلا نادراً ، وأساليب الأصمعي أسلوب الرجل العالم ، فإن لم يكن على ثقة كلمة ما يقول ، مرض العبارة ، ولم يطلقها دون

حيلة أو حذر ، وعنايته بالغة ربما حملته على نقد أستاذه أبي عمرو بن العلاء في شرح بعض الألفاظ ، وربما دفعته إلى الكشف عما بين الهجات من اختلاف في بنية بعض الألفاظ أو معناها ، أو الإشارة أحياناً إلى الأصول الأعجمية إن وجدت ، وربما اتى بأحكام تتصل بالقد أو بضرائ الشعر ، وقد يورد أخباراً موجزة تفسر المناسبة لبعض الأراجيز ، وصلة الأصمعي بالأعراب وال نوادر كانت تتبدى في نغمة عن اعراب البادية أو سرده للطوائف وال نوادر كلها وجد إلى ذلك من سبيل ، ولم يكن ينقل الأراجيز دون وعي أو تمحيص ، ولهذا تنبه إلى ظاهرتين هامتين ، الأولى ظاهرة الانتحال في الرجز ، والثانية ظاهرة الاضطراب في نسبة بعض الأراجيز إلى العجاج وإلى غيره من الشعراء أو الرجّاز .

وانتقل بنا الحديث إلى رواية رجزه والحفاظ عليه قبل عصر التدوين في القرن المجري الثاني ، فأبنا أن اسرة العجاج وقبيلته كان لها النصيب الأوفى في حل رجزه والحفاظ عليه ، ولا حظنا أن العجاج ربما كان يحسن الكتابة فدوّن بذلك شيئاً من أراجيزه ، وكان من الأدلة ما يشير إلى وجود كتاب لبني قيم ، وآخر لبني سعد ، وهذا يعني أن رجز العجاج كان مكتوباً كلته أو بعضه قبل أن يصل إلى أيدي الرواة العلماء في عصر التدوين ، وقبل أن يصفه الأصمعي ، ولا شك أن ما فيه من شواهد لاحتص في معاني اللغة وأبنية الألفاظ وطرائق الاشتقاق وغرائب الاستعمال ، قد حملت هذه الطبقة من الرواة على الكلف به والرفع من شأنه .

ثم وقفنا عند أنواع المصادر التي عنيت بهذا الرجز ، فرتبناها حسب كثرة ما أوردته من أبياته ، فكان في مقدمتها تلك الكتب التي عنيت بجمع اللغة ، أو تناولت بالتصنيف مشكلات اللغة وظواهرها من فقه واشتقاق وغريب و نوادر

وما أشبه ذلك ، ثم تلّناها كتب التفسير وما يتصل بها من كتب صنفت في غريب القرآن أو مشكله أو مجازيه ، ثم جلمات كتب النحو والصرف على اختلافها ، ثم كتب الأدب والنقد والمعاني ، ثم المصادر التي تناولت شرح بعض الدواوين أو المختارات ، أو اهتمت بجمع الأمثال ، أو صنفت على شكل رسائل في موضوع من الموضوعات ، أو تعرضت لطبائع الحيوان ، أو ألّفت في أسماء المواضع والبلدان ، ولا حظنا أن كتب البلاغة على اختلافها لم تورد غير بيت واحد للعجاج لأنه من شواهد البلاغيين على نوع خاص من الغريب ، و فمة مصادر أخرى لم تعرض لرجز العجاج مطلقاً أمثال كتب التاريخ والسيره والديانات والفرق والقضاء والقد وما إليها ، وبذلك نكون قد ساءلنا المكتبة العربية بكل ما فيها من أنواع المصادر عن رجز العجاج ، فجددنا أكثرها رواية له ، ثم تدربنا بها في ذلك ، حتى وقفنا على مصادر لم تورد منه قليلاً ولا كثيراً .

ولمّا تمّ لنا الحديث عن ديوانه ومصادر رجزه ، كان لابد من توثيق هذا الرجز ، وتحديد ما للعجاج منه ، وما هو غريب عنه ، أو منسوب إليه وإلى غيره من الشعراء أو الرجّاز ، ولهذا كان الفصل الثالث خاصاً بتوثيق رجز العجاج ، وعملنا من خلاله على تتبع ظاهرة الانتحال في أراجيزه ، ثم الفصل إلى حدّ ما في أمر بعض الأراجيز أو القطعاعات المنسوبة إليه وإلى غيره ، وقد لاحظنا أن الانتحال قليل في رجز العجاج لبعده نسبياً عما ضجّ في ذلك العصر من صراع حزني أو قبلي ، ولصعوبة السير على سنّته من قبيل الرّوضاع ، ولهذا لم نجد غير موضعين من رجزه أشأل فيها الأصمعي إلى شيء من الالتئام أو الانتحال ، وكذلك رجسنا وجود الانتحال في بعض الرجز المضطرب بينه وبين عدد من الرّجّاز ، وذهب بنا التوجيه إلى أن بعض هذا الرجز ربما كان من صنع الرواة أو متصيدي الشواهد ، وأمّا الاضطراب في نسبة الرجز إليه وإلى غيره من الشعراء أو الرّجّاز ، فكان واسعاً جداً ، وقد عملنا على مناقشته كلّه

رغم اتساعه ، وحاولنا قدر الإمكان أن نغفل به إلى العجاج أو إلى غيره  
 إن وجدنا من الأدلة ما نعتد عليه ، ولما وقفنا نشير إلى الاضطراب ولا  
 نقطع برأي ما دام الدليل في أيدينا قاصراً أو مفقوداً .

ولما تم لنا توثيق أراجيز العجاج كان من السهل أن ننقل الحديث إلى  
 موضوعات رجزه في الفصل الرابع ، وهنا وقفنا قليلاً عند موضوعات الرجز  
 قبل العجاج ، لنكتشف عن دوره في تطوير هذه الموضوعات ، فرأينا أن الرجز  
 في الجاهلية لم يكن من طابعه أن يطول إلى آيات متعددة ، ولما كانت مقطعاته  
 يسيرة الآيات ، بسيطة الموضوعات ، وغالباً ما مجتمعة في ثياب الأخبار التي  
 تحدثت عن وقائع القوم وأيامهم ، أو تنقل شيئاً عن الأعمال الجماعية التي كانوا  
 يقومون بها ، وأما أراجيز العجاج فهي تتناول موضوعات القصيدة نفسها ،  
 وربما طالت الأرجوزة فقاربت المائتين من الآيات ، وهي تنتهج سنة الشعراء  
 في تعدد الموضوعات ضمن الأرجوزة الواحدة ، وكثيراً ما تنقف مواقفهم من  
 الأطفال والبكاء عليها وتذكر أيام الشباب الخاليت ، وقد لاحظنا أن هذا  
 الاختلاف بين العجاج وما كان عليه الرجز في الجاهلية ، لم يحدث إلا بعد  
 أن مرت الأرجوزة بأطوار متعددة ، ورأينا أن مرحلة التطوير الأولى قد  
 قام بها الأغلب العجلي ، إذ كان أول من أطال الرجز ونوع في أغراضه  
 وموضوعاته وحدد له بعض الخصائص التي لم تكن له من قبل ، وبمحاولة الأغلب  
 هذه قد لقيت بعض الأصداء في الجزيرة العربية ، قبل أن يصل الأمر إلى العجاج ،  
 إذ بدأ الرجز يطول قليلاً على أنسنة بعض الشعراء ، وجعلت أغراضه تختلف  
 اختلافاً يسيراً عما كانت عليه ، فلما وصل الرجز إلى العجاج ، لم يقف به  
 عند الحدود التي رسمها الأغلب ، ولم يكتف بمجرد إطالة الآيات ، ولما سار  
 بالتطوير إلى أبعد من ذلك ، فجعل من الأرجوزة ما يشبه القصيدة قالمياً في  
 بنائها وموضوعاتها ، ثم حدد لقصيدة الرجز بعض الخصائص التي تميزها من

القصيد بوجه عام .

وبعد أن رسمنا معالم التطوير الذي أدخله العجاج إلى موضوعات الرجز ،  
 ألقينا بنظره إلى موضوعات رجزه ، فكانت متنوعة ، فيها النسيب والمدح ،  
 والفخر والتعريض ، والوعظ والحكمة ، والوصف . ووقفنا على موضوع  
 النسيب ، فلاحظنا أن موضع الغزل من الأرجوزة قد استمر على ما كان عليه  
 في القصيدة التقليدية ، ولكنه لم يكن تقليدياً كله في مضمونه ومعانيه ، ولما  
 فيه ألوان من التنوع تبرز في معاني الآيات وعواطفها ، فتارة تنقف على  
 غزل تقليدي لا أثر فيه لعاطفة العجاج ، وطوراً يطالعنا غزل لا يخلو من تباريح  
 الهوى أو ذكريات الشباب ، وأحياناً يطل علينا غزل الحب والصباية ، والبعد  
 والفراق ، وهنا يتمثل حب العجاج الحقيقي ، وتظهر تجربة له مع « ليلي » ،  
 والذي يبدو أنها فارقته ، وتروّجت من غيره ، فغرس حسرة لا تبرح ،  
 وآلاماً لا ترم .

ووقفنا عند المدح فرأينا أنه قد مدح الأمويين ، خلفاءهم وأمرأهم وولائهم  
 وقادتهم ، ومدح آل الزبير أيام غلبتهم على العراق والحجاز ، ولم يهدف في  
 مدحه إلى التكسب دائماً ، بل كان التكسب ضامراً لا يكاد يظهر إلا في  
 مواضع قليلة جداً ، ولا يلم عن إرافة ماء وجهه ، أو ازراءه بأنفة أو بكرامة ،  
 ولعل الأغراض السياسية كانت أكثر وضوحاً في مدحه من الأغراض الأخرى ،  
 ولهذا كان يعتمد على المدح على المعاني السياسية ، والمعاني الدينية ، إلى جانب  
 المعاني التقليدية ، وبذلك لم يغفل ما جسد في عصره من معان أو تيارات  
 سياسية مختلفة .

ثم انتقلنا إلى موضوع الفخر ، فرأينا بعض عناصر التجديد في أرجوزة  
 الفخر ، مما يسار حركة التطوير والتجديد لعصر بني أمية ، وقد كان فخره

يمتاز ثارة بالطابع الفردي ، وثارة أخرى بالطابع القبلي ، وهو في ذلك يخضع للوثرات الاجتماعية الجديدة لعصره ، إذ أن تميّز الفرد من القبيلة كان دافعاً قوياً إلى إبراز الجانب الفردي في رجزه ، فكان يغفر نفسه وقوافيه ، ويفخر دائماً بدأبه وقطعه للمفاوز المهرلة في ظلام الليل ودخوله على الملوك وقهره لحصومه وغلبته على الشعراء ، ولكن الفرد لهذا العصر لم يتحلل من الارتباط الوثيق بالقبيلة رغم تميّزه منها ، ذلك لأنها ما تزال تنتظم شطراً كبيراً من شؤون حياته ، ولأنها ما يزال مردّ أمجادها وأسابه ومفاخره ، ومن هنا كان لزاماً على العجاج أن يتجه بفخره إلى الجانب القبلي أيضاً ، فكان ثارة يخصّه ببعض الأراجيز ، وأحياناً يزوج بينه وبين الجانب الفردي ، والفخر القبلي لديه لا يخرج عن المفاخر بقوة القبيلة وأجاده وعزتها وكثرتها ومنعتها وما إلى ذلك من المعاني التقليدية المعروفة في أشعار الجاهليين والاسلاميين .

ثم عرضنا بعد ذلك إلى موضوع الهجاء ، فرأيناه بصريح بتخلّيه عنه ترفّعاً وأنفه ، ومن ثم كان للنقاد آراء مختلفة حول ذلك ، منهم من ذهب بتخلّيه عن الهجاء إلى الطبع عند الشعراء ، ومنهم من ذهب إلى الترفّع والأنفه ، ومهما يكن فقد لاحظنا أن العجاج لم يضرب عن الهجاء عملة ، ولم يكن طبعه ينأى به عن الهجاء جمة ، ولأننا كانت هناك أسباب تدفعه إلى عدم الأخذ بسبل ذلك الهجاء الذي عُرف لعصره ، وفيه تميّز الأغراض ، وتنفّذ المخصّنات ، ويسوده الكذب والاختلاق ، وهذه الأسباب لا نخرج عن أمرين : الأول هو أخلاق العجاج وما عُرف به من ورع وتقوى ، والثاني أن الرجز قد ينهض للتهامج مع رجز يائنه أحياناً ، ولكنه لا يبقو على مصارعة القصيد في هذا الميدان .

ومع ذلك فالعجاج قد تصرف في الهجاء على نحو يتفق مع طبعه وأخلاقه ، ولذا كان قد ابتعد بنفسه عن مهازرات عصره ، بما فيها من جد أو هزل ،

قد وجد سبيلاً إلى التعريض ، وخاصة خلال مدائحه لابن الزبير والأمويين ، إذ كان يجد في ثورة بعض الأحزاب أو القبائل ، ما يبرر هجاءها ، ولا سيما أن ثورتها في نظره ، ما كانت إلاّ تزيّفاً لدين الله وخروجاً على حماته ، ولهذا عمد في هجائه إلى المعاني الدينية والسياسية بوجه خاص ، واستعاض من فاحش القول بما هو أطرف فتناً وأكثر إزاء ، وأشدّ إيلاً ، وذلك هو أسلوب التهكم والسخرية ، وهذا الأسلوب كان شديد الإيلاً في هجائه السياسي وغير السياسي . ثم انتقل الحديث إلى موضوع الوظ والحكمة ، فرأينا موضوع الوظ قد تأثر بعقيدته وشخصيته ، وكان الوظ والشعر الديني يتفرّد أحياناً ببعض الأراجيز ، وأحياناً أخرى كان يرد ضمن موضوعاته المختلفة ، فيأتي في مقدمة الأرجوزة أو أثنائها أو خاتمتها ، وفي الحالين كان العجاج يعتمد على معاني القرآن وأسلوبه ، حتى رأيناه في بعض الأحيان ينقل نقلاً شبه حرفي عن آيات الكتاب المبين ، فإن خرج عن هذا النقل الحرفي ، جاء بمعان دينية عامة ، وربما لجأ إلى أسلوب المناجاة أو الدعاء ، أو إلى بعض القصص الديني ، كالذي أوردته من قصة إبراهيم وإسماعيل عليها السلام .

ولا مرية أن الحكمة لها صلة وثيقة بالشعر الديني ، ولكنها قليلة نسبياً في رجز العجاج ، وهي على قلّتها تمتاز بالعمق والتأثير والجوبة ، لأنها من نتاج ما انعكس في نفسه من أحداث سياسية واجتماعية خطيرة ، وما كان له من تجارب في أدوار حياته ، وما تأصل في نفسه من ثقافة بدوية أو إسلامية ، وربما جاءت الحكمة في بداية الأرجوزة ضمن المقدمة التقليدية ، دون أن تحل محلّ هذه المقدمة كالذي تمّ على أيدي بعض شعراء بني العباس ، إلاّ أن تقريب الحكمة من المقدمات والمطالع فيه شيء من التطوير لا ينكر للعجاج ، وقد تزد الحكمة في أضعاف الأرجوزة على سنة غيره من الشعراء ، وكثيراً ما ترافق أحاديثه عما بلغه من الهرم والضعف والكبر .

ثم وقفنا طويلاً عند موضوع الوصف ، فرأيناه أوسع الموضوعات جميعاً في رجز العجاج ، حتى كانت بعض الأراجيز على طولها ، ليس لها أي هدف غير وصف مشاهد الصحراء ، وما فيها من نبات وحيوان ، وما يتم على رمالها من طراد لغير أو تور وحشي ، وليس من دافع إلى هذا الوصف الرائع المطول إلا " حبه للصحراء ، وتألفه معها ، وحرصه على نقل صور لمشاهدنا . ولهذا كانت موضوعات الوصف عند العجاج لا تقف على جانب من الطبيعة دون آخر فقد صور الطبيعة بعناصرها المتحركة ، وعناصرها الصامتة ، وجاء بصور موضوعية ، كانت تراها عينه ، وتحس بها أذنه ، وأتى بصور ذاتية ، مثل فيها مشاعر النفس الانسانية ، او مال من خلالها إلى تجسيم هذه المشاعر في تصوير الحيوان أو الطبيعة .

وامتازت صوره الموضوعية بلوحات رائعة ، ولا سيما حياة الصحراء وما فيها من طبيعة وحيوان ، وهو لا يتجه إلى الصورة بعينه فحسب ، وإنما يتجه إليها بسمعه وكل حواسه ، ومن هنا كانت الصورة الفنية لديه تمتاز بالتنوع والكلف بالألوان والحطوط والأصوات على حد سواء ، ثم إبراز العناصر التي يمكن لها أن توحى عادة بسائر أركان الصورة أو المشهد ، ولا ينسى أن يعنى بتحديد الإطوار المكاني والزمني للصورة ، ثم التدقيق بما فيها من ألوان وجزئيات موحية تبعاً لذلك ، ولا يبغي الصورة بلا روح أو حياة ، وإنما يعث فيها الدفء والحركة ، لتكون صورة واقعية لا ترتاب فيها عين أو خيال ، ولهذا كان لا يترك وسيلة تدعو إلى الواقعية إلا " اعتمد عليها في صورته ، ولذلك رأيناه يعتمد على الحوار في رسم صوره أحياناً ، بل ربما جعل الحوار بين الإنسان والحيوان ، على نحو ما صورته من حوار بين الصياد والكلاب ليكشف عما يجول في نفسه من قزم إلى الشواء ، وهذه الواقعية

دفعته أيضاً إلى ذكر أسماء ناقته أو بعيره أو أسماء كلاب الصياد خلال تصويره لها ، لأن ذلك أدعى إلى تقريب الصورة من الواقع ، ويعتبر حية أمام العين أو الخيال ، وهو في ذلك كله لا يرسل الصورة دون دقة أو استقصاء ، وإنما يدقق دائماً في عناصرها ويختار لها من الدقائق الفنية والجزئيات الموحية ما يجعلها في غاية الجمال والإتقان الفني ، وربما عمد إلى شيء من المفارقات الفنية ، وذلك لتزداد الصورة وضوحاً واشراقاً .

وأما وسائله في رسم الصورة نفسها ، فكان جل اعتماده فيها على معاني الألفاظ وإيجائها ، دون الاعتماد الكلي على التشبيه أو الاستعارة ، إذ أدت دور التشبيه لديه لابعاد أن يكون وسيلة لانتقال الوصف من موضوع إلى موضوع آخر ، وربما وردت منه بعض الصور القليلة لتكون حلية وزينة بالنسبة إلى الصور الأخرى ، وفي هذا طور هام في التصوير الفني ، لأن الشاعر بحاجة إلى مقدرة فنية واسعة ، حتى يمكن له التخيل عن الاعناد الكلي على التشبيه في صوره ، ذلك لأن تتبع الجزئيات ورسمها بدقة واستقصاء مع تحديد لأركانها من زمان ومكان والألوان وما إلى ذلك ، يحتاج إلى مهارة فنية ، لا يدعو إليها التشبيه في أكثر الأحيان ، وقد تكون الاستعارة طوراً متأخراً عن التشبيه ، لا فيها من إيجاز لبعض تفصيلاته ، وتحقق من بعض أركانها ، وهي لا تعود أن تكون وصفاً بمعان مجازية للألفاظ ، ولهذا كانت أقرب ما تكون إلى التصوير بمعاني الألفاظ وإيجائها ، ومن هنا كان للاستعارة سلطان أوسع من التشبيه في رجز العجاج .

ولا شك أن الحديث عن موضوع الوصف كان أدخل ما يكون في الخصائص الفنية لرجز العجاج ، ولكنه باعتبار موضوعات الرجز كان لابد أن يسلك في الفصل الخاص بالموضوعات لأن الخصائص الفنية لها سمات أخرى متعددة

الجوانب ، ولهذا كان الفصل الخامس مجالا لدراستها واستقصائها .

وفي هذا الفصل قمنا بدراسة الخصائص المعنوية في رجزه ثم الخصائص اللفظية ، وكان أول ما استوقفنا في معانيه هو الترتجيع بين الوضوح والغموض ، فتارة تبرز المعاني واضحة لا غموض فيها مطلقاً ، وهذا قليل نسبياً في رجزه ، وطوراً تبدو جلية لا يشوبها إلا " بعض الألفاظ الغريبة ، وهذا مانصادفه بكثرة في أراجيزه ، وأحياناً تظهر المعاني غامضة لأسباب كثيرة ، منها استعماله ألفاظاً غير معروفة أصلاً ، أو ألفاظاً تختمل أكثر من وجه واحد في المعنى ، أو لاعتماده على القلب المعنوي ، أو لأساليبه في بناء التراكيب بناء يكثر فيه الحذف أو التقديم والتأخير ، أو لتصرفه بالألفاظ إذ يخرج على بنيتها في اللغة ، ويأتي بها في صيغ لم تسمع إلا " في رجزه ، ومن الصعوبة أن يظن المرء أحياناً إلى أصولها في اللغة . وهذه الأسباب وما إليها كانت تبعث غالباً على الغموض في معاني أبياته ، ومنها ما أتى الأصمعي بشرح أو تقدير له ، ومنها ما تخلى عنه دون أن يدلي برأى فيه .

ثم لاحظنا أن رجز العجاج لا يخلو من صنعة وتثقيف ، إلا " أن الصنعة لعصر العجاج كانت شبه امتداد لما كانت عليه في عصر ما قبل الإسلام ، ولم يتجه إلى غير العناية بالألفاظ فصاحة وجزالة ، والعناية بالمعاني بسطاً وإبرازاً ، مع إتقان لبنية الشعر وإحكام قوافيه ، ولهذا كانت المعاني في رجز العجاج لا تخلو من التجويد أو التجيير ، رغم أن الطبع كان من الخصائص البارزة في رجزه ، ومن ثم " كانت عنايته بتغيير المعاني والتأنيث فيها ، وكذلك إعجابه بالصور الحسية المادية المنتزعة من البيئة التي عاشها بعينه وقلبه وكل " احساسه ، ولا سيما أن هذه الصور الحسية ربما ساعدت على توضيح المعنى بالإضافة إلى وظفيتها الجمالية في التصوير .

وحرص العجاج على توضيح معانيه ، وتقريبها من الأفهام ، وإثباتها في الأذهان ، كان دافعاً قوياً إلى الإكثار من ضرب الأمثال الحسية في معانيه ، ذلك لأن الأمثال تجعل المعنى أقرب إلى الفهم ، وأثبت في الذهن ، وأدعى إلى الأخذ به ، والاقتناع بما جاء فيه ، وربما أورد من الأمثال ما عرفته العرب قبله ، وربما صاغ من المعاني ما يصبح أمثلاً على ألسنة الناس من بعده . وهذا الطابع الحسي لم يكن غريباً من العجاج ، لأنه رغم انتقاله إلى بيئة البصرة ، ورحلاته إلى بيئات الحجاز والشام ، فقد بقي على صلة وثيقة جداً بروح الصحراء ، ولم يستطع أن يتخلى عن تأثير البادية في طبعه أو في معاني رجزه ، ولم يتمثل ما وجدته من مظاهر الحضارة الجديدة ، أو ما دق عند الفقهاء من المفاهيم حول بعض المعاني في العقيدة الإسلامية ، ولهذا كان يؤخذ عليه بعض المعاني التي تتنافى مع ثقافته البدوية أو طبعه الأعرابي ، ولكن هذه المعاني لم تكن كثيرة في رجزه ، ولا نجد منها غير أمثلة يسيرة ، لاتعدو أن تكون مجرد أعلام ودلائل تشير إلى ارتباط وثيق بينه وبين البادية .

وهذا الارتباط بالبادية كان يحل في أضعافه بعض المعاني الجاهلية ، على ما فيها من تعارض مع الإسلام وتعاليمه ، ولهذا رأينا يستعمل أحياناً من المعاني ماله صلة بزجر الطير ، أو الشاؤم بالعطاس ، أو الاستقسام بالأزلام ، أو عادة الميسر وما يتصل بها من معاني الكرم في الجاهلية ، فهذه العادات الجاهلية بقيت لها آثار في رجز العجاج ، ولكن هذا لا يعني أن الإسلام لم يدخل شيئاً من التطوير في معانيه ، بل نجد المعاني الإسلامية تبرز بوضوح في أكثر موضوعاته ، وربما خض الشعر الديني بأراجيز مستقلة ، أو باكتر الأبيات في بعض الأراجيز الأخرى .



وقد اعتمد العجاج في معانيه على التراث الأدبي ، فكان يأخذ منه حيناً ، ويجوّد فيه أحياناً ، وذلك شأن غيره من شعراء الأدب العربي القديم ، ولهذا وجدنا العجاج يستمد بعض المعاني من تقدمته من الشعراء ، إلا أنه لم يتكسّر على المعاني المتداولة بين الشعراء فحسب ، وإنما كان يأتي بكثير من المعاني التي لا تخلو من جدّة وإبداع ، ولا سيما حين يولّد المعنى بصورة تختلف عما تعارف الناس عليه من قبل ، ولهذا وجدنا كثيراً من معانيه قد انتقلت إلى أشعار معاصريه من رجاى وشعراء ، ثم امتدت إلى عصور أدبية أخرى ، فكانت تظهر في أبيات بعض الشعراء ، أو كلام بعض الفصحاء ، خلال عصر بني العباس بما يدل على شهرة هذه المعاني ، وحياة ذلك الرجز على ألسنة الناس جيلاً بعد جيل .

وأول ما لا حظناه في الخصائص اللفظية أن العجاج قد أحدث شيئاً من التطوير في شكل القصيدة ، فقد التزم المنهج التقليدي في بعض الأراجيز وأغفل هذا المنهج في بعض الأراجيز الأخرى ، فأهمل المقدمات التقليدية ، ولجأ إلى منهج جديد للقصيدة ربما كان هو الأساس الذي بنى عليه بعض الشعراء ليعهد ببني العباس بطريقته في المنهج الجديد ، فبدلاً من تلك المقدمات التقليدية أصبح العجاج يبدأ بالموضوعات الدينية التي تتناسب وموضوع الأبرجوزة ، وربما تغلّى عن هذا وفضل عليه اختيار المطالع القوية والدخول مباشرة إلى الموضوع .

ولم يبق العجاج عند هذا فحسب ، وإنما أسهم أيضاً في تطوير آخر بالنسبة إلى شكل القصيدة ، إذ جعلها تختص بموضوع واحد أحياناً ، فإذا كان شعراء الحجاز قد خصصوا قصائدهم للغزل ، وشعراء الحواريج قد أفردوا قصائدهم للنضال السياسي ، فكذلك وجدنا العجاج قد أسهم في هذه الظاهرة

الجديدة للعصر الأموي ، فأفرد بعض الأراجيز لأوصاف الصحراء ، وأخرى للمواظ ، وغيرها للفخر أو للغزل ، وهذا يشير إلى أن العجاج لم يكن يتلمس النماذج القليلة دون التأثر بالأساليب الجديدة .

ولهذا رأينا أنه يتأثر بظاهرة جديدة أخرى في الشعر الاسلامي ، وهي انتشار المقطعات القصيرة ، فوجدنا لديه عدداً من هذه المقطعات ، أفرد بعضها للحديث عن بعبوره ، وخصّ بعضها بوصف الإبل ، أو بالحديث عن الفخر أو الغزل أو المواظ أو التعريض .

ولا شك أن الرجز لا يخلو من رتب في جرسه الموسيقي ، ولهذا حاول العجاج الانتقال من هذا الرتب إلى شيء من الحيوية ، فعمد إلى تكرار الألفاظ بكثرة داخل الأبيات ليخلق شيئاً من التجاوب الموسيقي بين أمواج البيت الواحد ، وربما زاد على ذلك شيئاً من التائق في تقسيم البيت إلى أمواج موسيقية تشبه أن تكون فواصل ثابتة داخل البيت الواحد ، فينشأ عن ذلك ترتيب رائع لا يخلو من التنويع والحيوية داخل كل بيت .

وعنايته بالجانب الموسيقي ربما حملته على شيء من الالتزام في قوافيه ، وذلك حرصاً منه على دقّة الإيقاع الموسيقي ، وانسجام الجرس من بيت لآخر ، وكان لهذا الالتزام وقع مستتب لدى قدامى القاد ، ومثل هذا الالتزام لتجويد الجانب الموسيقي في الشعر كان نوعاً من المذهب الصنعة في عصره ، إذ نجد التزاماً آخر عند معاصريه من أمثال كثير ، وبذلك كانت للعصر الأموي أن وضع بؤار الأسس التي بنى عليها أبو العلاء طريقته في التزويما . ولم يكن العجاج بشكل الأبرجوزة أو بالجانب الموسيقي فقط ، وإنما أراد لمدرسه خصائص أخرى ، يمكن أن ندرج ضمن الخصائص اللفظية ، ولكننا أفردناها في الفصل السادس ، ليكون من السهل تبويبها وبسط شيء

من أمرها ، وهي الخصائص اللغوية والنحوية ، وكان أول ما وقفنا عنده هو الإغراب في اللغة ، فلاحظنا أن العجاج ذهب في الإغراب إلى ضروب متنوعة ، منها ما يحتاج فهمه إلى بحث وتقيب وكشف في كتب اللغة ، ومنها ما يحتاج إلى تدقيق النظر وتخريج اللفظ على وجه بعيد لاحتلاحه عدة وجوه في المعنى مع أن الكلمة ليست بوحشية ، ومنها أحياناً ما هو ذو أصل أعجمي يأتي به العجاج لما فيه من طرفة وإغراب .

فالعجاج قد اتخذ من الرجز وسيلة لنقل أجواء الصحراء إلى بعض الأمصار الجديدة ، ولهذا كان لابد أن يأتي بغرائب الألفاظ يعرضها عرضاً في أبيات الرجز ، لما فيها من نفحات صحراوية بدوية ، حتى لكان أراجيزه قد تحولت إلى لوحات من الغريب في اللغة والألفاظ ، ولعل بما ثبتته على هذا الاتجاه ، ما كان يلقاه من اقبال الخلفاء والأمراء وسائر الناس على أراجيزه ، وتقديسه في الانشاد على أمثال جرير وغيره ، لأن أراجيزه على ما يبدو ، كانت تلتقي عند حنين النفوس إلى حياتها الفطرية الأولى ، فوق رمال الصحارى في جزيرة العرب .

ومن هنا كانت أراجيز العجاج تجمع تلقائياً غرائب اللغة ونوادرها ، وتهمي منها مادة وفيرة لعصر التدوين في القرن الهجري الثاني ، فلما كان هذا العصر ونشط العلماء في تدوين متن اللغة بدقة واستقصاء ، كان رؤية بن العجاج يقدم لهم ما يطلعون ، بل ربما كان رؤية قد صنع كثيراً من رجزه ليمد حاجة علماء عصره من الغريب والنوادر ، حتى كان رجزه أشبه بمتون لغوية ، تتطوي على غرائب الألفاظ والأبنية والأساليب .

والمهم أن العجاج كان يأتي بهذا الغريب عن طبع دون تكلف أو تعمل ، فتقع الألفاظ في مواضعها ، وتجر بدقة عن معانيها ، ولا تتنافر

فيها بينها ، ذلك لأنها قد عاشت في نفسه ، وأحس بها في صحرائه ، قبل أن يبرزها في معارض رجزه ، ولهذا قصر عنه من حلول ان يجاريه من معاصريه وغير معاصريه ، من أمثال الكميت والطرماع ونصيب وابن منذر ، والسبب في ذلك أنهم كانوا يتكلمون لإدخال الغريب في أشعارهم جبراً وراء العجاج وتقليداً لمنه ، مع أنهم ربما ضلوا فهم بعض الألفاظ الغريبة ، فانزلوها في غير مواضعها .

وكانت للعجاج قدرة لغوية لاحدود لها ، وهذه القدرة أمكن له أن يحافظ على أبنية اللغة حيناً ، ويولد فيها طوراً ، ويتصرف بها أحياناً ، فهو مقتدر على ذلك كله ، شاعر أنه أبو اللغة ، يتصرف بها كيف أراد ، ولهذا كان رجزه يحافظ على أصول كثيرة لبعض الصيغ العربية ، وربما كان بعضها لا وجود له في غير أراجيزه ، ومن ثم حافظ في رجزه على عدد من خصائص لهجة قومه بني تميم ، سواء في أبنية الألفاظ أو في معانيها ، ولا يبعد أن يكون العجاج قد ولد بعض الأبنية وأضافها إلى العربية ، ولذلك كان يتفرد في بعض الصيغ فلا تُعرف إلا في رجزه ، وإذا ما ولد أو خلق بعض هذه الصيغ أو الأبنية ، فذلك لا يصدر إلا عن طبع وأصالة لغوية لديه ، فلا ينبو عن الذوق اللغوي ، ولا يبدو عليه شيء من التصنع أو التكلف .

وقد وقفنا طويلاً عند تصرف العجاج في أبنية اللغة ، فكان أيسر صوره ما لاحظناه من أمثال القلب ، والابدال ، وفك المدغم ، وتحريك الساكن ، وتسكين المتحرك ، أو استعمال الجمع بدل المفرد ، أو الجمع بدل المثنى ، أو المثنى بدل المفرد ، أو المفرد بدل المثنى ، وهذه كلها يمكن أن تضادها في أشعار القدماء ولكنها تميز في رجز العجاج بالكثرة والوضوح ، وكأنها ترد عن قصد وتعمد ، لما يريد العجاج من إغراب في اللفظ ، أو نادرة

في المعاني .

ثم رأينا لديه تصرفاً أوسع في ألفاظ اللغة ، لا يلقف عند قاعدته معروفة ، أو حدود مألوفة ، وذلك حين يلجأ إلى تزييق الألفاظ على هواه ، ثم بناؤها على قدر حاجته ، فيسقط من هذه الكلمة ما يريد ، ويبني تلك الكلمة على ما يشاء ، لأن هذا قد يبعث على الغموض والإبهام في فهم معناها ، ولكنه مع ذلك يحقق الإغراب في اللغة ، والندرة في الأبنية ، وهذا ما مكلف به العجاج ، وكان غاية ما يبتغيه لألفاظ رجزه .

ولا حظنا أن العجاج قد جاوز التصرف في أبنية اللغة ، إلى التصرف في بعض الروابط النحوية المألوفة ، مما جعل من رجزه أحياناً مادة للغلاف بين النجاة ، ولا سيما بين مدرستي الكوفة والبصرة ، وقد وقفنا عند صور متعددة لخروجه على مألوف القواعد النحوية ، ورأيناها مما يثير الإشكال أحياناً حول رجزه ، ولكن هذا الإشكال ربما كان أيضاً لانعدام العجاج على أساليب الحذف في تراكيبه ، أو الحل على المعنى ، أو القلب المعنوي ، أو التصرف في الضائر ، أو التصرف في المجموع ، وقد أتينا بأمانة متعددة لهذه الأساليب ، ورأينا أنها جميعاً بما يحوج إلى البعد في تأويل البيت حيناً ، أو الخلاف بين النجاة أحياناً .

وأخر ما لاحظناه أن الرجز أصبحت له خصائص تميزه من الشعر في مدرسة العجاج ، وهذه الخصائص تجعل من الواجب أن ينظر إليه من زاوية خاصة ، وألا يطرح للمقارنة بينه وبين القصيد ، إذ أن لكل منهما هدفاً وغاية ربما كانت تختلف اختلافاً جوهرياً في بعض الاتجاهات ، ولهذا لم نجد مستوفياً للمعري في اعتبار الرجز من « سفاسف القريض » ، لأن مثل هذا الموقف من الرجز يغفل الهدف الرئيسي منه خلال القرن الهجري الأول ،

إذ كان الواجب لا يريد مجرد النظم ونقل المعاني ، ولكنه بالإضافة إلى ذلك يعني بعدد من الخصائص اللفظية ، التي تجعله يتعاطف مع أبناء عصره ، ويلبي رغبة الحنين إلى الماضي الغريب ، ولو أن أبا العلاء كان قد نظر إلى مدرسة الرجز من هذه الزاوية لما حطّ من قيمة الرجز أو الرّجّاز .

رَفْعُ  
عبد الرحمن النخعي  
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ  
عبد الرحمن (القنبري)  
(أسكنه الفردوس)

فهرس الموضوعات

مقدمة : ( ٣ - ٨ ) .

تمهيد : الإطار السياسي والاجتماعي والفكري لعصر العجاج  
( ٣ - ٥٤ ) :

**الإطار السياسي ( ٤ - ٢٠ ) :** الأحداث الإسلامية الأولى وأثرها في  
الشعر ٤ - مشكلة الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ٥ - مشكلة  
الردة ٧ - مشكلة الخلافة بعد عمر بن الخطاب وقتنة عثمان ٩ - تنازل  
الحسن بن علي عن الخلافة وتفرد معاوية وما تلى ذلك من أحداث  
حتى قضاء عبد الملك على ابن الزبير ١٥ - الأحزاب السياسية : حزب ابن  
الزبير ١٧ - حزب الخوارج ١٨ - حزب الشيعة ٢١ - الحزب الأموي ٢٧ .

**الإطار الاجتماعي ( ٢٠ - ٤٢ ) :** الفوضى في حياة الناس الاجتماعية ٣١ -  
النفاق الاجتماعي ٣١ - العvisية القليلة ٣٢ - الطبقات الاجتماعية والتمييز بين  
العرب والموالي ٣٥ - اختلاف البيئات الاجتماعية باختلاف الأقاليم : البيئة  
الاجتماعية في الحجاز ٣٧ - البيئة الاجتماعية في نجد ٣٩ - البيئة الاجتماعية  
في العراق ٤٠ - البيئة الاجتماعية في الشام ٤١ .

**الإطار الفكري ( ٤٢ - ٥٤ ) :** الاتجاهات الفكرية التي عُنيت بتوضيح  
أمور الدين الاسلامي ٤٢ - الجدل بين مدرستي الحجاز والعراق في الفقه ٤٣ -

دخول الساسة إلى التفكير العقلي ٤٥ - فرقة الجبرية وآراءها ٤٦ - فرقة القدونية وآراءها ٤٧ - فرقة المرجئة وآراءها ٤٨ - فرقة المعتزلة وآراءها ٥٠ - الجدل بين الفرق وأثره في الشعراء ٥٣ .

#### الفصل الأول : حياة العجاج ( ٥٥ - ١٠٠ ) :

١ - نسبه وعشيرته ( ٥٥ - ٦٢ ) : نسب العجاج ٥٥ - لقبه وكنيته ٥٦ - والده وهل عرف بقول الرجز ٥٧ - قومه بنو سعد واشتهارهم بالرجز ٥٨ - جده لأمه كسيتب ٥٩ - أخوه العباس ٥٩ - زوجته : عترة والدعاء ٦٠ - أولاده : رؤبة وحزمة ٦٢ - أحفاده : عبد الله ، وعقبه ٦٢ .

٢ - نشأته وعمره ورحلاته ( ٦٣ - ٧٦ ) : أخبار نشأته قليلة جداً في المصادر المختلفة ٦٣ - فقه كتاب ضائع ألفه الجلودي في أخبار العجاج ٦٤ - رأي الأوردت في تحديد الفترة التي عاشها العجاج والرد عليه ٦٤ - تحديد المرباني لذلك ٦٤ - لم يذكره السجستاني في المعربين ٦٥ - فترة حياته على وجه التقريب ٦٥ - فقه أدلة تشير إلى أنه مقيم طويلاً ٦٥ - موطن العجاج في حاضرة البصرة ٦٧ - إقامته بالبصرة أو تروده عليها ٦٨ - رحلته إلى العراق والشام ٧٠ - رحلاته إلى مدوحه ٧١ - رحلته إلى الحجاز ٧٢ - صلته بشعراء عصره ٧٤ .

٣ - عقيدته ( ٧٦ - ٨٧ ) : رأي الأب لويس شيخو في عقيدة العجاج ٧٧ مناقشته والد عليه ٧٨ - أخلاقه الإسلامية ولقاؤه بأهـ هـرة ٨١ - الآثار الإسلامية الأخيرة في رجزه دليل على عمق الإسلام في نفسه ٨٣ .

٤ - شخصيته ( ٨٧ - ٩٩ ) : الجانب الأعرابي في شخصيته وأثره في

ألفاظه ومعانيه ٨٨ - الجانب الأخلاقي وأثره في أساليبه ومعانيه وموضوعاته ٨٩ - الصناعة ونأثره بأخلاق عصره ٩٢ - فقره كان من أسباب التكسب أحياناً ٩٣ - العناصر المكونة لشخصيته وثقافته ٩٣ - الحضارة الجديدة لم تغير كثيراً من ثقافته الأعرابية ٩٣ - فصاحة العجاج وامتدادها إلى أبنائه ٩٤ - مظاهر ثقافته الأعرابية ٩٥ - ربما كان العجاج يحسن الكتابة ٩٨ .

#### الفصل الثاني : مصادر رجز العجاج ( ١٠٠ - ١٤٨ ) :

١ - ديوان العجاج ١٠٠ - ١١٧ : ثمة اشارات الى ديوانه منذ أواخر القرن الثالث إلى القرن الحادي عشر الهجري في كتب اللغة والأدب والتراجم ١٠٠ - ابن التميمي أشار الى تصنيف الديوان على يد كل من الأصمعي وأبي عمرو الشيباني ١٠١ - ابن خير حفظ لنا سنداً متصلاً لرواية الأصمعي حتى القرن السادس ١٠١ - فقه نسخة لرواية الأصمعي في مكتبة فاتح ترقى إلى القرن السادس الهجري ١٠٢ - دلائل فيها تؤكد أنها من رواية أبي حاتم عن الأصمعي ، وتلتقي بذلك مع السند الذي أورده ابن خير ١٠٣ - لإشارات في بعض المصادر إلى قراءة أبي حاتم رجز العجاج على الأصمعي ١٠٤ - دلائل في جبهة اللغة تؤكد رواية ابن دبر لرجز العجاج وشريحه عن أبي حاتم عن الأصمعي ١٠٥ - فقه تلامذة آخرون للأصمعي نقلوا عنه ديوان العجاج ، وأبرزهم : عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، وأبو الفضل العباس بن الفرج الرهاشي ، وأبو اسحق الزبادي ١٠٦ - ترجمة الأصمعي راوي الديوان : اسمه ونسبه ١١١ ، ورده وأخلاقه ١١١ ، توثيق روايته ١١٢ ، نقله عن الأعراب ١١٣ ، فصاحته ١١٤ ، ذاكرته وحفظه ١١٤ ، شغفه بالرجز ١١٤ ، اتساع بابه في اللغة والغريب وال نوادر والاخبار والامثال ١١٦ ، وفاته ١١٧ .

٢ - شرح الديوان ١١٧ - ١٣٥ : نسبة الشرح إلى الأصمعي ١١٧ - وجود

عبارات كثيرة نُقلت عنه في عدد من المصادر وعُزِّيت للأصمعي ١١٨ - زبادات أبي حاتم على شرح الأصمعي ١٢٢ - فمة خمس عبارات أخرى يبدو أنها مزودة على الأصل ، بعضها من قِبَل أبي حاتم ، وبعضها من قِبَل الشَّيْخ ١٢٥ - خصائص شرح الأصمعي : الشرح اللغوي والاستطراد فيه ١٢٦ - الشواهد من القرآن والحديث والشعر القديم ١٢٦ - شرح الشواهد أحياناً ١٢٧ - شرح معاني الأبيات بإيجاز ١٢٧ - الأمثال ١٢٨ - تعرضه أحياناً قليلة لبعض الأمور النحوية ١٢٩ - دقة عبارته وتقريبها إن لم يكن على ثقة تامة بما يقول ١٢٩ - الإشارة إلى الأصول الأصبعية لبعض الألفاظ ١٣٠ - الكشف عن الاختلاف بين اللهجات العربية في بنية بعض الألفاظ أو معناها ١٣٠ - ربما نقد أستاذه أبا عمرو بن العلاء في شرح بعض الألفاظ ١٣١ - وربما أنه بالحكم متصل بالنقد أو بضرائر الشعر ١٣١ - وربما أورد أحياناً موجزة تفسر المناسبة لبعض الأراجيز ١٣١ - نقله عن أعراب البادية ١٣٢ - عتابه بالطرائف وال نوادر ١٣٢ - تنبُّه الأصمعي إلى ظاهري : الانتحال ، والاضطراب ، في رجز العجاج ١٣٤ .

٢ - مصادر مختلفة ١٢٥ - ١٤٨ : دور أسرة العجاج في حمل رجزه من القرن الأول إلى عصر التدوين في القرن الثاني ١٣٦ - دور قبيلته في ذلك ١٣٩ - ربما كان العجاج يحسن الكتابة ، وهذا يعني أنه دون شيئاً من رجزه فساعد الرواة الأقربين منه على الأقل ١٤٠ - وأراجيز العجاج ربما دُوِّنت كلها أو بعضها في كتاب بني سعد أو كتاب بني قميح قَبْلَ زمن الأصمعي ١٤٠ - الرواية والكتابة تضافرت على نقل رجزه إلى طبقة الرواة العلماء في القرن الثاني فاعتمت هذه الطبقة بروايته وشرحه ١٤٢ - ثم أهم به خلال القرون المتعاقبة طبقات اللغويين والنحاة لما فيه من شواهد لاختص

١٤٤ - لهذا كانت أهم مصادر رجزه هي المعاجم وكتب اللغة من فقه واستشاق وغريب ونوادر ١٤٥ - ثم تلتها كتب التفسير والكتب التي صُنِّفت في غريب القرآن ، أو مشكله أو بحارده ، أو ما أشبه ذلك ١٤٥ - ثم تلتها كتب النحو والصرف ١٤٦ - ثم كتب الأدب والنقد والمعاني ١٤٦ - ثم الكتب التي تناولت شرح الدواوين أو الخانات ، أو جعلت الامثال أو أعلام البدان أو صُنِّفت على شكل رسائل في موضوع من الموضوعات ، أو تعرضت لطبائع الحيوان ١٤٦ - وفيه أنواع من المصادر لا أثر فيها لرجز العجاج ١٤٧ - مصادر العجاج موثقة بوجه عام ١٤٧ .

### الفصل الثالث : توثيق رجز العجاج (١٤٩ - ٢١١) :

١ - الانتحال في رجزه ١٤٩ - ١٥٥ : ظاهرة الانتحال في القرن الهجري الأول ١٤٩ - قلّة الانتحال في رجزه وأسباب ذلك ١٥٠ - اتهام الأصمعي لبيت من رائية العجاج ومناقشة ذلك ١٥٠ - اتهام الأصمعي للأرجوزة الخامسة ومن المرجح أنها منحوالة فعلاً ١٥١ - الانتحال في ملحقات الديوان وأسبابه ١٥٣ - ترجيح الانتحال في المقطعة (٣٤) من الملحقات ١٥٣ - ترجيح الانتحال في المقطعة (٤٦) من الملحقات ١٥٤ .

٢ - الاضطراب في رواية رجزه ١٥٥ - ٢١١ : الاضطراب ظاهرة معروفة في أدبنا القديم وأسباب ذلك ١٥٦ - الاضطراب في رجز العجاج يمكن أن يُصنّف في أربعة أقسام تبعاً للأسباب التي حملت عليه ١٥٦ - القسم الأول : الاضطراب مع أفراد أسرته : رؤبة ، وعبدالله بن رؤبة ١٥٦ - القسم الثاني : الاضطراب بسبب تشابه الأراجيز بينه وبين عدد من الرّجّاز أو من عُرف بقول الرجز ١٨٤ - القسم الثالث : الاضطراب بسبب وهم الرواة وخططهم في نسبة الرجز إليه وإلى غيره من الشعراء ١٩٤ - القسم

الرابع : ما أنشد للعجاج وليس له ٢١٠ .

#### الفصل الرابع : موضوعات رجزه ( ٢١٢ - ٢٣٧ ) :

١ - موضوعات الرجز قبل العجاج ٢١٢ - ٢٢٤ : قدم الرجز عند العرب ٢١٢ - خصائص الرجز في الجاهلية ٢١٣ - الاختلاف بين رجز العجاج ورجز الجاهلية ٢١٥ - هذا الاختلاف لم يتم إلا بعد أدوار من التطور ٢١٥ - القدماء لاحظوا أن الأغلب العجلي كان أول من أطال الرجز ونوع في موضوعاته ٢١٦ - تجنيد الأغلب كان له أصداء في تطويل الرجز عند بعض معاصريه قبل أن يصل الأمر إلى العجاج ٢٢٠ - مناقشة الجاحظ في قول له يعزو فيه الرجز إلى امرئ القيس وطرفة بن العبد وليد ٢٢٢ - دور العجاج في تطوير موضوعات الرجز وبناء خصائصه بوجه عام ٢٢٤ .

#### ٢ - موضوعات الرجز عند العجاج ٢٢٨ - ٣٠٧ :

أ - النسب والديع ٢٢٩ - ٢٦٤ : غزل العجاج يمتاز بكثافته التقليدية من منج القصيدة القديمة ٢٢٩ - لديه أرجوزة واحدة أفردا للغزل ٢٢٩ - في غزله تنوع يبرز في معاني الأبيات وعواطفها ٢٣٩ - غزل تقليدي مطلق في معانيه وعواطفه ٢٣٠ - غزل وجداني يكثر فيه من ذكر أيام الشباب ٢٣٣ - كاد يلاص غزل ابن أبي ربيعة في جعل نفسه معشوقاً لا عاشقاً ٢٣٦ - لكنه في أكثر غزله كان عاشقاً مدلياً خلافاً لابن أبي ربيعة ٢٣٦ - مشكلة تعدد الأسماء في غزله ٢٣٧ - غزله بليلى أوضح الغزل الوجداني، وفيه تبرز تجربة العجاج ومشاعره الانسانية ٢٣٩ .

مدحه لحلفاء الأمويين وأمراهم وقادتهم ٢٤٢ - مدحه لمصعب بن الزبير ٢٤٥ - طبيعة التكسب في مدحه ٢٤٥ - الأغراض السياسية في أرجائين

الديع ٢٤٩ - المعاني التقليدية في مدحه ٢٥٧ - المعاني الاسلامية الجديدة في مدحه ٢٦٠ - المعاني السياسية في مدحه ٢٦٠ .

ب - الفخر والهجاء ٢٦٤ - ٢٩٥ : التجنيد في فخر العجاج شكلاً ومنهجاً ٢٦٤ - أثر الموبد في تكوين أرجائين الفخر لديه ٢٦٥ - اتساع الجانب الفردي في فخره ٢٦٦ - أسباب ذلك ٢٦٦ - المعاني الفردية في هذا النوع من الفخر ٢٦٧ - الجانب القبلي كان لا يبد منه في فخره أيضاً ٢٧٠ - أسباب ذلك ٢٧٠ - المعاني التي تناولها في هذا النوع من الفخر ٢٧٠ - الاتجاهات العصبية في فخره القبلي ٢٧٤ .

رأي العجاج في تخلّيه عن الهجاء ٢٧٧ - آراء القدماء في ذلك ٢٧٧ - الأسباب الحقيقية لتخلّيه عن الهجاء ٢٨٠ - العجاج لم يتخلّ تماماً عن الهجاء وإنما أوجد لنفسه نوعاً خاصاً يخلو من الفحش والمهاترات يجدها وهزلاً ٢٩٠ - اعتياده على المعاني السياسية والتكلم والسخوة والمفارقات المضحكة ٢٩٠ .

ج - الشعر الديني والحكمة ٢٩٥ - ٣٠٨ : الشعر الديني بين الجاهلية وعصر بني أمية ٢٩٥ - نثر الشعر الديني بعقيدة العجاج وشخصيته ٢٩٦ - تفرّد الشعر الديني ببعض الأرجائين ٢٩٧ - اعتياده على معاني القرآن وأسلوبه ٢٩٨ - أسلوب المناجاة والمعاني الدينية بوجه عام ٣٠٠ - قد يرد الوعظ ضمن موضوعات المقدمة التقليدية في بعض الأرجائين ٣٠١ - القصص الديني ٣٠١ - وقد يرد في خاتمة الأرجوزة ٣٠٢ - أرجوزة متنازعة بين العجاج ورؤبة وفيها حلّ الشعر الديني محلّ الأطلال والغزل في المنهج التقليدي ٣٠٢ .

مصادر الحكمة عند العجاج ٣٠٤ - حكمته تمتاز بالعمق والتأثير والحيوية ولكنها قليلة نسبياً ٣٠٤ - قد ترد الحكمة داخل المقدمات التقليدية

٣٠٥ — وقد يُسقط المقدمة التقليدية ويُحِلُّ المطالع الدينية محلها ٣٠٦ — وقد ترد الحكمة في أضعاف الأرجوزة على ستة غيره من الشعراء ٣٠٧ — كثيراً ما توافقت الحكمة أحاديث العجاج عما بلغه من الهرم والضعف والكبر ٣٠٧ .

**د - الوصف ٣٠٨ - ٢٢٧ :** اتساع الوصف في رجز العجاج ٣٠٨ — هذا الاتساع يشبه أن يكون عالماً لدى شعراء عصره ومن تقدمهم ٣٠٩ — تفرّد العجاج في التخصص لأوصاف الصحراء ٣٠٩ — شهرته في وصف الإبل ٣٠٩ — خطأ رؤبة وأبي النجم في وصف الحيل ٣١٠ — ولع الرجزاء بأوصاف الإبل لم يُحِثْ دون وصف الحيل والإجادة فيه ٣١٠ — موضوعات الوصف عند العجاج : مشاهد الصحراء ، حيوان الصحراء ، مشاهد البحر والأنهار ، أوصاف المرأة ، أوصاف الحرب وأدوات القتال ٣١١ — الصور عند العجاج تنقسم إلى ذاتية وموضوعية ٣١٢ — الصور الذاتية النفسية : المفارقات في رسم هذه الصور ١١٣ ، الحوار أو المناجاة ١١٣ ، تصوير الواقع النفسي تصويراً مباشراً ٣١٣ ، تصوير هواجس الحيوان ٣١٤ ، استخدام المناجاة في تصوير نفسية الثور ٣١٥ — دقة العجاج في هذا التصوير لا يجدها عند شعراء هذيل أو النابغة الذبياني أو زهير بن أبي سلمى ٣١٦ — تعاطف العجاج مع الموصوف وإندهامه معه في شخصية واحدة أحياناً ٣١٨ — الصور الخارجية الموضوعية : التنوع والاستقصاء في رسم صوره ، الصور البصرية والسمعية ، الأركاكت الفنية للصورة الأدبية في رجزه ٣٢٠ — الواقعية والحوار ٣٢٧ — الواقعية في ذكره أسماء البعير والثافة والصيد والكلاب ٣٢٨ — الدقة في صوره واختيار الجزئيات الموجبة واللفظات الموقفة ٣٢٨ — المفارقات الفنية ٣٣٠ — اعتماده على معاني الألفاظ وإيجائها دون الاعتماد كلياً على التشبيه أو الاستعارة ٣٣١ — دور التشبيه في رجزه يقتصر على نقل الوصف من موضوع إلى آخر ،

أو ترتيب الصور داخل المشهد الواحد ٢٣٤ — الاستعارة أوسع سلطاناً من التشبيه في رجزه لأنها أقرب إلى طبيعة التصوير بالألفاظ المعبرة ٣٣٦ .

## الفصل الخامس : الخصائص الفنية في رجزه ( ٢٢٨ - ٢٨٨ ) :

**١ - الخصائص المعنوية ٢٢٨ - ٢٧٤ :** الوضوح المطلق قليل نسبياً في معانيه ٢٣٨ — قد تكون المعاني واضحة لا يشوبها إلا غرابة الألفاظ ٢٣٩ — وقد تكون غامضة لأسباب كثيرة : الغموض بسبب استعماله لغات غريبة ٣٤٠ ، الغموض بسبب استعمال ألفاظ مألوقة ولكنها تختمل في البيت أكثر من وجه واحد ٣٤١ ، الغموض بسبب القلب المعنوي ٣٤٢ ، الغموض بسبب الحذف ٣٤٣ ، الغموض بسبب التقديم والتأخير ٣٤٣ ، الغموض بسبب تصرفه في أبنية الألفاظ ٣٤٤ — دور الطبيعة والصناعة في تصرف العجاج وغموض معانيه ٣٤٥ — طبيعة الصناعة في عصر العجاج ٣٤٦ — صناعة العجاج كانت تصرف إلى التجويد والتأنق في المعاني ٣٤٧ — المعاني الحسية في رجزه ٣٤٨ — الامتثال الحسية المادية في معانيه ٣٥١ — المعاني التي أخذت عليه لأنها تتنافى مع ثقافته البدوية وطبعه الأعرالي ٣٥٣ — سبب ذلك هو الارتباط الوثيق بين العجاج والبادية ٣٥٦ — وهذا كل سبب لظهور بعض المعاني الجاهلية في رجزه رغم أنها تتنافى مع تعاليم الإسلام ٣٥٦ — إلا أن المعاني الإسلامية كانت كثيرة جداً في رجزه ٣٥٨ — المعاني التي استعملها من التراث الأدبي أو من شعراء سبقه ٣٥٩ — تجويزه في بعض المعاني المتداولة بين الشعراء ٣٦١ — تجديده في بعض المعاني ٣٦٢ — المعاني التي أخذها عنه عدد من الرجزاء والشعراء لما فيها من جدة ولما كان لها من شهرة ٣٦٣ .

## ٢ - الخصائص اللفظية ٢٧٥ - ٢٨٨ : المنهج الذي اتبعه في بناء الأرجوزة



٣٧٥ - اعتماده على المقدمات التقليدية في بعض الأراجيز ٣٧٥ - الجدة في اعتماده على مقدمات دينية سياسية لا أثر فيها للعباري التقليدية ٣٧٧ - الجدة في اعتماده على المطالع القوية واسقاط المقدمات جميعاً ٣٧٨ - لامسوغ لاحتيال ضياع المقدمات من هذه الأراجيز ٣٧٩ - اسهام العجاج في تطوير شكل القصيدة وجعلها تختص بموضوع واحد أحياناً ٣٧٩ - اسهامه في اتساع ظهور المقطعات لهذا العصر ٣٨٠ - لم يخرج عن وزن الرجز إلا نادراً جداً ٣٨٢ - الرجز يمتاز موسيقياً بالرتوب ٣٨٣ - غناية العجاج بالجانب الموسيقي تخلصاً مما أمكن من رتوب الرجز ٣٨٣ - تكرار الألفاظ داخل البيت الواحد ٣٨٤ - التجنيس أو ما كان يسميه العجاج بـ « عطف الرجز » ٣٨٥ - تقسيم البيت إلى فواصل موسيقية ٣٨٥ - التزام العجاج أحياناً في القوافي ما لا يلتزمه سائر الشعراء ٣٨٦ - هذا الالتزام نحو للمذهب الصنعة في عصره ٣٨٧ .

#### الفصل السادس : الخصائص اللغوية والنحوية ( ٣٨٩ - ٤٧٥ ) :

١ - **الاغراب في اللغة ٣٨٩ - ٤٠٦ :** أنواع الغريب في رجزه ٣١٩ - تحديد القدماء لأنواع الغريب ٣٨٩ - الغريب الذي يحتاج إلى معاجم اللغة في رجزه ٣٩١ - الغريب الذي يحتاج إلى تدقيق النظر لاحتمال عدوه وجوده في المعنى ٣٩٣ - الاغراب في استعماله الألفاظ الأعجمية ٣٩٨ - أراجيزه أشبه بعراض لغريب اللغة ٤٠٣ - الغريب عند العجاج كان يصدر عن طبع فقع في مواضعه ٤٠٣ - بعضهم حاول مجاراته فتكلف لإدخال الغريب في شعره وهو مجهل معناه فقصر بذلك عن العجاج ، ومن هؤلاء : الكميث ، والطرماح ، وشصيب ، وابن منذر ٤٠٤ - ذو الرمة تخلّى عن الرجز خوفاً من غلبة العجاج ورؤبة ٤٠٥ - الرواة يصفون الشعراء من اصحاب الغريب

على درجات ٤٠٥ - أولع بهذا المذهب أبو تمام فكان من المآخذ عليه عند العلماء ٤٠٦ .

٢ - **الحفاظ على اللغة ٤٠٦ - ٤٢١ :** قدرته اللغوية ٤٠٦ - محافظته على أصول كثيرة لبعض الصغ العربية ٤٠٧ - محافظته على جمهرة من نوادر الألفاظ ٤١١ - محافظته على شيء من خصائص لهجة قومه بني تميم ٤١٣ .

٣ - **توليد اللغة ٤٢١ - ٤٢٨ :** رأي ابن جني في تقرد ابن أحرر والعجاج ورؤبة بألفاظ لم تسمع إلا في أشعارهم ٤٢١ - ارجيئال العجاج لبعض الأبنية اللغوية ٤٢٢ - توليده في اللغة كان لا ينبو عن الذوق اللغوي لأنه يصدر عن أصالة وطبع لا تكلف فيه ٤٢٧ - اخفاق من حاول القياس على أبنيته لافتقاره إلى الطبع والأصالة ٤٢٧ .

٤ - **التصرف في ابنية اللغة ٤٢٨ - ٤٥٧ :** تصرفات تقف عند حدود معروفة في قواعد الصرف أو العروض : القلب ٤٢٩ ، الإبدال ٤٣٢ ، فك الادغام ٤٣٧ ، تحريك الساكن ٤٣٩ ، تسكين المتحرك ٤٤٢ ، استعمال المثنى بدل المفرد ٤٤٥ ، أو المفرد بدل المثنى ٤٤٥ ، أو الجمع بدل المفرد ٤٤٦ ، أو الجمع بدل المثنى ٤٤٧ - تصرفات أخرى في بنية الألفاظ تجعله يئز الكلمة ثم يبينها على هواه ٤٥٠ .

٥ - **التصرف في قواعد النحو ٤٥٧ - ٤٧٢ :** تصرفه في الروابط النحوية المألوفة في اللغة تحمل على الخلاف بين النحاة ولا سيما بين مدرستي الكوفة والبصرة ٤٥٧ - أمثلة لخروجه عن مالوف القواعد النحوية ٤٥٨ - قد ينشأ الإشكال في رجزه لاعتماده : أساليب الحذف ٤٦٣ ، أو الجمل على المعنى ٤٦٤ ، أو القلب المعنوي ٤٦٥ ، أو التصرف في الضائر ٤٦٧ ،

او التصرف في الجوع ٤٦٨ - الخلاف بين النعاة لاختلافهم. أحياناً في فهم بعض آياته ٤٧٠ .

٦ - موقف ابي العلاء المعري من الرجز ٤٧٢ - ٤٧٥ : تجعل أبو العلاء الرجز من سفاس القريض ٤٧٣ - مناقشة ذلك والرد عليه ٤٧٣ - دور الرجز خلال القرنين الأول والثاني وتمييزه من الرجز في العصور التالية بمخاضه والدوافع إليه ٤٧٤ .

خاتمة : ٤٧٦ - ٤٩٥ .

فهرس الموضوعات : ٤٩٦ - ٥٠٨ .

رفع  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
تصويب

السطر	الصفحة	الصواب	الخطأ
١٦	١٥	الحسن	الحسين
١٥	٣٢	لاذمة لهم	لاذمة
٢	٤٢	رتوب	رتابة
٨	٤٢	إحدهما	أحدهما
٦	٨٤	تتمر	تتمر
١٦	٩٨	كالبرم	كالبرم
١٢	١٢٥	خمس	خمسة
١	١٢٩	فازدردوا	فازدردوا
١٩	١٣٥	عمرو	عمر
١٠	١٤٨	البدء والتاريخ	البدء والتاريخ
١٩	١٥١	يفرج	يفرج
٧	١٦٣	راجز	راجزاً
١٠	١٧٦	محرشاً	محرشاً
١	١٨٠	مترجحون	مترجحين
٨	١٨٠	عزاهما	عزاهما
١٦	١٨٣	مترجحة	مترجحة
٤	١٩٣	ملكاً	ملكاً

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
كلا الروايتين فيها	كلتا .. فيها	١٩٦	١٧
لعمرو	لعمرو	٢٠١	٣
القيسي	القيسي	٢٠٩	٥
لأنها	لأنها	٢١٠	١٠
عمرو	عمرو	٢٢٦	١٩
زفرقة	زفرقة	٢٣١	١٣
معجبات	معجبات	٢٣٤	٢
توهم	توهم	٢٤٠	٥
مرزأة	مرزأة	٢٤٦	٢٠
فالأسد بين	فالأسد من	٢٥٨	١٨
أحيان	أحياناً	٢٦٧	٢
صفاة	صفات	٢٧١	١٦
يحيي الموت	يحيي الموت	٢٩٧	١٦
رتب	راتب	٣٠٣	٩
أزوق	أزوق	٣١٩	٢
صور ، الصور	صورة ، الصورة	٣٢٠	١٤ ، ١٣
قال الإمام	قال له الإمام	٣٢٧	١٣
ركاضة	ركاضة	٣٣٤	٢٠
وريت	وريت	٣٥٢	١٦
مُعَقَّر	مُعَقَّر	٣٦١	٢٤١
يحمل	يحمل	٣٦٢	٤
عبد الله بن قيس الرقيات	بشار بن برد	٣٦٦	١٥

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ابن الرقيات	بشار بن برد	٣٦٧	٢
الأم	الألأزم	٣٦٨	٨
م	معقر	٣٧٣	٢
ب	وما	٣٨٠	١٤
نان	العنان	٣٩١	١٨
(١) ملحقات الديوان	(٣) انظر اللسان والقاموس		
٤٣/١٣	(مأج)	٤٤٠	٢١
فالأسد بين	فالأسد من	٤٤٢	١٠
سفافها	سفافها	٤٧٣	١٦

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس